الجـامعة الإســـلامية -غزة
عمــادة الــدراســات العليــا
كــليـــة أصـــول الــديــن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

عقيدة الأحباش (الهررية)

عرض ونقد

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة
بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة

إعــــداد الطــــالب

محمد مصطفى الجدي

إشــــراف الدكتـــور

محمد حسن بخيت

العام الجامعي

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

الأنعام١٥٣

قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

الزمر١٨.

الإهـــــــداء

إلــى كل من قال (لا إله إلا الله) خالصاً من قلبه،

إلى كل من عمل تحت راية (لا إله إلا الله) متفانياً لربه،

إلى كل من مات من أجل (لا إله إلا الله) إرضاء لربه.

أقدم هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

التزاماً بقوله تعالى: **(وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ)** سورة النمل٤٠، وعرفاناً بالفضل لأهله، أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم، أو ساعد في هذا البحث، أو أسدى إليَّ نصيحة، أو توجيهاً.

وأخص بالذكر أستاذي الكريم المشرف على هذه الرسالة الدكتور/ محمد حسن رباح بخيت، الذي منحني من جهده، ووقته الكثير، وجاد عليَّ بنصائحه، وتوجيهاته السديدة النافعة؛ فأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجزيه خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لأستاذيْ الكريمين الفاضلين عضويْ لجنة المناقشة: الدكتور/ صالح حسين الرقب، والدكتور/ نسيم شحدة ياسين، لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ليثرياها بتوجيهاتهما السديدة النافعة.

وأتوجه بالشكر والعرفان للجامعة الإسلامية -بغزة- والقائمين عليها، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور/ محمد عيد شبير، رئيس الجامعة الإسلامية، والدكتور/ صالح حسين الرقب عميد الدراسات العليا، لما وجدنا منهم من رعاية وحسن معاملة واحترام.

ولا أنسى توجيه الشكر للدكتور/ عبد الرحمن يوسف الجمل -عميد كلية أصول الدين- وأساتذة قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية.

وشكري الخاص إلى العاملين في كل من المكتبة المركزية، وقاعة التخريج في الجامعة الإسلامية لما قدموه لنا من عظيم خدمة.

وجزيل الشكر لأستاذنا الفاضل/ محمد صالح طه، على ما بذله من جهد في مراجعة هذا البحث من الناحية اللغوية.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخ/ تحسين محمد الجدي، الذي أشرف على طباعة هذه الرسالة.

وإلى كل من ساهم في إخراج هذا الجهد المتواضع ...

فجزاهم الله خيرا.،،،

الباحث

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .
واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فلقد أرسل الله عز وجل رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بدين الهدى وكلمة التوحيد إلى الناس كافة، في فترة كان الشرك يهيمن على المجتمعات، فبدأ الرسول -صلى الله عليه وسلم- دعوته بثقة واطمئنان إلى نصر الله عز وجل ، حيث بدأ ينادي بتوحيد الله عز وجل وتعظيمه وإفراده بالعبادة ...

ولا شك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- واجه الكثير من العقبات، ولكن الله عز وجل كتب لهذا الدين البقاء وأيده بعصبة من الموحدين ، الذين فهموا حق الفهم روح هذا الدين وتفانوا في الدفاع عنه، وتوضيحه للناس ونشره بينهم، حتى شاء الله عز وجل أن ينتشر هذا الدين، وتدين الجزيرة العربية به، بل وتخطاها إلى غيرها من البلدان، فاتسعت مساحة الدولة الإسلامية، ودخل الكثير من الناس في هذا الدين ... واتساع الدولة الإسلامية وزيادة الخيرات لدى المسلمين وشعورهم بالراحة والاطمئنان أدى كل هذا إلى الترف الفكري وانكباب بعض المسلمين على العلوم، وخاصة ما ترجم منها من أفكار لفلاسفة وثنيين تتعلق بالأمور الغيبية، وما احتوتها من ضلالات وتفاهات، فتأثر مجموعة من المسلمين بهذه الأفكار الغريبة الشاذة .... وبدأت الاحتكاكات في المجتمع الإسلامي بين من تأثر بالفكر الفلسفي الوثني وبين من تمسك بمنهج أهل السنة والجماعة، واعتمد الكتاب والسنة في تقرير العقيدة، بخلاف القسم الأول الذي قدم العقل على النقل، مما جعل بعضهم كالمعتزلة يؤولون آيات الصفات دون استثناء فراراً من التشبيه والتجسيم _ حسب زعمهم _ وتضعيف أو ردّ الكثير من الأحاديث بحجة أنها خبر آحاد وأنها لا تفيد علماً يقينياً كالعقل، وكالأشاعرة الذين اثبتوا بعضاً من الصفات وأوّلوا الباقي، وكذلك فعلوا بأحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- حيث أولوا الكثير منها بحجة أنها أحاديث آحاد وأنها لا تفيد علماً يقيناً كالعقل، بالإضافة إلى وجود فرق أخرى كالخوارج والجهمية وغيرهم.

ولم يقتصر الأمر على تأويل آيات الصفات بل تعداه إلى مسألة كسب العباد لأفعالهم، وهل هم مخيرون أم مسيرون، ومسألة أفعال الله عز وجل وهل تقع لحكمة أم لا،إلى غير ذلك

من أمور العقيدة، فظهرت الفرق والجماعات ولكل منهم أنصار يدافعون عن عقائدهم الفاسدة بشتى الطرق، وتقريرها شرعاً وعقلاً من خلال الاستدلال الفاسد بآيات القرآن وأحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ومنهم من يقوم بوضع الأحاديث على الرسول -صلى الله عليه وسلم- لنصرة مذهبهم ....

وظهرت فرق ضالة جديدة تقوم أفكارها على أصول الفرق القديمة، ومن هذه الفرق الجديدة (الأحباش)، التي حادت عن منهج السلف الصالح من خلال اتباعها لعقائد الأشعرية والماتّريدية، واتباعها لضلالات الصوفية الرفاعية والقادرية، ويأتي هذا البحث تحت عنوان (عقيدة الأحباش (الهررية) عرض ونقد).

وفيما يلي خطة البحث : -

أولاً : - أهمية البحث وبواعث اختياره :

تظهر أهمية البحث وبواعث اختياره في أنه يبحث في إحدى الفرق الإسلامية المعاصرة التي تدّعي بأن منهجها هو منهج أهل السنة والجماعة في إثبات العقائد، مع أنها اعتمدت منهج الأشاعرة والماتريدية في العقيدة، وسارت على ضلالات الصوفية الرفاعية.

ومن المعلوم أن هناك فروقاً كثيرة بين منهج السلف ومنهج الأشاعرة والماتريدية في إثبات العقائد منها على سبيل المثال - لا الحصر - أن الأشاعرة والماتريدية يثبتون بعضاً من الصفات، ويأولون معظم الصفات، فأين هذا من منهج السلف الصالح الذين يثبتون الصفات كلها دون تأويل، أو تشبيه، أو تحريف، أو تعطيل؟ مما جعلني أقدم على اختيار هذا الموضوع لأجلي الحقيقة عن اعتقاد هذه الفرقة التي لها أتباع في بعض البلدان الإسلامية والأوربية.

ثانياً : - أهداف البحث

١- التعريف بفرقة الأحباش من حيث النشأة، والتاريخ، وأشهر دعاتها، والانتشار، وبيان أشهر المؤسسات التي تعمل جماعة الأحباش تحت رايتها.

٢- تبيين مدى مطابقة ومخالفة اعتقاد فرقة الأحباش، لاعتقاد أهل السنة والجماعة، وذلك من خلال عرض عقائدهم على ما جاء في الكتاب والسنة واعتقادات أهل السنة والجماعة من الصحابة، والتابعين، وعلماء السلف، وتوضيح الغث منها.

٣- دحض اتهاماتهم لبعض أئمة أهل السنة والجماعة كشيخ الإسلام ابن تيمية، ولكثير من أهل العلم أمثال محمد بن عبد الوهاب و الألباني والقرضاوي وغيرهم وبيان ضعفها ووهنها أمام الحجج الواضحة الجلية.

٤- بيان لبعض الضلالات والبدع التي تقوم بممارستها هذه الفرقة باسم التدين كالاستغاثة والتوسل بالأموات والتبرك بالقبور وما شابهها من أمور.

٥- إظهار أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي العقيدة الصحيحة، لأنها مأخوذة من النبع الصافي الكتاب والسنة النبوية، وأن ما سواهما هي أوهام وضلالات مهما كان قائلها، لان العصمة فقط للرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ولا عقيدة خلاف ما أتى بها.

ثالثاً:- منهج البحث وطبيعة العمل فيه:

من المعلوم وجود مناهج مختلفة في البحوث العلمية، وكل منهج له خاصية يتمتع بها، ففي هذه الدراسة استخدمت المنهج الوصفي الذي يقوم بدراسة الظاهرة وبيان خصائصها وحجمها، حيث إن هذا المنهج يقوم بجمع المعلومات، وتحليلها، واستنباط الاستنتاجات لتكون أساساً لتفسيرها وتوجيهها؛ ولا يغيب في هذه الدراسة أنني استخدمت المنهج التاريخي أيضاً، ولكن في نطاق أقل لأن فرقة الأحباش لها امتداد تاريخي من حيث الفكر والشخصيات المؤثرة فيها، ولهذا كان لا بد من استخدام منهج يناسب هذه الجزئية من الدراسة.

إن المنهج الذي اعتمده الباحث هو كالتالي:-

١- قام الباحث بأخذ النصوص الخاصة بالأحباش غالباً من مظانها، أي من كتبهم ومجلاتهم ودروسهم المطبوعة والمسموعة على أشرطة الكاسيت.

٢- عرض الباحث آراء واعتقادات الأحباش المخالفة لمذهب السلف أولاً، ثم قام بالرد عليها مباشرة من القرآن، والسنة، ومذهب السلف.

٣- اكتفى الباحث بذكر المرجع أو المصدر مع اسم المؤلف مع ذكر الناشر وتاريخ الطبعة - إذا توفرت - عند وروده أول مرة ، وعند تكرار ذكر المرجع أو المصدر أذكر اسم الكتاب مع المؤلف مختصراً .

٤- قام الباحث بعزو الآيات القرآنية إلى أسماء السور، مع ذكر أرقام الآيات.

٥- إن كان الحديث في الصحيحين اكتفى الباحث بتخريجه منهما، وإن كان في غيرهما قام بتخريجه من كتب السنة الأخرى.

٦- انتهج الباحث أثناء عزو الحديث، ذكر اسم الكتاب الذي أورد الحديث ثم ذكر ترجمة الباب - إن وجدت - فرقم الحديث فالجزء فالصفحة، وأجتهد في الحكم على الحديث من مظانه.

٧- قام الباحث بالترجمة للأعلام الغريبة التي وردت في البحث، ما دامت مصادر الترجمة متوفرة، وخاصة في الأعلام المعاصرة، وذكر الترجمة عند ورود اسم العلم أول مرة، وأتت الترجمة مختصرة إلا لعلم يجب الإسهاب في ترجمته نوعاً ما.
٨- بين الباحث معاني الكلمات الغريبة في الهامش.
٩- حرص الباحث على استخدام طبعة واحدة لكل مرجع من مراجع البحث ، وإذا تعامل مع طبعتين ، أشار إلى الطبعة الأخرى في الهامش .
١٠- قام الباحث بالاعتماد على بعض المعلومات المنقولة من شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) لأنه تعامل مع فرقة إسلامية معاصرة وعند ورود معلومة مصدرها شبكة المعلومات العالمية أشار في الهامش إلى ذلك بلفظ (شبكة المعلومات).
١١- قام الباحث بتقسيم موضوع البحث إلى أبواب، والأبواب إلى فصول، والفصول إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب، ثم جعل خاتمة لذكر أهم النتائج التي توصل إليها من خلال البحث والدراسة.
١٢- عمل الباحث فهارس للآيات والأحاديث والأعلام والمراجع والموضوعات.

رابعاً :- الدراسات السابقة .

عند القيام بعملية البحث عمن كتب عن جماعة الأحباش، لم أجد أي رسالة علمية محكمة في ذلك، وإنما وجدت كتابات متفرقة كل منها عالج جانباً معيناً، وان كان أشملها ما كتبه الشيخ عبد الرحمن دمشقية (موسوعة أهل السنة في نقد أصول فرقة الأحباش ومن وافقهم في أصولهم)، ولكن تميزت هذه الموسوعة بأن معظمها تعطي ردوداً عامةً، وهذا يتضح من العنوان للموسوعة، بالإضافة إلى تميزها بالإنشائية في الكتابة، وأخيراً تبقى الكتابة غير محكمة وعلى الرغم من هذا فهي مهمة.

ومن الكتابات التي تحدثت عن فرقة الأحباش

١- الرد على الشيخ الحبشي ...عثمان الصافي
٢- استواء الله على العرش... أسامة القصاص
٣- الاستواء بين التنزيه والتشويه ... عوض منصور
٤- إطلاق الأعنة في الكشف عن مخالفات الحبشي للكتاب والسنة... للهاشمي
٥- الرد على عبدالله الحبشي ... عبد الله الشامي
٦- بين أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة ... عبد الرحمن دمشقية
٧- الحبشي أخطاؤه وشذوذه ... عبد الرحمن دمشقية

ومعظم هذه الكتابات اقتصرت على جانب دون آخر وهذا يتضح من عناوينها ، أو تتحدث عن الجماعة بشكل عام ...

وسأقوم في بحثي بتغطية كل الجوانب المتعلقة بمسائل الاعتقاد عند الأحباش .

خامساً :- خطة البحث

وجاءت في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وثمانية فصول، وخاتمة، وهي كالتالي :-

التمهيد:- أولاً: نشأة الأحباش:

١- سبب تسميتهم بالأحباش.

٢- الظروف التي نشأت فيها الأحباش.

ثانياً: أبرز دعاة جماعة الأحباش:

١- عبد الله الهرري (الحبشي).

٢- الشيخ نزار الحلبي.

٣- الشيخ حسام قراقيرة.

٤- الدكتور عدنان طرابلسي.

ثالثاً: أهم المؤسسات والأنشطة التابعة للأحباش.

الباب الأول

أسس العقيدة عند الأحباش عرض ونقد

ويحتوي على أربعة فصول:

الفصل الأول : منهج الأحباش في تقرير العقيدة:

ويحتوي على خمسة مباحث:

- **المبحث الأول**: التأويل.
- **المبحث الثاني**: المحكم والمتشابه.
- **المبحث الثالث**: خبر الآحاد.
- **المبحث الرابع**: الاجتهاد والتقليد.
- **المبحث الخامس**: علم الكلام.

الفصل الثاني : موقف الأحباش من الألوهيات

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول**: موقفهم من وجود الله.
- **المبحث الثاني**: موقفهم من وحدانية الله.

- **المبحث الثالث**: موقفهم من الأسماء والصفات.

الفصل الثالث : عقيدة الأحباش في النبوات

ويحتوي على مبحثين:

- **المبحث الأول** : النبوة والرسالة عند الأحباش.

ويحتوي على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول** : النبوة والرسالة لغةً واصطلاحاً.
- **المطلب الثاني**: النبوة والرسالة عند الأحباش.
- **المطلب الثالث**: الحاجة إلى النبوة وصفات النبي.
- **المطلب الرابع**: ما يجب للأنبياء وما يستحيل عليهم.

- **المبحث الثاني**: دليل النبوة عند الأحباش (المعجزة).

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: تعريف المعجزة.

أولاً: المعجزة لغةً واصطلاحاً.

ثانياً: الرد على قول الأحباش إن (السبيل إلى معرفة النبي المعجزة).

- **المطلب الثاني**: الأمور التي تخرج عن كونها معجزة.
- **المطلب الثالث**: أقسام المعجزة.

الفصل الرابع: **الغيبيات عند الأحباش**

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

- مدخل علم الغيب عند الأحباش.
- معنى الغيب لغةً واصطلاحاً.
- **المبحث الأول** : عذاب القبر ونعيمه عند الأحباش.

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**:الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.
- **المطلب الثاني**: مستقر الأرواح في البرزخ.
- **المطلب الثالث**: حكم منكر عذاب القبر.

- **المبحث الثاني**: اليوم الآخر عند الأحباش.

ويحتوي على سبعة مطالب:

- **المطلب الأول**: صفة حشر العباد.
- **المطلب الثاني**: الشفاعة.

- **المبحث الثالث**: موقفهم من أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

الفصل الثاني: موقفهم من العلماء.

ويحتوي على ستة مباحث:

- المبحث الأول: موقفهم من شيخ الإسلام ابن تيمية.
- المبحث الثاني: موقفهم من الإمام محمد بن عبد الوهاب.
- المبحث الثالث: موقفهم من الأستاذ سيد قطب.
- المبحث الرابع: موقفهم من الشيخ أبي الأعلى المودودي.
- المبحث الخامس: موقفهم من الشيخ الألباني.
- المبحث السادس: موقفهم من الدكتور يوسف القرضاوي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

سادساً: - الفهارس:

وضعت فهارس للآيات، والأحاديث النبوية، والأعلام، والمراجع، والموضوعات.

وبعد فإن كنت قد وفقت في بحثي هذا فمن الله وحده، وفضل منه فله الحمد والشكر والثناء الحسن، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ذلك.

وأسأله تعالى أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم تعالى، ويتقبله مني، ويجعله في ميزان حسناتي.

الباحث

التمهيد

أولاً : نشـــــأة الأحبـــــاش

ثانياً : أبرز دعاة جماعة الأحباش

ثالثاً : أهم المؤسسات والأنشطة التابعة للأحباش

تمهـــيد

أولاً: نشأة الأحباش:

١- سبب تسميتهم بالأحباش:

وترجع النسبة في التسمية بهذا المسمى إلى البلد التي قدم منها شيخ الجماعة عبدالله بن محمد الشيبي الهرري الحبشي، فالهرري نسبة إلى بلاد (هرر) في الحبشة، والحبشي نسبة إلى بلاد الحبشة، أي سُميّ تلاميذ الحبشي نسبة إلى بلد معلمهم عبدالله الحبشي، وهذا ما اشتهروا به[١].

ولهم مسميات أخرى مثل: الهرريون أو المشاريعيون، ولكن أشهرها الأحباش.

٢- الظروف التي نشأت فيها الأحباش:

إن الظروف التي نشأت فيها جماعة الأحباش ظروف غامضة، لأن تلك المرحلة كانت غير واضحة المعالم في تاريخ الوطن اللبناني، بسبب الفتن التي كانت تحياها تلك البلاد، حيث الاقتتال الطائفي الدامي بين أفراد الشعب اللبناني، والتي أدت إلى مقتل الآلاف منهم، وتدمير البنية الاقتصادية بأكملها في لبنان، وانعكس ذلك على الوضع الاجتماعي حيث دبت الفرقة والخلافات، بين أفراد المجتمع اللبناني، فانعكس ذلك على الوضع الديني، فازدادت النزاعات والخلافات بين الطوائف الدينية المختلفة، مما أدى ذلك كله إلى تقطيع أوصال المجتمع اللبناني، وهذا بدوره نتج عنه عدم وضوح الرؤى السياسية لدى اللبنانيين في تلك المرحلة العصيبة من تاريخهم، ووسط هذا الجو ظهرت جماعة الأحباش متمثلة بجمعيتهم (جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية) التي يقول الأحباش إنها نشأت في بيروت سنة ١٩٣٠م، وفي سنة ١٩٨٣م، تسلم رياسة الجمعية الشيخ نزار حلبي -أحد تلاميذ الحبشي-[٢]، وقبل تسلم رياسة الجمعية من قبل الشيخ الحلبي كان يرأسها الشيخ أحمد العجوز حيث تنازل عنها للشيخ الحبشي والحلبي[٣]؛ وهناك من يقول أن الشيخ أحمد العجوز أجبر على التنازل عن الجمعية[٤].

١- انظر: الأحباش لابن عبدالله ص١١، مجلة البيان ص١١٠، عدد ٦٢، شوال ١٤١٣هـ، مقال بعنوان (الأحباش دعوة أم فتنة)، مجلة البيان ص٦٨، العدد ١١٠، شوال ١٤١٧هـ، مقال بعنوان (جماعة الأحباش حقيقتهم وآراؤهم).

٢- انظر:مجلة منار الهدى ص٥٨،عدد٩، محرم١٤١٤هـ،مقال بعنوان(المشاريع رائدة في عالم

٣- انظر: المصدر السابق ص٤٥، عدد ٢٣، ربيع الثاني ١٤١٥هـ، مقال بعنوان (الهرري والمشاريع صفاء سيرة ووضوح مسيرة)، المصدر نفسه ص٥٩، عدد ٩، محرم ١٤١٤هـ.

٤- انظر: المقالات السنية في كشف ضلالات الحبشية لأبي صهيب عبد العزيز بن صهيب المالكي ص٢٩، بدون ناشر، استراليا، ط الثانية ١٤٢١هـ.

وأما عن بداية ظهور الحبشي فكانت في بلاد الشام عندما جاء إليها سنة ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م، حيث بدأ في نشر عقيدته المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة في سوريا، ووجد بعض القبول عند بعض مشايخ الطرق الصوفية، وفي الوقت نفسه تصدى لأفكاره بعض المشايخ؛ وعندما وجد الحبشي الخصومة له في سوريا، وبالتالي لم يجد الأرض الخصبة لترويج عقيدته، بحث عن مكان آخر لينشر فيه عقيدته، فانتقل إلى لبنان حيث اتخذ من بيروت مستقراً له في منطقة (برج أبي حيدر)، ثم أخذ يتردد على طرابلس، ويجلس للناس في المقاهي، ويجمعهم حوله، ويؤوّل لهم الرؤى والأحلام، ويروي لهم القصص، فاجتذبهم من هذا الباب، حيث إن عوام الناس بطبعهم يحبون القصص والقصاصين، والخرافة وتأويل الأحلام[١].

وأما عن مجيء الحبشي إلى لبنان، فيقول تلامذته: بأن شيخهم الحبشي "تعرف إلى الشيخ حسين خالد من لبنان، الذي كان ينتقل مع طلاب العلم الشرعي اللبنانيين إلى دمشق، وأخذت شهرته تتسع خصوصاً في علم الحديث النبوي بعد وفاة الشيخ المحدث بدر الدين الحسني في دمشق. وفي العام ١٩٦٠م انتقل للإقامة نهائياً في لبنان. وتعرف إلى بعض المشايخ أمثال الشيخ القاضي محيي الدين العجوز، والشيخ عبد الوهاب البوتاري إمام جامع البسطة الفوقا، والشيخ أحمد اسكندراني إمام ومؤذن جامع برج أبي حيدر. ثم تعرف إلى الشيخ نزار حلبي، ومكنه من تنظيم أتباعه بكوادر قبل أن يتسلم جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، التي هي الإطار العام الذي يجمع كل هؤلاء الأحباش"[٢].

واستمر الأحباش تحت هذا الإطار المنظم في العمل المستمر والدؤوب، حتى افتتحوا فروعاً متعددة لجمعيتهم في أماكن مختلفة من لبنان، بل عملوا على افتتاح فروع خارج لبنان وخاصة في الدول الأوربية.

وعمل الأحباش في ميادين متعددة في لبنان لجذب الناس إليهم، سواء في الميدان الاجتماعي من خلال تقديم الخدمات الاجتماعية المختلفة لعوام الناس وخاصة الفقراء والمحتاجين، أو الميدان التعليمي من خلال افتتاح مؤسسات تعليمية مختلفة من روضات ومدارس، أو الميدان الرياضي حيث عملت الجمعية على استقطاب فئات الشباب المختلفة لهذا

١- انظر: الأحباش -رسالة تعريفية بهذه الفرقة الضالة- إعداد: عبد الرحمن بن عبدالله ص١١-١٢، بدون ناشر، ط الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م؛ مجلة البيان ص٦٨، عدد ١١٠، شوال ١٤١٧هـ، مقال بعنوان (جماعة الأحباش حقيقتهم وآراؤهم)؛ الرد على الشيخ الحبشي عثمان عبد القادر الصافي ص١١، بدون ناشر أو رقم طبعة، بيروت، رجب ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٢- مجلة منار الهدى ص٥٩، عدد ٩، محرم ١٤١٤هـ، مقال بعنوان (المشاريع رائدة في عالم المؤسسات).

الجانب من خلال إنشائها الأندية الرياضية، بل دخلوا في الميدان السياسي والحياة النيابية، ففي الانتخابات النيابية في صيف ١٩٩٢م، دخل الأحباش بمرشحين في الشمال، وفي بيروت، وفاز الدكتور عدنان طرابلسي (مرشحها في بيروت)[١].

ثانياً: أبرز دعاة جماعة الأحباش:

١- الشيخ عبدالله الهرري (الحبشي):

هو عبدالله بن محمد بن يوسف بن عبدالله بن جامع الهرري، الشيبي، العبدري، الشافعي، الرفاعي، القادري، النقشبندي (أبو عبد الرحمن)، ولد في مدينة هرر، حوالي سنة ١٣٣٩هـ-١٩٢٠م، ويتحدث تلاميذه عنه بأنه نشأ في بيت متواضع محباً للعلم ولأهله، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، ودرس الفقه الشافعي، ودرس علوم العربية، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وشرع يلقي الدروس مبكراً على الطلاب الذين ربما كانوا أكبر منه سناً.

ذكر تلاميذ الحبشي -في ترجمته- أن شيخهم تلقى العلوم المختلفة على أيدي علماء كُثر، حيث تلقى الفقه الشافعي وأصوله عن الشيخ محمد عبد السلام الهرري، والشيخ محمد عمر جامع الهرري، والشيخ محمد رشاد الحبشي، والشيخ إبراهيم أبي الغيث الهرري... وغيرهم؛ وقرأ فقه المذاهب الثلاثة وأصولها على الشيخ محمد العربي الفاسي، والشيخ عبد الرحمن الفاسي؛ وأخذ علوم العربية عن الشيخ أحمد البصير، والشيخ أحمد بن محمد الحبشي وغيرهما؛ ودرس علم التفسير عن الشيخ شريف الحبشي؛ وأخذ الحديث وعلومه عن الشيخ أبو بكر محمد سراج الجبرتي -مفتي الحبشة-، والشيخ عبد الرحمن عبدالله الحبشي وغيرهما؛ وأخذ الإجازة بالطريقة الرفاعية من الشيخ عبد الرحمن السبسبي، والشيخ طاهر الكيالي الحمصي، والإجازة بالطريقة القادرية من الشيخ أحمد العربيني، والشيخ الطيب الدمشقي، والإجازة بالطريقة النقشبندية عن الشيخ عبد الغفور الأفغاني النقشبندي[٢].

ثم بعد ذلك أمَّ مكة، وتعرف إلى علمائها، ورحل إلى المدينة المنورة، ثم إلى بيت المقدس في أواخر العقد الخامس من هذا القرن، ومنه توجه إلى دمشق، ثم استقر به الحال في بيروت.

١- انظر: مجلة منار الهدى ص٥٩، عدد ٩، محرم ١٤١٤هـ، مقال بعنوان (المشاريع رائدة في عالم المؤسسات).

٢- انظر: الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم عبدالله الهرري (الحبشي) ص٤-١٠، الناشر: دار المشاريع، بيروت، ط الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٠م، إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية عبدالله الهرري (الحبشي) ص٧-١٣، الناشر: دار المشاريع، بيروت، ط الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

ومن أهم تصانيفه:

١- الصراط المستقيم في التوحيد -مطبوع-.
٢- الدليل القويم على الصراط المستقيم في التوحيد -مطبوع-.
٣- مختصر عبدالله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري -مطبوع-.
٤- بغية الطالب لمعرفة علم الدين الواجب -مطبوع-.
٥- المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية -مطبوع-.
٦- إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية -مطبوع-.
٧- شرح الصراط المستقيم -مطبوع-.
٨- صريح البيان في الرد على من خالف القرآن -مطبوع-.
٩- المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية -مطبوع-.
١٠- شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله -مطبوع-.
١١- العقيدة المنجية -وهي رسالة صغيرة أملاها في مجلس واحد-[١] -مطبوع-.

وهناك من يقول أن الحبشي عندما خرج من بلده ترك فتنة، ويوضح هذا الأمر عبد الرحمن دمشقية بقوله: "قدم عبدالله الهرري الحبشي إلى لبنان، واغتر به الناس، وجهلوا أنه أتى من بلد يبغضه أهلها ويلقبونه (بشيخ الفتنة) حسب شهادة بعض أقارب الحبشي، وذلك لمساهمته في فتنة (كُلُب) من بلاد هرار بإيعاز من أهل (أديس أبابا) حيث تعاون مع أعداء المسلمين بالتحديد حاكم (أندراجي) صهر (هيلاسيلاسي) ضد الجمعيات الإسلامية، وتسبب في إغلاق مدارس الجمعية الوطنية الإسلامية لتحفيظ القرآن بمدينة هرر سنة ١٣٦٧هـ-١٩٤٠م، وصدر الحكم على مدير المدرسة (إبراهيم حسن) بالسجن ثلاثاً وعشرين سنة مع النفي، وبالفعل تم نفيه إلى مقاطعة (جوري) طريداً، سجيناً، وحيداً حتى قضى نحبه بعد سنوات قليلة، ثم انتهى الأمر بتسليم الدعاة والمشايخ إلى (هيلاسيلاسي) وإذلالهم ومنهم من فر إلى مصر والسعودية واستقر بها"[٢]؛ ويعتبر الحبشي الأب الروحي لجماعة الأحباش[٣]، ويسيطر على أتباعه وأنصاره على طريقة غلاة الصوفية، فتلاميذه يتعاملون معه على أنه معصوم[٤].

١- انظر: الشرح القويم للحبشي ص٨-١٠، إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٢-١٣.
٢- الحبشي شذوذه وأخطاؤه عبد الرحمن دمشقية ص٧، بدون ناشر، ط الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٣- انظر: مجلة منار الهدى ص٥٩، العدد ٩ -محرم ١٤١٤هـ.
٤- انظر: مجلة الأسرة، ص٣٦، العدد ٧٧، شعبان ١٤٢٠هـ.

٢- **الشيخ نزار حلبي:**

يعتبر الشيخ نزار حلبي الرجل الثاني في جماعة الأحباش بعد الشيخ عبدالله الحبشي، والرجل الأول في إدارة شئون جماعة الأحباش.

وأما عن حياة هذا الرجل فلم يعرف عنها الكثير سوى أنه تسلم رياسة الجمعية (جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية) عام ١٩٨٣م، وقد تخرج في كلية الشريعة في جامعة الأزهر سنة ١٩٧٥م، وكان إماماً لمسجد عبد الغني باشا بيضون في منطقة برج أبي حيدر في بيروت[١]، وعندما اشتد الصراع على الساحة اللبنانية بين الأحباش وغيرهم، تم اغتيال الشيخ حلبي في ٣١ آب (أغسطس) من العام ١٩٩٦م؛ واتهم بهذه العملية مجموعة ناشطين من الجماعة الإسلامية، وأعدم بعض من اتهم بهذه العملية في أواسط ١٩٩٧م، وبقي المتهم الرئيس في هذه القضية أحمد عبد الكريم السعدي (أبو محجن) يتوارى في مخيم عين الحلوة، ويتزعم مجموعة يطلق عليها (عصبة الأنصار) تضم حوالي خمسين عنصراً تُؤمّن له الحماية الأمنية[٢].

ومن كلمات العزاء التي قالها الأحباش في قائدهم نزار حلبي: "... ومما يعزينا ويبعث فينا الأمل ما تركه الشهيد القائد لأمته من عظيم ثمرات جهاده ونضاله، مؤسسات دينية، وتربوية، وثقافية، وكشفية، ورياضية، لسان حالها يشهد للقائد الشهيد بالعظمة والطهارة، والتاريخ الحافل بالكفاح والبطولات؛ ... فكن قرير العين يا شهيد الاعتدال، والوطنية، والعروبة، يا شهيد لبنان وسوريا والأمة"[٣]، ويلاحظ هنا اعتزاز الأحباش بالقومية العربية، ومحالفة ألد أعداء الإسلام والمسلمين من الفرق الباطنية كالنصيرية في سوريا، وهذا يظهر جلياً في مدح خَلَفِه في رئاسة الجمعية حسام قراقيرة فذكروا "انفتاحه وحرصه على العيش الحسن بين اللبنانيين، ومن ترسيخه للحلف الاستراتيجي مع سوريا حافظ الأسد، ومن سعيه ودعمه المتواصل لوحدة الجيشين والشعبين في لبنان وسوريا، وتربيته للأجيال الصاعدة على هذا المنهج الذي هو ضمان وصمام أمان للبنان وسوريا والأمة"[٤].

٣- **الشيخ حسام قراقيرة:**

تولى رياسة جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية بعد مقتل سلفه الشيخ حلبي، وقد تدرج الشيخ قراقيرة في العمل داخل مؤسسات الأحباش، حيث تولى في عام ١٩٨٣م، رياسة

١- انظر: مجلة منار الهدى ص٥٨، العدد ٩ -محرم ١٤١٤هـ.

٢- مجلة الوطن العربي ص٣٩، العدد ١٠٩٥، شهر فبراير ١٩٩٨م، مقال بعنوان (المعركة الصامتة - الصراع العقائدي السياسي شدود إلى احتمالات الصراع).

٣-الشيخ نزار حلبي-موقع الأحباش-على شبكة المعلومات www.aicp.de ، تحت عنوان (منهاج الجمعية).

٤- المصدر السابق www.aicp.de (الشيخ نزار حلبي).

مكتب شئون الدعوة، حيث أوفد من قبل الشيخ حلبي عدة مرات إلى بعض البلدان العربية، والأوربية ليتابع سير عمل الجمعية، وشئون الدعوة.

وأيضاً تولى منصب نائب رئيس الجمعية في ١٢ آذار ١٩٨٩م، ثم تولى منصب المدير العام إضافة إلى نائب الرئيس، فعمل إلى جانب حلبي معيناً له في إدارة عمل الجمعية، وشئون الناس.

وقد تلقى الشيخ حسام قراقيرة علومه الشرعية عند شيخه عبدالله الهرري الحبشي، حيث تلقى عنه عدداً من المتون، والكتب الشرعية منها: الصراط المستقيم، والدليل القويم على الصراط المستقيم، والعقيدة الطحاوية، والعقيدة النسفية، وذلك في العقيدة؛ ودروس وإملاءات في الأصول، والحديث وغيرها من العلوم، وقد أجازه شيخه الحبشي إجازة بما تجوز له روايته من الكتب الحديثية، والفقهية؛ وحمل الشيخ قراقيرة شهادة وإجازة في العلوم الشرعية[1].

٤ - الدكتور عدنان طرابلسي:

ولد النائب الدكتور عدنان طرابلسي في بيروت المدينة عام ١٩٥٤م، وفيها نشأ وترعرع، ويعتبر أحد أركان الجمعية المشاريعية، فقد تتلمذ على يد الشيخ الحبشي في شبابه، وعمل إلى جانب كل من الشيخ نزار حلبي، والشيخ حسام قراقيرة.

وقد فاز عن مدينة بيروت في الانتخابات البرلمانية، وذلك في عام ١٩٩٢م، ويشغل الدكتور طرابلسي عدة مناصب منها: نائب رئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، ورياسة الاتحاد الكشفي للبرلمانيين العرب، ورياسة نادي المشاريع الرياضي، ورياسة جمعية كشافة المشاريع، وهو حائز على شهادة الدكتوراه في التربية البدنية[2].

ثالثاً: أهم المؤسسات والأنشطة التابعة للأحباش:

للأحباش عدد كبير من المؤسسات والأنشطة، وذلك للاستفادة منها في بث أفكارهم ونشر معتقداتهم:

١ - الجمعية:

للأحباش جمعية خاصة بهم تسمى (جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية) استلموا رئاستها عام ١٩٨٣م، ومركزها بيروت، ولها فروع في المحافظات اللبنانية كافة، وكذلك لها فروع

١- انظر: الشيخ نزار حلبي -موقع الأحباش- على شبكة المعلومات www.aicp.de ، تحت عنوان (منهاج الجمعية).

٢- انظر: المصدر السابق (د. عدنان طرابلسي).

في عدد من دول العالم: كالأردن تعمل تحت عنوان (جمعية الثقافة العربية الإسلامية)، واستراليا، والسويد، وفرنسا، وأمريكيا، وبريطانيا، وبلجيكا، وألمانيا، وروسيا، وتايوان، ولهم نشاط محدود في قطاع غزة في فلسطين، وغيرها من الدول.

ويبلغ عدد هذه الفروع ثلاثة وثلاثين فرعاً، وظاهر نشاط الجمعية المعلن التعليم الديني، وبناء المساجد، والمدارس، ومساعدة الفقراء، والأيتام، وغير ذلك من أعمال البر[1].

٢- **المدارس**:

قام الأحباش ببناء مدارس خاصة لجميع المراحل الدراسية، ويقيمون في هذه المدارس دورات صيفية دينية، بالإضافة إلى التعليم الشتوي، وذلك لكي ينشروا عقيدتهم بين أبناء المسلمين.

ويوجد في هذه المدارس مئات الطلاب والطالبات في شتى المراحل، ومن أمثلة هذه المدارس (مدارس الثقافة) في كلٍ من: بيروت، وطرابلس، وبعلبك[2].

٣- **الإعلام**:

للأحباش إذاعة محلية خاصة بهم تسمى (نداء الإيمان)، تبث من بيروت، وينشرون من خلالها أفكارهم؛ ولهم أيضاً مجلة شهرية باسم (منار الهدى) تقوم بنشر مذهبهم، والطعن في أئمة المسلمين وعلمائهم، كما تقوم بعض المجلات، والجرائد المحلية، والدولية بلقاءات ومقابلات، وتحقيقات مطولة مع أقطابهم، الهدف منها الدعاية لهم، والترويج لهم، والثناء عليهم، كما فعلت جرائد السفير، والنهار، والأنوار، والمسيرة الإيمانية، وكذلك مجلة الوطن العربي، ومجلة الأسبوع العربي وغيرها من المجلات والجرائد.

وأيضاً للأحباش نشاط كبير في التلفزيون اللبناني، وغيره من القنوات اللبنانية الخاصة، حيث تعرض اللقاءات والدروس؛ ويعمل الأحباش الآن على تشغيل محطة تلفزيونية خاصة بهم.

وللكتب والأشرطة والنشرات نشاط بارز في ترويج مبادئ هذا المذهب الذي يعتقدونه، وذلك من خلال مؤسستهم المسماة (مركز الأبحاث والخدمات الثقافية) بيروت، أو (قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية) عمان.

١- انظر: الأحباش لابن عبدالله ص٣٨، مجلة المجتمع العدد ١٤٤٧، بتاريخ ٢٠٠١/٤/٢١، شبكة المعلومات WWW.Almujtamaa-mag.com ؛ مجلة البيان ص٩٣، العدد ١١١، ذو القعدة ١٤١٧هـ، مقال بعنوان (جماعة الأحباش حقيقتهم واتجاهاتهم -الجزء الثاني-).

٢- انظر: الأحباش لابن عبدالله ص٣٩، مجلة البيان ص٩٣، العدد ١١١، ذو القعدة ١٤١٧هـ.

كما تصدر جمعيتهم تقويماً خاصاً بهم، يحوى كثيراً من السموم المختلفة في العقيدة والسلوك والفقه وغيرها، وهذا كله يتم طبعه في مطابعهم التي تعمل تحت اسم: (دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع) بيروت -لبنان[1].

٤ - الغناء والطرب والأندية:

لدى الأحباش عشرون فرقة للغناء والأناشيد الدينية في لبنان، وتقوم أناشيدهم الدينية على ترسيخ عقائدهم المخالفة لما عليه السلف، مثل: نفي العلو لله تعالى، حيث ينشدون (الله ليس في السماء، وليس له مكان).

ويهتم الأحباش كثيراً بالأندية الرياضية المختلفة من كرة قدم وسلة، وألعاب قوى، وغير ذلك من الألعاب، لجذب الشباب والشابات، والتودد إليهم، وتعليمهم عقيدتهم، بل وتحذيرهم من معتقدات السلف وذلك من خلال وصمهم بمسميات منفرة: كتسميتهم بالمشبهة، والمجسمة، والحشوية، ومبتدعة إلى غير ذلك من الأسماء المنفرة من مذهب السلف.

وأشهر أنديتهم (نادي الفوز الرياضي) بطرابلس، وكذلك (مجمع ناجي الرياضي) بطرابلس.

ويركز الأحباش على النساء في دعوتهم، وذلك لأهمية النساء ومدى تأثيرهن في المجتمع، وهذا الأمر ظاهر للعيان من خلال نشاطاتهم المختلفة[2].

١- انظر: الأحباش لابن عبدالله ص٣٩-٤٠، مجلة البيان ص٩٤، العدد ١١١، ذو القعدة ١٤١٧هـ، مجلة منار الهدى ص٧٤، العدد ٩، محرم ١٤١٤هـ.

٢- انظر: الأحباش لابن عبدالله ص٤٠-٤١، مجلة البيان ص٩٤-٩٥، العدد ١١١، ذو القعدة ١٤١٧هـ.

الباب الأول

أسس العقيدة عند الأحباش عرض و نقد

ويحتوي على أربعة فصول :

الفصل الأول : منهج الأحباش في تقرير العقيدة .

الفصل الثاني : موقف الأحباش من الألوهيات.

الفصل الثالث : عقيدة الأحباش في النبوات.

الفصل الرابع : الغيبيات عند الأحباش.

الفصل الأول

منهـــج الأحبـــــاش في تقـــــرير العقيدة

ويحتوي على خمسة مباحث :

المبحث الأول : التأويل .

المبحث الثاني : المحكم و المتشابه.

المبحث الثالث : خبر الآحاد.

المبحث الرابع : الاجتهاد و التقليد.

المبحث الخامس : علم الكلام

المبحث الأول : التـــأويـــل :

اعتمد الأحباش في تقرير العقيدة على مجموعة من القواعــد هـــي: التأويـــل، والمحكــم والمتشابه، وخبر الآحاد والاجتهاد والتقليد، وعلم الكلام، وفي هذا الفصل سيكون الحديث عن منهج الأحباش في تقرير العقيدة من خلال القواعد سابقة الذكر.

المبحث الأول: التأويل:

المطلب الأول: تعريف التأويل عند الأحباش:

الأحباش لم يختلفوا عن الخلف[١] في تعريفهم للتأويل، فعرّفوا التأويل بقولهم: "صرف النص عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله"[٢].

أولاً: في تعريف التأويل:

إن النـــاظر لتعـــريف التـــأويل عند الأحباش، يجده التعريف نفسه الذي قال به الخلـــــف أمثال:الرازي[٣]، والجويني[٤] ، والغزالي [٥]، والآمدي [٦]، وابن فورك [٧] وغيـــــرهـــــم؛

١- **الخلف**:هم الذين خالفوا منهج السلف، ورموا ببدعة أو شهروا بلقب غير مرض في إثبات العقيدة مثـــل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكراميـــة، والأشـــاعرة، والماتريدية وغيرهم مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق التي خالفت السلف في إثبـــات العقائـــد بطريقـــة شرعية.انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأنوار الأثرية للشيخ محمد السفاريني الحنبلـــي ١/-٢١، الناشر:المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني، الرياض، ط الثالثة ١٤١١هـــ-١٩٩١م.

٢- تفنيد مزاعم المدعى فيما نسبه إلى الشيخ عبد الله الهرري، إمداد قسم الأبحاث والدراســـات الإســـلامية ص١٦، الناشر: جمعية الثقافة العربية الإسلامية، ط الأولى ١٤١٦هـــ-١٩٩٥م، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص١٦٠.

٣- انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦٩/٧-١٧٠، الناشر: دار الكتب العلمية، طهران -بدون رقم طبعـــة أو تاريخ نشر-.

٤- انظر: كتاب الإرشاد -إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد- لإمام الحرمين أبـــي المعـــالي الجـــويني ص٥٩-٦٠، تحقيق: أسعد تميم، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥ هـــ-١٩٨٥م.

٥- انظر: المستصفى من الأصول لأبي حامد الغزالي ١٠٧/١، ص٣٨٤، الناشر: دار الفكر، بيـــروت، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٦- انظر: الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن الآمدي ٧٤/٣-٧٥، الناشر: دار الحديث، القاهرة، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٧- انظر: كتاب مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر بن فورك ص٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، -بدون رقم طبعة- ١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م.

ولبيان بطلان معنى التأويل عند الأحباش، تتم مناقشتهم من خلال ما جاء في معنى التأويل في اللغة والقرآن وكلام السلف.

١ - التأويل في اللغة:

من الملاحظ أن الأحباش عندما طرقوا باب التأويل تحدثوا عن المعنى الاصطلاحي الذي قال به الخلف فقط، أما التعريف اللغوي فلم يتطرقوا إليه ألبته.

يرجع المعنى اللغوي للتأويل إلى معنيين:

أ- بمعنى العاقبة والمرجع والمآل:

الأصل الاشتقاقي للتأويل هو الرجوع والعود -كما بينه الأزهري[١]-، وتأويلُ الشيء: عاقبتُهُ ومرجعُهُ، ويقال: آلَ الشيءُ يؤولُ أَوْلاً ومآلاً، أي رجع وعاد، ومنه يقال: طبختُ النبيذَ حتى آلتْ إلى الثلثِ أي رجعت؛ وتأويل الكلام هو عاقبته وما يؤول إليه، والتأويل: المرجع والمآل والمصير[٢].

ب- أو بمعنى التفسير والبيان والتدبر والتحري:

التأول والتأويل:تفسير الكلام الذي تختلف معانيه،ولا يصح إلا ببيان غير لفظه،وأوّل الكلام تَأَوّلَهُ: دَبّره وقَدّره،ويقال:تأولتُ في فلانٍ الأجرَ:إذا طلبتهُ وتحريتهُ؛البيان والتدبر والتحري

١- **الأزهري**: محمد بن أحمد بن الأزهري... الهروي الشافعي (أبو منصور) أديب، لغوي، ولد في هراة نجراسان سنة ٢٨٢هـ، توفي عام ٣٧٠هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى لأبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ١٩٠/٦-١٩٤ تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٦٤/١٧-١٦٧، الناشر: دار الفكر، ط الثالثة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، معجم المؤلفين تأليف: عمر رضا كحالة ٢٣٠/٨، الناشر: مكتبة المثني، بيروت، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢- انظر: تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري ٤٥٦/١٥-٤٦٠، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكاتب العربي، ط ١٩٦٧، معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ١٥٩/١-١٦٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ١٠٧/١، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

معاني يستخدمها المفسر في تفسيره، لأنه يطلب بيان المعاني من خلال التدبر والتحري في الآيات القرآنية[1].

أما ما اصطلح عليه المتكلمون من معنى للتأويل: وهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله[2]، فهذا اصطلاح مستحدث، لا يوجد له أثر في معاجم اللغة القديمة التي يعتد بها مثل كتاب العين للفراهيدي، وتهذيب اللغة للأزهري والمحيط في اللغة ومعجم مقاييس اللغة ومجمل اللغة وغيرها...، وإنما وجد في كتب متأخرة عن هذه الكتب اللغوية مثل لسان العرب[3] وتاج العروس[4]، وذلك يرجع إلى انتشار علم الكلام بين المسلمين.

٢ - التأويل في القرآن الكريم :

- وردت لفظة التأويل في عدة سور من القرآن الكريم؛ و اختلف المفسرون وغيرهم في المعنى المراد بلفظة التأويل الواردة في سورة آل عمران، فمنهم من ذهب إلى أن المراد بها المآل وعاقبة الشيء، ومنهم من قال: المراد بها التفسير؛ وأما معنى التأويل في السور الأخرى، اتفق المفسرون على أن المراد به المآل، والمرجع، والعاقبة.

١- انظر: كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ٣٦٩/٨، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ٣٣/١١، الناشر: دار صادر، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، المحيط في اللغة لإسماعيل بن عباد ٣٧٨/١٠، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢- انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني عبد الملك الجويني ص٥٩/٦٠ تحقيق: أسعد تميم، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م؛ التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ١٦٩/٧-١٧٠، الناشر: دار الكتب العلمية، طهران -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-؛ الوصول إلى الأصول لأحمد بن علي بن برهان البغدادي ٣٧٥/١، تحقيق: عبد الحميد علي أبو زنيد، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، -بدون رقم طبعة- ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م؛ قواعد الأحكام في مصالح الأنام للإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي١٠٠/٢، الناشر: مكتبة الاستقامة، القاهرة، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-؛ مشكل الحديث وبيانه للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك ص٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -بدون رقم طبعة- ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٣- أنظر: لسان العرب لابن منظور ٣٣/١١.

٤- انظر: تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي ٢١٠/٧، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

وهنا أعرض أقوالاً لبعض المفسرين في بيان معنى (التأويل) في كتاب الله تعالى:

أ- ما جاء في سورة آل عمران آية(٧):

قال الله تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ .

- أما معنى التأويل في قوله تعالى:﴿ **وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾، هو عاقبة الأمور التي لا يعلمها إلا الله، حيث روى الطبري[١] بسنده عن السدي[٢]: "وابتغاء تأويله أرادوا أن يعلموا تأويل القرآن وهى عواقبه "[٣].

وذكر ابن عطية[٤] في قوله تعالى: ﴿**وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ "والتأويل هو مرد الكلام ومرجعه والشيء الذي يقف عليه من المعاني وهو من آل يؤول، إذا رجع في المعنى وطلب تأويله على منازعهم الفاسدة"[٥].

١- **الطبري**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري أبو جعفر، ولد سنة ٣١٠هـ، إمام مجتهد، فقيه، محدث، مفسر، مؤرخ. انظر: طبقات الحفاظ للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص٣١٠-٣١١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، غاية النهاية في طبقات القراء لأبي الخير محمد بن محمد الجزري ١٠٦/٢-١٠٨، عني بنشره ج. برجستراس، الناشر:دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢- **السدي**: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد أصله من الحجاز عاش في الكوفة، توفي سنة ١٢٧هـ، مفسر ومحدث، حسن الحديث، روى عن بعض الصحابة وعن كثير من قدامى التابعين، انظر: العبر في خبر من عبر للحافظ الذهبي١٢٧/١، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العربية، بيروت، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي١٧٤/١، الناشر: دار الفكر، ط الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد الذهبي ٢٦٤/٥-٢٦٥، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط السابعة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، معجم المؤلفين لكحالة ٢٧٦/٢.

٣-جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري١٢١/٣،الناشر:دار المعرفة،بيروت،ط١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤- **ابن عطية**: عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي أبو محمد، ولد سنة ٤٨٠هـ، توفي سنة ٥٤١هـ، وقيل ٥٤٢هـ، كان إماماً في الفقه والتفسير وفي العربية. أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٨٧/١٩-٥٨٨، طبقات المفسرين للداودي ٢٦٥/١-٢٦٧، طبقات المفسرين للسيوطي ص٥٠.

٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٢٠/١، تحقيق: المجلس العلمي بفاس -بدون ناشر-، ط ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م. وانظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي الشوكاني ٣١٥/١، الناشر: دار الفكر، لبنان، ط ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- وذكر ابن كثير[1] في تفسيره عن مقاتل بن حيان[2] والسدي أنهما قالا: "يبتغون أن يعلموا ما يكون "[3].

ومعنى التأويل في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**﴾ فاختلف المفسرون في تفسير هذا المقطع من الآية السابعة من سورة آل عمران، فمنهم من ذهب إلى أن معنى التأويل حقيقة الشيء وما يؤول إليه وهذا لا يعلمه إلا الله، وهذا المعنى يفهم من خلال الوقف على قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**﴾ واعتبار قوله تعالى: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**﴾ مستأنف وليس معطوفاً على لفظ الجلالة؛ومن المفسرين من ذهب إلى أن معناه:التفسير والبيان من خلال عطف قوله تعالى: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ على لفظ الجلالة، والوقف يكون على قوله تعالى: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ ، والمعنى يكون: الراسخون في العلم يعلمون تفسيره؛ويوضح هذا المعنى شارح العقيدة الطحاوية بقوله:"ويراد بالأولى المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله،ويراد بالثانية المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره، وهو تأويله"[4].

وهذا ما يؤكده الإمام ابن كثير في تفسيره بقوله: ومن العلماء من فصل في هذا المقام، التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما: بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه... فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على لفظ الجلالة، لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل... وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء... فإن أريد به المعنى؛ فالوقف على (والراسخون في العلم)[5].

١- **ابن كثير**: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير الدمشقي أبو الفداء، ولد سنة ٧٠١هـ، و توفي سنة ٧٧٤هـ، حافظ، فقيه، محدث، مفسر، محقق، مؤرخ، من مصنفاته: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٥٠٨/٤، وذيل تذكرة الحفاظ للذهبي لآبي المحاسن الحسيني الدمشقي ص٥٧- ٥٩، الناشر: دار الفكر العربي، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٣٣-٥٣٤، معجم المؤلفين لكحالة ٢٨٣/٢-٢٨٤.

٢- **مقاتل بن حيان**: مقاتل بن حيان بن دوال دور، الإمام المحدث، أبو بسطام النبطي البلخى الخراز، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي ٣٢٩/٢-٣٣٠، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٠/٦-٣٤١، تذكرة الحفاظ للذهبي ١٧٤/١.

٣ - تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ٣٤٥/١، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤- شرح العقيدة الطحاوية للإمام محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنقي ص٢١٣-٢١٤، الناشر: المكتب الإسلامي، ط الثامنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٤٧/١ بتصرف.

وبعد هذا العــرض نجــد مــن المفســرين مــن قــال ههنــا فــي معنــى التأويــل: البيان،والتفسير،وبمعنى عواقب الأمور وما ترجع إليه،ومنهم من يرجع علمه إلــى الله وكــلا التفسيرين صحيح قال بهما السلف[١].

ب- ما جاء في سورة النساء آية ٥٩، والإسراء ٣٥ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

أما في سورة النساء آية ٥٩، قال فيها المفسرون ﴿**وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ يعني وأحمــد مــوئلاً ومغبة وأجمل عاقبة، أو أحسن عاقبة ومآلاً أو يقصد به التصديق، أو ردكم إيــاه إلــى الله ورسوله أحسن من تأويلكم[٢] أما ما جاء في سورة الإســراء٣٥ ﴿**وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ أي أحسن مردوداً عليكم، وخير ثواباً وأحسن عاقبةً[٣].

ج-ما جاء في سورة الأعراف آية ٥٣ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ يقول الطبري فــي هــذه الآية: "يقول تعالى ذكره ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ**﴾ ، هل ينتظر هؤلاء المشركون الــذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه إلا تأويله، يقول إلا ما يؤول إليه أمرهم مــن ورودهــم على عذاب الله وصليتّهم جحيمه وأشباه هذا مما أوعدهم الله به"[٤]. والتأويــل فــي هــذا الموضع بمعنى المآل والعاقبة، قاله قتادة[٥] ومجاهد[٦] وغيرهما.

١- انظر: جامع البيان للطبري ١٢٢/١، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ٣٢١/١ الناشر: شركة الحلبي وأولاده، ط الثانية ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٠/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٤، فتح القدير للشوكاني ٣١٥/١.

٢- انظر:جامع البيان للطبري٩٦/٤،تفسير القرآن العظيم لابن كثير٥١٧/١،المحرر الوجيز لابن عطية ١٦٠/٤، زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بــن علــي بــن محمــد الجــوزي القرشــي البغدادي١٤٥/٢،تحقيق:محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الناشر: دار الفكر، لبنان، ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣- انظر: جامع البيان للطبري ٦١/١٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠/٣، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٩٢/١٠، زاد المسير لابن الجوزي ٢٦/٥.

٤- جامع البيان للطبري ١٤٥/٨، وأنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢١/٣.

٥- **قتادة**: قتادة بن دعامة السدوسي البصري، ولد سنة ٦١هـ، توفي سنة ١١٧هـ، تابعي ، محدث، مفسر. أنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ٨٥/٤-٨٦، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار الثقافة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، تهذيب التهذيب للإمام أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ٣٥١/٨-٣٥٦، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط الأولى ١٣٢٦هـ.

٦- **مجاهد**: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي تابعي إمام في القراءة والتفسـير ولـد سـنة ٢١هـ،وتوفي سـنة ١٠٤هـ،أخذ التفسير عن ابن عباس وابن عمر وغيرهم.انظر:سير أعلام النبلاء للذهبي٤٤٩/٤-٤٥٧شذرات=

وقال ابن عباس: "تصديق ما وعدوا في القرآن"[1].

د- **ما جاء في سورة يونس آية ٣٩ قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾** قال الطبري في تفسيره: "﴿**وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾ بعد بيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في هذا القرآن"[2]. ويقول ابن كثير: "أي ولم يحصل ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم جهلاً وسفهاً"[3]، وفي تفسير المحرر الوجيز جاء: "وتأويله على هذا يراد به ما يأوي إليه أمره"[4]؛ أما في زاد المسير جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾ [يونس:٣٩]، قولان: "أحدهما: تصديق ما وعدوا به من الوعيد، والتأويل ما يؤوي إليه الأمر، الثاني: ولم يكن معهم علم في تأويله"[5].

هـ. ما جاء في سورة يوسف:

حيث جاءت لفظة التأويل في سورة يوسف ثمان مرات، ومعناها: ما يؤول إليه الأمر ويرجع، أو ما تؤول إليه الأحاديث والأحلام، وبيان عواقبها؛ وهي كالتالي:

١- قوله تعالى: ﴿**وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾ [يوسف:٦]، قال الطبري: "يقول ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديث الناس عما يرونه في منامهم وذلك تعبير الرؤيا"[6].

٢- قوله تعالى: ﴿**وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾ [يوسف:٢١]، "أي كي نعلم يوسف من عبارة الرؤيا، وقال مجاهد والسدي: هو تعبير الرؤيا"[7].

٣- قوله تعالى: ﴿**نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف:٣٦]، أي أخبرنا بما يؤول إليه ما أخبرناك إنا رأيناه في منامنا ويرجع إليك أي أنهما رأيا مناما وطلبا تعبيره[8].

=الذهب لابن عماد الحنبلي ١٢٥/١،تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٢/١-٩٣،صفة الصفوة للإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي ٢٠٨/٢-٢١١،الناشر:دار المعرفة،بيروت،تحقيق:محمود فاخوري،ط الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١ -زاد المسير لابن الجوزي ١٤٢/٣.

٢- جامع البيان للطبري ٨٣/١١ .

٣-تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٩/١ .

٤- المحرر الوجيز لابن عطية ٤٧/٩ .

٥- زاد المسير لابن الجوزي ٢٩/٤ .

٦-جامع البيان للطبري ٩٢/١٢، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧١/٢.

٧- انظر: جامع البيان للطبري ١٠٥/١٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٤/٢.

٨- انظر: جامع البيان للطبري ١٤٨/١٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٩/٢، زاد المسير لابن الجوزي ١٧١/٤.

٤- قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا**﴾ [يوسف:٣٧]، ويعني بقوله (بتأويله) ما يؤول إليه ويصير ما رأيا في منامهما من الطعام الذي رأيا أنه أتاهما فيه[1].

٥- قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ**﴾ [يوسف:٤٤]، أي وما نحن بما تؤول إليه الأحلام الكافرية بعالمين أو لو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها[2].

٦- قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِي**﴾ [يوسف:٤٥]،

أي أخبركم بتأويله (فَأَرْسِلُونِي) فأطلقوني أمضي لأتيكم بتأويله من عند العلم به[3] أي أخبركم بتفسير هذه الرؤيا من عند يوسف عليه السلام .

٧- قوله تعالى: ﴿**هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ**﴾ [يوسف:١٠٠]، يقول ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها[4].

٨- قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾ [يوسف:١٠١]، ﴿**تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾ يعني من عبارة الرؤيا[5].

و- ما جاء في سورة الكهف :

١- قوله تعالى: ﴿**سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾ [الكهف:٧٨]، يقول الطبري فيها: سأخبرك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً يقول بما يؤول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها فلم تستطع على ترك المسألة عنها أي بتفسير[6].

٢- قوله تعالى:﴿**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾[الكهف:٨٢] ، يقول هذا الذي ذكرت لك من الأسباب التي من أجلها فعلت الأفعال التي استنكرتها من﴿**تَأْوِيلُ**﴾ ما تؤول إليه وترجع

١- انظر: جامع البيان للطبري ١٣٤/١٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٩٢/٢، زاد المسير لابن الجوزي ١٧٦/٤.

٢- انظر:جامع البيان للطبري١٣٤/١٢،تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٢/٢، زاد المسير لابن الجوزي ١٧٦/٤.

٣- جامع البيان للطبري ١٣٥/١٢.

٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٢/٢، انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٣٧٩/٩.

٥- جامع البيان للطبري ٤٧/١٣، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٣/٢.

٦- انظر: جامع البيان للطبري١٨٨/١٥،تفسير القرآن العظيم لابن كثير٩٩/٣،المحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٤/١٠.

الأفعال التي لم تستطع على ترك مسألتك إياك عنها[١].

٣- التأويل عند السلف[٢]:

- لقد تبين أن التأويل بمعناه المتعارف عليه عند الخلف غير معروف سواء في معاجم اللغة أو كتب التفسير، وتبقى أن نبحث عن معنى التأويل عند السلف.

-ومن أمثلة النصوص التي وردت عن السلف تبين معنى التأويل :

أ- ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه الآية: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ [الأنعام:٦٥]، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أما أنها كائنة ولما يأتِ تأويلها"[٣]، أي لم يأتِ تفسيرها حتى الآن.

ب- عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن"[٤].

ج- ما يرويه الطبري بسنده عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال:"أنا ممن يعلم تأويله"[١]أي تفسيره.

١- انظر: جامع البيان للطبري١٦/ ٦-٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٠١/٣، المحرر الوجيز لابن عطية ٤٤٠/١٠.

٢- **السلف**: هم الصحابة الكرام والتابعين وتابعي التابعين وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين، ولم يخالفوا الشرع في إثبات العقيدة. انظر: لوامع الأنوار للسفاريني ٢٠/١، التحف في مذاهب السلف لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ص١٦، الناشر: مطبعة الإمام، مصر -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون محمد علي الفاروقي ١٥/٤، تحقيق: د. لطفي عبد البديع، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب -بدون رقم طبعة- ١٩٧٢م.

٣- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ح ٣٠٦٦، ٢٦٢/٥، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، الناشر: الحلبي، ط الثانية ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١٧١/١، قال الترمذي عن الحديث: هذا حديث حسن غريب.

٤- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن البخاري، كتاب الصلاة، باب التسبيح والدعاء في السجود ٢٠٧/١، وأيضاً: كتاب التفسير، تفسير سورة (إذا جاء نصر الله) ٧٠٢/٢، الناشر: دار الحديث، القاهرة، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ح٤٨٤، ٣٥٠/١، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

د- عن الزهري[٢] عن عروة[٣] عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت الصلاة، صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر، قال الزهري، فقلت لعروة: ما بال عائشة تتم، قال تأولت كما تأول عثمان"[٤].

هـ- قال سفيان بن عيينة: "السنة تأويل الأمر والنهي"[٥]، أي تفسير الأحكام الشرعية من أوامر ونواهٍ.

و- قول الإمام أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية[٦]: "وتأول القرآن على غير تأويله"، وقوله: "بيان ما تأولته الجهمية من قول الله ..."[٧]، فأبطل تلك التأويلات التي ذكرها وهو تفسيرها المراد بها[١].

١- جامع البيان للطبري ١٢٢/٣.

٢- **الزهري**: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي أبو بكر، من كبار التابعين، ولد سنة ٥٨هـ، توفي ١٢٤هـ، من أعلام الحديث وحفاظه. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١٤٤/٧، تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٨/١-١١٣، كتاب الطبقات للإمام أبي عمر خليفة بن خياط شباب العصفري ص٢٦١، تحقيق: د. أكرم ضياء العربي، الناشر: دار طيبة، الرياض، ط الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، معجم المؤلفين لكحالة ٢٢/١٢.

٣- **عروة**: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة (رضي الله عنهم) ولد بالمدينة سنة ٢٣هـ، وتوفي سنة ٩٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد١٧٨/٥-١٨٢، الناشر: دار صادر، بيروت – بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٢١/٤-٤٣٧، شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ١٠٣/١-١٠٤.

٤ - صحيح البخاري كتاب الجمعة، باب ما جاء في التقصير وكم يقيم حتى يقصر ٢٧٥/١، صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافر وقصرها ح٦٨٦، ٤٧٨/١.

٥- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيميه ٢٠٧/١، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار الكنوز الأدبية –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٦- **الجهمية**: أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، وقتله سالم بن أحوز المازني في أخر ملك بني أمية، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين فخر الدين الرازي ص٦٩-٧٠، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب،الناشر:مكتبة مدبولي،القاهرة،ط الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م،الملل والنحل للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ١١٣/١-١١٥، الناشر: دار السرور، بيروت،ط الأولى١٣٦٨هـ-١٩٤٨م،الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ص٢١١-٢١٢،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،الناشر:المكتبة العصرية،بيروت، –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٧- انظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ص١٤٦،١٣٨،١٠٤، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار اللواء، الرياض –بدون رقم طبعة– ١٣٩٧هـ-١٩٩٧م.

ز- ومنه قول الإمام ابن جرير الطبري، عند تفسيره لآيات القرآن: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا[٢]، يقصد بذلك (تفسير قوله تعالى).

ح- وقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]: "وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر هو الحقيقة نفسها التي أخبر عنها، وذلك في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره ولهذا قال مالك وربيعة[٤] وغيرهما (الاستواء معلوم و الكيف مجهول)"[٥].

وبعد هذا العرض لمعنى التأويل من حيث معاجم اللغة،ومعناه في القرآن الكريم،وأقوال السلف،لا يبقى مجالٌ لقول قائل:أن للتأويل معنى آخر غير حقيقة ما يؤول إليه الأمر،أو التفسير والبيان.

وأما غير ذلك من معاني التأويل التي استحدثت مثل:صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله مردود بما سبق عرضه،حيث يقول ابن تيمية:"أما التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح،كتأويل من تأول استوى بمعنى استولى ونحوه، فهذا عند السلف والأئمة باطلٌ لا حقيقة له،بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسمائه وآياته"[٦].

المطلب الثاني: أقسام التأويل عند الأحباش :

قسم الأحباش التأويل إلى قسمين: حق وباطل.

١- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ٢١/١، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢- انظر: أي موضع في تفسير جامع البيان للطبري.

٣- انظر: ترجمة ابن تيمية -رحمه الله- ص٣٣١.

٤- **ربيعة**: ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ المدني مولى آل المنكدر التميين -تيم قريش- تابعي، المعروف بربيعة الرأي، وكنيته أبو عثمان، ويقال أبو عبد الرحمن، فقيه من أهل المدينة، أدرك جماعة من الصحابة، وروى عن أنس بن مالك وغيره -لم يذكر تاريخ ولادة- توفي سنة ١٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨٩/٦-٩٦، وفيات الأعيان ٢٨٨/٢-٢٩٠، تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٢٠/٨-٤٢٧، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، أو دار الفكر - بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، الأعلام خير الدين الزركلي ١٧/٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط الخامسة ١٩٨٠م.

٥- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٢٠٧/١.

٦- درء التعارض لابن تيمية ٣٨٢/٥، أنظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص٢٠-٢١، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢١٢-٢١٥، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد الشنقيطي ٢٣٣/١-٢٣٤، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة -بدون رقم طبعة- ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

أ- التأويل الحق (غير المذموم): فهو الذي لا يتعارض مع آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي- صلى الله عليه وسلم- وكان موافقاً للغة العرب كتأويل الوجه واليد والعين والاستواء والنزول وغيرها من المتشابه الذي ورد في القرآن الكريم والحديث[١].

ب- التأويل الباطل (المذموم): فهو التأويل المخالف للقرآن والحديث وكذلك ما كان على وجه مخالف للغة العرب[٢].

وسلك الأحباش في التأويل الحق مسلكين:

- **المسلك الأول: التأويل الإجمالي**: وكان مسلكاً لغالب السلف – حسب ادعاء الحبشي – حيث إن الغالب أنهم يؤولون آيات الصفات وأحاديثها تأويلاً إجمالياً، وذلك بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته، بلا تعيين ولا تكييف.
- **المسلك الثاني: التأويل التفصيلي**: فهو مذهب الخلف إذ الغالب عليهم أنهم يؤولون آيات الصفات وأحاديثها تأويلاً تفصيلياً بتعيين معانٍ لها مما تقتضيه لغة العرب ولا يحملونها على ظواهرها[٣].

أما التأويل الباطل فهو مرفوض لديهم، وبالتالي لا يلزم الرد عليهم لبطلانه لديهم .

وأما التأويل الحق لدى الأحباش، وهو التأويل المتعارف عليه عند المتكلمين من صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله، حيث يقولون بتأويل صفات الوجه واليد والعين والاستواء ... وغيرها من الصفات التي وردت في القرآن والسنة. وهذا التأويل هو التأويل الباطل عند السلف الذي لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته[٤]، حيث إنهم يقومون بصرف اللفظ عن معناه الحق إلى غيره بدون دليل يوجب ذلك، ويدَّعون أن في إثباته على ظاهره يحتمل من المحاذير ما يوجب التأويل[٥].

١- مجلة منار الهدى ص١٩، عمود٢ العدد٧ ذو الحجة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م آذار، انظر: تفنيد مزاعم المدعى قسم الأبحاث والدراسات ص ١٦.

٢- انظر: المصدرين السابقين.

٣- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٥٢-١٥٣،٣٢١، الصراط المستقيم الشيخ عبد الله الحبشي ص٤٤-٤٦، الناشر: دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، ط التاسعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، تفنيد مزاعم المدعي قسم الأبحاث والدراسات ص١٧-١٩، مجلة منار الهدى ص٢٦، عمود ٢-٣، العدد٩، محرم ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤- انظر: درء التعارض لابن تيمية ٣٨٢/٥، مختصر الصواعق المرسلة ص٢٠-٢١، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢١٢-٢١٥.

٥- انظر: مجموعة الفتاوى لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني٤٠٣/٣، الناشر :دار الوفاء، مصر، ط الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

وبالتالي ينطبق تعريف التأويل المذموم والباطل عند الأحباش الذي هو عبارة عن التأويل المخالف للقرآن، والسنة، وللغة العرب[1]، على التأويل الذي يعتبرونه حقاً وغير مذموم[2].

ومن الأمور المستحدثة التي لا يعرف لها أصل، تقسيم الحبشي التأويل: للتأويل الحق –حسب زعمه– إلى تأويل تفصيلي وإجمالي؛ فينسب التأويل التفصيلي إلى الخلف والتأويل الإجمالي إلى السلف[3].

وهذا الأمر مردود على الحبشي، حيث إن السلف لم يقولوا بالتأويل الإجمالي الذي يعرفه الحبشي، بل السلف ردوا على من أول النصوص، ومن الأئمة الذين ردوا على مَن سلك هذا المسلك الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم[4]، وذكروا من النصوص ما يبطل هذا القول.

أما ما يذكره الحبشي عن الخلف بأنهم أولوا تأويلاً تفصيلياً، فلا يعتبر هذا دليل يستند إليه بجواز القول بالتأويل وذلك أن السلف ردوا عليهم وأبطلوا القول بالتأويل الذي قالوا به[5]، وجاء في كتاب (إتحاف السادة) أن: "هناك مجموعة من رؤساء الأشاعرة [6] أنهم منعوا التأويل بحيث يذكر لأبي الحسن الأشعري أن له قولاً ثانياً وهو أن تمر أخبار

١- مجلة منار الهدى ص١٩، عمود ٢، العدد ٧ ذو الحجة ١٤١٩هـ.

٢ - انظر: مناقشة الأحباش في تعريف التأويل ص١٢-٢٢.

٣- انظر:إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٥٢-١٥٣، والصراط المستقيم للحبشي ص٢٤-٤٦، تفنيد مزاعم المدعي قسم الأبحاث والدراسات ص١٧-١٩.

٤- انظر: الرد على الجهمية لأحمد بن حنبل ص١٢٧-١٤٠، التمهيد لما في الموطئ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ١٩/٢٣١-٢٣٢، تحقيق: سعيد أحمد إعراب،–بدون رقم طبعة–، ١٤٠٣هـ–١٩٨٨م، درء التعارض لابن تيمية ٥/٣٨٢ ، مجموعة الفتاوى ٣/٤٣، ٦/٢١٢–٢١٣، ص٣١٦–٣٢٤، ٥/٥٩-٦٠، مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص٧٥،٤٧،٤٦،٢٨، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢١٢-٢١٧، وغيرها من الكتب التي ردت على المؤولين.

٥- سيأتي مزيد من التفصيل (الرد على الأحباش في التأويل)، انظر: ص٢٩.

٦- **الأشاعرة**: أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الذين قدموا العقل على النقل في إثبات التوحيد والنبوة وأحكام الوعد والوعيد، وأوّلوا العديد من الصفات الإلهية هروباً من التشبيه -حسب ظنهم-، انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٢٧، الفَرق بين الفِرق للبغدادي ص٣١٣.

الصفات كما جاءت وإليه مال في الإبانة[1] وتبعه الباقلاني[2] وإمـــام الحـــرمين[3] والمصـــنف –أي الغزالي-[4]"[5]، ويتبين لنا أن رؤساء من الأشاعرة منعوا التأويل، ومن المعلوم أن الدليل إذا تطـــرق إليه احتمال بطل الاستدلال به، فيعني هذا أن الأحباش لا يجوز لهم أن يستدلوا على القول بالتأويـــل من خلال تعميم القول بأن الخلف قالوا بالتأويل التفصيلي وهذا ما ظهر بطلانه.

إذاً القول بتقسيم التأويل إلى تفصيلي وإجمالي قول باطل، ويعتبر بدعة من صنع الحبشـــي[6]، ليس لها أصل في الدين.

وهذا لا يعني أن السلف ينفون معنى التأويل مطلقاً، حيث إن معنى التأويل يراد به التفســـير المبـــيّن لمراد الله به، وهو لا يعاب بل يحمد، ويراد أيضاً بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله بعلمها[1]، أما الذي يعاب كما تقدم تقسيم التأويل إلى إجمالي وتفصيلي، وإظهاره بالشكل المقبول كما فعل الحبشي.

١- هو من آخر ما كتب الأشعري وأعلن فيه رجوعه لعقيدة السلف.انظر:لوامع الأنوار البهيـــة للســـفاريني ٢٤٠/١.

٢- **الباقلاني**:محمد بن الخطيب بن محمد الباقلاني البصري القاضي أبو بكر،يعـــرف بالبـــاقلاني أو بـــابن الباقلاني، ولد سنة ٣٣٨هــ،وتوفي سنة ٤٠٣هــ،من كبار أئمة الأشاعرة المتقدمين.انظر:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،تأليف:أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ٢٣٤/٤،الناشر:دار الكتب العلمية،بيروت،ط الأولى١٤١٣هــ–١٩٩٢م،تبين كذب المفترى فيما نسب إلـــى الإمـــام أبـــي الحســـن الأشعري،تأليف:أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ص٢١٧-٢٢٦، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط الثانية ١٣٩٩هــ.

٣- **إمام الحرمين**: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن يوسف بن حيويـــة الجـــويني، يعرف بإمام الحرمين، فقيه، متكلم، شافعي، ولد بنيسابور سنة ٤١٩هــ، توفي سنة ٤٧٨هــ، من أئمـــة الأشاعرة الكبار. انظر: تبين كذب المفترى عليه لابن عساكر ص٢٧٨-٢٨٥، العبر في خبر من غبـــر للذهبي ٣٣٩/٢، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٦٧/٣-١٧٠، طبقات الشافعية للســـبكي ١٦٥/٥-٢٢٢.

٤- **الغزالي**: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي، ولد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان سنة ٤٥٠هــ ، وتوفي سنة ٥٠٥هــ، فقيه، متكلم، وأشعري، وصـــوفي، مال في آخر حياته إلى سماع الحديث. انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١٠/٤-١٣، طبقـــات الشافعية للسبكي ١٩٠/٦-١٩٤، وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٨/١، المنتظم في تاريخ الأمم والملـــوك لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ١٢٤/١٧-١٢٧، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هــ–١٩٩٢م.

٥- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير مرتضى ١٣٣/٢ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هــ–١٩٨٩م.

٦- انظر: موسوعة أهل السنة في نقد أصول فرقة الأحباش ومن وافقهم في أصولهم لعبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية ٤١٣/١، الناشر: دار المسلم، ط الأولى ١٤١٨هــ–١٩٩٧م.

المطلب الثالث: مسوغات استخدام التأويل عند الأحباش:

- يعتبر الحبشي أن التأويل أصل من أصول العقيدة لدى المسلمين، وأنه لا يجوز تركه، وإلا أدى إلى الخروج عن العقيدة والهلاك فيقول في ذلك: "من ترك التأويل التفصيلي والإجمالي وتمسك بالظاهر هلك وخرج عن عقيدة المسلمين"[٢].

ويعلق الحبشي على بعض النصوص التي قام بتأويلها بقوله: "ولا يجوز ترك التأويل والحمل على الظاهر لأنه يلزم من ذلك ضرب القرآن بعضه ببعض..."[٣]، حتى إن الحبشي يرى في الذين يمنعون التأويل ويقولون بعدم جوازه إنما هم جهلة ويتخبطون في أقوالهم فيقول: "فتبين أن قول من يقول إن التأويل غير جائز خبط وجهل"[٤].

وأما عن ادعاء الأحباش أن هناك مسوغات ودواعي لاستخدام التأويل وذلك للفرار من التشبيه والتجسيم كلام مردود عليهم وباطل، وهذا يتضح من خلال التالي:

١- القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر: فيقال للذين يثبتون لله الحياة والعلم والقدرة والسمع... ثم ينازعون في محبة الله ورضاه وغضبه وكراهيته ... فيقال لهؤلاء لا فرق بين ما أثبتموه وما نفيتموه بل القول في إحداهما كالقول في الآخر[٥].

٢- القول في الصفات كالقول في الذات: فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متضمّنة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الذوات[٦].

وجاء في متن شرح كتاب الفقه الأكبر: "إثبات الصفات لله كما في الكتاب والسنة لا يعني المماثلة بينها وبين صفات المخلوقين، فصفاته سبحانه كلها بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا... "[٧].

١- انظر: مجموعة الفتاوى –الرسالة التدمرية- ٤٣/٣.

٢- الشرح القويم للحبشي ص١٧٠.

٣- المصدر السابق ص١٦٠، وانظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٣-٤٤.

٤- صريح البيان في الرد على من خالف القرآن الشيخ عبد الله الهرري ص٣٧، الناشر: دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، الشرح القويم للحبشي ص١٩.

٥- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٦/٣.

٦- المصدر السابق ٢١/٣.

٧- شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، شرح الملأ على القاري الحنفي ص٤٩-٥٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٣- الاتفاق في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسميات، فإن في الجنة كما أخبرنا الله من لبن وعسل ما يوافقها في الأسماء في الدنيا ولكن بينها من المباينة ما لا يعلمه إلا الله ، فهذا حال المخلوق، فالخالق أعظم مباينة للمخلوقات[١].

٤- أن ما أخبر به الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن ربه، فإنه يجب الإيمان به سواء عرفنا معناه أو لم نعرف، لأن الصادق المصدوق أخبر به، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه[٢].

ولهذا قال ابن سحنون[٣]: "من العلم بالله الجهل بما لم يخبر به عن نفسه"[٤].

المطلب الرابع: رد الأحباش على من أنكر التأويل:

يعد الأحباش أن التأويل أصل من أصول الدين، فلهذا ينكرون بشدة على من يرفض التأويل، ويقومون بالرد عليه بالعديد من الوجوه وهي كالتالي:

١- أن من ينكر التأويل، ويبقي علمه لله فقط، يعتبر من أعظم القدح في النبوات، أي أن النبي ما عرف تأويل ما ورد من صفات الله تعالى، ودعا الخلق إلى علم ما لا يُعلم[٥].

٢- في هذا تكذيب لله، لأن الله قال في حق القرآن:﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء: ١٩٥]، والعرب إذا لم يعرفوا تأويل الآيات فكيف يكون أنزل بلسان مبين[٦].

٣- لا يعقل أن يدعو الرسول إلى الإيمان برب لا تعقل صفاته، وإلا لقال العرب للرسول: بين لنا أولاً من تدعونا إليه وما الذي تقول فإن الإيمان بما لا يُعلم أصل غير متأتٍ -أي لا يمكن-[٧].

١- انظر:العقيدة في الله د.عز سليمان الأشعر ص٢٤٢، الناشر: دار النفائس، عمان، ط الثانية عشر ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٨/٣،وانظر:المسودة في أصول الفقه آل تيمية(أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر،وأبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام، وأبو العباس أحمد بن عبد الحليم) ص١٤٧، تقديم: محمد محي الدين عبد الحميد،الناشر:مطبعة المدني،القاهرة-بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، صحيح مسلم شرح النووي للإمام النووي ٣٦/٦.

٣- **ابن سحنون**: فقيه المغرب محمد أبو عبد الله ابن فقيه المغرب عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني شيخ المالكية، توفي سنة ٢٦٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٦٠/١٣-٦٢.

٤- التمهيد لابن عبد البر ١٤٦/٧.

٥- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٢، الشرح القويم للحبشي ص١٦٤، صريح البيان للحبشي ص٣٥.

٦- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٣، الشرح القويم للحبشي ص١٦٥، صريح البيان للحبشي ص٣٥.

٧- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٣، الشرح القويم للحبشي ص١٦٥- ١٦٦، صريح البيان للحبشي ص٣٥.

٤- الذي يمنع التأويل مطلقاً يكون قد أبطل الشريعة، لأنه لا بُدَّ من التأويل كما في قوله تعالى:﴿**تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾[الأحقاف:٢٥]،فهل تلك الريح دمرت السموات والأرض،وهل دمرت الجنة وجهنم،إنما دمرت الأشياء التي هي عادة يعيشون فيها، فمن هنا يعلم أن ثمة نصوصاً لا بُدَّ من تأويلها ولا يجوز حملها على الظاهر،فالذي يَدّعي التمسك بالشرع،وينفي التأويل يناقض نفسه لأن قوله بنفي التأويل ينقض قوله التمسك بالشريعة[١].

٥- أن من يُجّوز التأويل على الجملة،إلا فيما يتعلق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه،فهذا لا يرضى به مسلم،ويعلل الحبشي ذلك بأن "سر الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل يعتقدون حقيقة التشبيه،غير أنهم يدلسون ويقولون:له يد لا كالأيدي،وقدم لا كالأقدام،وفي الاعتقاد يعتقدون الجارحة"[٢].

٦- ويرى الحبشي أن من حمل الآية على ظاهرها مثل قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ [القلم: ٤٢]، فقد اثبت لله هذا العضو الذي نعرفه من أنفسنا،والمخ وهو ما في داخل العظم[٣]. ويناقش الحبشي خصمه بأن كان لا يقول ذلك فأين الأخذ بالظاهر؟وإن قال الخصم:هذه الظواهر لا معنى لها أصلاً فهو حكم بأنها ملغاة، وما كان في إلغائها إلينا فائدة وهي هدر وهذا محال[٤].

٧- ويدعي الحبشي أن رفض التأويل التفصيلي من السلف مردود بما في صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨]، إلا ملكه كما قال البخاري[٥]، وأن الإمام أحمد ثبت عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾ [الفجر:٢٢]، جاءت قدرته[٦][٧].

١- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٣، الشرح القويم للحبشي ص١٦٧-١٦٨، صريح البيان للحبشي ص٣٦.

٢- الصراط المستقيم للحبشي ص٤٣، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٦٨.

٣- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٤، الشرح القويم للحبشي ص١٦٨، صريح البيان ص٣٦.

٤- انظر: الشرح القويم ص١٦٩، الصراط المستقيم للحبشي ص٤٤، صريح البيان للحبشي ص٣٧، تفنيد مزاعم المدعي، إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٢٠.

٥- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب تفسير القرآن (سورة القصص) ٢١/٦. تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار الفكر، -بدون رقم طبعة-، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٦- انظر: الأسماء والصفات لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ص٣٠٩، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، والبداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ٣٢٧/١٠، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٧- انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٧٣-١٧٦، الصراط المستقيم للحبشي ص٤٤-٤٦، صريح البيان للحبشي ص٣٩-٤٤، إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣٢١-٣٢٢، مجلة منار الهدى ص٢٧، عمود١-٢، العدد٩ محرم ١٤١٤هـ، ص٢٠ عمود ٢، العدد٧٤ ذو الحجة ١٤١٩.

٨- يعد الحبشي من ينكر التأويل، إنما هو في خبط وجهل ومحجوج بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس (اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب)[1]. ويرى الحبشي أن هذا الحديث يكسر من ينكر التأويل وعلى هذا من يرى عدم جواز التأويل، يكون الرسول دعا بدعاء غير جائز[2].

من المعلوم أن الأشاعرة قالوا بالتأويل في كثير من النصوص الشرعية وذلك هروباً من التجسيم والتشبيه –حسب زعمهم– بل وضعوا العديد من الردود على من أنكر التأويل، وهذا المنهج اتبعه كل من سار على قول الأشاعرة في هذه المسألة، ومن ضمنهم أولئك الأحباش الذين قالوا بقول الأشاعرة وغيرهم في آيات وأحاديث الصفات.

ولهذا قام علماء السلف قديماً وحديثاً بالرد على من قال بالتأويل في صفات الله تعالى، ومناقشة حججهم ودحضها، وتفنيد شبههم ومزاعمهم الواهية، التي لا ترقى أن تكون دليلاً يعتد به على جواز القول بالتأويل.

الرد على أدلة الأحبأش في التأويل:

وفيما يلي أذكر بعض الأدلة على نفي التأويل بالمعنى الكلامي، وعدم جوازه في النصوص الشرعية المتعلقة بالصفات:

١- قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "هلاك أمتي في الكتاب اللَّبن، فقيل يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما الكتاب واللبن،قال:يتعلمون القرآن ويتأولونه على غير ما أنزله الله عز وجل"[3].

١- مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣١٤،٣٢٨،٣٢٥/١، الناشر: دار الفكر العربي -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، وقال فيه أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر: المسند للإمام أحمد، ح٢٨٨٦، ٣١٥/٤، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر- بدون دار نشر أو رقم طبعة أو تاريخ نشر-. يلاحظ أن الحبشي عندما يورد هذا الحديث يذكر تخريجه في البخاري، وعند الرجوع لصحيح البخاري، نجد الحديث الوارد هو دعاء الرسول لابن عباس(اللهم فقهه في الدين)، والشاهد في الحديث الذي يستند عليه الحبشي لجواز التأويل غير موجود في النص وهو(وعلمه التأويل)، وهذا تمويه من الحبشي وذلك ليوجد شرعية للتأويل الباطل الذي يقول به. انظر: صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء، ح١٤٣،٥١/١،تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز،الناشر: دار الفكر، -بدون رقم طبعة-، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م.

٢- الشرح القويم للحبشي ص١٩١، وانظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٥٠، صريح البيان للحبشي ص٣٧، مجلة منار الهدى ص٢٠، عمود٢، عدد٧٤ ذو الحجة ١٤١٩هـ.

٣- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر، باب فيمن تأول القرآن وتدبره وهو حاصل بالسنة، ح٢٣٥٩، ١١١٩/٢، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، ط الأولى

وقول عمر -رضي الله عنه-: "إنما أخاف عليكم رجلين: رجل تأول القرآن على غير تأويله ورجل ينافس الملك على أخيه"[1]، وهذا تحذير من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن انتهج نهجه من الصحابة أمثال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بعدم الخوض في التأويل الذي يقصد به التفسير بغير علم، فكيف بالتأويل الفاسد الذي يعتمد على مجرد الظنون والاحتمالات في صفات الذات الإلهية.

٢- للتأويل نتائج سيئة على من يقول به منها على سبيل المثال لا الحصر: أنه أدى إلى افتراق الأمة، ونشوب الفتن بين المسلمين مثل يوم الجمل وصفين وغيرها، ودخول أعداء الإسلام من متفلسفة وباطنية من باب التأويل، فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل[2] .

٣- القول بالتأويل حسب ترجيحات العقل غير المعصوم من الزلل والخطأ إنما هو "معارضة أقوال الأنبياء بآراء الرجال وتقديم ذلك عليها، هو من فعل المكذبين للرسل"[3].

٤- لو كان التأويل منهج السلف من صحابة وتابعين ومن سار على آثرهم لاستفاض الخبر عنهم ولشهروا به كما شهر بالقرآن والروايات الحديثية، ولكن لم يرد أن أحداً من الصحابة والتابعين أنهم خاضوا في مثل هذه الأمور[4].

٥- يقال للأحباش: لا بد أن تكون أمور الاعتقاد يقينية لا تحتمل الظن والاحتمالات، والتأويل عبارة عن احتمالات ظنية وهذا ما قاله الغزالي: "إن التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليلٌ يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر"[5]؛ بل إن الحبشي يقول بأن التأويلات التي يعتقدها إنما هي ظنية، ويعطيها مرتبة الظن الراجح أي دون اليقين[6].

١٤١٤هـ-١٩٩٤م، وقال المحقق فيه: إسناده حسن والحديث صحيح، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٤٦/٤، ١٥٥، ١٥٦.

١- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب فيمن تأول القرآن وتدبره وهو حاصل بالسنة، ح٢٣٦٤، ١٢٠٢/٢، قال المحقق فيه: رجال إسناده ثقات.

٢- انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ٢٠٥/٤-٢٠٦، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الثالثة ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٤.

٣- درء التعارض لابن تيمية ٢٠٤/٥.

٤- انظر: التمهيد لابن عبد البر ١٥٢/٧.

٥- المستصفى للغزالي ٣٨٧/١.

٦- انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٦٢-١٦٣.

- ويُرد على الحبشي بقوله بالتأويل: بأن هناك مجموعة من رؤساء الأشاعرة منعوا التأويل مثـل: أبي الحسن الأشعري، الذي له قولٌ ثانٍ وهو أن تمر أخبار الصفات كما جاءت وإليه مال في الإبانة، وتبعه الباقلاني، وإمام الحرمين حيث قال: "وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عـن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها... "[١] والغزالي[٢].

بل إن البيهقي مال إلى عدم التأويل فقال : "وأسلمها بلا كيف والسكوت عن المـراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه، ومن الدليل على ذلك اتفاقهم أن التأويل المعـين غيـر واجب ..."[٣].

٦- لقد نهى علماء السلف عن الخوض في الصفات وتأويلها، ولقد وردت نصوصٌ كثيرةٌ جـداً عن علماء أجلاء ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

- ما رواه ابن عبد البر[٤]بسنده عن الوليد بن مسلم[٥]،قال:سـألت الأوزاعـي[٦]وسـفيان الثوري[٧] ومالك بن أنس والليث بن سعد[١]عن الأحاديث التي فيها الصفات، فكلهم قـالوا: "مروها كما جاءت بلا تفسير"[٢].

١- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك عبد الله بن يوسف الجويني ص١٠٥، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢- إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٣٣/٢ بتصرف.

٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٣٠/٣، الناشـر: المكتبـة السلفية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٤- **ابن عبد البر**: يوسف بن عبد البر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي، ولد سنة ٣٦٨ هـ، وتوفي سنة ٤٦٣ هـ، شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في زمنه.... انظر: تذكرة الحفـاظ للسـيوطي ١١٢٨/٣ – ١١٣٢، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٣١–٤٣٢، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥٣/١٨–١٦٣.

٥- **الوليد بن مسلم**: الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي مولى بني أمية مولده ١١٩هـ، وتوفي بذي المروة وهو قافل من الحج في شهر المحرم سنة ١٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للـذهبي ٢١١/٩-٢٢٠، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٧٠/٧-٤٧١، تهذيب التهذيب لابن حجر ١٥١/١١-١٥٥.

٦- **الأوزاعي**: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمر الأوزاعي، عالم أهل الشام، كان مولده ببعلبك في حياة الصحابة سنة ٨٨هـ، توفي سنة ١٥٧هـ، وقيل غير ذلك. انظر: الطبقات الكبـرى لابـن سـعد ٤٨٨/٧، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٢٧/٣-١٢٨، شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ٢٤١/١-٢٤٢.

٧- **سفيان الثوري**: سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله.. أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع ولد سنة ٩٧هـ، وتوفي سنة ١٢٦هـ. أنظر: سير أعلام النبلاء للـذهبي ٢٢٩/٧-٢٧٩، طبقات ابن سعد ٣٧١/٦-٣٧٤، طبقات القراء لابن الجزري ٣٠٨/١،تهذيب التهـذيب لابن حجر ١١١/٤-١١٥.

- وقال الشافعي: "لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها... فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]"[٣].

وما روى عن الإمام أحمد بن حنبل بألفاظ مختلفة وطرق متعددة نفيه للتأويل مطلقاً منها قولــه: "هذه الأحاديث نرويها كما جاءت"[٤]، ويقصد بذلك أحاديث الصفات.

- ما قاله الإمام ابن عبد البر: "الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشــبهها الإيمان بما جاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم- والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منه"[٥].
- قول القرطبي: "... ثم متى ثبت عنه بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه كما هو طريق السلف، وما عداه لا يؤمن من صاحبه الزلل، ويكفي في الردع عن الخوض فــي طرق المتكلمين، ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس والشافعي"[٦].
- وقال ابن حجر: "... واختلف في المراد (بالقدم) فطريق السلف في هذا وغيره مشهورٌ، وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله"[٧].
- وما جاء عن النووي قوله: "وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى... ولا يتكلم في تأويلها"[٨]. ما ورد في اعتقاد علي بن المــديني[١]: "... ثــم تصديق الأحاديث والإيمان بها، لا يقال، ولا كيف، إنما هو التصديق بها والإيمان بها وإن لم

١- **الليث بن سعد**: الليث بن سعد بن عبد الرحمن عالم الديار المصرية أبو الحارث الفهمي مولى خالد بن ثابت بن ظاعن مولده بقرقشنده قرية من أسفل عمال مصر في سنة ٩٤هـ، توفي سنة ١٧٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣٦/٨-١٦٣، طبقات ابن سعد ٥١٧/٧، تاريخ بغداد للخطيب ٣/١٣-١٤.

٢- التمهيد لابن عبد البر ٢٣١/١٩.

٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ٤٠٧/١٣.

٤- مناقب الإمام أحمد بن حنبل للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص٢٠٤، تحقيق: د. عبــد الله عبد المحسن التركي. الناشر: مكتبة الخانجي، مصر، ط الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، وانظــر: إتحــاف السادة المتقين للزبيدي ١٢٩/٢، التمهيد لابن عبد البر ٢٣١/١٩، فضل علم السلف على الخلف لابــن رجب البغدادي الحنبلي ص٣٠، تحقيق: محمد القاضي، الناشر: دار الحديث، القاهرة،-دون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢٤١/١، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبــي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ١٦٤/١، تحقيق: د. أحمد حمــدان، الناشــر: دار طيبــة، الرياض،-دون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٥- التمهيد لابن عبد البر ١٤٨/٧.

٦- فتح الباري لابن حجر ٣٥٠/١٣.

٧- المصدر السابق ٥٩٦/٨.

٨- صحيح مسلم بشرح النووي للإمام النووي ٣٦/٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى ١٣٤٧هـ-١٩٢٩م.

يعلم تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفى ذلك وأحكم عليه الإيمان به والتسليم"[٢].

٧- لقد انتهج الحبشي منهجاً غريباً في استدلاله على وجود التأويل، حيث كان يستدل بنصوص في غير موضعها أو نصوص ضعيفة ويدعي أنها صحيحة مثل:

- أن يأتي بقوله تعالى: ﴿**تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾ [الأحقاف:٢٥]، ويقول لابد من التأويل فيها، وإلا يعني أن الدمار واقع على كل شيء الجنة والنار والسماوات... وهذا الاستدلال مغلوط، حيث إن الله كتب الدمار على كل شيء أراد أن يدمره وليس على الإطلاق، حيث قال الإمام أحمد فيها: "فدمرت إلا ما أراد الله"[٣]، وأيضاً ما قاله شارح العقيدة الطحاوية: "المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالرياح عادة وما يستحق التدمير"[٤].
- وأيضاً من النصوص التي يستدل بها في غير موضعها قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ [القلم:٤٢]، فيرى في هذا النص دليلاً على وجوب التأويل حيث يتخيل في عقله أشياء توجب التجسيم والمماثلة مع المخلوقين، فيفر إلى التأويل، وهذا كله يعود إلى الفهم المغلوط لهذا النص وغيره، وعندما فسر ابن عباس هذا النص وبين أن المراد فيه الشدة حيث إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة ، اعتبر الحبشي هذا التفسير إنما هو التأويل[٥]، وأن الصحابي الجليل ابن عباس قد أوّل، فيرد ابن تيمية على مثل هذا الفهم المغلوط بقوله: "ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات، فإنه قال: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ [القلم:٤٢]، نكرة في الإثبات، لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل..."[٦].

١- **علي بن المديني**: علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدي مولاهم البصري أبو الحسن المعروف بابن المديني مولده سنة ١٦١هـ، توفي سنة ٢٣٤هـ،انظر:طبقات الشافعية للسبكي ٢/١٤٥-١٥٠=

=تاريخ بغداد للخطيب ١١/٤٥٨-٤٧٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٤١-٦٠، الفهرست للنديم لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق ص ٢٨٦، تحقيق: رضا المازندراني، الناشر: دار المسيرة، ط الثالثة ١٩٨٨م.

٢ - شرح الأصول للالالكائي ١/١٦٥ .

٣ - طبقات الشافعية للسبكي ٢/٤٧ .

٤- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص١٨٥ .

٥- انظر : صريح البيان للحبشي ص٣٨.

٦- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٦/٢٣٧.

- استدل الحبشي بأقوال لعلماء السلف، أمثال الإمام البخاري صاحب الصحيح، على جواز التأويل، ويرد على الحبشي أن البخاري منهجه منهج السلف، ولم يستخدم التأويل بمعناه الفاسد البتة، ولكنْ هناك فهمٌ مغلوطٌ لدى الأحباش، حيث لم يفرقوا بين التفسير الشرعي، بحيث يؤتى بالمعنى

ولوازمه مع إثبات الصفة لله على الحقيقة، وبين التحريف والتأويل الباطل. وأحياناً يجعل الأحباش ومن شاكلهم، من يفسر الصفة بمعنى من المعاني مشبهاً وذلك إذا خالف أهواءهم، ويقول في ذلك ابن تيمية: "... ولكن من الناس من يجعل التشبيه مفسَّراً بمعنى من المعاني، ثم إن كل من أثبت ذلك المعنى قالوا: إنه مشبه..."[١] وهذا هو حال الأحباش مع مخالفيهم.

ولكي نرى بطلان قول الأحباش في ذلك، هذا مثال على إثبات الصفة وتفسيرها بذكر لوازمها مثل قوله تعالى: ﴿**وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ**﴾ [القمر:١٣-١٤]، قال العلماء فيها: "أي بمرأى منا ونحن نراها، أو المراد بأعيننا بحفظنا وكلاءتنا"[٢]. والسلف عندما يثبتون صفة العين يأتوا بهذه الآية وأشباهها ثم يفسرونها بالتفسير السابق، ولا يسمى هذا تأويلاً بل إثباتاً.

- ويذكر الحبشي قولاً عن الإمام أحمد يثبت فيه التأويل من خلال قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾ [الفجر:٢٢]، أي: جاءت قدرته[٣]، ويستدل بهذا على جواز التأويل وأنه من نهج السلف، فيرد عليه:

أ- ما نقل عن الإمام أحمد أنه سد باب التأويل على الإطلاق وهو المفهوم من ظاهر مذهبه كما نقل الثقات عنه[٤].

ب- ويذكر الحبشي هذه الرواية من طريق حنبل[٥]، في كتابه صريح البيان[٦]، وهذه الرواية من طريق حنبل لم ينقلها غيره، ممن نقل مناظرته في المحنة كعبد الله بن أحمد[٧]، وصالح بن

١- مجموعة الفتاوى –الرسالة التدمرية– لابن تيمية ٤٥/٣.

٢- انظر: جامع البيان للطبري ٥٦/٢٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٤/٤، تفسير الجلالين للإمامين محمد بن أحمد المحلي، والإمام عبد الرحمن السيوطي ص٧٠٢، الناشر: دار المعرفة، بيروت، –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢٤٠/١، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية محمد خليل هراس ص٤٨-٤٩، الناشر: دار الاعتصام، القاهرة، ط الرابعة –بدون تاريخ نشر-.

٣- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٥، الشرح القويم للحبشي ص١٧٥.

٤- انظر: إتحاف السادة المتقين ١٢٩/٢، إحياء علوم الدين للغزالي ٨٧/١، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٢٠٤، لوامع الأنوار للسفاريني ٢٤١/١.

٥- **حنبل**: حنبل بن اسحق بن حنبل بن هلال بن أسد أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه، ولد قبل المائتين، وتوفي ٢٥٣هـ، قال فيه السيوطي: له مسائل كثيرة عن أحمد و يتفرد و يغرب . انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥١/١٣-٥٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٨٦/٨-٢٨٧، النجوم الزاهرة للأتابكي ٧٠/٣.

٦- انظر: صريح البيان للحبشي ص٣٩-٤٠.

٧- **عبد الله بن أحمد**: عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ولد سنة ٢١٣هـ، وتوفي سنة ٢٩٠هـ. انظر: شذرات الذهب لابن=

أحمد[1]، والمروزي[2] وغيره، ومن أصحاب أحمد قالوا: غلط حنبل، ليس أحمد هذا.
وقالوا: حنبل له غلطاتٌ معروفةٌ، وهذا منها، وهذه طريقة أبي اسحق بن شاقلا[3].[4]
وبالتالي نخرج بنتيجة أن هذه الرواية ضعيفة لا يجوز للحبشي أن يستند إليها في جواز التأويل عن الإمام أحمد .

- ومن النصوص التي يرى الحبشي فيها التأويل هو دعاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس بقوله: (اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب) فيقال للحبشي: إن التأويل في كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يقصد به المعنى الفاسد الذي لم يعرفه الصحابة ولا التابعون إلا في وقت متأخر وهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، وإنما قصد بالتأويل هنا، التفسير والبيان، وهو المعنى الشرعي المتعارف عند علماء السلف[5].

بالإضافة إلى ذلك لو قصد بالتأويل المعنى الذي عرفه الأحباش، لوجدنا ابن عباس يؤول الاستواء بالاستيلاء، واليد بالقدرة أو النعمة، والنزول بنزول الرحمة إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة، ولم يثبت عنه ذلك فتبين بطلان المعنى الذي ذهب إليه الأحباش[6].

=عماد الحنبلي ٢/٢٠٣-٢٠٤، طبقات القراء لابن الجزري ٤٠٨/١، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣٧٥/٩-٣٧٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥١٦/١٣-٥٢٦.

١- **صالح بن أحمد**: صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو الفضل الشيباني البغدادي، ولد سنة ٢٠٣هـ وهو أكبر أخوته، وتوفي سنة ٢٦٦هـ وقيل ٢٦٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٢٩/١٢-٥٣٠، شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ١٤٩/٢-١٥٠، تهذيب تاريخ دمشق الكبير للإمام أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي ٣٦٤/٦-٣٦٥، ترتيب عبد القادر بدران، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢- **المروزي**: محمد بن جابر بن حماد أبو عبد الله المروزي، توفي بمرو لسبع بقين من شوال سنة ٢٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨١/١٣-٢٨٢، وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ١٧٥/٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ٦٤٤/٢-٦٤٥.

٣- **أبو اسحق بن شاقلا**: أبو اسحق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البغدادي البزار، توفي في رجب سنة ٣٦٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٩٢/١٦، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٧/٦، شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ٦٨/٣، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تأليف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح ٢١٦/١-٢١٧، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٣٨/٥-٢٤٠.

٥- انظر: البحث ص١٢ـ٢٢.

٦- انظر: موسوعة أهل السنة دمشقية ٣٩٣/١-٣٩٥.

المبحث الثاني: المحكم والمتشابه:

المطلب الأول: تعريف المحكم والمتشابه عند الأحباش:

إن الأحباش خاضوا في باب المحكم والمتشابه، كما خاض من سبقهم من المتكلمين في هذا الباب، وقد جعلوا آيات الصفات من المتشابه التي لا بد من تأويلها وذلك للفرار من الوقوع في التجسيم والتشبيه –حسب اعتقادهم-.

وللتفريق بين المحكم والمتشابه استدل الأحباش بقول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:٧]، ثم عرفوا بعد ذلك المحكم والمتشابه مستندين إلى الآية السابقة.

أولاً: تعريف المحكم:

"هو ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلا وجهاً واحداً؛ أو ما عرف بوضوح المعنى المراد منه، كقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:٤]، وقوله تعالى: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم:٦٥]"[١].

ثانياً: تعريف المتشابه:

"هو ما لم تتضح دلالته، أو يحتمل أوجهاً عديدة، واحتاج إلى النظر لحمله على الوجه المطابق، كقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]"[٢].

وللرد على الأحباش في هذه المسألة والتي تعتبر السبب الرئيس في خوضهم في المحكم والمتشابه، لا بد من تبيين التالي:

أولاً : تعريف المحكم: لغةً واصطلاحاً

- **المحكم لغة**: المحكم في اللغة له عدة إطلاقات، حيث جاء في لسان العرب

١- الصراط المستقيم للحبشي ص٤١، وأنظر: الشرح القويم الحبشي ص١٥٨، مجلة منار الهدى ص٢٢ عمود١، العدد ٦ شوال ١٤١٣هـ –١٩٩٣م.

٢- الصراط المستقيم للحبشي ص٤١، وأنظر: الشرح القويم الحبشي ص١٥٨-١٥٩، مجلة منار الهدى ص٢٥ عمود ١، العدد ٦ شوال ١٤١٣ هـ –١٩٩٣م.

لابـــن منظـــور[1] "... والعـــرب تقـــول: حكمتُ وأحكمت وحكمـــت بمعنى منعت ورددت"[2] ولهذا سُمي الحُكْمُ بهذا لأن أصله المنع، وبذلك سميت حكمت الدابة ويقال حكمت الدابة أحكمتها [3]." وأحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكماً" [4]، "وسورة محكمة غير منسوخة والآيات المحكمات... أو التي أُحكمت فلا يحتاج سامعها إلى تأويلها لبيانها كأقاصيص الأنبياء"[5] إلى غير ذلك من الإطلاقات التي ترجع بمعناها العام إلى المنع[6].

- **المحكم في الاصطلاح:**

لقد جاء تعريف المحكم في قوله تعالى: ﴿**مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ**﴾ [آل عمران:٧]، كما أورده الطبري: "أما المحكمات فإنهن اللواتي قد أُحكمن بالبيان والتفصيل وأثبت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه، من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبر، وما أشبه ذلك"[7].

ثانياً: تعريف المتشابه: لغة واصطلاحاً

- **المتشابه في اللغة**: جاءت مادة التشابه في المعاجم بمعنى المماثلة :

فقد قال ابن منظور:"الشّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبيهُ:المِثْلُ،والجمع أشباه،وأشبه الشيءُ الشـــيءَ:

١- **ابن منظور**: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد أبي القاسم بن حبقة بن منظـــور الأنصـــاري الرويفعـــي الأفريقي المصري، أبو الفضل، من علماء اللغة، ومشارك في علوم مختلفة، ولد سنة ٦٣٠ هـــ، وتوفي في شعبان ٧١١ هـــ، انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين الســـيوطي ٢٤٨/١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت –بدون رقم طبعة و تاريخ-، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني ٢٦٢/٤–٢٦٤، الناشر: دار الجيل، بيروت –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٢- لسان العرب لابن منظور ٩٥٢/١.

٣- مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٢٤٦/١، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.

٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ١٩٠٢/٥، تحقيق: أحمد عبد الغفـــور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط الثانية ١٣٩٩هـــ-١٩٧٩م.

٥- القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ١٠٠/٤، الناشر: مؤسسة العربية، لبنان ودار الجيل، لبنان -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٦- تفسير القرآن الحكيم المشهور تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٦٣/٣ بتصرف، الناشر: دار المعرفـــة، بيروت، ط الثانية –بدون تاريخ نشر-.

٧- جامع البيان للطبري ١١٣/٣، وانظر: البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشـــي ٦٧/٢–٦٨، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار التراث،القاهرة –بدون رقم طبعة أو تـــاريخ نشر.

ماثله"[١]،"والمشتبهات من الأمور المشكلات"[٢] والتشبيه:التمثيل،فأشبهت فلاناً وشابهتُهُ واشتبه علي الشيء"[٣].

- **المتشابه في الاصطلاح :**

وجاء المتشابه في الاصطلاح في قوله تعالى: ﴿**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ [آل عمران:٧]، "متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى"[٤]وفي مثل هذا المعنى قال ابن قتيبة[٥]: "وأصل التشابه أن يشبه اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان"[٦]؛ وقيل غير ذلك في تعريف المحكم والمتشابه.

المطلب الثاني: أقسام المتشابه والحكمة منه:

أولاً: أقسام المتشابه:

بعد أن خاض الأحباش في الآية ٧ من آل عمران: ﴿... **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾.

يعلق الأحباش على هذه الآية بقولهم: "فيحسن أن يقال قراءة الوقف على لفظ الجلالة تحمل على المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، و قراءة الوصل تحمل على القسم الذي يطلع الله بعض عباده على تأويله ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**﴾ فلا تناقض بين القراءتين"[٧]، وعلى هذا يقسم الأحباش المتشابه إلى قسمين فيقول شيخهم:

"المتشابه قسمان: أحدهما: ما لا يعلمه إلا الله كوجوب القيامة.

١- لسان العرب لابن منظور ٢١٩٠/٣.

٢- مجمل اللغة لابن فارس ٥٢٠/٢.

٣- الصحاح للجوهري ٢٢٣٦/٦، وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ٢٨٨/٤.

٤- جامع البيان للطبري ١١٤/٣، وانظر: البرهان للزركشي ٢/ ٦٩-٧٠.

٥- **ابن قتيبة**: عبد الله بن مسلم الدينوري أبو محمد الكاتب صاحب التصانيف العديدة منها: غريب القرآن، مشكل القرآن، عيون الأخبار، ولد ٢١٣هـ ، وتوفي ٢٧٠ هـ. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٧٠/١٠-١٧١، شذرات الذهب لابن عماد ١٦٩/٢-١٧٠، بغية الوعاة للسيوطي ٦٣/٢-٦٤، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/١٣-٣٠٢.

٦- تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص١٠١، الناشر: دار التراث، القاهرة، ط الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٧- الشرح القويم للحبشي ص١٦٣، وانظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٢.

الثاني: يعلمه الراسخون في العلم كمعنى الاستواء المذكور في قوله تعالى:﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، فإن الراسخين فسروه بالقهر"[١].

من المعلوم أن الأحباش خاضوا في باب المتشابه، ليعطوا لأنفسهم الشرعية في تأويل آيات وأحاديث الصفات؛ ولكن من خلال تعريف المتشابه عند علماء السلف، لم نجد أحداً منهم عَدّ آيات وأحاديث الصفات من المتشابه، فالإمام الطبري ذكر أقوالاً عديدة في المتشابه ولم يذكر من بينها أن آيات الصفات من المتشابه[٢]، وكذا الإمام السيوطي[٣] [٤]، بل إن الإمام أحمد بن حنبل في كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة) رد على من تمسكوا بمتشابه القرآن، حتى أنه بيّن معناه وتفسيره مما يخالف قول الجهمية وتأويلاتهم الفاسدة[٥]، ولقد ورد عن الإمام أحمد أنه قال: "المحكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه: ما احتاج إلى بيان"[٦]. وهذا هو منهج السلف "من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها"[٧].

ومما يؤكد أن أسماء الله وصفاته ليست من المتشابه الذي يظنه الأحباش قول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة... أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا إن الله ينزل كلاماً لا يفهم أحد معناه،وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة،قالوا في أحاديث الصفات:تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها

١- الشرح القويم للحبشي ص١٥٩، ص١٦٢، وانظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٢، ومجلة منار الهدى ص٢٥ عمود ٢–٣ العدد ٦.

٢- انظر: جامع البيان للطبري ١١٤/٣–١١٦.

٣- **السيوطي**: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان... الطولوني المصري الشافعي أبو الفضل السيوطي (الأسيوطي) عالم مشارك في أنواع من العلوم. له مؤلفات عديدة منها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المزهر في اللغة، الجامع الصغير في الحديث، ولد ٨٤٩ هـ، وتوفي سنة ٩١١ هـ. انظر: شذرات الذهب لابن عماد ٥١/٨–٥٥، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع شمس الدين عبد الرحمن السخاوي ٦٥/٤–٧٠، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي ٢٢٦/١–٢٣١، الناشر: دار الفكر، بيروت، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور –بدون رقم طبعة و تاريخ نشر-، معجم المؤلفين لكحالة ١٢٨/٥–١٣٠.

٤- انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ٤/٢–٥، الناشر: دار المعرفة، لبنان، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٥- انظر: الرد على الجهمية لابن حنبل ص١٠٤، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٦.

٦- مجموعة الفتاوى –تفسير سورة الإخلاص– لابن تيمية ٢٢٥/١٧.

٧- المصدر السابق –الإكليل في المتشابه والتأويل– ١٦٤/١٣.

وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه"[1]. وينكر ابن القيم[2] على من جعل آيات الصفات وأحاديثها من المتشابه فقال: "وهؤلاء غلطوا في المتشابه وفي جعل هذه النصوص من المتشابه"[3].

وفي هذا المعنى نقل عن العديد من العلماء نفيهم أن تكون الصفات تندرج تحت موضوع المتشابه[4]؛ وبالتالي يبطل تقسيم الحبشي للمتشابه من حيث جعله قسمين: قسم يعلمه الله وحده، وقسم يعلمه الراسخون[5]، وهذا حتى يعطي لنفسه الشرعية لتأويل آيات الصفات.

ثانياً: الحكمة من الآيات المتشابهة:

الآيات المتشابهة لها حكمة عند الأحباش وهي ابتلاء للعباد من خلال حملها على غير ظواهرها، ليكون لهم أجرٌ عظيم، وبهذا يصرح الحبشي بقوله: "الحكمة من الآيات المتشابهة أن يبتلي عباده حتى يكون للذي يحملها على محملها أجرٌ عظيم"[6]. وبالتالي يعد الحبشي آيات الصفات من المتشابه الذي يتوجب حمله على غير ظاهره، فلهذا يهاجم الأحباش كل من يخالف منهجهم في الآيات المتشابهة من حيث حملها على ظواهرها، فيصفون هذه الفئة من الناس بأنهم "أناس أهملوا العقل واتبعوا الوهم فشذوا عن معتقد أهل الحق، فعمدوا إلى الآيات والأحاديث المتشابهة فحملوها على ظواهرها فوقعوا في التجسيم والتشبيه ونسبوا إلى الخالق تعالى الجلوس والاستقرار على العرش والجهة والمكان والحركة ونحو ذلك من صفات المخلوقات الحادثات تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً"[7].

١- مجموعة الفتاوى –رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل– لابن تيمية ١٥٧/١٣.

٢- **ابن القيم**: إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي، اشتغل في أنواع العلوم وأفتى ودرس وناظر، ولد سنة ٧١٩ هـ، وتوفي سنة ٧٦٧ هـ، وله مصنفات كثيرة منها: شفاء العليل في القضاء والقدر، وطريق الهجرتين وباب السعادتين، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة. انظر:الدرر الكامنة لابن حجر ٥٨/١، المقصد الأرشد لابن مفلح ٢٣٥/١–٢٣٦، شذرات الذهب لابن عماد ٢٠٨/٦، معجم المؤلفين لكحالة ٨٨/١.

٣- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٦٩/١.

٤- انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢١٤، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٩٥/١–٩٩، العقيدة في الله د. الأشقر ص٢٤٨، موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن صالح المحمود ١٤٠/٣–١٤٢، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

٥- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٢، الشرح القويم للحبشي ص١٠٩.

٦- الشرح القويم للحبشي ص١٦٣.

٧- مجلة منار الهدى ص٢٤ عمود١ العدد٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٥٩–١٦٢.

وهذا الأمر مردود على الحبشي من خلال ما سبق توضيحه من عدم صحة القــول بــأن آيات الصفات من المتشابه، بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن الإمام الطبري بسنده عن محمــد بن جعفر بن الزبير[1] قال: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات فيهن حجة الرب، وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تصريف وتحريف وتأويــل ابتلــى الله فــيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام لا يصرفن إلى الباطل ولا يحرّفن عن الحق" [2]؛ وأيضاً قول ابن قتيبة تحت العنوان التالي في كتابه مشكل القرآن "ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن –أي الله– من أراد بالقرآن لعباده الهدى والبيان: وأن القرآن نزل بألفــاظ العــرب ومعانيهــا ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتــى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر، ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ومع الكفاية يقع العجز والبلادة"[3].

ويلاحظ على علماء السلف أنهم لم يعتمدوا القول بأن الحكمة من الآيات المتشــابهة هــو حملها على غير ظاهرها أو تأويلها وتحريفها باعتبار أن آيات الصفات من المتشابه وبــذلك يُرد قول الحبشي ويدحض بالأقوال الصحيحة عن علماء السلف.

١- **محمد بن جعفر بن الزبير**: محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام القرشي المدني، ثقة، مات بــين عشــر ومائة إلى عشرين ومائة –لم أجد له سنة ميلاد-، انظر: كتاب التاريخ الكبير لأبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم البخاري ٥٤/١–٥٦، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، تقريــب التهذيب لابن حجر العسقلاني ١٥٥/٢، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٣٩٥هـــ–١٩٧٥م، تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج يوسف المزي ٥٧٩/٢٤–٥٨٠، تحقيق: د. بشار عــواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤١٣هــ–١٩٩٢م، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٩٣/٩.

٢- جامع البيان للطبري ١١٦/٣.

٣- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٨٦، وانظر: الإتقان في علوم القرآن جلال الدين الســيوطي ١٩/٢، الناشر: دار المعرفة، بيروت –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-، تفسير القرآن الجليل المســمى بمــدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ١٩٨/١، الناشــر: المطبعــة الأميرية، مصر، ط ١٩٣٦م.

المبحث الثالث: خبر الآحاد

المطلب الأول: تعريف خبر الآحاد:

وقد عَرّف الحبشي خبر الآحاد بقوله:

"**خبر الآحاد**: أي الحديث الذي يرويه واحد"[1]، هذا ما ورد عن الحبشي في تعريف خبر الآحاد، ولم اعثر على تعريف غيره للأحباش.

إن الأحباش في موقفهم من خبر الآحاد كأسلافهم من المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة والجهمية، حيث يرفضون الاحتجاج بخبر الآحاد في الاعتقاد، ويكتفون بالاحتجاج به في الأحكام الفقهية؛ ولكن هذا الرأي ضعيف لا يؤخذ به -وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله-.

وقد رد الكثير من علماء الإسلام على هذا الرأي الضعيف، وبينوا عدم صحته ولبيان فساد قول الأحباش في خبر الآحاد، لا بد من توضيح التالي:

المطلب الأول: تعريف خبر الآحاد

أولاً: خبر الآحاد في اللغة:

١- **خبر**: الخبر بمعنى النبأ[2] -قاله الفراهيدي[3]- و "الخَبرُ بالتحريك، والخبر ما أتاك من نبأ من تستخبر"[4]، ويقال: "أخبر خبوره: أنبأ ما عنده، والخِبْرُ والخِبرةُ بكسرهما ويضمّان، والمخَبَرةُ العلم بالشيء كالاختبار والتخبر"[5].

٢- **الآحاد**: "الواحد أول العدد، والأحد مثل الواحد"[6]، وجاء في جمعها "آحاد وأحدان أو ليس له جمع... وواحد الآحاد وإحدى الأحد أي لا مِثل له"[7].

١- المطالب الوفية للحبشي ص٢٩.

٢- كتاب العين للفراهيدي ٢٥٨/٤، وانظر: المحيط في اللغة لابن عباد ٣٣٥/٤.

٣- **الفراهيدي**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، ولد سنة ١٠٠هـ، ومات في بضع وستين ومئة وقيل غير ذلك، كان رأساً في لسان العرب ديناً، ورعاً، قانعاً، متواضعاً. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧٢/١١-٧٧ ، غاية النهاية في طبقات القراء لأبي الخير محمد بن محمد الجزري ٢٧٥/١، عني بنشره ج.برجستراس،الناشر:دار الكتب العلمية – بيروت – ط الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤- لسان العرب لابن منظور ١٠٩٠/٢.

٥- القاموس المحيط للفيروز آبادي ١٧/٢.

٦- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ابن دريد) ١٢٧/٢، الناشر: دار صادر، بيروت –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٧- القاموس المحيط للفيروز آبادي٢٨٣/١،وانظر:لسان العرب لابن منظور٣٥/١، تاج العروس للزبيدي ٢٧٦/٧.

ثانياً: خبر الآحاد في الاصطلاح :

لقد عرف العلماء خبر الآحاد بقولهم :

"خبر الآحاد ما كان من الأخبار غير منتهٍ إلى حد التواتر"[١] أو "خبر الواحد ما نقله واحد عن واحد أو عن جماعة أو جماعة عن واحد"[٢].

المطلب الثاني: موقف الأحباش من خبر الآحاد:

يرى الأحباش أن الأخذ بالأخبار لا بد من اتصافها بالعلم اليقيني أو بالتواتر[٣].

ولهذا لا بد من الصحة المعتبرة[٤] –حسب إدعاء الحبشي– في أحاديث الصفات، لأن أمر الصفات يُحتاط فيه ما لا يحتاط في غيره، ثم يقول: "إن في أحاديث الصفات مذهبين:

أحدهما: اشتراط أن يكون في درجة المشهور، وهو ما رواه ثلاثة عن ثلاثة فأكثر...،

والثاني:ما ذهب إليه أهل التنزيه من المحدثين، وهو اشتراط أن يكون الراوي متفقاً على ثقته.

فهذان المذهبان لا بأس بكليهما، وأما الثالث: وهو ما ترك عن ذلك فلا يحتج به لإثبات الصفات"[٥].

ولهذا نجد الحبشي يرى أن الحديث المشهور يحتج به في أمور العقائد دون الآحاد[٦].

وكما يحتج بالمشهور المتواتر في العقائد يحتج بهما في الأحكام، أما ما نزل عنهما فلا يحتج به في العقائد وإنما في الأحكام[٧].

ويؤكد ما ذهب إليه من رد خبر الآحاد، ما ذكره الحبشي في الصفحة نفسها قوله: (أما خبر الآحاد أي الحديث الذي يرويه واحد فيجب العمل به إذا استوفى الشروط، أما من حيث

١- الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي ٤٩/٢، الناشر: دار الحديث، القاهرة –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢- الغنية في الأصول لأبي صالح منصور بن اسحق بن أبي جعفر السجستاني ص١١٢، تحقيق: محمد صدقي بن أحمد البورنو، -بدون ناشر-، ط ١٤٠٠هـ–١٩٨٩م.

٣- انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣١٩، الصراط المستقيم للحبشي ص٨٣–٨٤، المطالب الوفية للحبشي ص٢٣–٢٥.

٤- لهذا رد الحبشي أحاديث الصوت دون استثناء، وصرح أنه ليس فيها ما يحتج به في العقائد مع ورود بعضها في صحيح البخاري، وجاء فيه (فينادي بصوت فيسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) –ترجمة الباب– ٢٤٥/٨، ط دار الفكر، تحقيق: ابن باز، انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٣١.

٥- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١١٣ بتصرف.

٦- انظر: المعنى نفسه في كتاب إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣١٠.

٧- انظر: المطالب الوفية للحبشي ص٢٩.

تحقق مضمونه أو عدم تحققه فلا يفيد اليقين -ويُمثل الحبشي لما يقول- فالأحاديث التي وردت في الطهارة والصلاة والصيام والزكاة ونحو ذلك إذا صح إسنادها يجب العمل بها لكن من حيث أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قالها أو لم يقلها فليست قطعية، أما حديث المتواتر والمشهور فإنهما يفيدان العلم القطعي اليقيني)[1].

المطلب الثالث: حجية خبر الآحاد في الاعتقاد:

كما سبق القول أن الأحباش لا يحتجون بخبر الآحاد في العقيدة وذلك ليتهربوا من أحاديث الصفات -بحجة التنزيه لله-، وأقصى ما يقولونه في هذه المسألة أنه يوجب العمل لا العلم؛ وهذا ما قاله أساتذتهم من الأشاعرة في كتاباتهم[2].

ولكن هذا القول مردود من ناحيتين:

أولاً: أقوال العلماء بإفادة خبر الآحاد العلم اليقيني إن كان صحيحاً:

١- أئمة المذاهب الفقهية المشهورة أمثال: الإمام مالك بن أنس والإمام الشافعي والإمام أحمد حيث نقل عنهم أن خبر الآحاد يفيد العلم.

- فالإمام مالك بن أنس ذكر عنه الفقيه المالكي ابن خواز منداد[3]، أن خبر الواحد يفيد العلم بنفسه[4].
- والإمام الشافعي صرح بأن خبر الواحد يفيد العلم[5].

١- المطالب الوفية للحبشي ص٢٩، وانظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣١٠-٣١١، موسوعة أهل السنة لدمشقية ٥١٣/١.

٢- انظر: كتاب أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ص١٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة ١٤٠١هـ-١٩٨١م، المستصفى للغزالي ١٤٥/١، أساس التقديس في علم الكلام لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي ص١٢. الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ص١٨٨، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية ١٤٠٨هـ.

٣- **ابن خواز منداد**: محمد بن علي بن اسحق بن خويز منداد، ويقال خواز منداد الفقيه المالكي البصري أبو عبد الله -لم أجد له ترجمة غير هذه في كتب التراجم المتوفرة. انظر: لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن حجر ٣٢٩/٥-٣٣٠، الناشر: دار الفكر، ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤- انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ص٤٨، الناشر: دار المعرفة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، الإحكام في الأحكام لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري ١١٢/١، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٥٢٢/٢.

٥- انظر: الأم لمحمد بن إدريس الشافعي ٢٧٨/٧-٢٨٥،الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، ط الأولى ١٩٦١م.

- الإمام أحمد بن حنبل: حيث ورد عنه أنه قال أن خبر الواحد يفيد العلم بنفسه[1].
- أما الإمام أبو حنيفة، لم يرد عنه نصوص تبين رأيه في المسألة، ويوضح هذا الأمر الدكتور عمر الأشقر بقوله: "وفي الحقيقة ليس لدينا نصوص صريحة عن أبي حنيفة فيما علمت توضح موقفه تماماً من هذه المسألة، ولذلك فإن غالبية مَنْ بحث في هذه المسألة لم ينسب إلى أبي حنيفة فيها قولاً"[2]، ولكن أصحاب أبي حنيفة نصوا على أن خبر الواحد يفيد العلم[3].

٢- قول داود الظاهري[4] وابن حزم[5] بأن خبر الواحد يفيد العلم والعمل[6].

٣- ما ورد عن الحسين بن علي الكرابيسي[7] والحارث بن أسد المحاسبي[8]، نصا على أن خبر الواحد يفيد العلم[9].

١- انظر: المسودة لآل تيمية ص٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، مختصر الصواعق لابن القيم ٥٢٧/٢-٥٢٨، إرشاد الفحول للشوكاني ص٤٨، لوامع الأنوار للسفاريني ١٩/١.

٢- أصل الاعتقاد د. عمر سليمان الأشقر ص٢٣، الناشر: الدار السلفية، ط الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣- مختصر الصواعق لابن القيم ٥٢٢/٢ بتصرف.

٤- **داود الظاهري**: محمد بن داود بن علي الظاهري أبو بكر، العلامة البارع ذو الفنون، له بصر تام الحديث وبأقوال الصحابة وكان يجتهد ولا يقلد أحداً، توفي سنة ٢٩٧هـ، انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١١٠/١١-١١١، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٥٦/٥-٢٦٣،سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٩/١٣-١١٦.

٥- **ابن حزم**: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم... الأندلسي القرطبي اليزيدي أبو محمد، الإمام الأوحد ذو الفنون والمعارف، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، توفي ٤٥٦هـ، انظر: شذرات الذهب لابن عماد ٢٩٩/٣-٣٠٠، البداية والنهاية لابن كثير ٩١/١٢-٩٢، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨٤/١٨-٢١٢، تذكرة الحفاظ للسيوطي ١١٤٦/٣-١١٥٥.

٦- انظر: الأحكام لابن حزم ١/ ١٠٠-١١٢.

٧- **الحسين بن علي الكرابيسي**: الحسين بن علي بن يزيد البغدادي أبو علي، فقيه بغداد، صاحب التصانيف، كان من بحور العلم ذكياً فطناً فصيحاً لسناً، توفي ٢٤٥هـ، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي٦٤/٨-٦٧،الفهرست لابن النديم٢٣٠-٢٣١،شذرات الذهب لابن عماد ١١٧/٢،سير أعلام النبلاء للذهبي ٧٩/١٢-٨٢.

٨- **الحارث بن أسد المحاسبي**: الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي أبو عبد الله ، الزاهد، العارف، شيخ الصوفية، صاحب التصانيف الزهدية، توفي ٢٤٣هـ، انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ٧٣/١٠-١١٠، الناشر: المكتبة السلفية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، وفيات الأعيان لابن خلكان ٥٧/٢-٥٨،سير أعلام النبلاء للذهبي ١١٠/١٢-١١٢،شذرات الذهب لابن عماد ١٠٣/١.

٩- انظر: إرشاد الفحول للشوكاني ص٤٨، الإحكام لابن حزم١١٢/١، مختصر الصواعق لابن القيم٢/ ٥٢٢-٥٣٤.

٤- وقول أحمد بن علي بن ثابت[١] في خبر الآحاد: "لو علم أنه كذب لم يخلُ من دليل على ذلك، وفي إخلائه من ذلك دليل على أنه صدق"[٢].

٥- حكى ابن عبد البر الإجماع بالعمل بخبر الآحاد في أصول الدين[٣]؛ أي أن خبر الآحاد إذا كان صحيحاً يقيني العلم وذلك من خلال الإجماع بالعمل فيه.

٦- قول ابن تيمية في حديث الآحاد: "فهذا يفيد العلم ويجزم بأنه صدق لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقاً وعملاً بموجبه"[٤].

٧- ما جاء عن ابن القيم في أن خبر الآحاد موجب للعلم فقال: "أخبار الآحاد الموجبة للعلم ولا تنحصر، بل يجد المخبر علماً لا يشك فيه بكثير منها..."[٥].

٨- وأيضا ما ورد عن ابن حجر العسقلاني[٦] أن في أخبار الآحاد ما يفيد العلم النظري على المختار[٧].

وما تم ذكره من أقوال العلماء في حجية خبر الآحاد على سبيل المثال لا الحصر.

١- **أحمد بن علي بن ثابت**: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، أبو بكر، صاحب التصانيف وخاتمة الحفاظ من تصانيفه: تاريخ بغداد، مولده سنة ٣٩٢هـ، وفاته سنة ٤٦٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٠/٨-٢٩٧، وفيات الأعيان لابن خلكان ٩٢/١-٩٣، تذكرة الحفاظ للسيوطي ١١٣٥/٣-١١٤٦.

٢- الكفاية في علم الرواية لابن ثابت ص٢٨.

٣- لوامع الأنوار للسفاريني ١٩/١ بتصرف.

٤- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٣/١٨، انظر: المصدر نفسه -رفع الملام عن الأئمة الأعلام- ١٤٢/٢٠-١٤٥، الرد على المنطقيين لابن تيمية ص٣٧-٣٨، الناشر: إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط الثانية ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

٥- مختصر الصواعق لابن القيم ٥٢٥/٢.

٦- **ابن حجر العسقلاني**: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكناني، العسقلاني، المصري، الشافعي، يعرف بابن حجر (شهاب الدين، أبو الفضل) محدث، مؤرخ، أديب، شاعر، مولده ٧٧٣هـ، وفاته ٨٥٢هـ، من مصنفاته: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحابة، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ٨٧/١-٩٢، الناشر: دار المعرفة، بيروت – بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر -، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٣٦٣/١-٣٦٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٧- انظر: قفو الأثر في صفو علوم الأثر لمحمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي الشهير (بابن الحنبلي) ص٤٧-٤٨، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية ١٤٠٨هـ.

ثانياً : الأدلة على إفادة خبر الآحاد العلم اليقيني إن كان صحيحاً:

من المعلوم أن الخلف ومن انتهج نهجهم في الاستدلال بخبر الآحاد، اكتفوا بالعمل بـه في الأحكام دون الاعتقاد فيه بالعلم اليقيني، فوقف علماء السلف يبينوا خطأ هذا القول وضعفه ووهنه أمام الأدلة الصحيحة الصريحة، ومن هذه الردود ما يلي:

١- لقد أثبت العلماء خبر الآحاد بالعديد من الأدلة السمعية منها: قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات:٦]، وفي قراءة أخرى(فتثبتوا)[١] وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد، وأنه لا يحتاج إلى التثبت إن كان ثقة وصادق[٢].

وأيضاً قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ**﴾ [التوبة:١٢٢] ، والطائفة تقع على الواحد فما فوقه،والطائفة تنذر قومهم إذا رجعوا إليهم، والإنذار الإعلام بما يفيد العلم[٣].

ومن السنة أن المسلمين لما أخبرهم الواحد وهم أهل قباء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت إلى الكعبة[٤]، تقبلوا خبره وتركوا الجهة التي كانوا عليها، وبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم ينكر عليهم[٥]. وغير ذلك الكثير من الأحاديث النبوية المشهورة مثل حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (إنما الأعمال بالنيات)[٦]، وحديث أبي هريرة (لا تنكح

١- انظر: النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد الدمشقي (ابن الجرزي) ٢٥١/٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢- انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٥٤٤/٢، إرشاد الفحول للشوكاني ص٤٩.

٣- انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٥٤٥/٢، إرشاد الفحول للشوكاني ص٤٩.

٤- انظر: صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان ح٤٠، ١٨/١ تحقيق: ابن باز، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ح٥٢٥، ٣٧٤/١.

٥- انظر: المسودة لآل تيمية ص٢٢٣، مختصر الصواعق لابن القيم٥٤٤/٢، إرشاد الفحول للشوكاني ص٤٩.

٦- صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ح١، ٣/١، صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب قوله -صلى الله عليه وسلم- (إنما الأعمال بالنيات) وإنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال ح١٩٠٧؛ ١٥١٥/٣.

المرأة على عمتها ولا على خالتها)[١]، خبر ابن عمر -رضي الله عنه- (نهي عن بيع الولاء وهبته)[٢].

٢- من تتبع عمل الصحابة من الخلفاء وغيرهم وعمل التابعين بأخبار الآحاد، وجد ذلك في غاية الكثرة، ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم، لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول... ومن هذا القسم أحاديث صحيحي البخاري ومسلم فإن الأمة تلقت ما فيهما بالقبول[٣].

٣- أن القول بتكذيب خبر الواحد يؤدي إلى القطع على كذب مدعي الرسالة من لم يكن معه علم دال على صدقه...، ويقال أيضاً: يجب القطع بتكذيب جميع آحاد الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين حتى انفردوا بالخبر ولم تكن معهم دلالة على صدقهم وهذا خروج عن الدين[٤].

٤- ويقال أيضاً: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أرسل رسله آحاداً، وأرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسَل إليهم يقولون لا نقبله لأنه خبر واحد، وقد قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ [التوبة:٣٣]، فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه، لئلا تبطل حججه وبيناته[٥].

٥- أن هؤلاء المنكرين لإفادة أخبار النبي-صلى الله عليه وسلم- العلم يشهدون شهادة جازمة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم وأقوالهم أنهم قالوا، ولو قيل: أنها لم تصح عنهم لأنكروا ذلك، وتعجبوا من جهل قائله، ومن المعلوم أن تلك المذاهب والأقوال لم يروها إلا الواحد والاثنان والثلاثة ونحوهم لم يروها منهم عدد التواتر[٦]. فمن باب أولى التصديق بما هو وارد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن طريق صحبه الكرام العدول، ومن تابعهم من الثقات، والاعتقاد بإفادة تلك الأخبار العلم اليقيني.

١- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها ح٥١٠٨، ١٥٦/٦، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب التحريم الجمع بين المرأة أو خالتها في النكاح ح١٤٠٨، ١٠٢٨/٢، بنحوه.

٢- صحيح البخاري، كتاب العتق، باب بيع الولاء وهبته، ح٢٥٣٥، ١٦٤/٣، صحيح مسلم كتاب العتق، باب النهي عن بيع الولاء وهبته، ح١٥٠٦، ١١٤٥/٢.

٣- إرشاد الفحول للشوكاني ص٤٩-٥٠ بتصرف، وانظر: كتاب قفو الأثر لابن الحنبلي ص٤٨-٤٩، المسودة آل تيمية ص٢١٧.

٤- الكفاية في علم الرواية لابن ثابت ص١٩ بتصرف.

٥- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٣٥٥ بتصرف.

٦- مختصر الصواعق لابن القيم ٥٤٧/٢ بتصرف.

٦- أن الذين لا يحتجون بأحاديث الآحاد في العقيدة، أنكروا تلقائياً مجموعة من العقائد التي تعتبر من أصول هذا الدين، وإن لم يصرحوا بهذا الإنكار، وذلك لأن هذه العقائد رويت بطريق أخبار الآحاد، ومنها على سبيل المثال:

أ- أفضلية نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- على غيره من الأنبياء.

ب- شفاعته -صلى الله عليه وسلم- العظمى في المحشر.

ج- شفاعته -صلى الله عليه وسلم- لأهل الكبائر من أمته.

د- معجزاته -صلى الله عليه وسلم- كلها ما عدا القرآن، ومنها معجزة انشقاق القمر فإنها مع ذكرها في القرآن تأولوها بما ينافي الأحاديث الصحيحة المصرحة بانشقاق القمر معجزة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ه- القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة.

و-الإيمان بسؤال منكر ونكير في القبر.

ز- الإيمان بعذاب القبر.

ح- الإيمان بضغطة القبر.

ط- الإيمان بالصراط.

ي- الإيمان بحوضه -صلى الله عليه وسلم-[١].

وغير ذلك من المعتقدات الواردة بطريق أخبار الآحاد؛ ويقال للأحباش: إن أنكرتم خبر الآحاد، فيلزمكم من ذلك إنكار الكثير من المعتقدات –والتي سبق تبين بعضها– وهذا يوقعكم في خلل اعتقادي جسيم، وإن قلتم: إننا نؤمن بهذه الأمور كلها، فيقال لكم: أنتم بذلك خالفتم منهجكم في رد خبر الآحاد وبالتالي كلامكم مردود عليكم، لوجود التناقض الواضح والظاهر ما بين الجانب الاعتقادي والجانب العملي.

وبعد هذا العرض لخبر الآحاد، يتبين مما لا يترك شكاً فيه أن الاعتقاد الصحيح فيه: أنه يفيد العلم اليقيني، إضافة إلى العمل به[٢]، وأي قول خلاف هذا مردود على صاحبه، إلا أن

١- انظر: رسالة –وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة– لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ص٣٦–٣٩، الناشر: الدار السلفية، الكويت، ودار العلم مصر -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر–، أصل الاعتقاد د. الأشقر ص٧٥–٧٨، موسوعة أهل السنة لدمشقية ١/٥٢٠–٥٢١.

٢- لمزيد من الردود على من أنكر إفادة خبر الآحاد العلم اليقيني، انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٢/ ٥١٧–٥٧٩، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٣٥٥–٣٥٦، لوامع الأنوار للسفاريني ١/١٧٢٠، وجوب الأخذ بحديث الآحاد للألباني ص٥–٣٩، أصل الاعتقاد د. الأشقر ص٤٢–٧٤، موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن بن صالح المحمود ٢/٧٤٤–٧٥١.

يأتي بالأدلة الصحيحة الصريحة التي تنقض هذا القول؛ ويذهب سلف الأمة في خبر الآحـــاد أنه يوجب العلم والعمل جميعاً، وهو الحق وعليه أهل العلم وأئمة الإسلام[1].

١- انظر: الدين الخالص السيد محمد حسن بن حسن القنوجي البخاري ٢٨٤/٣، الناشر: مكتبة دار التراث، القاهرة –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

المبحث الرابع: الاجتهـــاد والتقليـــد:

المطلب الأول: تعريف الاجتهاد والتقليد عند الأحباش:

أولاً: تعريف الاجتهاد:

يعرف الحبشي الاجتهاد بقوله: "هو استخراج الأحكام التي لم يرد فيها نصٌ صريحٌ لا يحتمل إلا معنى واحداً"[1].

ثانياً: تعريف التقليد:

عندما أراد الحبشي أن يُعرف التقليد، لم يوضح المعنى الاصطلاحي المتداول في كتب الأصول، وإنما اكتفى بقوله: "وأما المقلد لم يصل إلى هذه المرتبة"[2]، وفي موضع آخـــر زاد "بل يعمل بما قال المجتهدون"[3]، ويقصد أن المقلد لم يصل إلى درجة المجتهد.

ولتوضيح المقصود بالاجتهاد والتقليد لا بد من الرجوع إلـــى معـــاجم اللغـــة وكتـــب الأصول التي عرفتهما.

تعريف الاجتهاد والتقليد في اللغة:

١- **الاجتهاد**: والاجتهاد مأخوذ من "الجُهْدَ..جهدت نفسي وأجهدتها، ويقولون: لأبلُغَنَّ جَهْـدَايَ في الأمر وجُهيداي... والاجتهاد:الإشراف والظهور"[4]، وجاء في لسان العرب "الجهُـدُ: الطاقة...والاجتهاد: بذل الوسع والمجهود"[5]، والمعنى نفســه قــال بــه صــاحب تــاج العروس[6].

والجهد "ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق فهو مجهود"[7]، ومما سبق يتبين لنا أن الاجتهاد يعود في معناه اللغوي إلى: بذل الطاقة، وغاية الوسع والمجهود لدى الإنسان.

٢- **التقليد في اللغة**: التقليد من قلد و"قَلَدَ الماء في الحوض، واللبن في السّقاء، ... يقلده قلْـداً: جمعه فيه"[8]، وقد قلده قلاداً وتقلْدَها، ومنه التقليد في الدين، وتقليد الولاة الأعمال وتقليـد

١- الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٣،وانظر:الشرح القويم للحبشي ص٤٠٤،صريح البيان للحبشي ص٥٤.

٢- الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٤، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص٤١٤، صريح البيان للحبشي ص ٥٤-٥٥.

٣- صريح البيان للحبشي ص٥٦.

٤- المحيط في اللغة لابن عباد ٣٦٩/٣-٣٧٠.

٥- لسان العرب لابن منظور ٧٠٩/١.

٦- انظر: تاج العروس للزبيدي ٥٣٩/٧.

٧- تهذيب اللغة للأزهري ٣٧/٦.

٨- لسان العرب لابن منظور ٣٧١٨/٤.

البُدْن، أن يجعل في عنقها شعارٌ يُعْلَم به أنها هدْىً"[1]، "وأقلد البحر على الناس: أي ضمر عليهم وأحصنهم في جوفه... وتقلْدت السيف والأمرَ إذا التزمته"[2].

والتقليد فيما سبق يرجع في معناه إلى: الحماية والحفظ والالتزام.

أما تعريف الاجتهاد والتقليد في اصطلاح الأصوليين:

١ - الاجتهاد في الاصطلاح:

تعددت الأقوال في تعريف الاجتهاد اصطلاحاً، ولكنها في الحقيقة تتفق في القصد، ومما جاء في تعريف الاجتهاد هو: "استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه لوم مع استفراغ الوسع فيه"[3]، أو هو "استفراغ الجهد في درك الأحكام الشرعية"[4]، أو هو "عبارة عن بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة وجهد"[5].

٢ - التقليد في الاصطلاح:

ويقصد بالتقليد هو "عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، معتقداً للحقيّة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل"[6].

أو هو عبارة عن: قبول قول الغير بغير دليل وحجة[7].

وفي التدقيق في تعريف الحبشي للاجتهاد، يظهر فيه القصور واضحاً، حيث جعل الاجتهاد قاصراً على استخراج الأحكام من النصوص غير الصريحة فقط، والفقهاء قالوا بخلاف ذلك، ويتضح هذا الأمر من خلال ما جاء عن الإمام محمد أبو زهرة، حيث يبين أن للاجتهاد ميادين أخرى وهى "تعرف المرامي والمقاصد من جملة النصوص الشرعية، بأن تتعرف الحكمة في كل نص شرعي جاء بحكم، ويستخرج الضابط الذي يصح أن يطلق بمقتضاه الحكم في كل موضع يشبهه، ثم تتعرف مقاصد الشريعة جملة من مجموع ما استنبط من ضوابط الأحكام المختلفة... وثانيهما: في الاستنباط مما وراء النصوص فيما لم يوجد فيه

١- لسان العرب لابن منظور ٣٧١٨/٤، وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣٤١/١-٣٤٢، الصحاح للجوهري ٢٧/٢.

٢- المحيط في اللغة لابن عباد ٣٤٨/٥.

٣- التحصيل في المحصول محمود بن أبي بكر الأرموي ص٢٨١، دراسة وتحقيق: د. عبد الحميد علي أبو زنيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤- نهاية السُول في شرح منهاج الأصول لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تأليف: جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الآسنوي الشافعي ٥٢٤/٤، الناشر: عالم الكتب -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٥- المستصفى للغزالي ص٣٥٠.

٦- التعريفات للجرجاني ص٧٢.

٧- انظر: المسودة لآل تيمية ص٤١١، ٤١٤، الإحكام للآمدي ٢٩٧/٤، المستصفى للغزالي ص٣٨٧.

نص..."[١]، فيلاحظ أن الاجتهاد في عُرف الفقهاء قد تعدى استخراج الأحكام من النصوص، إلى التعرف على الحكمة من مرامي الشريعة، واستنباط الأحكام فيما لا يوجد فيه نص.

ويؤخذ أيضاً على تعريف الحبشي قوله : "استخراج الأحكام التي لم يرد فيها نص صريح"[٢]،حيث يترك الحبشي المجال أمامه وأمام أتباعه للخوض في النصوص الشرعية وفق أهوائهم، بحجة أنها غير صريحة، وهذا يتضح جلياً من خلال خوضهم في آيات وأحاديث الصفات[٣]، مستندين على هذا القول ومحتجين به على صحة ما يقومون بالعبث في النصوص الشرعية وفق أهوائهم.

المطلب الثاني: شروط الاجتهاد عند الأحباش:

يذكر الحبشي مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوفر في المجتهد حتى يكون له أهلية على الاجتهاد،ويوضحها بقوله : "فالمجتهد من له أهلية ذلك، بأن يكون حافظاً لآيات الأحكام، وأحاديث الإسناد، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، ومع إتقان اللغة العربية، بحيث إنه يحفظ مدلولات ألفاظ النصوص على حسب اللغة التي نزل بها القرآن، ومعرفة ما أجمع عليه المجتهدون، وما اختلفوا فيه... ويشترط فوق ذلك شرط وهو ركن عظيم في الاجتهاد، وهو فقه النفس أي قوة الفهم والإدراك، ويشترط في المجتهد أيضاً العدالة، وهى السلامة من الكبائر -وعدم- المداومة على الصغائر..."[٤]؛ ثم يخرج بنتيجة مفادها: أن المجتهدين من الصحابة أقل من عشرة فيقول: "... المفتين في الصحابة أقل من عشرة"[٥]، وفي موضع آخر يتراجع الحبشي عن هذا الرقم في عدد المفتين من الصحابة، ويقدر بأنهم مئتان، فيقول في ذلك: "وقال بعض العلماء: نحو مائتين منهم بلغوا رتبة الاجتهاد"[٦]، دون أن يذكر تراجعه عما قال به سابقاً.

١- تاريخ المذاهب الإسلامية (في تاريخ المذاهب الفقهية) محمد أبو زهرة ص٥-٦، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢- الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٣.

٣- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٦٤،١٢٣،٨٤، الصراط المستقيم للحبشي ص٤١-٥٣، الشرح القويم للحبشي ص١٦١-٢٠٠.

٤- الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٣-١٠٤، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص٤٠٤-٤١٣، صريح البيان للحبشي ص٥٤-٥٥.

٥- الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٥، وانظر: صريح البيان للحبشي ص٥٧.

٦- الشرح القويم للحبشي ص٤١٩.

فأما ما ذكر من شروط الاجتهاد عند الأحباش، فقد وافقوا فيها أهل الأصول إلا زيادات في بعضها[١]، مثل قوله: "أن يكون حافظاً لآيات الأحكام وأحاديث الإسناد"[٢]، حيث شدد الحبشي هنا بالحفظ عن ظهر قلب، أما علماء الأصول اكتفوا بالعلم بآيات وبأحاديث الأحكام، كما قال الباجي[٣] صاحب كتاب أحكام النصوص في حق المجتهد، بأن يكون "عالماً بأحكام الكتاب، وإن لم يكن من شرطه أن يكون تالياً لجميعه، عالماً بالسنة..."[٤]، وفي هذا المعنى يذكر الزبيدي[٥] في إتحاف السادة ما يجب أن يتوفر في المجتهد فيقول: "...العلم بكتاب الله تعالى، ولا يشترط العلم بجميعه، بل بالأحكام ولا يشترط في حفظه عن ظهر قلب، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا جميعها،بل ما يتعلق منها بالأحكام..."[٦]، وبالتالي يتبين أنه ليس شرطاً في الاجتهاد أن يكون المجتهد حافظاً لآيات الأحكام وأحاديث الإسناد بل يكتفي بالعلم .

وتعدد أقوال الحبشي في عدد المجتهدين من الصحابة إنما يدل على التردد في أراء الحبشي، وعدم الثبات على رأي واحد، ويستند لما يقول في هذه الجزئية على ما جاء في كتب علوم الحديث مثل: كتاب علوم الحديث لابن الصلاح[٧]؛ وعند الرجوع لكتاب ابن

١- انظر: شروط الاجتهاد عند علماء الأصول: كشف الأسرار شرح المصنف على المنار لأبي البركات عبدالله بن أحمد المعروف (حافظ الدين النسفي) ٣٠٠/٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، إرشاد الفحول للشوكاني ص٢٥٠.

٢- الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٤ ، وانظر: صريح البيان للحبشي ص٥٤-٥٦.

٣- **الباجي**: الإمام العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التُّجيبيُّ، الأندلسي، القرطبي، الباجي، الذهبي (أبو الوليد) صاحب التصانيف، نسبة إلى باجة بُليدة قرب اشبيلية، ولد سنة ٤٠٣هـ، وتوفي سنة ٤٧٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٣٥/١٨-٥٤٥، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٠٨/٢-٤٠٩، معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٤٦/١١-٢٥١.

٤- إحكام الفصول في أحكام الأصول لأبي الوليد سلميان بن خلف الباجي ص٦٣٧، تحقيق: د. عبدالله محمد الجبوري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٥- **الزبيدي**: محمد بن محمد بن محمد عبد الرازق الحسيني، الزبيدي، الملقب بمرتضى (أبو الفيض) لغوي، نحوي، محدث، أصولي، أديب، ناظم، ناثر، مؤرخ، نسابة، مشارك في عدة علوم، أصله من واسط في العراق، ولد في بلجرام من الهند، ومنشأه زبيد باليمن، ولد سنة ١١٤٥هـ، توفي سنة ١٢٠٥هـ. انظر: معجم المؤلفين لكحالة ٢٨٢/١١-٢٨٣، الأعلام للزركلي ٧٠/٧.

٦- إتحاف السادة للزبيدي ٤٥٨/٢.

٧- **ابن الصلاح**: الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي أبو عمرو، ولد سنة ٥٧٧هـ، وتوفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: سير الأعلام للذهبي ١٤٠/٢٣-١٤٤، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٤٣/٢-٢٤٥، تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٣٠/٤-١٤٣٣.

الصلاح، يتضح أنه يتحدث عن أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويذكر روايات في ذلك، فمن هذه الروايات، ما رواه الإمام أحمد بن حنبل قوله: "ستة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثروا الرواية عنه وعمروا: أبو هريرة، وابن عمر، وعائشة، وجابر بن عبدالله، وابن عباس، وأنس، وأبو هريرة أكثرهم حديثاً وحمل عنه الثقات[1]، ثم يذكر أكثر الصحابة فتياً تروى عن ابن عباس كما روى ذلك الإمام أحمد[2]، ويبين أن أكثر الصحابة دراية بالفقه ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس، وأن لكل رجل منهم أصحاب يقولون بقوله، ويفتون الناس[3]؛ والذي قال به ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث، قال به السيوطي في كتابه تدريب الراوي[4].

وعند تدقيق النظر في أقوال ابن الصلاح والسيوطي، يظهر خطأ قول الحبشي، بأن عدد المجتهدين أقل من عشرة أو بلغوا مائتين، حيث أن أقوال ابن الصلاح والسيوطي التي استند إليها الحبشي في هذه الجزئية، واضحة لا لبس فيها، وهى تبين أكثر الصحابة فتياً وأكثرهم دراية بالفقه[5]، ولم تحدد عددهم كما قال الحبشي، وإنما هذا القول من عنده .

ويقال للحبشي أن تحديد الاجتهاد بعدد معين من الصحابة لا يصح، حيث لم ترد رواية تحدد عدد المجتهدين من الصحابة تحديداً يقطع القول به، وإنما غاية ما ورد من الروايات تبين أكثرهم فتيا[6] هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى هناك من الصحابة مجتهدين لم يذكرهم العلماء إما لقلة فتواهم وإما بسبب موتهم قبل انتشار علم الحديث أمثال أبي بكر الصديق وهو علم من أعلام الصحابة وفي ذلك يقول السيوطي: "السبب في قلة ما روى عن أبي بكر -رضى الله عنه- مع تقديمه وسبقه وملازمته للنبي -صلى الله عليه وسلم- أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصيله وحفظه"[7]، وما قيل في أبي بكر يقال في كثير من الصحابة رضوان الله عليهم.

١- علوم الحديث لأبي عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف (بابن الصلاح) ص٢٩٦، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر، دمشق -بدون رقم طبعة- ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢- انظر: المصدر السابق ص٢٩٦.

٣- انظر: المصدر نفسه ص٢٩٧.

٤- انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النووي لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢/٢١٦-٢١٩، الناشر: دار التراث، القاهرة، ط الثانية ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٥- انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٩٦-٢٩٧، تدريب الراوي للسيوطي ٢/٢١٨-٢١٩.

٦- انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٩٦، تدريب الراوي للسيوطي ٢/٢١٨.

٧- تدريب الراوي للسيوطي ٢/٢١٨.

ويقال للحبشي أيضاً: إن المجتهدين في الدين بلغوا عشرات المئات إلى يومنا هذا، فكيف تجعل عدد المجتهدين من الصحابة على أحسن الأحوال أنهم بلغوا مئتين، مع أنهم أفضل منا علماً، واجتهاداً، وورعاً، وعقلاً، ولذلك يقول الشافعي في حق الصحابة: "وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر واستُدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا لأنفسنا"[١]، فذلك يرد على الحبشي الذي جعل عدد المجتهدين منهم في أحسن الأحوال مئتين.

ومن ضمن الشروط التي يجب أن يتصف بها المجتهد -كما قال الحبشي- أن يتميز بفقه النفس أي قوة الفهم والإدراك[٢]، ثم يبين أن الذين بلغوا درجة الاجتهاد من الصحابة أقل من عشرة، وفي موضع آخر يبين أن المجتهدين من الصحابة بلغوا المائتين[٣]، وبالتالي يكون بقية الصحابة مقلدين، وفي المقابل يصف الأحباش زعيمهم الحبشي: بأنه مجتهد[٤]، وقالوا فيه "شيخ الإسلام والمسلمين... مجدد القرن الرابع عشر... شيخنا وقدوتنا وسيدنا وسندنا المحدث الحافظ العلم النحرير المحقق المدقق اللغوي النحوي المتكلم المفسر النظار الأصولي الشيخ عبدالله الهرري المعروف بالحبشي"[٥]، وفي مواضع أخرى وصفوه "... حاضر الذهن، قوي الحجة، ساطع الدليل، حكيم يضع الأمور في مواضعها..."[٦]، أي اعتبر الأحباش زعيمهم الحبشي مجتهد فيقال لهم: "...فأخبرونا هل شيخكم فقيه النفس قوي القريحة كامل الذكاء أم لا؟ إن قلتم: نعم، جعلتموه خيراً من الصحابة، وإن قلتم:لا -فأنتم لم ولن تقولوا- طعنتم في سلطانكم ورميتموه بالغباوة..."[٧]، وبالتالي "هل ترضون أن نضعه في قائمة الصحابة المقلدين، أم أنكم ترونه أعلى قدراً من أن يكون بين الصحابة المقلدين..."[٨]، وهؤلاء الصحابة قد مدحهم الله في العديد من الآيات منها قوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾

١- علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٩٧.

٢- الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٤ بتصرف، وانظر: صريح البيان للحبشي ص٥٥، المطالب الوفية للحبشي ص١٦٢.

٣- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٥، الشرح القويم للحبشي ص٤١٩.

٤- المقالات السنية لابن صهيب المالكي ص١٢٠ بتصرف.

٥- مقدمة -رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري- تقديم: محمد الولي (أحد تلاميذ الحبشي) ص٥، الناشر: دار المشاريع، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٦- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٣، المطالب الوفية للحبشي ص١٦، الشرح القويم للحبشي ص١٠، وغيرها من كتب الحبشي في التعريف به.

٧- المقالات السنية لعبد العزيز بن صهيب ص١٢٠.

٨- موسوعة أهل السنة لدمشقية ٩٧٦/٢.

[التوبة:١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، أما من السنة ما جاء من مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- لصحابته بقوله: "خير الناس قرني..."[١]، وهذه الشهادة من النبي بأفضلية صحابته على غيرهم من الناس، وكفى بها من شهادة.

المطلب الثالث: موقف الأحباش من التقليد والاجتهاد:

يرى الحبشي أن من كان دون مرتبة الاجتهاد فعليه أن يتبع المجتهد يقول في ذلك: "العالِم الذي هو دون مرتبة الاجتهاد فعليه أن يتبع المجتهد ويستند إلى قوله"[٢]، وأنه لا يصح الاجتهاد مع وجود النص القرآني أو نص حديثي ثابت، ومن قال بخلافهما فقوله مردود وفي ذلك يقول الحبشي: "ومن المهم معرفة أنه لا يصح القول بالاجتهاد لاستخراج حكم باسم الشرع مع نص قرآني أو نص حديثي ثابت، فمن اجتهد مع النص فقال بخلافه فقوله مردود لا يجوز لأحد اتباعه في ذلك"[٣].

يرى الحبشي أن من اجتهد ولم تتوفر فيه شروط الاجتهاد، فإن قال برأيه ولو صادف الصواب فهو عاصٍ فيقول: "... بل هذا إذا قال رأيه ولو صادف الصواب فهو عاصٍ"[٤].[٥]

ويقرر الحبشي أن الاجتهاد إنما يكون في الفروع وليس في الأصول الاعتقادية فيقول: "ثم إن مما ينبغي بيانه أن الأئمة تكون اجتهاداتهم في الفروع وليس في أصول العقيدة..."[٦].

ومع ما تم تقريره من قِبل الحبشي -كما سبق بيانه- نجده يخاطب الناس في كتاباته، ألاّ يكونوا أسرى للتقليد في غير معنى فيقول: "فلا تكن أسير التقليد في غير معنى"[٧]، وهنا

١- صحيح البخاري، كتاب فضائل النبي -صلى الله عليه وسلم -، باب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن صحب النبي -صلى الله عليه وسلم- أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، ح ٣٦٥١، ٢٢٩/٤، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ح٢٥٣٣، ١٩٦٢/٤.

٢- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣١٧.

٣- المصدر السابق ص٣١٧، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص٤١٧.

٤- المطالب الوفية للحبشي ص١٦٢.

٥- وهذا يتفق مع منهج علماء السلف، حيث يقول شارح الطحاوية: "ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله، ولم يتلقِ ذلك من الكتاب فهو مأثوم، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف أجره" شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٩٦.

٦- الشرح القويم للحبشي ص٤١٧، وانظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣١٩.

٧- بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب لعبدالله الهرري (الحبشي) ص٣٢، الناشر: دار المشاريع الخيرية، لبنان، ط الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

دعوى مفتوحة للاجتهاد من جهة الحبشي، وفي المقابل نجده يبين أن الاجتهاد ليس لكل فـرد من أفراد المسلمين وإلا يؤدي ذلك إلى ضياع الدين فيقول: "فالاجتهاد مشروع لأهله، ولـيس لكل فرد من أفراد المسلمين وإلا لضاع الدين ..."[١].

والأحباش في منشوراتهم يدعون إلى نشر فكر التقليد، وفي المقابل يهاجمون كل مـن يحاول فتح باب الاجتهاد الذي أغلق، فعلى سبيل المثال: نجد أن كتابـاتهم ممتلئـة بـالهجوم العنيف على الوهابيين[٢]، ووصفهم بأشنع الصفات وأفظعها[٣]، ويهاجمون أيضاً الشخصـيات الإسلامية العاملة من العلماء أمثال الدكتور يوسـف القرضـاوي[٤]، وغيـره مـن العلمـاء المخلصين .

بل إن الأمر تعدى هذا الحد، وبلغ الأمر بالحبشي أن يـرفض أن يقـوم أي شـخص بتفسير آية أو حديث بدون التلقي من أفواه العلماء[٥].

ولا شك في أن هذه دعوى تؤدي إلى تنفير الناس من الدين، وجعله قاصراً على مجموعة من الناس، وبالتالي تؤدي إلى الجمود في فهم الدين والتعامل مع أحكامه.

وبعد هذا العرض لموقف الأحباش من التقليد والاجتهاد يظهر التناقض واضحاً وجلياً، وهذا التناقض يعتبر سمة واضحة ومميزة في فكر الحبشي، لأنه ابتعد عن المعين الصافي الكتاب والسنة، فتارة ينهل من معين المتكلمين وأخرى من الفلاسفـة وثالثـة مـن الصوفيين، ويقوم بـالمزج بين أفكار أولئك القوم، فتكون النتيجـة الحتمية التناقض والتضـارب فـي المعتقـد بـه، فهنـا يرى الحبشي أن من دون مـرتبة الاجتهـاد فعليه اتباع المجتهـد[٦] وهـذا كـلام حـق، ثم

١- صريح البيان للحبشي ص٥٩.

٢- **الوهابيون**: هم جماعة انتهجت منهج السلف الصالح، وتميزوا بالدعوة السلفية، وحمل لواء هذه الـدعوة محمد بن عبد الوهاب (١١١٥هـ-١٢٠٦هـ)، وسموا بالوهابيين نسبة له، ودعوتهم قائمة على أسـاس التوحيد الخالص وبنزع البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، انظر: موسوعة الفـرق والجماعـات للحفني ص٤٢٤-٤٢٧.

٣- انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٨٣،١٦١، صريح البيان للحبشي ص٣٩٧،٣٩٦،٣٧٠، مجلة منـار الهدى العدد٦ آذار ١٩٩٣م، ص٤٠-٤١، والعـدد ٩ تمـوز ١٩٩٣م، ص١٨-١٩، والعـدد ٧٤، آذار ١٩٩٩م ص١٩-٢١، ٢٩.

٤- انظر: كتابهم (النقض الكاوي لدعوى يوسف القرضاوي) تأليف: خليل دريان، الناشـر: دار المشـاريع الخيرية، لبنان، ط الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، و(نصيحة لعامة المسلمين-القرضاوي في ميزان الشريعة) إعداد جمعية المشاريع الخيرية -فرع ألمانيا- نقلاً عن شبكة المعلومات العالمية www.aicp.de .

٥- انظـر: الصـراط المستقيـم للحبشـي ص١٠٦، الشـرح القويم للحبشي ص٤٢١، صـريح البيـان للحبشي ص٥٩.

٦- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣١٧.

يعود ويناقض نفسه عندما يخاطب العوام بألاّ يكونوا أسرى للتقليد الأعمى[1]، ويتضح من أقوال الحبشي لكل ذي لُب، أنه يُجيّر هذه الأقوال لصالحه، بحيث يقصد بأن على الناس اتباع المجتهدين أمثاله، حتى لا يعارضوه فيما يقول، وعندما يجد خصومه مخالفين له، يدعو الناس بألا يكونوا أسرى للتقليد، وعليهم أن يعملوا عقولهم، وهذا واضح من خلال اجتهادات الحبشي التي خالف فيها سلف الأمة مثل: تأويله آيات وأحاديث الصفات[2]، حيث يعتبر نفسه مجتهداً، وعلى الناس إتباعه فيما يقوله أو ينقله عن الخلف، وأما إذا كان الأمر مع أنصار مخالفيه -كما سبق توضيح ذلك- سواء جماعات مثل: الوهابيين أو أفراداً مثل: ابن تيمية، وغيره من العلماء العاملين القدامى والمعاصرين، فيناقض الحبشي نفسه، ويطلب منهم ترك التقليد وإعمال عقولهم.

ولم تقتصر تناقضات الحبشي على الأقوال، بل تعدتها للتناقض بين القول والاعتقاد حيث يصرح بأن الاجتهاد يكون في الفروع وليس في الأصول[3]، ومن المعلوم أن ما يتعلق بذات الله من الصفات بناه على أقوال الرجال ممن سبقوه من الخلف أو بناء على توهمات من عقله يطرحها، ومع هذا يعترف بأن تأويلاته مظنونة وغير مرجوجة فيعلق بهذا القول على تأويله لصفة الاستواء بالقهر ثم يعلق بقوله: "إنما يظن ظناً راجحاً"[4].

ولكن مع هذا التناقض الموجود لدى الحبشي في فتح باب الاجتهاد والتقليد الحرفي، يظهر عليه الميل الشديد إلى التقليد، ولا يألو جهداً في نشر فكر التقليد، ومهاجمة كل من يخالفه القول[5]، ولمعرفة مدى حرصه على الالتزام بالتقليد، يرفض أن يقوم أي شخص بتفسير آية أو حديث دون تلقي العلم من أفواه العلماء[6]، ولا شك في أن ذلك يؤدي إلى الجمود في فهم الدين، بل يؤدي إلى تنفير الناس منه والابتعاد عنه، بسبب التشدد في التعامل مع النصوص الشرعية، وجعله قاصراً على فئة محدودة يمكن أن يطلق عليها -رجال الدين- كما حصل في الدين النصراني عندما جعلوا فهم نصوصه مقصوراً على رجال الكنيسة، مما أدى إلى نتائج سلبية في المجتمع النصراني، حيث تم تنفير الناس من الدين، وهروبهم منه،

١- انظر: بغية الطالب للحبشي ص٣٢.

٢- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤١-٥٣، الشرح القويم للحبشي ص١٦١-٢٠٠.

٣- انظر: الشرح القويم للحبشي ص٤١٧.

٤- المصدر السابق ص١٦٣.

٥- انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٨٥،١٨٣،١٦١، صريح البيان للحبشي ص٣٩٧،٣٩٦،٣٧٠، مجلة منار الهدى العدد٦ آذار ١٩٩٣م ص٤٠-٤١، والعدد ٩ تموز ١٩٩٣م ص١٨-١٩، والعدد٧٤ آذار ١٩٩٩م ص١٩-٢١، ٢٩، وغير ذلك من التهجمات الكثيرة منثورة في كتابات الأحباش.

٦- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٦، الشرح القويم للحبشي ص٤٢١،صريح البيان للحبشي ص٥٩.

بل ومن كل شيء يتصل به. ويرد على الحبشي في دعوته للتقليد بـالقول لـه: هـل حـذر الرسول صحابته ألاّ يبلغوا شيئاً إلا بعد أن يستمعوا إليه، ويأخذوا النصوص الشـرعية منـه شفهياً، أم أنه -صلى الله عليه وسلم- حذرهم من الكذب عليه؛ فإن قلت: بالقول الأول، فهـذا مردود بفعل الصحابة، حيث إنهم كانوا يسمعون من بعضهم البعض، ويبلّغـوا مـا سـمعوه، مادام الناقل ثقة لا يتهم بالكذب أو ما شابه ذلك، ومثال ذلك: ما جاء في قصة تحويـل القبلـة في مسجد قباء[1]، ولم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يرفضون الأخذ مـن بعضـهم الـبعض، وخاصة في حياته -صلى الله عليه وسلم- وإنما كانوا يرجعون إليه إذا استشكل عليهم أمـر من الأمور، ومثال ذلك: ما رواه ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُـوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام:٨٢] ، شق ذلك على الناس، فقالوا:يا رسول الله، وآينا لا يظلم نفسه، قـال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قاله العبد الصالح ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:١٣]، إنمـا هو الشرك[2]، بل إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يشجع صحابته على نشر هذا الدين فيقول -صلى الله عليه وسلم- "بلغوا عني ولو آية"[3]، ولم يشترط الرسول -صلى الله عليه وسـلم- فـي تبليغ هذا الدين الرجوع إليه للتلقي شفهياً، وإنما الذي ورد عنه -صلى الله عليه وسـلم- تحـذيره الشديد ممن يكذب عليه "من كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار"[4].

الرد على الأحباش في ميلهم الشديد إلى التقليد من خلال التالي:

أولاً:- ما جاء في القرآن من ذم الأقوام السابقة لتقليدهم الأعمى لمن سبقوهم، قـال تعـالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّـةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَـوْ جِئْـتُكُمْ بِأَهْـدَى مِمَّـا وَجَـدْتُمْ عَلَيْـهِ ءَابَـاءَكُمْ**﴾ [الزخرف:٢٣-٢٤]، فمنعهم الإقتداء الأعمى بآبائهم، الاهتداء إلى الحق ودعـوة الله، فقـال القرآن على لسانهم ﴿**إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾ [سبأ:٣٤].

- وأيضاً ما رواه ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم) في ذم التقليد من خلال ما قيـل لعدي بن حاتم في قوله تعالى: ﴿**اتَّخَـذُوا أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَـانَهُمْ أَرْبَابًـا مِـنْ دُونِ اللَّـهِ**﴾

١- سبق تخريجه، انظر: ص٤٧.

٢- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة)، ح٣٤٢٩،٤/١٦٥، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان والإخلاص ح١٢٤، ١/١١٤-١١٥.

٣- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح٣٤٦١، ٤/١٧٥.

٤- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب أثم من كذب على النبي -صلى الله عليه وسلم-، ح١١٠، ١/١٤١، وأيضاً كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، ح١٢٩١، ١/١٠١، صحيح مسلم، المقدمـة، باب تغليظ الكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ح٣، ١/١٠.

[التوبة:٣١]، "أكانوا يعبدونهم، قال: لا، ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيحلونه، ويحرمــون عليهم الحلال فيحرمونه"[١].

- وما جاء في ذم التقليد الأعمى، مثل قوله تعالى: ﴿**مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**﴾ [الأنبياء:٥٢-٥٣]، وغير ذلك الكثير من الآيــات التــي تعيب على الكفار التقليد الأعمى بغير حجة وبرهان على صحة مثل عبادة الأصنام وطاعــة الرؤساء في معصية الله ﴿**إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾ [الأحزاب:٦٧].

ثانياً: -لقد ذم السلف الصالح التقليد بغير حجة وبرهان،وشنعوا في بيان قبحه،وقبح القائــل به، ورفضوه بالكلية؛ ومن النصوص الواردة في هذا المعنى:

- ما رواه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتــي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، فقيل يا رسول الله: كفارس والروم، قــال: "ومن الناس إلا أولئك"[٢] وفيه ينهى-صلى الله عليه وسلم- عن التقليد الأعمى من اتبــاع عادات الأقوام السابقة بغير حجة وبرهان.

ويقول أيضاً -صلى الله عليه وسلم-:"إياكم والظن، فإن الظــن أكــذب الحــديث"[٣]، والتقليد هو عبــارة عــن اتبــاع قــول الآخرين، بدون برهان ولا دليل ، فهو من الظــن المنهي عنه.

- وما جاء عن الإمام علي -رضي الله عنه- أنه قال: "إياكم والاستنان بالرجــال، فــإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة، ثم ينقلب لعلم الله فيه، فيعمل بعمل أهل النار، فيموت وهــو من أهل النار، إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، فينقلب لعلم الله فيه، فيعمل بعمــل أهــل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة، وإن كنتم لا بد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء"[٤].
- وأيضاً ما قاله ابن عباس -رضي الله عنه-: "ويل للاتباع من عثرات العــالم، قيــل: كيف ذلك، قال: يقول العالم شيئاً برأيه، ثم يجد من هو أعلم برسول الله -صلى الله عليــه وسلم- فيترك قوله ذلك، ثم يمضي الأتباع"[٥].

١- جامع بيان العلم لابن عبد البر ٩٧٧/٢.

٢- صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم - لتتبعن سنن من كان قبلكم، ح٧٣١٩، ١٩١/٨.

٣- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه، ح٥١٤٣، ١٦٦/٦، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، ح٢٥٦٣، ١٩٨٥/٤.

٤- جامع بيان العلم لابن عبد البر ٩٨٧/٢.

٥- المصدر السابق ٩٨٤/٢.

- وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه كان يقول: "اغد عالماً، أو متعلماً، ولا تغـدونَّ إمعة فيما بين ذلك"[١].
- قال سفيان بن عيينة: "اضطجع ربيعة مقنعاً رأسه وبكى، فقيل له: ما يبكيـك، فقـال: رياء ظاهر وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم ما نهوهم عنه انتهوا وما أمروهم به ائتمروا"[٢] وفيه ذم واضح للتقليد الأعمى للعلماء دون البحـث عـن البرهان والدليل، والاعتماد المطلق على أقوال علمائهم.
- لقد نهى الأئمة الأربعة الناس عن تقليدهم في كل ما يقولـون دون الرجـوع للكتـاب والسنة، للتحقق من صحة أقوالهم.
• فقال أبو حنيفة: "هذا رأي، وهذا أحسن ما رأيت،فمن جاء برأي خير منه قبلناه"[٣] وفي هذا نهي عن التقليد الأعمى.
• ومالك كان يقول: "إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة"[٤] أي ما كان موافقاً للكتاب والسنة فليتبعه الناس فيه،وما كان خلاف ذلك لا بد من التأكد منه من خلال عرضه على الكتاب والسنة.
• ما ورد عن الشافعي في ذمه للتقليد بغير علم، قوله: "كل ما قلتُه، فكان من رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- خلاف قولي مما صحَّ، فهو أولى ولا تقلدوني"[٥] وقوله أيضاً: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقولوا بهـا ودعـوا مـا قلته"[٦] وفي هذا ترغيب فيما جاء في السنة مقابل التشنيع على التقليد بغير برهان.
• قول الإمام أحمد بن حنبل: "لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكـاً ولا الشـافعي ولا الثـوري وتعلموا كما تعلمنا"[٧].
- ويعلق ابن عبد البر على آيات في كتاب الله ذمت أهل الكفر لتقليدهم السـابقين بغيـر دليل، فيقول: "وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك مـن جهة الاحتجاج بها لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخـر، وإنمـا وقـع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد... فإذا بطل التقليد بكل ما ذكرنـا وجـب التسـليم

١- جامع بيان العلم لابن عبد البر ٩٨٤/٢.
٢- المصدر السابق ٩٨٩/٢.
٣- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١١٧/٢٠.
٤- المصدر السابق ١١٧/٢٠.
٥- سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣/١٠، وانظر: حلية الأولياء للأصفهاني ١٠٧/٩.
٦- سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤/١٠.
٧- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١١٧/٢٠-١١٨.

للأصول التي يجب التسليم لها، وهى الكتاب والسنة أو ما كان في معناهما بــدليل جــامع بين ذلك..."[١].

- ولقد جاء عن السيوطي قوله: "التقليد باطل، لأن الله تعالى ذم الكفرة على التقليد فقــال حاكياً عنهم: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ**﴾ [الزخرف:٢٢]، فلا يجوز أن يشتغل الإنســان بما يستحق الذم عليه، ولأن فعله يحتمل الخطأ والصواب،والمحتمل لا يصلح حجة"[٢].
- وما قاله أبو عبدالله بن خواز منداد المالكي: "التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قــولٍ بلا حجة لقائله عليه، وهذا ممنوع في الشريعة، والاتباع ما ثبت عليه حجة"[٣]؛ إلى غيــر ذلك من الأقوال التي ذكرها علماء السلف[٤]، تبين قبح التقليد، وأنه منهي عنه، لأنه اتبــاع لقول الغير بلا دليل ولا برهان.

ولكن التقليد ليس منهياً عنه على الإطلاق، بل هناك حالات يجوز فيها التقليد، وهذا ما يوضحه ابن عبد البر بقوله: "... وهذا كله لغير العامة، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل -لعدم الفهم- إلى علم ذلــك، لأن العلم درب لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلــب الحجة... ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله تعــالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:٤٣]، ...وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا،وذلك والله أعلم لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم والقــول في العلم"[٥]؛ فالتقليد لغير العامة منهي عنه، أما العامة من الناس الذين لا يستطيعون الوصول إلى الدليل والبرهان على صحة المعتقد والمحكم، فيجوز لهم تقليد غيرهم من العلماء .

وخلاصة القول في هذه المسألة ما ذكره ابن تيمية حيث قال: "الذي عليه جماهير الأمة، أن الاجتهاد جائز في الجملة، والتقليد جائز في الجملة،لا يوجبون الاجتهــاد علــى كــل أحــد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، فالاجتهاد جائــز للقــادر

١- جامع بيان العلم لابن عبد البر ٩٧٨/٢.

٢- الاجتهاد ــ الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ــ لجــلال الــدين السيوطي ص١٣٥، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية -بدون رقم طبعة- ١٤٠٥هــ-١٩٨٥م.

٣- جامع بيان العلم لابن عبد البر ٩٩٣/٢.

٤- انظر: أقوال علماء السلف في ذم التقليد الأعمى: الاجتهاد للسيوطي ص٩٩-١٤٥، جامع بيان العلم لابن عبد البر ٩٧٧/٢-٩٩٧.

٥- جامع بيان العلم لابن عبد البر ٩٨٩/٢.

على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد"[1].

- ومن مظاهر ميل الحبشي إلى التقليد، ما يستخدمه من مصطلحات للفلاسفة والمتكلمين، والصوفية،في تقرير معتقده، مثل استخدامه للمصطلحات التالية: الواجب والممكن، والعرض والجوهر، الجزء الذي لا يتجزأ، وتحيزه في حيّز، موجود في الأزل، كل متغير حادث العدم، الجهة، والتركيب[2]... وغير ذلك الكثير من المصطلحات التي لم ترد عن السلف، ولم يعرفوها في تقرير العقيدة؛ بل إن الحبشي لم يكتفِ باستخدام المصطلحات نفسها التي يستخدمها المتكلمون والفلاسفة وغيرهم، بل ينقل النصوص نقلاً حرفياً، وهذا ما يوضحه صاحب كتاب (الرد على عبدالله الحبشي)، فيخاطب الأحباش بقوله: "...ثم إن كتاب شيخكم (الدليل القويم) تفوح منه رائحة التقليد والتعصب المذهبي، وهذا واضح لمن يمعن النظر فيه، وهو منقول نقلاً حرفياً عن كثير من كتب المتكلمين، نذكر من تلك الكتب: الإرشاد والشامل، ومناهج الأدلة وغيرهم، مقتطفات من قواعد العقائد (للغزالي)، والحبشي مقلد حتى في الأمثلة التي يضربها، فإن من أمثلته منقولة نقلاً عن تراث المتكلمين، كمثل: ...دليل التمانع الذي يذكره هو منقول عن الجويني في كتابه (الشامل)، فكيف يكون بعد ذلك بريئاً من التقليد والتبعية ؟"[3]، وهذا يؤكد ميل الحبشي إلى التقليد والتعصب الأعمى لمناهج المتكلمين، والمخالفة لمنهج السلف في إثبات العقائد من حيث عدم اعتمادهم على الكتاب والسنة.

١- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١١٢/٢٠-١١٣.

٢- انظر: شرح الصفات الثلاث عشرة لعبدالله الهرري (الحبشي) ص٨، ١٢،١٨، ٤٣، الناشر: دار المشاريع الخيرية، لبنان، ط الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، غاية البيان إعداد قسم الأبحاث ص١٥، ١٩، ٥٣، ٦٧، الصراط المستقيم للحبشي ص٣٢، ٣٤، ٣٦، المطالب الوفية للحبشي ص٣١، ٣٢، وغير ذلك من الكتب المليئة بمثل هذه المصطلحات من كتب الحبشي.

٣- الرد على عبدالله الحبشي لعبد الله محمد الشامي ص٣٩٨، الناشر: دار الطلاع -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

المبحث الخامس: علـــم الكـــلام:

المطلب الأول: تعريف علم الكلام: وموضوعه، وسبب التسمية.

أولاً: تعريف علم الكلام:

عرف الحبشي علم الكلام بقوله: "إنه علم يتكلم فيه عن أسماء الله تعــالى، وصــفاته، وأفعاله، وأحوال المخلوقين من الملائكة،والأنبياء، والأولياء،والأئمة، والمبدأ، والمعــاد علــى قانون الإسلام لا على أصول الفلاسفة"[١].

ولمعرفة مدى مطابقة تعريف الحبشي لعلم الكلام، مع أقوال العلماء الذين عرفوا علــم الكلام، لا بد من توضيح المعنى اللغوي لعلم الكلام:

أ- **علم**: جاء في معاجم اللغة بأن: "العلم نقيض الجهل: عَلِمَ علماً وعَلُمَ هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قومٍ علماء من لا يقول إلا عالماً... والعلَّام والعلّامة: النسابة وهو من العِلــم"[٢]، ويقال: "علمت الشيء اعلمه علماً: عرفته"[٣]؛ أي العلم مأخوذ من المعرفة وهــو نقــيض الجهل.

ب- **الكلام**: وجاء في معنى الكلام أن "الكلام القول...وقيل: الكلام ما كان مكتفيــاً بنفســه وهو الجملة، والقول ما لم يكن مكتفياً بنفسه وهو الجزء من الجملة"[٤]، ويعتبر "الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير"[٥]، ويقال: "كليمك الذي تكلمه ويكلمك..."[٦]؛ أي أن الكــلام ما يتلفظ به الإنسان، وهو يقع على القليل والكثير من الألفاظ.

أما عن التعريف الاصطلاحي لعلم الكلام، فقد عرفه العلمــاء بعــدة تعريفــات، بألفــاظ مختلفة، وترجع في مجموعها إلى مفهوم واحد مثل: "الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائــد الدينية؛ بإيراد الحجج، ودفع الشبه"[٧].

---

[١]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩، وانظر: صريح البيان للحبشي ص١٢، غاية البيان في تنزيه الله عن الجهة والمكان، إعداد قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية في جمعية المشاريع الخيرية الإســلامية ص٧، الناشر: دار المشاريع الخيرية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

[٢]- لسان العرب لابن منظور ٤ / ٣٠٨٣ ،وانظر:تهذيب اللغة للأزهري ٢ / ٤١٨ .

[٣]- الصحاح للجوهري ١٩٩٠/٥.

[٤]- لسان العرب لابن منظور ٣٩٢٢/٤.

[٥]- الصحاح للجوهري ٢٠٢٣/٥.

[٦]- تهذيب اللغة للأزهري ٢٦٤/١٠.

[٧]- المواقف في علم الكلام لعبد الرحمن بن أحمد الآيجي ص٧، الناشر: عالم الكتب، بيروت -بــدون رقــم طبعة أو تاريخ نشر-.

- وقيل: هو "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[١].
- أو هو "علم يبحث في الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام"[٢].

ويلاحظ على تعريف الحبشي لعلم الكلام قوله: "علم يتكلم فيه عن أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله..."[٣]، أنه يوجه دعوى مفتوحة لكل إنسان بأن يخوض في علم الكلام دون الحاجة الماسة لذلك، وهذا مخالف للمفهوم من التعريفات السابقة، حيث يستخدم هذا العلم للدفاع عن العقائد الإيمانية، أو لإثباتها أمام المخالفين وهذا وفق الكتاب والسنة دون الخوض في المقدمات الكلامية التي لا تصل إلى اليقين بل إلى الظن والشك.

ولهذا لا غرابة عندما يجعل الحبشي تعلم علم الكلام على مرتبتين "مرتبة الوجوب العيني، ومرتبة الوجوب الكفائي"[٤]، ولا شك أن هذا أمر فيه مغالاة، حيث يجعل تعلم علم الكلام على مرتبة الوجوب العيني أو الكفائي، وهذا ما بينه الغزالي في أَجلِّ كتبه (إحياء علوم الدين) وفيه يتكلم عن غلو الناس وإسرافهم في مسألة تعلم علم الكلام فيقول: "فاعلم أن الناس في هذا غلواً وإسرافاً... ومن قائل: إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان، وأنه أفضل الأعمال، وأعلى القربات: فإنه تحقيق لعلم التوحيد، ونضال عن دين الله تعالى"[٥].

وبالتالي فإن استخدام الحبشي لعلم الكلام لا لشيء إلا للكلام والتنطع في الدين، وخاصة أن علم الكلام ليس له فائدة تعود بعمل، وهذا ما يؤكده ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: "هي كلام صرف، وليست براجعة إلى عمل"[٦] وما كان حاله كذلك فتركه أولى.

وعند النظر إلى تعريف الحبشي لعلم الكلام، يظهر أن الحبشي عَرّفه وفق أصوله الاعتقادية، وليس كما عَرّفه العلماء، حيث ركز الحبشي في تعريفه على أسماء الله وصفاته والأولياء والأئمة[٧]، وهذه من أبرز القضايا التي خالف فيها الحبشي سلف الأمة[٨].

١- مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضري المغربي ص٣٦٣، الناشر: دار العودة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢- كتاب التعريفات لعلي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ص١٧، تحقيق: د. عبد المنعم الحفني، الناشر: دار الرشاد، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٣- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩.

٤- المطالب الوفية للحبشي ص١٩.

٥- إحياء علوم الدين للغزالي ٨٧/١.

٦- المقدمة لابن خلدون ص٣٦٨.

٧- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩، صريح البيان للحبشي ص١٢.

٨- سيأتي الحديث عن هذه المسائل تفصيلاً في أثناء البحث.

ثانياً: موضوع علم الكلام:

- إن كل علم له موضوع، ومن هذا الباب حاول الحبشي أن يبين موضوع علم الكلام، الـذي يحمل لواءه، ويدافع عنه بكل ما أوتي من حجج وبراهين ، حتى ولو كانت في غير موضعها -كما سيأتي-، وبين الحبشي موضوع علم الكلام بقوله: "موضوع علم الكلام، هو النظر أي الاستدلال بخلق الله تعالى، لإثبات وجوده وصفاته الكمالية، وبالنصوص الشرعية المستخرج معها البراهين، وهو على قانون الإسلام، لا على أصول الفلاسفة..."[١].

ومقصود كلام الحبشي أن موضوع علم الكلام هو إثبات وجود الله وصفاته من خلال مخلوقاته؛ ولكن السؤال المطروح: هل إثبات وجود الله وصفاته يكون من خلال علم الكلام؟ وللإجابة على هذا التساؤل لا بد من توضيح أن هذا أمر لم يرد عن السلف، وذلك بأنهم اثبتوا وجود الله، وما يتعلق بذاته من صفات ليس من خلال علم الكلام، ولكنهم اثبتوا هذه الأمور من خلال ما جاء في الكتاب والسنة، وهذا ما يؤكده صاحب كتاب (لوامع الأنوار البهية) بقوله: "واعلم أنا لا نأخذ الاعتقادات الإسلامية من القواعد الكلامية، بل إنما نأخذها من النصوص القرآنية والأخبار النبوية"[٢].

إضافة إلى ما سبق لا بد من معرفة أنه "ليس القصد بالأوضاع الكلامية إلا دفع شبه الخصوم، والفرق الضالة عن الطرق الحقية، فإنهم طعنوا في بعض منها بأنه غير معقول فيبين لهم بالقواعد الكلامية معقولية ذلك البعض"[٣]، وهذا ما يكون من خلال علم الكلام غير المذموم، الذي يعتمد في براهينه على الكتاب والسنة.

ومما يؤكد أنه لا يجوز إثبات وجود الله وصفاته، وما يتعلق بذات الله من خلال علم الكلام، بأن هذا العلم احتمالي وهمي، كما ذكر ذلك الزبيدي "الكلام والجدل علم لفظي، وأكثره احتمال وهمي"[٤].

ثالثاً: سبب التسمية بعلم الكلام:

يبين الحبشي أن السبب من وراء تسمية علم الكلام بهذا المسمى يرجع إلى كثرة المخالفين فيه من المنتسبين إلى الإسلام، وطول الكلام من كل طائفة ليدافعوا عن اعتقاداتهم الفاسدة[٥].

---

[١]- صريح البيان للحبشي ص١٢، وانظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٥، ومقدمة -رسالة استحسان الخوض في علم الكلام لأبي الحسن الأشعري- مراجعة وتقديم محمد الولي الأشعري -أحد تلاميذ الحبشي- ص٢٢، الناشر: دار المشاريع، بيروت ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

[٢]- لوامع الأنوار للسفاريني ٥/١.

[٣]- المصدر السابق ٥/١.

[٤]- إتحاف السادة للزبيدي ٦٥/٢.

[٥]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩ بتصرف.

وفي موضع آخر يقول: "... وطول الكلام فيه من أهل السنة لتقرير الحق، وقيل: لأن أشـــهر الخلافات في مسألة كلام الله تعالى..."[1].

ويقول أيضاً : "... فلكون أكثر الخلافات بين أهل الحق وبين الطرفين المخـــالفين كـــان فـــي الكلام؛ سمي هذا العلم علم الكلام"[2].

وعند النظر إلى الأسباب التي يوردها الحبشي في تسمية علم الكلام بهذا المسمى، يلاحظ التناقض والتضارب فيها، فمثلاً: يُرجع السبب لتسمية علم الكلام بهذا الاسم لكثرة المخالفين فيه من المنتسبين إلى الإسلام، وطول الكلام من قِبل كل طائفة، ليدافعوا عن اعتقاداتهم الفاســدة[3]، وفي موضع آخر: يجعل السبب من وراء هذه التسمية طول الكلام فيه من أهل الســنة لتقريــر الحق[4]، ومرة يجعل سبب التسمية لكثرة الخلافات بين أهل الحق وبين مخالفيهم[5].

وقال (شارح العقيدة الطحاوية) في سبب تسمية من اشتغل بعلم الكلام بهــذا المســمى: "لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معلوماً، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه مــن القياس لإيضاح ما علم بالحس، وإن كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع، ومــع مــن ينكر الحس"[6]، وهذا أقرب الأقوال إلى الصحة في تسمية علم الكلام بهذا الاسم، حيث يــأتي بزيادات لا طائل منها ولا فائدة فيها، مع وجود النص والبرهان من الكتاب والسنة.

أما عن نشأة مصطلح (علم الكلام) فقد تحدث الإمام الشهرستاني[7] في كتابــه (الملــل والنحل)، مبيناً نشأة علم الكلام بقوله: "... ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتــب الفلاســفة، حين فسرت أيام المأمون[8]، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من الفنون وســمتها

---

[1] - صريح البيان للحبشي ص١٠-١١ ، وانظر: مقدمة -رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري- تحقيق: محمد الولي ص٢١.

[2] - المطالب الوفية للحبشي ص١٨.

[3] - انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩.

[4] - انظر: صريح البيان للحبشي ص١٠-١١.

[5] - انظر: المطالب الوفية للحبشي ص١٨.

[6] - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٧.

[7] - **الشهرستاني**: محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، الشافعي (أبو الفتح) فقيه، حكيم، متكلم علــى مذهب الأشعري، ولد بشهرستان بين نيسابور وخوارزم، ولد سنة ٤٦٧هــ، وتوفي سنة ٥٤٨هــ، وقيــل غير ذلك. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٧٣/٤-٢٧٥، معجم المؤلفين لكحالة ١٨٧/٥.

[8] - **المأمون**: عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور. من أعلم الخلفاء العباسيين في الفقه والكلام . تمم ما بدأبه جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة. ولد سنة ١٧٠هــ-٢١٨هــ. انظر: سير الأعلام للذهبي ٢٧٢/١٠-٢٩٠، الفهرست لابن النديم ص١٢٩، شذرات الذهب لابن العمــاد ٣٩/٢، معجم المؤلفين لكحالة ١٦١/٦.

باسم الكلام، إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها، وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام، فسمي النوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان"[1]؛ وبهذا الكلام يستدل أحد نظار الأشاعرة صفي الدين الهندي[2] في مناظرة مع ابن تيمية، حدثت في مصر، ويحتج به على نشأة (علم الكلام)، ولكن هذا القول يرفضه ابن تيمية، ويبين ضعفه بقوله: "الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون، وبعدها في أواخر المائة الثانية، وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير في زمن عمرو بن عبيد[3] بعد موت الحسن البصري[4] في أوائل المائة الثانية، ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ولا تنازعوا فيها. وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأحكام والأسماء والوعيد... فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين.فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل تنازعهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء[5]: إنه متكلم، ويصفونه بالكلام، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام"[6].

وإذا كان الأمر هكذا ، فإن المقصود بعلم الكلام الذي ذمه السلف شامل لكل الانحرافات التي وجدت منذ عهد التابعين، وأبرز أولئك الجهمية،والمعتزلة[7]، والفرق الباطنية دون استثناء، التي اتخذت علم الكلام منهجاً لإثبات عقائدهم الفاسدة.

---

[1] - الملل والنحل للشهرستاني ٣٢/١-٣٣.

[2] - **صفي الدين الهندي**: محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي (أبو عبدالله) صفي الدين الهندي، فقيه أصولي، ولد بالهند وخرج من دهلي سنة ٦٦٧هـ، دخل مصر والروم ودمشق وتوفي فيها، ولد سنة ٦٤٤هـ، وتوفي سنة ٧١٥هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧٤/١٤-٧٥، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ١٨٧/٢-١٨٨.

[3] - **عمرو بن عبيد**: عمرو بن عبيد (أبو عثمان البصري) الزاهد، العابد، القدري، كبير المعتزلة، يقول فيه الذهبي: اغتر بزهده إخلاصه وأغفل بدعته، ولد سنة ٨٠هـ، توفي سنة ١٤٤هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧٨/١٠-٨٠، سير الأعلام للذهبي ١٠٤/٦-١٠٦.

[4] - **الحسن البصري**: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وكان من الزهاد العباد، كان إمام أهل البصرة، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، وتوفي سنة ١١٠هـ. انظر: سير الأعلام للذهبي ٥٦٣/٤-٥٨٨، الطبقات الكبرى لابن سعد ١٥٦/٧-١٧٨، الفهرست لابن النديم ص٢٠٢.

[5] - **واصل بن عطاء**: البليغ الأفوه أبو حذيفة المخزومي، مولاهم البصري الغزَّالي، وهو رأس الاعتزال، مولده سنة ٨٠هـ، توفي سنة ١٣١هـ. انظر: سير الأعلام للذهبي ٤٦٤/٥-٤٦٥، الفهرست لابن النديم ص٢٠٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ٧/٦، ١١.

[6] - العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بن محمد بن عبد الهادي ص١٥٦، الناشر: مطبعة المدني، مصر -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[7] - موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن صالح ٧٧٥/٢ بتصرف.

أما عن سبب نشأة علم الكلام، فيرجع ذلك إلى الخلاف الذي دب بين الناس في آيات الصفات، مما أدى إلى انقسام الناس بين مثبت ومؤول،فبدأ المؤولون يستخدمون العقل لإثبات صحة ما ذهبوا إليه،فحدث بذلك علم الكلام،وفي هذا المعنى يقول ابن خلدون[١]في المقدمة عن سبب نشأة علم الكلام:"بسبب حصول الخلاف في تفاصيل الآيات المتشابهة فدعا ذلك إلى الخصام،والتناظر،والاستدلال بالعقل زيادة إلى النقل،فحدث بذلك علم الكلام..."[٢].

المطلب الثاني: من مسميات علم الكلام وأقسامه عند الأحباش:

أولاً: من مسميات علم الكلام عند الأحباش:

يحاول الحبشي -كعادته- تجميل الصورة القبيحة لما يحمله من معتقدات بإطلاق مسميات لا تنفر منها العقول السليمة ولا تشمئز منها النفوس الطيبة؛ حيث قام بإطلاق مسميات وبدائل جديدة لعلم الكلام، ليرغب الناس في تعلم هذا العلم، فتراه يقدم في كتاباته بكلمات محببة للنفس مثل "أفضل العلوم علم العقيدة"[٣]، ثم في طيات الكلام يطلق عليه اسم علم الكلام، فيقول: "فيا طلاب الحق: لا يهولنكم قدح المشبهة المجسمة في هذا العلم بقولهم: إنه علم الكلام المذموم لدى السلف"[٤].

ويطلق أيضاً على علم الكلام مسميات أخرى مثل: علم الأصول، وعلم التوحيد[٥]. يقول الحبشي: "إن العلم بالله تعالى وصفاته من أجل العلوم، وأعلاها، وأوجبها، وأولاها، ويسمى علم الأصول وعلم التوحيد وعلم العقيدة، ...ويسمى هذا العلم أيضاً مع أدلته العقلية والنقلية، من الكتاب والسنة علم الكلام"[٦].

من الملاحظ أن الحبشي يحاول أن يضفي شرعية على علم الكلام، وذلك من خلال إطلاق مسميات محببة إلى النفس مثل: علم العقيدة وعلم التوحيد وعلم الأصول[٧]، وهذه

١- **ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد بن محمد ... ابن عبد الرحيم المصري،الأشبيلي الأصل التونسي، المالكي،المعروف بابن خلدون(ولي الدين،أبو زيد)عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي، حكيم. ولد سنة ٧٣٢هـ، توفي سنة ٨٠٨هـ. انظر: شذرات الذهب لابن عماد ٧٦/٧-٧٧، البدر الطالع للشوكاني ٣٣٧/١-٣٣٩.

٢- المقدمة لابن خلدون ص٣٦٧.

٣- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٠.

٤- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٠، وانظر: المطالب الوفية للحبشي ص١٧، ومقدمة -رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري- تحقيق: محمد الولي ص٢١.

٥- أنظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٧، ١٨.

٦- صريح البيان للحبشي ص١١.

٧- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٠، مقدمة -رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري- محمد الولي ص٢١.

المسميات لا تعبر عن حقيقة علم الكلام المذموم الذي سلكه الحبشي؛ لأن الحبشي يؤول الصفات، ويقول بخلاف ما عليه السلف في هذه المسألة، وهذا يظهر بوضوح في طيات كتاباته[1]، فأين هذه المسميات بما تحتويها من معانٍ من علم الكلام المذموم؟!!.

وبالتالي يتبين خطأ إطلاق هذه المسميات من علم العقيدة والأصول والتوحيد على علم الكلام المذموم الذي يقول به الحبشي.

ثانياً: أقسام علم الكلام عند الأحباش:

إن الحبشي قد قسم علم الكلام إلى قسمين:

القسم الأول: علم الكلام الممدوح.

القسم الثاني: علم الكلام المذموم.

ومعالم هذا التقسيم تتضح من خلال قول الحبشي مخاطباً طلابه: "فيا طلاب الحق، لا يهولنكم قدح المشبهة المجسمة في هذا العلم بقولهم: إنه علم الكلام المذموم لدى السلف؛ ولم يدروا أن علم الكلام المذموم هو ما ألفه المعتزلة على اختلاف فرقهم والمشبهة على اختلاف فرقهم..."[2].

ويقول في حق الإمام الشافعي إنه: "أتقن هذا العلم، علم الكلام الذي لأهل السنة، قبل أن يتقن علم الفقه"[3]، ويتضح هذا التقسيم أكثر في كتابه صريح البيان، عندما يعنون فيه بقوله: "الفائدة العشرون: ترجع إلى بيان علم الكلام المذموم، وعلم الكلام الممدوح"[4].

والذي يحدد صحة أو خطأ ما عليه الحبشي، ما يورده في كتاباته من اصطلاحات كلامية، ومن هذه المصطلحات الواردة لديه:الجوهر والعرض، والجائز والمحال، والقديم والحادث، وجواز القول بأن الله ليس متصلاً بالعالم ولا منفصلاً عنه، واجب الوجود، والواجب العقلي في حق الله، والقول بأن الله تعالى كان قبل الزمان وقبل المكان، الأزلية لذات الله، الجسم مركب من أجزاء لا تتجزأ بالفعل ولا بالوهم وتسمى تلك الأجزاء جواهر مفردة، شاهد الوجود جسم هيولي ...[5] إلى غير ذلك من الألفاظ الموجودة بكثرة في كتابات الحبشي التي يثبت صفات الكمال لله من خلالها -كما يزعم- نفياً أو إثباتاً.

---

[1] - انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤١-٥٣، الشرح القويم للحبشي ص١٧٨-٢٠٠، إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٦٤، ١٩٩.

[2] - إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٦.

[3] - المصدر السابق ص١٦.

[4] - صريح البيان للحبشي ص٤١١.

[5] - انظر: صريح البيان للحبشي ص١٣، ٤٠٥، الشرح القويم للحبشي ص٩٣، ٩٤، ١٤٦، إظهار العقيدة السنية ص٢٦،٢٨،٥٢، المطالب الوفية للحبشي ص٢١،٢٧،٣١،٣٣،٦٧. وغير ذلك الكثير في كتابات الحبشي.

والتساؤل المطروح: هل الألفاظ السالفة الذكر مدحها العلماء وأثنوا عليها أم ذموها من خلال ما جاء بالكتاب، والسنة، وأقوال أئمة السلف، وقبحوا من يعمل بها؟ فإن كان العلماء مدحوها وأثنوا عليها، كان كلام الحبشي حقاً، وصَدَقَ فيما قاله من أن علم الكلام الذي يقول به هو علم ممدوح، وأما إن كان العلماء يقدحون في مثل هذه الألفاظ ويذمونها، فلا شك أن هذا العلم علم مذموم، ويتبين خطأ قول الحبشي.

من الأمور التي ذُم علم الكلام لأجلها، استخدام ألفاظ مبتدعة لم ترد في كتاب ولا في سنة، ومما يؤكد صحة هذا المنحى قول ابن تيمية -رحمه الله- في حق بعض الألفاظ المستخدمة من قبل المتكلمين: "... كما أن قوله: الرب جسم بدعة، وقوله: ليس بجسم بدعة"[1]، ويقول أيضاً: "ولفظ (الجسم) و(الجوهر) ونحوهما لم يأت في كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسائر أئمة المسلمين يمنع التكلم بها في حق الله، لا بنفي ولا إثبات، ولهذا قال الإمام أحمد في رسالته إلى المتوكل: لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله، أو في حديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو عن الصحابة أو التابعين لهم بإحسان، أما غير ذلك الكلام فيه غير محمود"[2].

وأيضاً ممن ذم أهل الكلام الإمام الشوكاني[3]، وذلك لاستخدامهم مثل هذه الألفاظ الموهمة، والمصطلحات الغريبة التي ليس لها أصل من كتاب أو سنة، فيقول: "يا هذا إن كنت ممن له إلمام بعلم الكلام الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الإسلام، فإنه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم ويذكرونه في مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم أن الله سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس لا هو جسم، ولا جوهر، ولا عرض، ولا داخل العالم ولا خارجه، فأنشدك الله أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة، فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه إلى هذا التعطيل كما قال القائل: ... كالمستجير من الرمضاء بالنار، والهارب من لسعة الزنبور إلى لدغة الحية، ومن قرصة النملة إلى قضمة الأسد؛ وقد يغني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه، وأنزلهما على رسوله وهما ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾

---

[1]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٦١/٦.

[2]- المصدر السابق ١٧٢/١٧.

[3]- **الشوكاني**: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن علي بن عبدالله الشوكاني الخولاني ثم الصنعاني (أبو عبدالله) مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حليم؛ ولد سنة ١١٧٣هـ، بهجرة شوكان في بلاد خولان، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ، انظر: البدر الطالع للشوكاني ٢١٤/٢-٢٢٥، معجم المؤلفين لكحالة ٥٣/١١.

[طه:١١٠]، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]، فإن هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب، وتضمنتا بما يعين أولي الألباب السالكين في تلك الشعاب، فالكلمة منها دلالة بينة على أن كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق، فهو منسوب بشعبة من شعب الجهل مخلوط بخلوط هي منافية للعلم ومباينة له: فإن الله سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علماً، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا، فلا شك أن صحة ذلك متوقفة على الإحاطة وقد نفيت من كل فرد من الأفراد علماً، فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل..."[١].

وقد نقل ابن حجر في فتح الباري، عن القرطبي قوله: "... وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضلالاً"[٢]، وفي هذا بيان شافٍ أن استخدام هذه المصطلحات مذموم، لأن ليس لها أصل يُعتد به كالكتاب والسنة، وإنما هي من صُنع البشر، يَعرُض عليها الخطأ والزلل، وبالتالي فإن العلم الذي يحتوي على مثل هذه المصطلحات المذمومة فهو مذموم[٣].

أيضاً ذُم هذا العلم لما يحتويه من مصطلحات توهم معاني لا تليق بحق الله سبحانه وتعالى "ومثال ذلك في التركيب. فقد صار له معانٍ: أحدهما: التركيب من متباينين فأكثر ويسمى: تركيب مزدوج، كتركيب الحيوان من الطبائع الأربعة والأعضاء ونحو ذلك، وهذه المعاني منفي عن الله سبحانه وتعالى... والثاني: تركيب الجوار، كمصراعي الباب ونحو ذلك، ولا يلزم أيضاً من ثبوت صفاته تعالى إثبات هذا التركيب. الثالث: التركيب من الأجزاء المتماثلة، تسمى : الجواهر المفردة . الرابع: التركيب من الهيولي والصورة، كالخاتم مثلاً، هيولاه: الفضة وصورته معروفة؛ وأهل الكلام قالوا: إن يكون مركباً من الجواهر المفردة، ولهم كلام في ذلك يطول، ولا فائدة فيه... الخامس: التركيب من الذات والصفات،هم سموه تركيباً لينفوا به صفات الرب تعالى . وهذا اصطلاح منهم لا يعرف في اللغة، ولا في استعمال الشارع، فلسنا نوافقهم على هذه التسمية ولا كرامة... السادس: التركيب من الماهية ووجودها، وهذا يفرضه الذهن أنهما غيران، وأما في الخارج، هل يمكن ذات مجردة عن وجودها، ووجودها مجرد عنها ؟ هذا محال، فترى أهل الكلام يقولون: من ذات الرب، وجوده أم غير وجوده؟ ولهم في ذلك خبط كثير..."[٤]، وهذا مثال على قبح المصطلحات التي يستخدمها المتكلمون في إثبات العقائد.

---

[١] - التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص١٢-١٣.

[٢] - فتح الباري لابن حجر ١٣/٣٥٠.

[٣] - سيأتي مزيد من التفصيل عند الرد على الحبشي بعدم جواز الاشتغال بعلم الكلام، انظر: ص٧٥-٨٢.

[٤] - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٦-٢٠٧.

ومما يؤكد أن تقسيم الحبشي لعلم الكلام تقسيم بدعي من عنده ليس له أصل، حيث ثبت رجوع مجموعة من نظار الأشاعرة المتقدمين عن علم الكلام[١]، أمثال: الجويني والرازي[٢] والباقلاني والغزالي وغيرهم، وكانوا قبل رجوعهم عن علم الكلام على المذهب الأشعري، ولم يكونوا آنذاك معتزلة[٣].

وأيضاً: يعد علم الكلام قاسماً مشتركاً بين الأشاعرة والمعتزلة -الذين ينتقدهم الحبشي إلى حد التكفير- مع وجود الاختلاف في بعض المسائل بينهم، إلا إنهم متفقون على تنصيب علم الكلام في مسائل العقيدة[٤].

المطلب الثالث: أدلة الأحباش على جواز الاشتغال بعلم الكلام:

يعلم الأحباش أن الاشتغال بعلم الكلام له معارضون كثر من السلف، ومن انتهج منهجهم، لهذا يأتي الأحباش بأدلة تبين أن الاشتغال بعلم الكلام لا شيء فيه، بل إن من أئمة السلف من اشتغل فيه....

ومن الأدلة التي ساقها الأحباش على جواز الاشتغال بعلم الكلام:

١- أن أصل هذا العلم كان موجوداً بين الصحابة متوفراً بينهم أكثر ممن جاء بعدهم؛ ثم يذكر الحبشي أسماء للصحابة والتابعين ممن خاضوا فيه -حسب زعمه- أمثال: ابن عباس، وابن عمر عندما ردوا على المعتزلة، وأيضاً الإمام علي -رضي الله عنه- عندما أقام الحجة على الخوارج وغيرهم، وكذلك عمر بن عبد العزيز، والحسن بن محمد بن الحنفية وغيرهما، وأيضاً ربيعة الرأي، والحسن البصري[٥].

٢- يدعي الحبشي أن الإمام الشافعي: "أتقن هذا العلم -علم الكلام- الذي لأهل السنة، قبل أن يتقن علم الفقه"[٦]، أما ما يروى عن ذم علم الكلام عن الشافعي وغيره -كما يقول

١- سيأتي تفصيل هذا الأمر في أثناء هذا المبحث.

٢- **الرازي**: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي، البكري، الطبرستاني، الرازي، الشافعي المعروف بالفخر الرازي، بابن خطيب الري (أبو عبد الله، فخر الدين، أبو المعالي) مفسر، متكلم، فقيه، أصولي، حكيم، أديب، شاعر، طبيب، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية والحكمية والرياضية، ولد ٥٤٣ هـ بالري من أعمال فارس، و توفي بهراة ٦٠٦ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٨/٨١-٩٦، طبقات المفسرين للسيوطي ص١٠٠-١٠١، شذرات الذهب لابن عماد ٥/٢١-٢٢، البداية والنهاية لأبي الفداء ابن كثير ١٣/٥٥-٥٦، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، ط الأولى ١٩٦٦م.

٣-انظر:الحبشي شذوذه وأخطاؤه لدمشقية ص٩٧.

٤- انظر المرجع السابق ص٩٨.

٥- انظر: صريح البيان للحبشي ص١٤-١٥.

٦- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٦، ١٠٥.

الحبشي- فالمراد به الكلام المذموم الذي يكون من أهل البدعة[1]، أو أن تكون تلك المقولة ضعيفة لا يُعتد بها[2].

٣- ويدعي الحبشي أن الإمام مالك تكلم في علم الكلام[3]، ويزعم أن أبا حنيفة ألف في علم الكلام خمس رسائل، وأنه كان يذهب من بغداد إلى البصرة لمناظرة المعتزلة والمشبهة والملاحدة [4].

٤- يرى الحبشي أن علم الكلام يؤدي إلى الاستدلال على الصانع، وأن من لم يعرف قول ابن عباس (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق)[5]، لم يدر كيف يعمل بهذا الأثر[6].

٥- يؤيد الحبشي الاشتغال بعلم الكلام، وإن لم ينقل عن أحد من الصحابة، أنه تلفظ بهذه العبارات المصطلحة عند أهل هذه الصناعة نحو الجوهر والعرض والجائز والمحال...، فيسلّم بهذا، ولكنه يستدل بأن هناك كثيراً من المصطلحات المستخدمة التي لم يتلفظ بها النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا صحابته مثل: الناسخ والمنسوخ والمجمل والمتشابه...[7].

وكثيراً ما يستشهد الحبشي بهذه الأبيات من الشعر على صحة ما يذهب إليه من جواز الخوض في علم الكلام:

عاب الكلام أناس لا عقول لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة ... أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر[8]

١-إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩ بتصرف، وانظر: المطالب الوفية للحبشي ١٨-١١٦.

٢- انظر: صريح البيان للحبشي ص١٥-١٧.

٣- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٠، المطالب الوفية للحبشي ص١٩.

٤- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣٧، وانظر: صريح البيان للحبشي١٧-١٨، المطالب الوفية للحبشي١٨.

٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) محمد ناصر الدين الألباني ٥٧٢/١، قال عنه الألباني: حديث حسن، الناشر: المكتب الإسلامي، ط الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، وبنحوه ح٢٩٧٤، ٥٧٢/١، قال عنه الألباني: حديث صحيح، مسند الربيع: الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري ٣١١/١، تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، الناشر: دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ. البيان والتعريف إبراهيم بن محمد الحسيني ١٢/٢، تحقيق: سيف الدين الكاتب، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ط ١٤٠١ هـ.

٦- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩، انظر: صريح البيان للحبشي ص١٥، غاية البيان إعداد قسم الأبحاث ص٦، مقدمة -رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري- تقديم محمد الولي ص٢٥.

٧- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٨-١٩، صريح البيان للحبشي ص١٣-١٤، المطالب الوفية للحبشي ص١٨، غاية البيان إعداد قسم الأبحاث ص٥-٦ ، مقدمة -رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري- تقديم محمد الولي ص٢٣-٢٤.

٨- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٠، مقدمة -رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري- تقديم محمد الولي ص٣٢.

عندما أراد الحبشي أن يستدل على جواز الاشتغال بعلم الكلام، جاء بأدلة -حسب ظنه- تفيد القطع بجواز الاشتغال بعلم الكلام، وعند التأمل في هذه الأدلة يُلاحظ أنها لا تقوى على الوقوف أمام الأدلة الصحيحة الصريحة، التي تمنع الاشتغال بعلم الكلام المذموم الذي سلكه الحبشي.

الرد على الأحباش فيما ساقوه من الأدلة الواهنة بالتالي:

- ذكر الحبشي أن جمعاً من السلف من صحابة وتابعين اشتغلوا بعلم الكلام أمثال: علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر، عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنهم- وغيرهم؛ ولا شك أن هذا أمر مبالغ فيه من قِبل (الحبشي)، حيث جعل الصحابة الكرام والتابعين يشتغلون بهذا العلم المذموم، بما يحتويه من أدلة توقع في الشك والظن والحيرة، وادعاء الحبشي هذا إنما هو من باب خلط الأمور بعضها ببعض والتلبيس على العامة، ليوجد لنفسه مخرجاً لما يقول.

وهناك تناقض وتضارب في أقوال الحبشي، حيث يدعي أن الصحابة اشتغلوا بهذا العلم أمثال: علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر -رضي الله عنهم-، ثم يقول في موضع آخر: "وإن أريد به أنهم لم يتلفظوا بهذه العبارات المصطلحة عند أهل هذه الصناعة نحو الجوهر والعرض والجائز والمحال والحدث والقدم، فهذا مُسلّم"[1]، فيلاحظ عليه مرة يثبت الاشتغال بهذا العلم المذموم من قِبل الصحابة، وفي موضع آخر يعترف بأنهم لم يتحدثوا بهذا العلم، وإذا دخل الاحتمال إلى الدليل بطل الاستدلال به، فكيف إذا دخل التضارب والتناقض، والإمام السيوطي يقول في هذا "المحتمل لا يصلح حجة"[2].

وأما إذا قصد الحبشي أن الصحابة، استخدموا الأدلة العقلية المستوحاة من الكتاب والسنة فهذا صحيح، ولا يعتبر هذا من علم الكلام المذموم الذي يدعو إليه الحبشي.

- فمن المعلوم أنه لم يرد عن السلف الصالح أنهم تكلموا في ذلك[3]، حتى مع خصومهم في مناظراتهم -كما يدعي الحبشي- لأن الطرق الكلامية ما هي إلا تنطع وتشدد في غير موضعه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- حذر من ذلك بقوله: "هلك المتنطعون"[4]، أي: "المتعمقون في البحث والاستقصاء"[5].

---

[1] - إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٨.

[2] - الاجتهاد للسيوطي ص١٣٥.

[3] - انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٧٢/٧.

[4] - صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ح٢٦٧٠، ٢٠٥٥/٤، سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ح٤٦٠٨، ٢٠١/٤، الناشر: دار إحياء السنة النبوية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[5] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٠٥ .

- ويقال للحبشي: كيف اشتغل الصحابة بعلم الكلام، ولم يظهر هذا العلم إلا في عهد العباسيين، كما ينقل ذلك السيوطي عن الشيخ المقدسي[1] فيقول: "... فأول الحوادث التي أحدثوها -العباسيون- إخراج كتب اليونانية إلى أرض الإسلام فترجمت بالعربية، وشاعت بين أيدي المسلمين"[2]، ثم يبين -الشيخ المقدسي- بعد ذلك بداية المناظرات والجدل في الدين فيما لا ينبغي الكلام فيه، من خلال ما تم ترجمته من الكتب اليونانية، وتوفير الأجواء المناسبة لنشر هذا العلم[3].
- وأيضاً يبطل زعم الحبشي، بجواز الاشتغال بعلم الكلام، نهي السلف عن الخوض في علم الكلام المذموم؛ ولقد صنف العلماء الكثير من الكتب في هذا الموضوع، يسردون أقوال السلف فيها من حيث النهي والنكير عن الخوض في علم الكلام، ومن هذه المؤلفات: كتاب ذم الكلام لشيخ الإسلام إسماعيل الهروي، وكتاب صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي، ونصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان لشيخ الإسلام ابن تيمية، كتاب الغنية عن الكلام وأهله لأبي سليمان الخطابي .

ومن أقوال السلف التي تنهى عن الخوض في علم الكلام، وتقبح من تكلم فيه:

١- قول الإمام مالك -رحمه الله- لأحد الرجال جاء يسأله في أحد المسائل الكلامية: "لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمراً فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام"[4]، وقوله: "كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد -صلى الله عليه وسلم- لجدله"[5]، وأيضاً قوله: "الكلام في الدين كله أكرهه... ولا أحب الكلام إلا فيما كان تحته عمل، فأما الكلام في الله فالسكوت عنه..."[6]، وهذه الأقوال للإمام مالك، تبين خطأ قول الحبشي بأن الإمام تكلم في علم الكلام[7]، إلا إذا قصد في ذم علم الكلام وأهله.

---

[1]- **الشيخ المقدسي**: الشيخ الإمام العلامة القدوة المحدث، مفيد الشام، شيخ الإسلام، أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف والأمالي، ولد سنة ٤١٠هـ، توفي سنة ٤٩٠هـ. انظر: سير الأعلام للذهبي ١٩/١٣٦-١٤٣، تبيين كذب المفترى عليه لابن عساكر ص٢٨٦-٢٨٧، شذرات الذهب لابن عماد ٣/٣٩٥-٣٩٦.

[2]- صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام لجلال الدين السيوطي ص٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[3]- المصدر السابق ص٨.

[4]- المصدر نفسه ص٣٢-٣٤.

[5]- شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ١٤٤.

[6]- المصدر السابق ١/١٤٦.

[7]- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٠، المطالب الوفية للحبشي ص٢٠.

٢- سُئل أبو حنيفة عما أحدث الناس من الكلام في الأعـراض والأجسـام، فقـال: "مقـالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة، فإنه بدعة"[١]، وهذا يبين لنـا ذم الإمام أبي حنيفة لعلم الكلام، ولا يعني أن أبا حنيفة ناظر المعتزلة وغيرهم، أنه مدح علـم الكلام بل هذا يعني أنه ذم علم الكلام، لأن علم الكلام أصل من أصول المعتزلة، وإنما هو ناظرهم ليبطل أصولهم.

ويقال للحبشي: أين هذه الرسائل الخمس التي ألفها أبو حنيفة فـي علـم الكـلام؟ ومـا أسماؤها؟ ولماذا لم تنقل عنها في كتاباتك فتؤيد ما تقول وتبرهن على صحته؟ وخاصة أنـك مشهور بكثرة النقول سواء الصحيح منها أو السقيم!! .

٣- كان الشافعي -رحمه الله- ينهى النهي الشديد عن الكلام في الأهواء وذلك أن أحـدهم إذا خالفه صاحبه، قال: كفرت، والعلم فيه إنما يقال: أخطأت[٢].

ولقد تعددت النقول عن الإمام الشافعي، محذراً من علم الكلام مثل: "لأن يبتلي الله المـرء بكل ذنب نهى الله عنه، ما عدا الشرك خير له من الكلام"[٣]، وقوله: "ولقد أطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك"[٤]، وقوله: "ما تردى أحد في الكلام فأفلح"[٥]، وقولـه: "لو علم الناس ما في الكلام والأهواء، لفروا منه كما يفر من الأسد"[٦]، وجاء في كتاب (تبيـين كذب المفترى عليه) "وقد حفظ عن غير واحد من علماء الإسلام، عيب المتكلمين، وذم الكـلام، ولو لم يذمهم غير الشافعي -رحمه الله- لكفى؛ فإنه قد بالغ في ذمهم، وأوضح حالهم وشفى"[٧].

وفيما سبق دليل على عدم صحة ادعاء الحبشي: بأن الشافعي تعلم علم الكلام قبل أن يتقن علم الفقه، ولا يوجد دليل على أن الشافعي تعلم علم الكلام المذموم الذي يقول به الحبشي، بـل المتوفر من الأدلة أن الشافعي ذم علم الكلام ومن اشتغل به.

- وأما تضعيف الحبشي لذم الشافعي لعلم الكلام[٨] فهذا مردود عليه، بكثرة النقول عن الإمـام الشافعي في ذمه لعلم الكلام في كتب السلف مثل: كتاب الغنية عن الكلام وأهله للخطـابي،

---

[١]- صون المنطق للسيوطي ص٣٢.

[٢]- شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١٤٥/١.

[٣]- المصدر السابق ١٤٦/١.

[٤]- تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص٣٣٥.

[٥]- المصدر السابق ص٣٣٥.

[٦]- المصدر نفسه ص٣٣٦.

[٧]- المصدر نفسه ص٣٣٣.

[٨]- انظر: صريح البيان للحبشي ص١٥-١٧.

وكتاب ذم الكلام للهروي ، وكتاب نصيحة أهل الإيمان لابن تيمية، وكتاب صون المنطق للسيوطي...

- وأما تأويل الحبشي لرواية الشافعي بذم الكلام يقصد بها أهل البدعة[1]، فهذا رأي صحيح، حيث إن أهل الكلام أهل بدعة،لأنهم يأتون بأشياء لم تعرف في الدين من قبل، وطريقتهم في استخدام علم الكلام في إثبات العقائد، طريقة موهمة تحتمل الخطأ، وبالتالي فإن أهل البدعة غير مقصورين على فترة معينة، بل هم كل من انتهج نهج المتكلمين الأوائل، فيعتبروا من أهل البدعة؛ وأما إذا أراد الحبشي بأهل الكلام هم (أهل البدعة) مقصورة على الخوارج والمعتزلة فقط، فهذا غير صحيح، لأن (أهل البدعة) مصطلح غير مقصور على فئة محددة .

٤- لقد كره الإمام أحمد -رحمه الله- الكلام وأهله بشدة، وكان يقول: "لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله، أو في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأما غير ذلك، فإن الكلام فيه غير محمود "[2]، وجاء عنه " لا يفلح صاحب كلام أبداً، علماء الكلام زنادقة"[3].

٥- قال الأوزاعي: "إذا أراد الله بقوم شراً، ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل"[4]، وعلم الكلام يقوم على الجدل، ولا خلاف في ذلك.

٦- ما جاء عن أبي سليمان الخطابي في ذمه لأهل الكلام: "إن الشيطان استزلهم عن واضح الحجة، وأورطهم في شبهات تعلقوا بزخارفها، وتاهوا عن حقائقها... ولما رأوا كتاب الله ينطق بخلاف ما انتحلوه ويشهد عليهم بباطل ما اعتقدوه، ضربوا بعض آياته ببعض، وتأولوها على ما سنح لهم في عقولهم... ونصبوا العداوة لأخبار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولسنته المأثورة عنه..."[5].

٧- ما نقله الإمام ابن حجر عن الإمام القرطبي في ذمه للكلام، قوله: "ولو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما: من مبادئه لكان حقيقاً بالذم، إحداهما: قول بعضهم أن أول واجب الشك إذ هو اللازم عن وجوب النظر أو القصد إلى النظر... ثانيتهما:

---

[1] - انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩، المطالب الوفية للحبشي ص١٨-١٩.

[2] - صون المنطق للسيوطي ص٦٧.

[3] - تلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص٨٦، تحقيق: أيمن صالح، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

[4] - شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٤٥.

[5] - درء التعارض لابن تيمية ٧/٢٨١-٢٨٢.

قول جماعة من أن من لم يعرف الله بالطرق التـي رتبوهـا والأبحـاث التـي رووهـا لم يصح إيمانه"[١].

٨- قول تقي الدين السبكي[٢] في نهيه عن الاشتغال بعلم الكلام: "لا تشتغل من العلوم إلا بمـا ينفع وهو القرآن والسنة والفقه وأصول الفقه والنحو، وبأخذها عن شـيخ سـالم العقيـدة، وبتجنب علم الكلام، والحكمة اليونانية، والاجتماع بمن هو فاسد العقيـدة أو النظـر فـي كلامه، وليس على العقائد أضر من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية، وهما في الحقيقة علم واحد، وهو العلم الإلهي، لكن اليونان طلبوه بمجرد عقولهم، والمتكلمون طلبوه بالعقل والنقل؛ وافترقوا ثلاث فرق: إحداها: غلب عليها جانب العقل، وهم المعتزلـة؛ والثانيـة: غلب عليها جانب النقل، وهم الحشوية؛ والثالثة: استوى الأمران عندها، وهم الأشـعرية . وجميع الفرق الثلاث في كلامها مخاطرة، إما خطأ في بعضه، وإما سقوط هيبة، والسـالم من ذلك كله ما كان عليه الصحابة، والتابعون، وعموم النـاس البـاقون علـى الفطـرة السليمة"[٣].

٩- الإمام الزركشي[٤] يرد على من قال بوجوب تعلم علم الكلام بقولـه: "اعلـم أن القـرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى، قد نطق به، لكـن أورده الله تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين"[٥].

١٠- وقد ذم ابن قتيبة علم الكلام بقوله: "وقد تدبرت رحمك الله مقالة أهـل الكـلام فوجـدتهم يقولون عن الله ما لا يعلمون، ويعيبون الناس بما يأتون، ويبصرون القـذى فـي عيـون الناس، وعيونهم تطرف على الأجذاع، ويتهمون غيرهم في النقل، ولا يتهمون آراءهم في

---

[١]- فتح الباري لابن حجر ٣٥٠/١٣.

[٢]- **تقي الدين السبكي**: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بـن موسـى، تمـام الأنصـاري، الخزرجي، السبكي، الشافعي، (تقي الدين، أبو الحسن) عالم مشارك في الفقه والتفسير والقراءات والحديث والآداب والنحو واللغة والحكمة، ولد بسبك سنة ٦٨٣هـ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٦٣/٣-٧١، النجوم الزاهرة لابن تغري ٣١٨/١٠-٣١٩، معجم المؤلفين لكحالة ١٢٧/٧.

[٣]- إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٤/٢.

[٤]- **الزركشي**: محمد بن بهادر بن عبدالله المصري الزركشي، الشافعي (بدر الدين، أبو عبدالله) فقيه، أصولي، محدث، أديب، تركي الأصل، مصري المولد، ولد سنة ٧٤٥هـ، وتوفي سنة ٧٩٤هـ. انظـر: الـدرر الكامنة لابن حجر ٣٩٧/٣-٣٩٨، معجم المؤلفين لكحالة ١٢١/٩-١٢٢.

[٥]- البرهان للزركشي ١٤/٢.

التأويل . ومعاني الكتاب والحديث، وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة، لا يدرك في الطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والأبنية"[1].

١١- يرى ابن خلدون في مقدمته، بأنه لا توجد ضرورة لعلم الكلام فيقول: "... وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام، غير ضروري لهذا العهد وعلى طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير إيهاماته واطلاعه"[2].

وفيما سبق بيان شافٍ من علماء السلف الذين لم يشتغلوا بعلم الكلام، وعرفوا مساوئه ونهوا عنه، وقبحوا كل من اشتغل فيه[3].

- ولكن هناك من العلماء من خاض فيه، ولكنه في نهاية أمره عندما أوشك على مفارقة الدنيا، أبدى ندمه وتراجعه عن الخوض في علم الكلام،ولم يكتفِ بالندم والرجوع، بل نصح تلاميذه بألا يخوضوا في هذا العلم، لما فيه من متاهات لا توصل إلى نتيجة مرضية للعقل، بل يبقى الإنسان المشتغل في هذا العلم في شك وحيرة واضطراب،ومن هؤلاء العلماء الذين صرحوا بذلك:

١- ما جاء عن الوليد بن أبان الكرابيسي[4] أحد المتكلمين، عندما حضرته الوفاة قال لبنيه: "تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا: لا، قال: فتتهموني، قالوا: لا، قال: فإني أوصيكم، أتقبلون، قالوا: نعم، قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم" [5].

٢- وأبو المعالي الجويني من الذين تراجعوا عن علم الكلام، وأبدوا الندم عما سلف منهم، فيقول: "لقد جلت أهل الإسلام جولة وعلومهم، ركبت البحر الأعظم وغصت في الذين نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق، وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل، بكلمة

---

[1]- تأويل مختلف الحديث للإمام ابن قتيبة الدينوري ص٣٥، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

[2]- المقدمة لابن خلدون ص٣٧٠.

[3]- لقد أورد الإمام السيوطي العشرات من الأقوال عن السلف في كتابه (صون المنطق) تذم هذا العلم وتحرمه، انظر(١٤ -٢٠٠).

[4]- **الوليد بن أبان الكرابيسي**: الوليد بن أبان الكرابيسي المتكلم، أحد الأئمة، وهو أستاذ الحسين بن علي الكرابيسي، توفي سنة ٢١٤هـ. انظر: سير الأعلام للذهبي ٥٤٨/١٠، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٧١/١٣ ، معجم المؤلفين لكحالة ١٦٩/١٣-١٧٠، النجوم الزاهرة لابن تغري ٢١٠/٢.

[5]- تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٨٨.

الإخلاص فالويل لابن الجويني"[1]، وكان يقول لأصحابه: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به"[2].

٣- وما جاء عن الوفاء ابن عقيل الظفري[3]، أنه قال لبعض أصحابه: "أنا أقطع أن الصحابة ماتوا، وما عرفوا الجوهر، والعرض،فإن رضيت أن تكون مثلهم؛ فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر؛ فبئس ما رأيت"[4].

٤- وكذلك ما جاء عن أبي عبدالله محمد بن عمر الرازي أنه قال في كتابه (أقسام اللذات): "... لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن..."[5]

٥- وقال الشيخ الشهرستاني: " إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم"[6].

٦- وأيضاً ما قاله الخوفجي[7] عند موته: "ما عرفت مما حصلته شيئاً سوى أن الممكن يفتقر إلى المرجح، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت وما عرفت شيئاً"[8]، وقال آخر: "أضطجع على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي وأقل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء"[9].

---

[1]- تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٨٨، انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين الآلوسي ص١٣٦، الناشر: دار الكتب العلمية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، فتح الباري لابن حجر ٣٥٠/١٣.

[2]- تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٨٨، انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٠٩، فتح الباري لابن حجر ٣٥٠/١٣.

[3]- **الوفاء ابن عقيل الظفري**: الإمام العلامة، شيخ الحنابلة علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبدالله البغدادي الظَّفَرَي، (أبو الوفاء) -وليس الوفاء كما ورد في المتن- الحنبلي المتكلم، ولد سنة ٤٣١هـ، وتوفي سنة ٥١٣هـ، أخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان صاحبي أبي الحسين البصري، فانحرف عن السنة. انظر: شذرات الذهب لابن عماد ٣٥/٤-٤٠، النجوم الزاهرة لابن تغري ٢١٩/٥، سير الأعلام للذهبي ١٩/ ٤٤٣ -٤٥١.

[4]- تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٨٨.

[5]- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٨، انظر: جلاء العينين للآلوسي ص١٣٦.

[6]- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٩.

[7]- **الخوفجي**: القاضي المتكلم الباهر أفضل الدين أبو عبدالله محمد بن ناماور بن عبد الملك، الخونجي الشافعي -وليس الخوفجي كما ورد في المتن-، نزيل مصر، ولد سنة ٥٩٠هـ، وتوفي سنة ٦٤٦هـ. انظر: شذرات الذهب لابن عماد ٢٣٦/٥، البداية والنهاية لابن كثير ١٧٥/١٣، سير الأعلام للذهبي ٢٢٨/٢٣.

[8]- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٩.

[9]- المصدر السابق ص٢٠٩.

ويضاف إلى ما سبق ما جاء في وصف حال الآمدي[1] بأنه وقف حائراً بسبب الاشتغال بهذا العلم[2]، وكذلك الغزالي، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- فمات وصحيح الإمام البخاري على صدره[3]؛ ويبين الغزالي رأيه بعلم الكلام بقوله:"... أما مضرته: فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم، والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضرره في الاعتقاد الحق. وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة... وأما منفعته: فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف..."[4]

وفي الأقوال التي ذكرت فيما سبق دليل على وجوب الانتهاء عن الخوض في علم الكلام، لما يسببه من الحيرة والاضطراب وسوء المنقلب .

علم الكلام لا فائدة فيه في إثبات العقائد، بخلاف ما يدعيه الحبشي بأن علم الكلام يؤدي إلى الاستدلال على الصانع[5]، فهذا كلام يحتوي على مغالطات، لأن الحبشي يخوض في علم الكلام المذموم، وهذا العلم لا يؤدي إلى الاستدلال على الصانع، بل يؤدي إلى الحيرة والاضطراب والشك، بل قد يؤدي أحياناً إلى الإلحاد، وهذا ما يؤكده علماء السلف، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا لا يوجد أحد من هؤلاء إلا وهو: إما حائر شاك، وإما متناقض يقول قولاً ما يناقضه فيلزم بطلان أحد القولين أو كلاهما، لا يخرجون عن الجهل البسيط مع كثرة النظر والكلام، أو عن الجهل المركب الذي هو ظنون كاذبة وعقائد غير مطابقة، وإن كانوا يسمون ذلك براهين عقلية وأدلة يقينية، فهم أنفسهم ونظراؤهم يقدحون فيها، ويبينون أنها شبهات فاسدة، وحجج عن الحق حائدة"[6].

١- **الآمدي**: العلامة المصنف فارس الكلام سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي، ولد سنة نيف وخمسين وخمس مائة، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وست مائة. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٣/٣-٢٩٤، البداية والنهاية لابن كثير ١٤٠/١٣-١٤١، شذرات الذهب لابن عماد ٥/ ١٤٢-١٤٤، سير الأعلام للذهبي ٣٦٥/٢٢-٣٦٧.

٢- انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٨.

٣- المصدر السابق ص٢٠٨.

٤- إحياء علوم الدين للغزالي ٨٩/١-٩٠.

٥- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩، صريح البيان للحبشي ص١٥.

٦- درء التعارض لابن تيمية ٢٨٣/٧-٢٨٤.

وقول القرطبي: "وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك، وببعضهم إلى الإلحاد، وببعضهم إلى التهاون في العبادات"[1]، إذاً: كيف يؤدي علم الكلام إلى الاستدلال على الصانع؟!!، وهو يؤدي إلى الاختلاف في الأصول وليس في الفروع، ويوضح ابن قتيبة هذا الأمر بقوله: "ولو كان اختلافهم في فروع السنن، لا تسع لهم العذر عندنا، وإن كان لا عذر لهم،مع ما يدعون لأنفسهم ... ولكن اختلافهم في التوحيد في صفات الله تعالى وقدرته..."[2].

وأما استدلال الحبشي بقول ابن عباس (تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق)[3]، لا يوجد به أي دليل على جواز الاشتغال بعلم الكلام .

- وإن ظن الحبشي أن المنع من الاشتغال بعلم الكلام بسبب الألفاظ المحدثة، التي تستخدم في هذا العلم، كالجوهر والعرض والجائز والمحال، فهذا قول في غير موضعه، وإن كانت هذه الألفاظ تحمل في طياتها معاني موهمة، تؤدي أحياناً إلى الضلال، ولكن سلف الأمة كرهوا علم الكلام وذموه، لأجل ما فيه من المعاني الباطلة، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "فالسلف والأئمة لم يكرهوا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة، كلفظ: الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم، من الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه، لاشتمال هذه الألفاظ على معانٍ مجملة في النفي والإثبات..."[4]
- ويستدل كثيراً الحبشي وتلاميذه بهذه الأبيات من الشعر، ليدللوا على جواز الاشتغال بعلم الكلام:

عاب الكلام أناس لا عقول لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة ... أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر[5]

وهذه الأبيات من الشعر ليست بدليل يستند عليه على جواز الاشتغال بعلم الكلام، إذ يوجد الكثير من أبيات الشعر تذم علم الكلام، ولإبطال حجة الحبشي، إليه هذه الأبيات المتفرقة التي أنشدها علماء الكلام ندماً وتوبة على خوضهم في هذا العلم:- قول الرازي في ذمه لعلم الكلام:

نهاية إقدام العقول عِقال ... و غاية سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... و حاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه: قيل وقالوا[6]

---

[1]- فتح الباري لابن حجر ٣٥٠/١٣.
[2]- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٣٥.
[3]- سبق تخريجه، انظر: ص٧٤.
[4]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٩١/٣.
[5]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٠.
[6]- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٨، انظر: جلاء العينين للآلوسي ص١٣٦.

- وما أنشده الشهرستاني من شعر يبدي ندمه وحيرته:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها و سيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرى إلا واضعاً كف حائرٍ على ذقــنٍ أو قــارعاً من نادم[1]

- وما جاء عن ابن أبي الحديد[2] الفاضل المشهور بالعراق:

فيك يا أغلوطة الفـــكر حار أمري وانقضى عمري

سافرت فيك العقول فما ربحــت إلا أذى الســفــر

فلحى الله الأولى زعموا أنــك المعـــروف بالنظــر

كذبوا أن الذي ذكـــروا خـــارج عن قــوة البشــر[3]

- وأيضاً ما جاء عن الشيخ الفتح القشيري[4] -رحمه الله-:

تجاوزت حــد الأكثرين إلــى العــلا وسافرت واستبقتهــم في المفــاوز

وخضت بحاراً ليــس يــدرك قعــرها وسيــرت نفسي في قسيم المفاوز

ولججت في الأفكار عم تراجع اختياري إلى استحســان ديــن العجائــز[5]

وهذه الأبيات من الشعر تبطل استدلال الحبشي بالشعر في مدحه للكلام من خلال ذم من يقول بذمه.

ويؤخذ على الحبشي،أنه في استدلاله بهذه الأبيات من الشعر، قدحه في أئمة السلف مــن الأئمة الأربعة وغيرهم، الذين ذموا علم الكلام، وذلك عندما وصف من يعيب علم الكلام بأنه لا عقل له.

وإضافة إلى ما سبق، يوجه الذم لعلم الكلام لما يأتي:

١- يسلك فيه أصحابه طرقاً غير مستقيمة، ويستدلون بقضايا متضمنة للكذب، وبالتالي خــالف أهل الكلام الكتاب والسنة، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية -رحمــه الله-: "اتفــق ســلف

---

[1]- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٩، انظر: جلاء العينين للآلوسي ص١٣٦.

[2]- **ابن أبي الحديد**: الشيخ، العدل، المرتضى، الرئيس أحمد بن عبد الواحد ابن المحدث أبي بكر محمد بــن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد، السُلمي، الدمشقي (أبو الحسن)، توفي سنة ٤٦٩ هــ. انظــر: شــذرات الذهب لابن عماد ٣٣٢/٣-٣٣٣، سير الأعلام ٤١٨/١٨-٤١٩.

[3]- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٩.

[4]- **الفتح القشيري**: هو أبو الفتح -وليس الفتح كما ورد في المتن- محمد بن علي بن وهب بن مطيع، الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين (أبو الفتح) ابن دقيق العيد، القشيري، المنفلوطي، المصــري، المــالكي، الشافعي، كان إماماً متقناً، محدثاً، مجوداً، فقيهاً، مدققاً، أصولياً، أديباً، شاعراً، نحوياً، ذكياً، غواصاً على المعاني مجتهداً، وافر العقل، ولد سنة ٦٢٥هــ، وتوفي سنة ٧٠٢هــ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجــر ٩١/٤-٩٦، شذرات الذهب لابن عماد ٥/٦، الأعلام للزركلي ٢٨٣/٦.

[5]- جلاء العينين للآلوسي ص١٣٥.

الأمة وأئمتها، على ذمه -علم الكلام- والنهي عنه وتجهيل أصحابه، وتضليلهم حيث سلكوا في الاستدلال طرقاً ليست مستقيمةً،واستدلوا بقضايا متضمنة للكذب فلزمهم بها مسائل خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة، وصرائح المعقول، فكانوا جاهلين كاذبين ظالمين في كثير من مسائلهم ووسائلهم وأحكامهم ودلائلهم"[١].

ومن طرقهم غير المستقيمة في الاستدلال، إعراضهم عن النصوص الشرعية، ويستدلون على صحة أقوالهم بغير الكتاب والسنة، ويقول القرطبي: "وأفضى الكلام بكثيرٍ من أهله إلى الشك، وببعضهم إلى الإلحاد، وببعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع، وتطلبهم حقائق الأمور من غيره"[٢].

٢- ويذم علم الكلام لأن كثيراً من المتكلمين وخاصة المتأخرين منهم، يعتبرونه أصلاً من أصول الدين، وبالتالي من خالف هذا العلم ونقدهم، فيعتبرونه قد خالف الإسلام، أي اعتبروا هذا العلم يمثل الدين، وفي هذا يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "والمقصود أن هذه الطريقة الكلامية، التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة، وأنكرها سلف الأمة وأئمتها، صارت عند كثير من النظار المتأخرين هي دين الإسلام، بل يعتقدون أن من خالفها، فقد خالف دين الإسلام، مع أنه لم ينطق بما فيها من الحكم والدليل، والدليل لا آية في كتاب الله، ولا خبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا أحد من الصحابة والتابعين، فكيف يكون دين الإسلام، بل أصل أصول دين الإسلام، ما لم يدل عليه لا كتاب ولا سنة، ولا قول أحد من السلف"[٣].

وذكر (د. عبد الرحمن عميرة) في مقدمته على كتاب (شرح المقاصد) الأدلة على عدم أهمية علم الكلام، وذمه، فقال: "يرى بعض العلماء أن العقائد ثابتة في القرآن، وأوضحتها السنة النبوية، فلا حاجة إذن إلى علم الكلام، هذا على اعتبار أن علم الكلام: هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير، بإيراد الحجج، ودفع الشبه...

ويقولون أيضاً: لو كان علم الكلام هدى ورشاداً، لتكلم فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- وخلفاؤه وأصحابه، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يمت حتى تكلم في كل ما يحتاج إليه من أمور الدين، وبينه بياناً شافياً، ولم يترك بعده لأحد مقالاً، فيما للمسلمين إليه حاجة

---

[١]- درء التعارض لابن تيمية ١٤٤/٧.

[٢]- فتح الباري لابن حجر ٣٥٠/١٣.

[٣]- منهاج السنة لابن تيمية ٣١٥/١-٣١٦. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

من أمور دينهم، وما يقربهم إلى الله عز وجل، ويباعدهم عن سخطه، فلما لم يرووا عنه الكلام في شيء مما علمنا صلى الله عليه وسلم أن الكلام فيه بدعة والبحث عنه ضلالة، لأنه لو كان خيراً لما فات النبي -صلى الله عليه وسلم- ولتكلموا فيه.

وقالوا أيضاً: ولأنه ليس يخلو ذلك من وجهين: إما أن يكونوا علموه فسكتوا عنه، أو لم يعلموه بل جهلوه، فإن كانوا علموه ولم يتكلموا فيه، وسعنا نحن أيضاً السكوت عنه، كما وسعهم السكوت عنه، وسعنا ترك الخوض فيه، كما وسعهم ترك الخوض فيه، لأنه لو كان من الدين ما وسعهم السكوت عنه، وإن كانوا لم يعلموه وسعنا جهله، كما وسع أولئك جهله، لأنه لو كان من الدين لم يجهلوه، فعلى كلا الوجهين الكلام فيه بدعة والخوض فيه ضلالة"[١].

وبعد هذا العرض يتبين لكل ذي بصيرة، أن علم الكلام مذموم،ومن ضمنه الذي خاض فيه الحبشي، وإن كان يطلق عليه ألقاب محببة للنفس، والذامون له لسببين:إما لأنه بدعة أو أنه مشتمل على مقامات باطلة، وهذا ما يوضحه شيخ الإسلام -ابن تيمية- بقوله: "وهذه الطريقة هي أساس الكلام الذي اشتهر ذم السلف والأئمة له... والذامون لها نوعان: منهم من يذمها لأنها بدعة في الإسلام، فإننا نعلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يدع الناس بها، ولا الصحابة، لأنها طويلة مخطرة كثيرة الممانعات والمعارضات، فصار السالك فيها، كراكب البحر عند هيجانه... ومنهم من ذمها لأنها مشتملة على مقامات باطلة، لا تُحصَّل لمقصود تناقضه..."[٢].

المطلب الرابع: العقل أصل الشرع عند الأحباش:

إن الأحباش يعولون كثيراً على العقل في إثبات الشرع، وهذا يظهر واضحاً من خلال تعريف الحبشي لعلم الكلام، بأن العقل شاهد للدين[٣].

ولا يقف عند هذا الحد، بل يقول في موضع آخر: "إن الشرع إنما ثبت بالعقل، فلا يتصور وروده بما يكذب العقل، فإنه شاهده، فلو أتى بذلك يبطل الشرع والعقل معاً"[٤].

وهذا الأمر واضح في معتقدات الأحباش، حيث يقدمون العقل على النقل في إثبات المعتقدات، بل أحياناً ينفون بعض النصوص الشرعية ويحكمون عليها بالضعف، وببطلان

---

[١]- مقدمة كتاب -شرح المقاصد للإمام سعد الدين التفتازاني- تحقيق وتعليق مع مقدمة في علم الكلام: د. عبد الرحمن عميرة ٣٢/١-٣٣،الناشر:عالم الكتب،بيروت، ط الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. وانظر: الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ص٦٢-٦٤، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

[٢]- كتاب الصفدية لابن تيمية ٢٧٥/١، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، -بدون ناشر أو رقم طبعة- ١٤٠٦هـ.

[٣]- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩.

[٤]- غاية البيان إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٨.

الاستدلال بها، أو يقومون بتأويلها بسبب عدم قبول العقل -حسب زعمهم- لما يرد في النصوص الشرعية، وخاصة آيات وأحاديث الصفات[١].

وهذا نفسه الذي قال به المتكلمون، ولكن السلف ردوا على ذلك بما يلي:

١- "إذا تعارض النقل والعقل، إما أن يريد به القطعيين، فلا نسلم إمكان التعارض حينئذ، وإما أن يريد به الظنيين، فالمقدم هو الراجح مطلقاً، وإما أن يريد أحدهما: قطعي، فالقطعي هو المقدم مطلقاً، وإذا قدر أن العقلي هو القطعي، كان تقديمه لكونه قطعياً، لا لكونه عقلياً، فعلم أن تقديم العقل مطلقاً خطأ، كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ"[٢].

٢- "كل ما عارض الشرع من العقليات، فالعقل يعلم فساده وإن لم يعارض العقل، وما علم فساده بالعقل لا يجوز أن يعارض به لا عقل ولا شرع، وهذه الجملة تفصيلها هو الكلام على حجج المخالفين للسنة من أهل البدع، بأن نبين بالعقل فساد تلك الحجج وتناقضها... ومن تأمل ذلك وجد في العقول ما يُعلم به فساد المعقول المخالف للشرع ما لا يعلمه إلا الله تعالى"[٣].

٣- "أن يقال: الأمور السمعية التي يقال (إن العقل عارضها) كإثبات الصفات والمعاد ونحو ذلك، هي مما عُلم بالاضطرار أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- جاء بها، وما كان معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام، امتنع أن يكون باطلاً مع كون الرسول -رسول الله- حقاً، فمن قدح في ذلك، وادعى أن الرسول لم يجيء به، كان قوله معلوم الفساد بالضرورة من دين المسلمين"[٤].

٤- ويقال أيضاً أن العقل ميزان صحيح، لكن لا يمكن وزن كل الأمور فيه، وخاصة الآخروية والغيبية، لأنها فوق طاقته، وفي هذا يقول ابن خلدون: "... بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال..."[٥].

---

[١] - انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣١٠-٣١١، ١٣١، المطالب الوفية للحبشي ص١٥١، الشرح القويم للحبشي ص٩٦، غاية البيان إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٥٣، ٥٧، تفنيد مزاعم المدعى إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٧١.

[٢] - درء التعارض لابن تيمية ٨٦/١-٨٧.

[٣] - المصدر السابق ١٩٤/١.

[٤] - المصدر نفسه ١٩٥/١.

[٥] - المقدمة لابن خلدون ص٣٦٤.

٥- "لو قد عارض العقل الشرع لوجب تقديم الشرع. لأن العقل قد صدق الشرع، ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدق الشرع، موقوف على كل ما يخبر به العقل"[1].

وبالتالي لا يمكن تقديم العقل على الشرع، لأنه لا يمكن أن يتناقض صحيح النقل مع صريح العقل[2].

وبعد هذا العرض لعلم الكلام عند الأحباش، يتبين لنا بصورة لا شك فيها، أن علم الكلام الذي يتحدث عنه الحبشي ويدعو إلى الخوض فيه، إنما هو علم الكلام المذموم، الذي نهى عنه سلف الأمة.

ومن يستخدم هذا العلم في مناظراته حتى ولو مع الكفار وأهل الأهواء فقد ظلمهم به، وظلم به المؤمنين جميعاً، لأنه يأتي بخلاف ما عليه الشرع، وهذا ما صرح به ابن تيمية بقوله: "فهكذا أجاب أهل الكلام الذين تكلموا في مناظرة الكفار وأهل الأهواء في المذاهب والحجج بما ليس موافقاً الشريعة، وما يذكره العقل الصريح، فصاروا كمن جاهد الكفار جهاداً ظلمهم، وخرج فيه عن الشريعة، وظلم المؤمنين جميعاً، حتى كان مضرة ذلك الجهاد على المسلمين وعلى أنفسهم، وعلى عدوهم أكثر من منفعته"[3].

وبعد هذا العرض يمكن بيان منهج السلف في تقرير العقيدة، وهي كالتالي:

١- المصادر التي اعتمدوا عليها في تقرير العقيدة:

- كتاب الله- السنة النبوية- إجماع السلف- العقل- الفطرة السليمة.

٢- الضوابط التي تضبط دراسة مسائل العقيدة وتبين منهجهم:

أ- الاعتماد على الكتاب والسنة.

ب- عدم رد شيء أو تأويله مما ورد في الكتاب والسنة.

ج- الاعتماد على فهم السلف لنصوص الكتاب والسنة.

د- وحدة الاعتقاد.

ه- عدم الاعتماد على الطرق الكلامية في إثبات وفهم مسائل الاعتقاد.

و- تحديث الناس بما يعرفون.

---

[1]- مختصر الصواعق لابن القيم ١٠٤/١.

[2]- لمزيد من الردود على من قدم العقل على النقل. انظر: درء التعارض لابن تيمية ٨٧/١-٣٢٠، مختصر الصواعق لابن القيم ٩١/١-١٤٢.

[3]- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية لأحمد بن تيمية ١٢٢/١، الناشر: مؤسسة قرطبة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

الفصل الثاني

موقف الأحباش من الألوهيات

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقفهم من وجود الله .

المبحث الثاني : موقفهم من وحدانية الله .

المبحث الثالث : موقفهم من الأسماء والصفات .

المبحث الأول: موقف الأحباش من وجود الله

اهتم الأحباش بإثبات وجود الله ، وجعلوه أصلاً من أصول العقيدة، حيث يقول الحبشي: "الأصل الذي تبنى عليه العقيدة الإسلامية معرفة الله ،ومعرفة رسوله، فمعرفة الله هو العلم بأنه تعالى موجود"[١]، وهذه المعرفة يجعلها الأحباش أول ما يجب على المكلف، حيث يقول الحبشي: "إن أول ما يجب على الإنسان معرفة الله ومعرفة رسوله..."[٢]، وبالتالي فإن المعرفة هي أول ما يجب على المكلف عند الأحباش[٣].

ويعتبر الحبشي أن الله موجود أزلاً وأبداً ، فيقول: "أن الله تعالى موجود أزلاً وأبداً ، فليس وجوده تعالى بإيجاد موجد"[٤]، ولهذا يصفه الأحباش بأنه أزلي أبدي، وهذا يتضح جلياً من خلال تقسيم الحبشي للموجود ثلاثة أقسام:" الأول: أزلي أبدي: وهو الله تعالى فقط، أي لا بداية ولا نهاية لوجوده، الثاني: أبديٌ لا أزلياً ...، الثالث: لا أزلي ولا أبدي ..."[٥].

ويثبت الأحباش وجود الله من خلال طريقين هما: النقل والعقل، ولكن التركيز على الأدلة العقلية أكثر.

أما الأدلة النقلية على وجود الله،فيوردها الحبشي كالتالي،حيث يقول:"فيجب اعتقاد أنه تعالى موجود في الأزل أي لا ابتداء لوجوده، قال تعالى:﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ**﴾ [إبراهيم:١٠]، وقال: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ**﴾[الحديد:٣]"[٦]،ثم يبين المقصود بالآيتين السابقتين بقوله:"هو الذي لا ابتداء لوجوده"[٧].

١- شرح الصفات الثلاث عشرة للحبشي ص٧، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١١٨.

٢- بغية الطالب للحبشي ص٨، انظر: صريح البيان ص٨٥-٨٧.

٣- يسعى الأحباش جاهدين لنشر الفكر الأشعري بكل دقائقه من خلال نشرهم لكتب التراث الأشعري، مثل كتاب (منتخب حدائق الفصول) لمكي الحموي، وفيه جاء أن أول ما يجب على المكلف النظر، على شكل أبيات من الشعر قال فيها المؤلف: أول واجب على المكلَّفِ   البالغ العاقل فافهم تكتفِ
معرفة الله وقدس ذاته   وكل ما يجوز من صفاته
انظر: منتخب حدائق الفصول وجواهر الأصول -في علم الكلام على أصول أبي الحسن الأشعري- لتاج الدين محمد بن هبة الله المكي الحموي ص٢٩، الناشر: دار المشاريع للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤- الصراط المستقيم للحبشي ص٣٠، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص١١٧-١١٨.

٥- الصراط المستقيم للحبشي ص٢٣، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص٩٠-٩١.

٦- شرح الصفات الثلاث عشرة للحبشي ص٧.

٧- المصدر السابق ص٨.

ومن الأدلة النقلية التي يوردها الحبشي لإثبات وجود الله، قوله تعالى:﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[الذاريات:٢١]،ويعلق عليها الحبشي بقوله:"أي أن في أنفسكم دليلاً على وجود الله"[١].

ومن الأحاديث الواردة في السنة النبوية ما يرويه "البخاري في الصحيح والبيهقي، وأبو بكر ابن الجارود[٢]، عن عمران بن الحصين (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جاءه قومٌ من أهل اليمن فقالوا:يا رسول الله : جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن بدء هذا الأمر ما كان، وفي لفظ (عن أول هذا الأمر)، قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه علي الماء وكتب في الذكر كل شيء)[٣] كان سؤالهم عن أول العالم، ثم الرسول أجابهم بما هو أهم من ذلك وهو قوله: (كان الله ولم يكن شيء غيره) أي أن الله موجود في الأزل، لا ابتداء لوجوده، ولم يكن في الأزل معه شيء، أي: لا زمان ولا مكان، ولا أجرام"[٤].

ويرى الحبشي أنه لا بد من الاستدلال بأدلة عقلية على وجود الله ، ويعتبر الاستدلال العقلي واجباً فيقول: "ولكنهم -أهل الحق كما يسميهم الحبشي-يرون الاستدلال على وجود الله تعالى بدليل عقلي،ولو كان إجمالياً واجباً"[٥]

ومن الأدلة العقلية التي يسوقها الحبشي للاستدلال بها على وجود الله قوله: "كأن يقال: العالم متغير، وكل متغير حادث، فالعالم حادث، فلا بد له من محدثٍ، وهذا المحدث، هذا الموجد هو الذي يسمى الله ، فإن من نظر في عقله نظراً صحيحاً يدله على ذلك"[٦]، وهذا ما يسمى عند المتكلمين بدليل الحدوث.

ويثبت الحبشي وجود الله من خلال توهمه لمناظرة مع عابد شمس يريد أن يثبت له وجود الله بالأدلة العقلية، فيقول لهذا الملحد -المتوهم-:"... معبودك هذا له حد وشكل، فيحتاج إلى من جعله على هذا الحد والشكل، والمعبود الحق، هو الموجود الذي ليس له حدٌ ولا شكل، فلا يحتاج إلى غيره، أما معبودك الذي هو الشمس فلا يصح في العقل، أن يكون هو أوجد

١- شرح الصفات الثلاث عشرة للحبشي ص١٣.

٢- **أبو بكر بن الجارود** : هو أبو محمد، عبدالله بن علي بن الجارود النيسابوري الحافظ، صاحب (المنتقى في السنن)، ولد سنة ٢٣٠هـ، وتوفي سنة ٣٠٧هـ، -وليس هو أبو بكر بن الجارود كما ذكر الحبشي-ولا يوجد أحد غيره اسمه أبو بكر بن الجارود، يروي الحديث بالسند، ومع ذلك لم أجد الحديث في المنتقى. انظر: سير الأعلام للذهبي ٢٣٩/١٤ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٧٩٤/٣-٧٩٥.

٣- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق ، باب قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده)، ح٣١٩١ ، ٨٦/٤-٨٧.

٤- شرح الصفات الثلاث عشرة للحبشي ص٨.

٥- المصدر السابق ص٩.

٦- المصدر نفسه ص٩.

نفسه على هذا الحد وهذا الشكل، إنما الذي يستحق أن يُعبد هــو معبودنـــا الــذي موجــود لا كالموجودات، فهنا ينقطع عابد الشمس"[1].

ومن الأدلة العقلية التي يذكرها الحبشـــي للاســـتدلال علـــى وجــود الله ، نقــلاً عــن بعض علماء العقيدة -كما يقول- "أن يقال: أنا كنت بعد أن لــم أكــن، ومـــا كـــان بعــد أن لم يكن فلا بدَّ له من مكون، فأنا لا بُدَّ لي من مكــون، يســتنتج مــن هــذا القــول أن ذلـــك المكون، لا يكون شبيهاً لي ولا لشيءٍ ما مــن الحادثـــات التـــي هـــي مشـــاركةٌ لـــي فـــي الحدوث، وهذا المكوّن هو المسمى الله"[2].

وأيضاً من الأدلة على وجود الله -كما يسوقه الحبشي- هــذا العـــالم -أي حدوثـــه- فيقول:" الله موجود لا شك في وجوده، قال تعالى: ﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ**﴾ [إبراهيم:١٠]، أي لا شك في وجوده، وهذا العالم دليل على وجود الله تبارك وتعالى، لأنه لا يصح في العقل وجود فعل ما من غير فاعل، كما لا يصح نسخ وكتابة من غير ناسخ وكاتب، فهذا العالم لا بد لـــه مـــن خالق من باب أولى وهو الله تعالى"[3]، ويرى الأحباش أن الله في وجوده لا يحتاج إلى شـــيء من المخلوقات، وبالتالي يطلقوا عليه واجب الوجود "الله تعالى هو الذات الواجب الوجود، الذي وجوده بذاته، ولا يحتاج إلى شيء أصلاً،لأنه لو كان جائز الوجود لكان من جملة العالم، فـــلا يصلح محدثاً للعالم"[4] أي سيكون حادثاً وبالتالي فلا يصلح أن يكون محدثاً للعالم وهذا باطل.

بعد هذا العرض لموقف الأحباش من وجود الله، يؤخذ عليهم: أنهم جعلوا أول واجــب على المكلف معرفة الله[5]، وهذا أمر رده السلف بأن أول واجب علـــى المكلـــف الشـــهادتين المتضمنتين توحيد الألوهية والربوبية، وهذا ما قال به شيخ الإسلام ابن تيمية، ويستدل علـــى صحة ما ذهب إليه بأدلة منها:

- ما جاء في الحديث المتفق على صحته لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه-، "لما بعثه -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن، وقال له: (إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول مـــا تـــدعوهم إليه، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فـــأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لـــذلك فـــأعلمهم أن الله

---

[1]- شرح الصفات الثلاث عشرة للحبشي ص١٢.

[2]- المصدر السابق ص١٣.

[3]- بهجة النظر -في ما يزيد على أربعمائة سؤال في متن المختصر- إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٩-١٠، الناشر:دار المشاريع للطباعة والنشر، بيروت، ط الحادية عشرة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

[4]- المطالب الوفية للحبشي ص٣٣.

[5]- انظر: بغية الطالب للحبشي ص٨، صريح البيان للحبشي ص٨٥-٨٧.

افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم)[1]، وكذلك سائر الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- موافقة لهذا "[2]، والشاهد في الحديث لفظة(أول) من قوله -صلى الله عليه وسلم- (فليكن أول ما تدعوهم إليه) فيظهر من قوله -صلى الله عليه وسلم- أن أول ما يجب على المكلف الشهادتين وليس المعرفة التي قال بها الأحباش وسلفهم من الأشاعرة المتكلمين حيث أن منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام - أنهم " يأمرون بالغايات المطلوبة من الإيمان بالله ورسوله وتقواه، ويذكرون من طرف ذلك وأسبابه ما هو أقوى وأنفع، وأما أهل البدع المخالفون لهم فبالعكس يأمرون بالبدايات الأوائل، ويذكرون من ذلك ما هو أضعف وأضر "[3].

وبعد أن يتحدث ابن تيمية -رحمه الله- عن قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦]، يعقب بقوله: "والمقصود هنا أنه من المعروف عن السلف والخلف أن جميع الجن والأنس معترفون بالخالق مقرّون له، مع أن جمهور الخلق لا يعرفون النظر الذي يذكره هؤلاء، فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وأنه من لوازم خلقهم، ضروري فيهم وإن قدّر أنه حصل بسبب، كما اغتذاءهم بالطعام والشراب هو من لوازم خلقهم، وذلك ضروري فيهم . وهذا الإقرار والشهادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ [الأعراف:١٧٢]"[4]، وبهذا يتبين أن الإقرار بالخالق هو أمر فطري لدى الإنس والجن دون اللجوء إلى طريقة المتكلمين لمعرفة الله بالنظر، وقول الله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق:١]، حيث أن "هذه الآية مما يستدل به على ذلك، فإن أول ما أوجب الله على رسوله، وعلى المؤمنين هو ما أمر به في قوله: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق:١]"[5].

وهذا شارح الطحاوية يبين أول ما يجب على المكلف بقوله:"أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر،ولا القصد إلى النظر،ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم"[6].

- ويضاف إلى ما سبق إجماع سلف الأمة، على أن أول ما يدعى إليه غير المسلم إلى هذا الدين هو: الشهادتان، ويوضح هذا الأمر ابن تيمية بقوله: "وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين،

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، وترد في الفقراء حيث كانوا ح١٤٩٦، ١٦٥/١، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ح٢٩، ٥٠/١.

[2]- درء التعارض لابن تيمية ٦/٨-٧.

[3]- المصدر السابق ٢١/٨.

[4]- المصدر نفسه ٤٨٢/٨.

[5]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٦ / ١٩١ .

[6]- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٧٨.

وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما عُلم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين سواء كان معطلاً أو مشركاً أو كتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلماً، ولا يصير مسلماً بدون ذلك"[١].

- ومما يظهر فساد قول الحبشي بأن أول ما يجب على المكلف معرفة الله - بالإضافة إلى ما سبق - ما نقل عن حذاق الأشاعرة وأكابرهم مثل: الرازي حيث صرح في كتابه (نهاية العقول) بقوله: "وبهذا يتبين خطأ قول من زعم أن أول الواجبات القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم"[٢]، ويعقب ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "هذا القول الذي خطّأه الرازي هو الذي ذكره أبو المعالي في أول (الإرشاد)[٣] كما ذكره طوائف من أهل الكلام: المعتزلة وغيرهم، وهو قول من وافقه على هذا من المنتسبين إلى الأشعري"[٤].

وما نقل أيضاً عن الآمدي في كتابه المسمى (إبكار الأفكار) في مسألة وجوب النظر في رده على من قال:"أنه لا طريق إلى معرفة الله إلا النظر والاستدلال"[٥] فقال في جوابه على منازعه "قولهم:لا نسلم توقف المعرفة على النظر،قلنا:نحن إنما نقول بوجوب النظر في حق من لم يحصل له العلم بالله بغير النظر،وإلا فمن حصلت له المعرفة بالله بغير النظر،فالنظر في حقه غير واجب"[٦]،وفي هذا بيان بأن طرق المعرفة كثيرة وحصرها في أول واجب للمكلف بالنظر المؤدي إلى المعرفة غير صحيح.

ومما يؤخذ على الحبشي في إثباته لوجود الله، استخدامه للأدلة العقلية، التي استخدمها المتكلمون بحيث جعلوها ركيزة أساسية في إثبات وجوده سبحانه وتعالى،ومن هذه الأدلة العقلية: دليل الحدوث[٧]، ودليل

---

[١] - درء التعارض لابن تيمية ٧/٨.

[٢] - المصدر السابق ٢٩٠/٥.

[٣] - انظر: الإرشاد للجويني ص٢٥.

[٤] - درء التعارض لابن تيمية ٢٩٠/٥، وانظر: المصدر السابق ٣٥٥/٧.

[٥] - المصدر نفسه ٣٥٦/٧.

[٦] - المصدر نفسه ٣٥٦/٧.

[٧] - **دليل الحدوث**: "المراد بالحدوث حدوث الجواهر والأعراض، إن المتكلمين يرون أنه لا بد من إثبات حدوث العالم قبل إثبات وجود الله تعالى، ولهم في إثبات حدوث العالم أصول يقررونها، ومن ثم يثبت حدوث العالم، ...يرتكز الدليل على إثبات أصول:١- ثبوت الأعراض. ٢-حدوث الأعراض.٣-عدم تعري الجواهر عن الأعراض،لأن العرض لا يقوم بنفسه، ولا يقوم بعرض مثله. ٤-استحالة حوادث لا=

الإمكان[1]، ودليل السببية[2]؛ والدليلان الأخيران يعتبران جزءاً من دليل الحدوث.

والحبشي عندما جاء بأدلة عقلية ليثبت من خلالها وجود الله ، لم يقم بتصنيف هذه الأدلة، كما فعل المتكلمون وإنما سردها دون ذكر تسمية لها، ولهذا سيتم مناقشته وفق منهجه في سرد الأدلة دون ذكر التسمية للأدلة كما فعل المتكلمون، وخاصة أن الدليلين الثاني والثالث يرجعان في المعنى إلى الدليل الأول وهو دليل الحدوث.

والأدلة العقلية التي استخدمها الحبشي وجهت لها العديد من الانتقادات منها ما يلي :

- أن ما قال به من أدلة تثبت وجود الله وهي من خصوصيات الرسالة التي جاء الرسل لتبليغها، لم ترد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وبالتالي تعتبر بدعة، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "أن يقال: كل من له أدنى معرفة بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم بالاضطرار أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يدع الناس بهذه الطريق"[3] ثم يذكر ما ابتدعه المتكلمون في الشرع من ألفاظ ليس لها أصل مثل "...أن الحوادث يمتنع دوامها في الماضي والمستقبل، أو في الماضي لا نصاً ولا ظاهراً ..."[4]، ويزيد ابن تيمية -رحمه الله- هذا المعنى وضوحاً بقوله:" قد عُلم بالاضطرار من دين الرسول والنقل المتواتر أنه دعا الخلق إلى الإيمان بالله ورسوله، ولم يدع الناس بهذه

=أول لها. ٥-ما لا يخلو من الحادث فهو حادث. ويلاحظ أن المتكلمين بنوا طريقهم في إثبات وجود الله تعالى على حدوث العالم. وذلك أن الحدوث في رأيهم هو العلة المحوجة إلى المؤثر". مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحدانيته دراسة ونقداً د. صالح حسين الرقب ٣٣٨/١ (مخطوط)١٤١٢هـ.

[1]- **دليل الإمكان**: "يتلخص هذا الدليل في أن إمكان الممكنات يدل على وجود مرجح لأحد طرفي الإمكان، وهذا المرجح هو واجب الوجود لذاته. ويلاحظ أن دليل الإمكان يعتمد على فكرة حدوث العالم التي جاءت في الدليل السابق (دليل الحدوث)، وإنه مبني على مقدمتين: المقدمة الأولى: أن العالم بجميع ما فيه جائز وجوده وعدمه، وجائز وقوعه على غير ما هو عليه، والثانية: أن الجائز حادث، وأن النتيجة التي يتوصل إليها وهي أن الجائز الممكن يفتقر إلى المخصص الذي خصه بالوقوع، وهذا المخصص هو الله الخالق المختار المريد ". مناهج الإسلاميين د. الرقب ٣٤٩/١ (مخطوط).

[2]- **دليل السببية**: "ويسمى هذا الدليل بدليل العلية. ويقوم على مبدأ: أن لكل سبب مسبباً، وأن لكل معلول علة، وهناك علاقة وثيقة بين دليل الحدوث ودليل السببية. فالعالم إذا ثبت أنه حادث، وأنه لم يحدث نفسه أو يصلح ما فسد منه، فلا بد من علة هو معلول لها، أو لا بد له من موجد يكون وجوده به، وإذا كان العالم في حركة وتحول وتغير فلا بد لهذه الأمور من أسباب تنشأ عنها وهذه الأسباب لا بد لها من سبب أصيل نشأت عنه... فدل ذلك على وجود المحدث المختار عز وجل ". مناهج الإسلاميين د. الرقب ٣٥٧/١-٣٥٨ (مخطوط).

[3]- درء التعارض لابن تيمية ١٠٥/١.

[4]- المصدر السابق ١٠٥/١.

الطريق التي قلتم: أنكم أثبتم بها حدوث العالم ونفي كونه جسماً، وآمن بالرسول من آمن به من المهاجرين والأنصار، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ولم يدع أحداً بهذه الطريق، ولا ذكرها أحد منهم، ولا ذُكرت في القرآن، ولا حديث الرسول، ولا دعا بها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان هم خير هذه الأمة وأفضلها علماً وإيماناً، وإنما ابتدعت هذه الطريق في الإسلام..."[1]

- القرآن الكريم الذي هو مصدر التشريع لدى المسلمين، لم يرد فيه آية تدلل على المقدمات التي يذكرها الحبشي وأمثاله من المتكلمين في إثبات وجود الله، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "... فهب أن بعض هذه النصوص قد يفهم منها مقدمة واحدة من مقدمات دليلكم فتلك ليست كافية بالضرورة، عند العقلاء، بل لا بد من ضم مقدمة أو مقدمات أخر ليس في القرآن ما يدل عليها البتة... فمن أين في القرآن ما يدل دلالة ظاهرة، على أن كل متحرك محدث أو ممكن ؟ وأن الحركة لا تقوم إلا بحادث أو ممكن ؟ وأن ما قامت به الحوادث لم يخل منها ؟ وأن من لا يخلو من الحوادث فهو حادث ؟ وأين في القرآن امتناع حوادث لا أول لها..."[2]
- اعتراف حذاق المتكلمين أن هذه الطريقة محرمة وهي باطلة، وشيخ الإسلام يبين ذلك بقوله: "فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه. ولهذا قد اعترف حذّاق أهل الكلام -كالأشعري وغيره- بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكروا أنها محرمة عندهم، بل المحققون على أنها طريقة باطلة"[3] ويرجع السبب من وراء ذلك لأحد أمرين "إما أن يطلع على ضعفها، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم، فتتكافأ عنده الأدلة، أو يرجح هذا تارة وهذا تارة، كما هو حال طوائف منهم، وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل... والتزم قوم لأجلها -كالأشعري وغيره- أن الماء والهواء والتراب والنار له طعم ولون وريح ونحو ذلك ، والتزم قوم لأجلها ولأجل غيرها أن جميع الأعراض، كالطعم واللون وغيرهما -لا يجوز بقاؤهما بحال..."[4]، وهذا يرجع كله إلى الصعوبة من وراء المقدمات التي سيقت لإثبات وجود الله.

---

[1] - درء التعارض لابن تيمية ٩٨/١.

[2] -المصدر السابق ١١٨/١.

[3] - المصدر نفسه ٣٨/١، وانظر: شرح قصيدة الإمام ابن القيم -الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية- لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ١ ٧٤، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٤هـ.

[4] - درء التعارض لابن تيمية ٣٨/١-٣٩.

- وطريقة إثبات الصانع من خلال دليل الحدوث للعالم، طريقة باطلة ويؤكد هذا المنحى، نقد الفلاسفة لهذه الطريقة حيث أن "هؤلاء المتفلسفة لما رأوا هذه عمدة هؤلاء المتكلمين في إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع، وتفطنوا لموضع المنع فيها، وهو قولهم: يمتنع دوام الحوادث، قالوا: هذه الطريقة تستلزم كون الصانع كان معطلاً عن الكلام والفعل دائماً إلى أن أحدث كلاماً وفعلاً بلا سبب أصلاً . قالوا: وهذا مما يعلم بطلانه بصريح العقل..."[1].
- ويقال للحبشي: إن دليل الحدوث الذي استندت إليه في إثبات الصانع أو إثبات وجود الله، يحتوي على مقدمتين:" إحداهما: أن الموصوفات لا تخلو عن أعراض حادثة من صفات وأفعال تعتقب عليها. والثانية: أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

فاحتاجوا في تقرير (المقدمة الأولى) إلى ثبوت الأعراض أو بعضها، وحدوثها أو حدوث بعضها، وأن الأجسام لا تخلو منها أو من بعضها. فتارة يستدلون بما شهدوه من الاجتماع والافتراق، وتارة يقولون: أنه لازم لها من الحركة والسكون -وهذه الأقسام الأربعة هي الأكوان عندهم- وهذه حجة الصفاتية، يحتجون بالأكوان، ويقولون: إن الله تعالى لا يوصف بها، وآخرون فيهم لا يحتجون إلا بجواز الاجتماع والافتراق دون الحركة والسكون، حتى يستقيم أن يصف الرب بذلك، ويقول إن هذا هو الذي لا تخلو الجواهر منه وهو مبني على الجوهر الفرد[2]. وتارة يدعي بعضهم حدوث جميع الأعراض زعماً منه أن العرض لا يبقى زمانين، ويدعون مع ذلك بأن كل جسم خلق يخلو عما يمكن قبوله من الأعراض، أو عن ضد. ونشأ في هذا المقالات والنزاع ما يطول ذكره.

وأما المقدمة الثانية: فكانت في بادئ الرأي أظهر، ولهذا كثير منهم يأخذها مسلمة، فإن ما لا يخلو عن الحادث فهو مقارنه ومجامعه لا يتقدم عليه، وإذا قدر شيئان متقارنان لا يتقدم أحدهما الأخر، وأحدهما حادث، كان الآخر حادثاً"[3].

ويزيد شيخ الإسلام المسألة تفصيلاً وبياناً لبطلان الاستدلال بهذا الدليل فيقول: "لكن في اللفظ إجمال، فإن هذا القائل: ما لا يخلو عن الحوادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث، أو ما تعتقب عليه الحوادث فهو حادث ونحو ذلك له معنيان:

---

[1] - الصفدية لابن تيمية ص٢٧٥.

[2] - **الجوهر الفرد**: هو الموجود الذي لا يقبل التجزئة، لا في الواقع ولا في التصور، وهو في الحوادث الجزء الذي لا يتجزأ. انظر: ضوابط المعرفة -وأصول الاستدلال والمناظرة- لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص٣٣٩، الناشر: دار القلم، دمشق -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[3] - تلبيس الجهمية لابن تيمية ١٤١/١-١٤٢.

أحدهما: ما لا يخلو عن حوادث معينة لها ابتداء . فلا ريب أن ما تقدم على ماله ابتداء فله ابتداء.

والثاني: أن ما لا يخلو عن حبس الحوادث -بحيث لم يزل قائماً به ما يكون فعلاً له كالحركة التي تحدث شيئاً بعد شيء- فهذا لا يعلم أنه حادث أو لم يعلم أن ذلك الحبس لا يكون قديماً، بل يمنع حوادث لا أول لها، وهذه مقدمة مشكلة "[1]، مما أدى بالمتكلمين والفلاسفة أن يستدلوا على ما يتناهى وما لا يتناهى بأدلة التزموا طردها فنشأ عن ذلك مذاهب وطوائف كجهم -الذي يقول بوجوب فناء العالم لوجوب تناهيه أولاً وأخراً، وقال: بفناء الجنة والنار إلى غير ذلك من الأقوال الفاسدة؛ وهذه الإشكاليات لا يتعرض لهما المتكلمون، ويكتفون بالعلم بحدوث ما التزمته الحوادث[2].

- ويؤخذ على الحبشي في أدلته العقلية، أنه أراد إثبات وجود الله من خلال الاستدلال بافتقار الكتابة إلى كاتب والنسخ إلى ناسخ، وهذا أمر معلوم الفساد لأن من كتب لم يبدع جسماً، وإنما أحدث في الأجسام تأليفاً خاصاً، وهذا ما يوضحه شيخ الإسلام بقوله: "هؤلاء إنما قاسوا على افتقار الكتابة إلى كاتب، والبناء إلى بانٍ، ونحو ذلك، ومعلوم أن البناء والكاتب لم يبدع جسماً، وإنما أحدث في الأجسام تأليفاً خاصاً، وهو عرض من الأعراض. فكيف يجعل مثل هذا محدثاً للذوات، ويجعل الذي خلق الإنسان من نطفة والشجرة من نواةٍ، إنما أحدث الصفات"[3].
- ويؤخذ على الحبشي تقصيره في إثبات وجود الله، من خلال عدم الإكثار من النصوص الشرعية التي جاءت في الكتاب والسنة، ولجوئه إلى أدلة المتكلمين التي لا تخلو من ممانعات في تقريرها، وصعوبة في فهمها، وبعدها عن الفطرة السليمة.
- ويقال للحبشي: أتعبت نفسك في إثبات أمر فطري مغروز في نفوس البشر، وهو وجود الله، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية -رحمه الله- : "إن الإقرار بالخالق وكماله، يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته"[4]، وأيضاً يقول شارح الطحاوية: "لا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري"[5]، وإذا كان الإقرار بالخالق أمراً فطرياً فهذا يعني أنه لا يحتاج إلى إقرار بوجوده من خلال أدلة عقلية فلسفية، وخاصة أنها تتميز بالصعوبة في الفهم والتعقيد في التركيب، وبالتالي يمكن الاستغناء عنها.

---

[1]- تلبيس الجهمية لابن تيمية ١٤٢/١.

[2]- انظر: المصدر السابق ١٤٢/١-١٤٣.

[3]- درء التعارض لابن تيمية ٨٥/٣.

[4]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٤٥/٦.

[5]- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٤٥.

- والحبشي خالف السلف في إثبات وجود الله، حيث جعل جُلّ اهتمامه على العقل من خلال مقدمات كلامية كثيرة الممانعات، بخلاف السلف الذين اثبتوا وجود الله من خـلال النقـل والفطرة والعقل، فعلى سبيل المثال لا الحصر، حُكي عن الإمام أبي حنيفة -رحمـه الله-: "أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث في تقرير توحيد الربوبية فقال لهم: أخبروني قبـل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعـام والمتـاع وغيـره بنفسها، وتعود بنفسها فتترضى[1] بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد، فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً، فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كلـه علوه و سفله ؟"[2]
- وأخيراً فإن الطريقة العقلية في إثبات وجود الله التي يقول بها الحبشـي، ذمهـا السـلف والأئمة لأمرين: لأنها بدعة في الإسلام، فإننا نعلم أن النبي -صلى الله عليه وسـلم- لـم يدع الناس بها ولا الصحابة، وإما لأنها طويلة مخطرة كثيرة الممانعـات والمعارضـات، وإما لأنها مشتملة على مقامات باطلة لا تُحصّل المقصود بل تناقضه. وهـذا قـول أئمـة الحديث وجمهور السلف[3].

---

[1] - **تترضى**: تلتصق بالشاطئ وتنضم إلى رصيفه. انظر: لسان العرب لابن منظور ١٦٥٤/٢-١٦٥٥.
[2] - شرح الفقه الأكبر للقاري ص١٤-١٥. وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٨٤-٨٥.
[3] - انظر: الصفدية لابن تيمية ص٢٧٥.

المبحث الثاني: موقف الأحباش من وحدانية الله

المطلب الأول: تعريف الوحدانية عند الأحباش:

الحبشي لم يختلف في منهجه في تعريف الوحدانية عن منهج المتكلمين، فيعرف الوحدانية بقوله:" معني الوحدانية أن الله ليس له ثانٍ، وليس مركباً مؤلفاً من أجزاء، كالأجسام، فالعرش وما دونه من الأجرام[١] مؤلف من أجزاء فيستحيل أن يكون بينه وبين الله مناسبة ومشابهة"[٢].

وفي تعريف آخر يقول: "معنى الوحدانية أنه ليس ذاتاً مؤلفاً من أجزاء، فلا يوجد ذات مثل ذاته، وليس لغيره صفة كصفته أو فعل كفعله. وليس المراد بوحدانيته، وحدانية العدد إذ الواحد في العدد له نصف وأجزاء أيضاً، بل المراد أنه لا شريك له"[٣]؛ وفي موضع آخر يبين الحبشي المقصود بالوحدانية من خلال شرح لفظ (الواحد) بقوله: "يعني أن صانع العالم واحد، فلا يمكن أن يصدُق مفهوم واجب الوجود إلا على ذات واحد"[٤]، وكذلك ما جاء في تفسير (الواحد) قوله: "والواحد في حق الله، فُسر بأنه الذي لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله"[٥]، وفي كتابه (إظهار العقيدة السنية) يبين المقصود بالوحدانية من خلال شرح لفظ (الأحد): "أما الأحد: فمعناه الذي لا ينقسم، لأنه ليس جسماً، ولا جوهراً،يتركب منه الجسم"[٦].

وبعد هذا العرض لتعريف الوحدانية عند الأحباش، يُلاحظ أن الحبشي جعل الوحدانية والواحد والأحد بمعنى واحد.

ومما يؤخذ على الحبشي في تعريفه للوحدانية، أنه استخدم ألفاظاً مبتدعة ليس لها أصل في الشرع مثل: التركيب والجسم والتأليف والجهة والتحيز وأشباه هذه الكلمات التي تحتمل معاني فاسدة، ولقد ناقش علماء السلف المتكلمين في استخدامهم أمثال هذه الألفاظ، فمثلاً لفظ الجسم لم يرد في الشرع ولم ينطق به الوحي إثباتاً أو نفياً[٧]، ويبين هذا الأمر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "... بل أين في القرآن أن الجسم الاصطلاحي مركب من الجواهر الفردة التي لا تقبل الانقسام، أو من المادة والصورة، وأن كل جسم منقسم ليس بواحد؟ بل أين في القرآن، أو لغة العرب، أو أحد من الأمم أن كل ما يشار إليه أو كل ما له

١- **الأجرام**: الأجرام الفلكية هي الأجسام التي فوق العناصر والكواكب. انظر: التعريفات للجرجاني ص٥٠.

٢- الشرح القويم للحبشي ص١٤١، وانظر: شرح الصفات للحبشي ص١٨.

٣- الصراط المستقيم للحبشي ص٣٦، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٠.

٤- المطالب الوفية للحبشي ص٣٦.

٥- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٦.

٦- المصدر السابق ص٢٦.

٧- انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ١/١٣٠-١٣٢.

مقدار فهو جسم، وأن كل ما شاركه في ذلك فهو مثل في الحقيقة؛ ولفظ الجسم في القرآن مذكور في قوله تعالى: ﴿**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾ [البقرة:٢٤٧]، وقد قال أهل اللغة: أن الجسم هو البدن... ومعلوم أن أهل الاصطلاح نقلوا لفظ (الجسم) من هذا المعنى الخاص إلى ما هو أعم منه، فسموا الهواء ولهيب النار وغير ذلك جسماً، وهذا لا تسميه العرب جسماً كما لا تسميه جسداً ولا بدناً، ثم قد يراد بالجسم الجسد نفسه القائم بنفسه، وقد يراد به غِلَظَهُ كما يقال لهذا الثوب جسم؛ وكذلك أهل العرف الاصطلاحي يريدون بالجسم تارة هذا، وتارة هذا، ويفرّقون بين الجسم التعليمي المجرد عن المحل الذي يسمى المادة والهيولي[١]، وبين الجسم الطبيعي الموجود "[٢]، وبذلك يظهر الفساد المحتمل للفظة الجسم عندما تستخدم في حق الله سبحانه وتعالى.

وأيضاً منهج الحبشي في تقرير التوحيد مخالف لمنهج القرآن في إثبات التوحيد، من حيث التفصيل في نفي الصفات السلبية عن الله، وهذا يتضح من خلال أقوال الحبشي وعلى سبيل المثال قوله:" ليس مركباً مؤلفاً من أجزاء كالأجسام "[٣]، أو قوله:" ليس المراد بوحدانيته وحدانية العدد، إذ الواحد في العدد له نصف وأجزاء أيضاً "[٤]، ومن المعلوم أن " الإثبات والنفي في أسمائه وصفاته مجمل ومفصل، فالإثبات المجمل يكون بإثبات الثناء المطلق، والحمد المطلق، والمجد المطلق لله تعالى ونحو ذلك كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:١]،... والنفي المجمل يكون بأن ينفى عن الله -عز وجل- كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص مثل قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]،... وأما التفصيل في النفي فهو أن ينزه عن كل واحد من هذه العيوب والنقائص بخصوصية، فينزه عن الوالد والولد والشريك... إلا أن منهج القرآن في النفي أن لا ينفي نفياً محضاً... إلا إذا كانت متضمنة صفة مدح وكمال، ... ولم يصف الله نفسه بنفي محض لا يستلزم صفة ثبوتية، وبذلك يتضح أن الذين يتجهون إلى الإكثار من النفي (أو ما يسمونه السلوب) أخطئوا، لأن النفي ليس فيه مدح ولا كمال ما لم يتضمن إثباتاً، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء.

١- **الهيولي**: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة. وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية. انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٨٧.

٢- درء التعارض لابن تيمية ١١٨/١-١١٩.

٣- الشرح القويم للحبشي ص١٤١.

٤- الصراط المستقيم للحبشي ص٣٦.

وقد أكثر المبتدعون من النفي المحض فقالوا:... وليس فوق العالم، وغلا بعضهم فقالوا: ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا مبايناً للعالم ولا مخالطاً له"[1] إلى غير ذلك من الألفاظ التي يجعلون الله سبحانه وتعالى عدما تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

والسلف عندما أرادوا أن يعرفوا التوحيد، لم يعرفوه كما فعل الحبشي، وإن كان في تعريفه معانٍ صحيحةٌ، ولكن طريقته غريبة عن طريق السلف لأنه اتبع طريق المتكلمين لذلك عبر بألفاظ غريبة تحتمل اكثر من معنى، ذات مقدمات تحمل بين طياتها ممانعات عقلية، بخلاف منهج السلف حيث عرفوا التوحيد بألفاظ قريبة من الفهم لا تحتوي على ممانعات، غير منفرة للعقول قبل النفوس، فمثلاً الإمام أبو جعفر الطحاوي[2] يقول:" نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له "[3]، ويُعرّف صاحب (لوامع الأنوار) التوحيد بقوله:" التصديق بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- من الخبر الدال على أن الله تعالى واحد في ألوهيته لا شريك له، والتصديق بذلك أن ينسبه إلى الصدق ومطابقة الواقع بالقلب واللسان معاً "[4] ويشرح هذا التعريف بقوله:" نعني بالتوحيد هنا الشرعي وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات، ولا تنفك عن الذات ولا يدخل أفعاله الاشتراك "[5]، وهنا تتجلى حقيقة التوحيد من حيث إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة التي يُعبر عنها بتوحيد الألوهية، التي افتقدها تعريف الحبشي، ويضاف إلى ذلك أن أقسام التوحيد الثلاثة عند السلف قُصد بها تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقصٍ من خلال نفي ما نفاه الله عن نفسه، وإثبات ما أثبته الله لنفسه كما قال تعالى:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]،وليس كما فعل الحبشي من تعطيل صفات الله وتأويلها بحجة التنزيه.

ومما يؤخذ على الحبشي أنه جعل التوحيد والواحد والأحد بمعنى واحد، وهذا يظهر من خلال تعريفه للتوحيد، فتارة يأتي بلفظ الواحد ويعرف التوحيد، وأخرى بلفظ الأحد يُعرف

---

[1] - العقيدة في الله د. الأشقر ص٢٤٤-٤٤٦.

[2] - **الإمام أبو جعفر الطحاوي**: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف من قرية طحا من أعمال مصر، مولده سنة ٢٣٩هـ، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر: سير الأعلام للذهبي ٢٧/١٥-٣٣، وفيات الأعيان لابن خلكان ٧١/١-٧٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ٨٠٨/٣-٨١١، البداية والنهاية لابن كثير ١٧٤/١١، شذرات الذهب لابن عماد ٢٨٨/٢.

[3] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٧٧.

[4] - لوامع الأنوار للسفاريني ٥٧/١.

[5] - المصدر السابق ٥٧/١.

به التوحيد[1]، وجعل الحبشي الواحد والأحد في حق الله هو الذي لا ينقسم، لأنه ليس جسماً ولا جوهراً يتركب منه، ولا يتجزأ لكونه غير مؤلف من أجزاء[2] وهذا مردود على الحبشي لكون لفظ الواحد وما يتصرف منه في لغة العرب وغيرهم من الأمم لا يطلق إلا على ما يسميه الحبشي وأمثاله من المتكلمين جسماً منقسماً "ليس هو شيئاً يعقله الناس، ولا يعلمون وجوده حتى يعبروا عنه، بل عقول الناس وفطرهم مجبولة على إنكاره ونفيه، فلو قدّر وجود هذا في الخارج أو إمكان وجوده، لاحتيج بعد ذلك إلى أن يثبت لفظ الواحد في لغة العرب، يُعَبرّون بها عنه، إذ ليس كل ما وُجد أو أمكن وجوده، يجب أن تصوره أهل اللغة، ويكون داخلاً فيما عبرّوا عنه من لغتهم "[3]، بل ويقال للحبشي:" وإذا قدّر أن أهل اللغة عَبرّوا بلفظ (الواحد) و(الأحد) في لغتهم من هذا،لم يجز أن يقال:إن لفظ(الواحد) في لغتهم لا يقع عليه "[4] وإن الواحد وما يشتق منه عُرف في اللغة فيما هو جسم منقسم، وهذا لا يعتبر عند الحبشي واحد، بل "وإن قدّر وجوده لكان نادراً في اللغة"[5].

والمعلوم في اللغة : أن اسم الواحد يتناول ما ليس هو الواحد في اصطلاح المتكلمين قديماً، ويمثلهم حديثاً جماعة الأحباش، وإذا كان الأمر كذلك لم يجز أن يحتج بقوله تعالى: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [البقرة:١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١]، ونحو ذلك مما أنزله الله بلغة العرب، وأخبرنا فيه أنه أحد، وأنه إله واحد، على المراد مما سماه أهل الكلام في اصطلاحهم واحداً مما ليس معروفاً في اللغة، بل إن دلالة القرآن على نقيض مطلوبهم، لأن القرآن نزل بلغة العرب، وإن العرب يُعرّفون الواحد بأنه ما كان قديماً قائماً بنفسه، متصفاً بالصفات، مبايناً لغيره، مشاراً إليه، ومن لم يكن كذلك لا تسميه العرب واحداً، وبالتالي فإن لفظ الواحد والأحد دل على نقيض مطلوب المتكلمين لا على مطلوبهم[6].

إذاً لا يجوز استخدام لفظ الواحد والأحد والوحيد بمعنى واحد إلا في الجسم المنقسم، وهذا ما يوضحه ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "لا يوجد في لغة العرب، بل ولا غيرهم من الأمم استعمال الواحد والأحد والوحيد، إلا فيما يسمونه هم جسماً منقسماً، كقوله تعالى: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾ [المدثر:١١]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا**

---

[1]- انظر: المطالب الوفية للحبشي ص٣٦، إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٦.

[2]- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٣٦، الشرح القويم للحبشي ص١٤٠.

[3]- درء التعارض لابن تيمية ١١٦/٧.

[4]- المصدر السابق ١١٧/٧.

[5]- المصدر نفسه ١١٧/٧.

[6]- انظر: المصدر نفسه ١١٧/٧.

النِّصْفُ﴾ [النساء:١١]، ...وقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف:٤٩] "[١]، وفي موضع آخر يذكر ابن تيمية -رحمه الله- نصوصاً عديدة من الكتاب والسنة يبين فيها خطأ من وصف الجسم بالوحدة، وأنه لا يطلق عليه هذا اللفظ، فيقول في (نقض التأسيس) في قوله تعالى:﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ [النساء:١] "ومعلوم أن النفس الواحدة التي خلق منها زوجها هو آدم، وحواء خلقت من ضلع آدم القصيراء من جسده خلقت، لم تخلق من روحه، حتى يقول القائل: الوحدة هي باعتبار النفس العاطفة التي لا تركيب فيها. وإذا كانت حواء خلقت من جسد آدم، وجسد آدم جسم من الأجسام، وقد سماها الله نفساً واحدة علم أن الجسم قد يوصف بالوحدة "[٢]، ويُعلق الإمام أحمد بن حنبل على قوله تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾ [المدثر:١١]، بقوله: "فإن الوحيد مبالغة في الواحد، فإذا وصف البشر الواحد بأنه وحيد في صفة فإنه واحد أزلي، ومع هذا فهو جسم من الأجسام "[٣]، ويذكر ابن تيمية -رحمه الله- نصوص من السنة يبين فيها فساد استخدام لفظ الواحد والأحد والوحدانية بمعنى واحد، ومن هذه الأحاديث: أحاديث الصلاة في الثوب الواحد، كالذي ورد في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سُئل:"أيصلي الرجل في الثوب الواحد؟ فقال: أو لكلكم ثوبان؟"[٤]

وما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه نهى أن يصلي الرجل في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء[٥]، وحديث مرور النبي -صلى الله عليه وسلم- بقبرين فقال:"إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة"[٦]، وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي يذكرها ابن تيمية لبيان فساد استخدام لفظ الواحد والأحد والوحيد بمعنى واحد[٧]،

١- درء التعارض لابن تيمية ١١٤/٧-١١٥.

٢- نقض التأسيس لابن تيمية ٤٨٨/١.

٣- المصدر السابق ٤٨٨/١.

٤- صحيح البخاري، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به، ح٣٥٨، ١٠٩/١.

٥- انظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه ح٥١٦، ٣٦٨/١. سنن النسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كتاب القبلة، باب صلاة الرجل في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء ح٧٦٩، ٧١/٢، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٦- صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب من الكبائر ألا يستتر من بوله ح٢١٦، ٦٩/١، وأيضاً: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول ح٢١٨، ٦٩/١، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ح٢٩٢، ٢٤٠/١-٢٤١.

٧- انظر: نقض التأسيس لابن تيمية ٤٨٩/١-٤٩٢.

ومن خلال ما سبق عرضه يتبين القصـور الـذي وقـع فيـه الحبشـي، ومخالفتـه مـنهج السلف.

المطلب الثاني: أدلة الأحباش على وحدانية الله:

دلل الأحباش على وحدانية الله تعالى بالأدلة العقلية، وأهم دليل ارتكـزوا عليـه فـي إثبات الوحدانية لله هو دليل التمانع المأخوذ من قوله تعالى:﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَـةٌ إِلَّـا اللَّـهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء:٢٢]، وعن تقرير هذا الدليل يقول الحبشي:" لو أمكن إلهان لأمكـن بينهمـا تمانع، بأن من يريد أحدهما حركة زيد، والآخر سكونه لأن كلاً منهما في نفسه أمـر ممكـن، وكذا تعلق الإرادة بكل منهما إذ لا تضادّ بين الإرادتين بل بـين المـرادين، وحينئـذٍ إمـا أن يحصل الأمران فيجتمع الضدان أو لا، فيلزم عجز أحدهما وهو أمارة الحدوث والإمكان لمـا فيه من شائبة الاحتياج، فالتعدد مستلزم لإمكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محـالاً. وهـذا تفصيل ما يقال: إن أحدهما إن لم يقدر على مخالفة الآخر لزم عجزه، وإن قَدَرَ لـزم عجـز الآخر، وبهذا يندفع ما يقال أنه يجوز أن يتفقا من غيـر تمـانع، أو أن تكـون الممانعـة أو المخالفة غير ممكن لاستلزامها المحال، أو أن يمتنع اجتماع الإرادتين كإرادة الواحـد حركـة زيد وسكونه معاً "[1].

ويقرر الحبشي دليل التمانع بطريقة أخرى حيث يقول:" أنه لا بد للصانع من أن يكون حياً، قادراً، عالماً، مريداً، مختاراً، فإذا ثبت وصف الصانع بما ذكرناه قلنا: لـو كـان للعـالم صانعان، وجب أن يكون كل واحد منهما حياً، قادراً، عالماً، مريداً، مختاراً، والمختاران يجوز اختلافهما في الاختيار، لأن كل واحد منهما غير مجبرٍ على موافقة الآخر في اختيـاره، فـإذا صح هذا فلو أراد أحدهما خلاف مراد الآخر في شيء لم يخل: من أن يتم مرادهما، أو لا يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر. ومحال تمام مراديهما لتضـادهما، وإن لـم يتم مرادهما فهما عاجزان، وإن تم مراد أحدهما ولم يتم مراد الآخر فإن الذي لم يـتم مـرادُه عاجز ولا يكون العاجز إلهاً ولا قديماً، وهذه الدلالة معروفة عند الموحـدين تسـمى: بدلالـة التمانع "[2]؛ وبعد تقرير الحبشي لوحدانية الله بالطريق العقلي، يبين أن هذا الطريـق قطعـي ومفحم، فيقول:" وهذه الحجة برهانية -أي قطعية- لا إقناعية بل مفحمة، ولقـد عِيـب علـى القائل بأنها إقناعية، وشُنع عليه تشنيعاً شديداً، ومعنى إقناعية أي قد لا ينقطع الخصم بها"[3].

---

[1]- المطالب الوفية للحبشي ص٣٦-٣٧.

[2]- الصراط المستقيم للحبشي ص٣٦، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤١.

[3]- المطالب الوفية للحبشي ص٣٧.

إن دليل التمانع الذي استدل به الحبشي والمتكلمون من قبله، دليل عقلي صحيح في إثبات وحدانية الله وربوبيته، وهذا ما يقرره ابن تيمية -رحمه الله- في رده على من رفض الدليل بالكلية وأبطله مثل: ابن رشد[1] والآمدي بقوله: "وليس الأمر كما ظنه هؤلاء، بل هو برهان صحيح عقلي كما قدره فحول النظار"[2]، ويقول في موضع آخر: "فهذه الطرق وأمثالها مما يبين بها أئمة النظار توحيد الربوبية وهي طرق صحيحة عقلية، لم يهتد هؤلاء المتأخرون إلى معرفة توجيهها وتقريرها"[3]. ولكن الخطأ الذي وقع فيه الحبشي -كما سبقه في ذلك المتكلمون- هو أن جعل آية الأنبياء ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء:٢٢]، في إثبات دليل التمانع، وتقرير توحيد الربوبية، وهذا بخلاف ما جاءت إليه آية الأنبياء من تقرير توحيد الألوهية والعبادة.

ويظهر الخطأ في فهم الحبشي للآية حيث استدل بها على نفي الشرك في الربوبية، وفي هذا المعنى يتحدث ابن تيمية -رحمه الله- في مَعرض رده على المتكلمين الذين انتهجوا المنهج نفسه في إثبات الوحدانية من خلال آية الأنبياء فيقول: "والمقصود هنا أن هؤلاء اعتقدوا أن قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء:٢٢]، إنما يدل على نفي الشرك في الربوبية، وهو أنه ليس للعالم خالقان "[4]، وإنما المقصود بالتوحيد في الآية توحيد الألوهية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" ومقصود القرآن توحيد الآلهية، وهو مستلزم لما ذكروه من غير عكس"[5] أي أن توحيد الآلهية يشمل توحيد الربوبية بخلاف توحيد الربوبية لا يشمل توحيد الآلهية، "ولهذا قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء:٢٢]، فلم يقل لو كان فيهما إلهان، بل المقدّر آلهة غير الإله المعلوم أنه إله فإنه لم ينازع أحد في أن الله إله حق، وإنما نازعوا هل يتخذ غيره إلهاً مع كونه مملوكاً له"[6].

ويؤكد هذا المنحى ابن رشد في كتابه (مناهج الأدلة) في أن الاستدلال بآية الأنبياء كان في غير موضعه، ويبين ذلك بقوله: "وقد يدلل على الدليل الذي فهمه المتكلمون من الآية،

---

[1] - **ابن رشد**: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، ويعرف بابن رشد الحفيد (أبو الوليد)، عالم، حكيم، مشارك في الفقه والطب والمنطق والعلوم الرياضية والإلهية، ولد سنة ٥٢٠هـ، وتوفي سنة٥٩٥ هـ. انظر: النجوم الزاهرة لابن تغري ١٥٤/٦، شذرات الذهب لابن عماد ٣٢٠/٤، سير الأعلام للذهبي ٣٠٧/٢١-٣١٠.

[2] - درء التعارض لابن تيمية ٣٥٤/٩-٣٥٥.

[3] - منهاج السنة لابن تيمية ٣١٢/٣.

[4] - درء التعارض لابن تيمية ٣٤٨/٩.

[5] - المصدر السابق ٣٦٩/٩، انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٨٨.

[6] - درء التعارض لابن تيمية ٣٦٩/٩-٣٧٠.

ليس هو الدليل الذي تضمنت الآية أن المحال الذي أفضى إليه دليلهم غير المحال الذي أفضى إلي الدليل المذكور في الآية"[1]، ومما يدلل أن آية الأنبياء جاءت لإثبات الألوهيــة لله، ولــيس وحدانية الله وربوبيته -وإن كانت الألوهية تشمل الربوبية- وذلك أن مقصود الآية عدم وجود الفساد لعدم وجود أكثر من إله يعبد، بخلاف التمانع الذي أثبته الحبشي في آية الأنبيــاء الــذي يراد منه إثبات صانع واحد لهذا العالم، لأنه لو فرض أكثر من صانع لما وجدت المخلوقــات البتة، لأن أحدهما يريد أن يخلق والآخر لا يريد، ومما يؤكد المعنى السابق ما جاء في (منهاج السنة) أن: "بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ عن عبادة ما سوى الله تعالى، لأنــه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته، من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم، وما ســوى الله لا يصلح، فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة، فإنه سبحانه هو المعبود المحبــوب لذاته، كما أنه هو الرب الخالق بمشيئة. وهذا معنى قول النبــي -صــلى الله عليــه وســلم-: "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل"[2]، ولهــذا قــال الله فــي فاتحة الكتاب: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة:٤]، وقدم اسم الله على اسم الرب في أولها حيث قال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:١]، فالمعبود هو المقصود المطلوب المحبــوب لذاته وهو الغاية، والمعين، وهو البارئ المبدع في الخلق،ومنه ابتداء كل شــيء..."[3] وفــي موضع آخر يقول شيخ الإسلام:" وبينا أن هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله مــن أهل الكلام من ذكر دليل التمانع، الدال على وحدانية الرب تعالى، فإن التمــانع يمنــع وجــود المفعول لا يوجب فساده بعد وجوده، وذلك يذكر في الأسباب والبدايات التي تجري مجــرى العلل الفاعلات، والثاني: يذكر في الحِكَم والنهايات التي تذكر في العلل التي هي الغايات كمــا فــي قولــه تعالى:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة:٤]، فقــدم الغايــة المقصــودة علــى الوسيلة الموصلة"[4]

ويؤكد شارح الطحاوية المعنى السابق، عندما تحدث عن آية الأنبياء٢٢ في معــرض رده على من استدلوا بها على إثبات وحدانية الله ، فقال:" وقد ظن أن هذا دليل التمــانع الــذي تقدم ذكره، وهو أنه لو كان للعالم صانعان..الخ وغفلوا عن مضمون الآية، فإنه سبحانه أخبــر

---

[1]- مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ص٣٥، تحقيق د. محمود قاسم، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة -بدون رقم طبعة- ١٩٥٥م، وانظر: درء التعارض لابن تيمية ٣٧٠/٩.

[2]- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية ح٣٨٤١ ، وأيضاً: كتاب الآداب، باب ما يجوز مــن الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ح٦١٤٧ ، صحيح مسلم، كتاب الشعر ح٢٢٥٦، ١٧٦٨/٤.

[3]- منهاج السنة لابن تيمية ٣٣٤/٣-٣٣٥.

[4]- اقتضاء الصراط المستقيم -في مخالفة أصحاب الجحيم- لابن تيمية ص٤٦١، الناشر: مطــابع المجــد التجارية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

أنه لو كان فيهما آلهة غيره ولم يقل أرباب، وأيضاً: فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وإنه لو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا. وأيضاً: فإنه قال: (لفسدتا) وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا "[1]، وبالتالي يتبين أن الآية جاءت لتوحيد الألوهية من حيث عدم تعدد الآلهة، وإنما هو إله واحد يعبد، وإلا أدى ذلك إلى اختلاف نظام الكون وفساده، ولم تأتِ الآية كما فهم الحبشي لإثبات وحدانية الله .

وعلى المنهج نفسه سار الإمام المقبلي اليمني[2]، موضحاً عدم صحة الاستدلال بآية الأنبياء بقوله: "وليست الآية الكريمة هي دليل التمانع كما يزعمون.. لأنه لم يدع أحد إلهاً حكيماً مماثلاً للباري تعالى. والآية رد على المدعين لوقوع الآلهة، وإنما ادعوا أصناماً حجارة ونحوها.."[3] وبالتالي فإن الاستدلال بهذه الآية في دليل التمانع في غير موضعه.

المطلب الثالث: أقسام التوحيد عند الأحباش:

قسم الأشاعرة التوحيد إلى ثلاثة أقسام[4]:

1. **واحد في ذاته لا قسيم له (توحيد الذات).**
2. **واحد في صفاته لا شبيه له (توحيد الصفات).**
3. **واحد في أفعاله لا شريك له (توحيد الأفعال).**

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد التي قال بها الأشاعرة،هي نفسها التي قال بها الحبشي عند تقسيمه للتوحيد مع اختلاف في الألفاظ،حيث جاء في كتاب(الدليل القويم)ص٣٣ للحبشي تقسيمه للتوحيد كالتالي: أولاً: نفي الكثرة المصححة للقسمة عن ذات الله .

ثانياً: نفي النظير عنه في صفاته.

ثالثاً: أنه منفرد في الخلق والإيجاد والتدبير، فلا مساهم له في اختراع المصوغات،وتدبير المخترعات[5].

---

[1] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٨٧-٨٨.

[2] - **الإمام المقبلي**:صالح بن المهدي بن علي بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبدالله بن سليمان بن أسعد المقبلي، اليمني،الزيدي،عالم مشارك في التفسير،وعلوم القرآن والحديث،وعلوم اللغة العربية،والتصوف،والفقه؛ولد سنة ١٠٤٠هـ،وتوفي سنة١١٠٨هـ.انظر:البدر الطالع للشوكاني ٢٨٨/١-٢٩٢،الأعلام للزركلي١٩٧/٣،معجم المؤلفين لكحالة ١٤/٥.

[3] - العلم الشامخ -في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ- لصالح بن المهدي المقبلي اليمني ص٢-٣، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[4] - انظر: الإرشاد للجويني ص٦٩، التفسير الكبير للرازي ١٧٢/٤، إحياء علوم الدين للغزالي ٨٣/١، الملل والنحل للشهرستاني ٥٥/١، كتاب أصول الدين للبغدادي ص١٢٤،١٢٣، شرح جوهر التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني ص ٥٩-٦٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

[5] - الرد على عبدالله الحبشي للشامي ص١٧٥ بتصرف، وانظر:موسوعة أهل السنة لدمشقية ١٤٠/١-١٤١.

والأقسام الثلاثة للتوحيد تظهر جلياً في تفسير الحبشي لسورة الإخلاص، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١] : "أي الذي لا يقبل التعدد والكثرة، وليس له شريك في الذات أو الصفات أو الأفعال..."[١]، ويقول في قوله تعالى:﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:٤] : "أي لا نظير له بوجه من الوجوه"[٢].

ويلاحظ أن الحبشي أطال في تقرير التوحيد بأقسامه الثلاثة في كتاباته، فأما القسم الأول:الذي هو عبارة عن توحيد الذات يوضحه بأن: "الله تعالى هو الذات الواجب الوجود الذي وجوده بذاته، ولا يحتاج إلى شيء أصلاً"[٣]، وأنه: "ليس عَرَضاً لأن الله تعالى قائم بذاته أي: وجوده ليس قائماً بغيره"[٤] وأنه تعالى ليس بجسم، لأن الجسم ما تركب من جوهرين[٥]، و"يستحيل على الله تعالى أن يكون جوهراً وهو في عُرف المتكلمين وأهل السنة: الجزء الذي لا يتجزأ من القلة مع تحيزه ويكون جزءاً للجسم فالله منزه عن ذلك"[٦]، و"يستحيل أن يكون -الله- مصوراً أي:ذا صورة وشكل.. وأن يكون ذا حد ونهاية كسائر الأجسام"[٧]، وأن الله "ليس ذا عدد وكثرة "[٨]، وأنه تعالى "ليس ذا أبعاض ولا أجزاء...وأنه تبارك وتعالى منزه عن أن يكون متركباً من أجزاء لأن هذا يوجب الاحتياج المنافي للقدم"[٩]، وأن الله تعالى لا يوصف بالتناهي "لأن التناهي من صفات المقادير والأعداد... ـ وـ لا يوصف بالمجانسة للأشياء... ـ وـ أن الله تعالى منزه عن الكيفية"[١٠]، وأنه تعالى "منزه عن التمكن في مكان"[١١]،ولا يجري على الله تعالى زمان الذي هو عبارة "عن

---

[١] - الصراط المستقيم للحبشي ص٤٠، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص١٥٥، مختصر عبدالله الهرري - الكافل بعلم الدين الضروري- لعبد الله الهرري (الحبشي) ص١٢، الناشر: دار المشاريع، بيروت، ط الثانية عشرة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

[٢] - الصراط المستقيم للحبشي ص٤١، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص١٥٨.

[٣] - المطالب الوفية للحبشي ص٣٣.

[٤] - المصدر السابق ص٣٨.

[٥] - انظر: المصدر نفسه ص٣٩.

[٦] - المطالب الوفية للحبشي ص٤١.

[٧] - المصدر السابق ص٤٢.

[٨] - المصدر نفسه ص٤٤.

[٩] - المصدر نفسه ص٤٤.

[١٠] - المصدر نفسه ص٤٥.

[١١] - المصدر نفسه ص٤٧.

متجدد يقدّر به متجدد آخر"[1] ، ثم يخلص الحبشي بنتيجة مفادها أن الله تعالى "لا يماثله شيء"[2].

أما القسم الثاني: من أقسام التوحيد عند الحبشي وهو توحيد الصفات فيوضحه بقوله: "أن الله تعالى له صفات أزلية قائمة بذاته"[3]، وصفات الله صفات كمال تليق به، فيعبر الحبشي عن ذلك بقوله: "والله تعالى موصوف بكل كمال يليق به... فكما أنه تعالى متصف بكل كمالٍ في حقه فهو منزه عن كل نقصٍ"[4]، وصفات الله غير مشابهة لصفات المخلوقين، وفي هذا المعنى يقول الحبشي: "الحق سبحانه وتعالى غير مماثل لشيء من مخلوقاته، وأما اتفاق اللفظ فلا يعني اتفاق المعنى، إذ لما نقول فلان عالم فعلم الإنسان حادث يقبل الزيادة والنقصان، أما علم الله أزلي أبدي كسائر صفاته"[5]، ويقول أيضاً: "توحيد الله في صفاته معناه أن يعتقد أن صفات الله لا تشبه صفات غيره"[6].

وأما القسم الثالث: فهو توحيد الأفعال، ويوضحه بقوله: "وأما توحيده في الأفعال فهو أن يعتقد المرء أن الله تعالى يفعل فعلاً بقدرته الأزلية بتكوينه الأزلي بلا مباشرة ولا مماسةٍ لشيء"[7].

وأهمية توحيد الله في الأفعال عند الأحباش ترجع إلى معنى الإلهية حيث تقتصر على قدرة الله على الخلق، ومما يؤكد هذا المنحى عند الحبشي قوله: "فعلم قطعاً أن العالم بكونه مخلوقاً دليل على ألوهية الخالق تعالى، وبذلك احتج الخالق تعالى على كونه خالق العالم، ونفى الألوهية عمن سواه لعدم التخليق فقال تعالى:﴿**وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [المؤمنون:٩١]، وقال تعالى: ﴿**أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ**﴾ [الرعد:١٦]، وقال سبحانه وتعالى:﴿ **قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الرعد:١٦]، فمحال أن لا يقدر الله على شيء يقدر عليه كل ما دبّ ودرج..."[8]، ولهذا يفسر الحبشي (لا إله إلا الله) بأنه: "لا رب إلا الله أو لا خالق إلا الله"[9]، وبذلك يتبين

---

[1]- المطالب الوفية للحبشي ص٦٤.
[2]- المصدر السابق ص٦٤.
[3]- المصدر نفسه ص٦٦، انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٣٧، الشرح القويم للحبشي ص١٤٦، بغية الطالب للحبشي ص٢١.
[4]- بغية الطالب للحبشي ص١٥.
[5]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣٣، انظر: المصدر نفسه ص١٦١.
[6]- الشرح القويم للحبشي ص٢٥٣.
[7]- المصدر السابق ص٢٥٣.
[8]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩٦-١٩٧.
[9]- بغية الطالب للحبشي ص٩.

أن الأحباش فسروا توحيد الألوهية بقدرة الله على الخلق، وأنه رب هذا الكون ولم يفسروها بأنه تعالى المستحق للعبودية بجميع أشكالها، وبعبارة أخرى: جعل الأحباش توحيد الألوهية هو نفسه توحيد الربوبية.

والتقسيم السابق للحبشي للتوحيد يظهر بوضوح في شرحه لمعنى الواحد، فيقول: "والواحد في حق الله تعالى فسر بأنه الذي لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله"[1].

بعد العرض السابق لأقسام التوحيد عند الأحباش، هناك تساؤل لا بد من الإجابة عليه: هل تقسيم الأحباش للتوحيد -بالصورة السالفة الذكر- هو ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودعا الناس إليه؟ وللإجابة على هذا التساؤل، لا بد من توضيح أن كلام الحبشي يحمل من التقصير والتحريف الباطل ما يحتاج للرد عليه:

أولاً: فيقال للحبشي: "أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحداً بل ولا مؤمناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق، فإذا فسرّ المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية -والأحباش من ضمنهم- وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين"[2].

ثانياً: ويرد على الحبشي: بأنك إذا أردت بأن الله لا قسيم له، ولا جزء له ولا شبيه له، فهده الأمور صحيحة، حيث إن الله ليس كمثله شيء، وهو سبحانه لا يجوز عليه التفرق، ولا الفساد، ولا الاستحالة، أما إذا أردت من هذا التقسيم -كما فعل حذاق المتكلمين- نفي علوه على خلقه،ومباينته لمصنوعاته،ونفي ما ينفونه من صفاته،والادعاء أن إثبات ذلك يقتضي أن يكون مركباً منقسماً،وأن يكون له شبيه فهذا أمر مردود وغير مقبول لظهور فساده وعدم صحته[3].

ثالثاً: ويقال أيضاً: إن توحيد الله في صفاته، لا يكون بنفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه، ثم الادعاء بأن هذا هو التوحيد كما فعل الحبشي بتأويله للصفات وتحريفها عن مواضعها،

---

[1] - إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٦.

[2] - درء التعارض لابن تيمية ٢٢٦/١.

[3] - انظر: المصدر السابق ٢٢٨/١، تلبيس الجهمية لابن تيمية ٤٧٤/١-٤٧٥.

وعن استدلال المتكلمين ومن ضمنهم الأحباش بنفي الصفات، وتسميتها توحيداً يتحدث ابن تيمية -رحمه الله-: "هذا الاستدلال هو معروف قديماً من استدلال الجهمية النافية، فإنهم يزعمون أن إثبات الصفات ينافي التوحيد، ويزعمون أنهم هم الموحدون، فإن من أثبت الصفات فهو مشبه ليس بموحد -حسب زعم المتكلمين- وأنه يثبت تعدد القدماء، لا يجعل القديم واحداً فقط، فالجهمية من المتفلسفة والمعتزلة وغيرهم يبنون على هذا، وقد يسمون أنفسهم الموحدين، ويجعلون نفي الصفات داخلاً في مسمى التوحيد، ومبنى ذلك على أصل واحد، وهو أنهم سموا أقوالهم بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، إن هي إلا أسماء سموها هم وآباؤهم، وجعلوا مسمى الأسماء الواردة في الكتاب والسنة أشياء أخر ابتدعوها هم، فألحدوا في أسماء الله وآياته، وحرفوا الكلم عن مواضعه"[١]، وفي موضع آخر يبين ابن تيمية -رحمه الله- مقصود التوحيد بأقسامه الثلاثة عند المتكلمين فيقول: "إن القديم الواحد ليس معه في القدم غيره، ولو قامت به الصفات لكان معه غيره، وأنه ليس بجسم، إذ الجسم مركب مؤلف منقسم وهذا تعدد ينافي التوحيد، أو يقولون أيضاً: إن ثبوت الصفات يقتضي كثرة وعدداً في ذاته وذلك خلاف التوحيد"[٢].

رابعاً: يظهر تأثر الأحباش بعلم الكلام ظهوراً واضحاً، بحيث انعكس هذا التأثر على تقريرهم لمسائل العقيدة، ومن ضمنها تقسيم الأحباش للتوحيد، واستخدام الألفاظ المبتدعة الموهمة لغير مقصودها حيث إنهم: "يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يُشبهون عليهم، وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس، هو الذي يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة وتلك الألفاظ تكون موجودة مستعملة في الكتاب والسنة وكلام الناس، لكن بمعانٍ غير المعاني التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معاني أخر، فيحصل الاشتباه والإجمال... -مثل- لفظ: الجوهر، والعرض، والجسم، والتحيز، والجهة، والتركيب، والجزء، والافتقار، والعلة، والمعلول... بل ولفظ (الواحد) في التوحيد، بل ولفظ الحدوث، والقدم، بل ولفظ الواجب والممكن، بل ولفظ الوجود والذات، وغير ذلك من الألفاظ"[٣]، ويستخدم الحبشي هذه الألفاظ الموهمة ليظن عوام الناس أنه يمجد الله ويعظمه، ولكنها في الحقيقة إنما هي تكذيب للرسل وتعطيل الرب سبحانه وتعالى عن صفات الكمال التي وصف بها ذاته المقدسة، ومقصود الحبشي وأمثاله من المتكلمين بتنزيه الله "عن الأعراض هو من أحد صفاته كسمعه وبصره وحياته

---

[١]- تلبيس الجهمية لابن تيمية ٤٦٣/١، وانظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ١٢٧/١.

[٢]- تلبيس الجهمية لابن تيمية ٤٦٥/١.

[٣]- درء التعارض لابن تيمية ٢٢٢/١.

وعلمه وكماله وإرادته... وأما الأبعاض فمرادهم بتنزيهه عنها أنه ليس له وجه، ولا يدان، ولا ممسك السماوات على إصبع والأرض على إصبع[1]، ذلك كله أبعاض، والله منزه عن الأبعاض. وأما الحدود والجهات فمرادهم بتنزيهه عنها: أنه ليس فوق السماوات رب ولا على العرش إله، ...إذ لو كان كذلك لزم إثبات الحدود والجهات له وهو منزه عن ذلك. وأما حلول الحوادث فيريدون به: أنه لا يتكلم بقدرته ومشيئته، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا[2]... ولا يقوم به فعل البتة، ولا أمر مجدد بعد أن لم يكن، ولا يريد شيئاً بعد أن لم يكن مريداً له... ولا يقول للمصلي: "إذا قال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:١]، حمدني عبدي، فإذا قال:﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة:٢]، قال: أثنى عليّ عبدي، فإذا قال:﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:٣]، قال: مجدني عبدي"[3] فإن قال هذه كلها حوادث وهو منزه عن حلول الحوادث"[4]، وبهذا يظهر تعطيل الحبشي وأمثاله من المتكلمين لله من صفاته الحسنى وأسمائه العُلى، وبذلك يظهر زيف التنزيه الذي ادعوه، ويبطل القول به.

ولكن المتكلمين لا يسلمون بخطأ أقوالهم ويناقحون عنها بكل ما أوتوا من قوة جدل، فإن هؤلاء المتكلمين يعترضون على خصومهم من السلف بأن ألفاظهم مفهومة لهم كأهل صنعة يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يتفاهمون بها على مرادهم، فيناقشهم بذلك ابن تيمية -رحمه الله-، ويرد عليهم بقوله: "إن هؤلاء المعارضين إذا لم يخاطبوا بلغتهم، واصطلاحهم، فقد يقولون: إنا لا نفهم ما قيل لنا، أو أن المخاطب لنا والراد علينا لم يفهم قولنا، ويلبسون على الناس بأن الذي عنيناه بكلامنا، حق معلوم بالعقل أو بالذوق، ويقولون أيضاً:إنه موافق للشرع، إذا لم يظهروا مخالفة الشرع... وإذا خوطبوا بلغتهم واصطلاحهم -مع كونه ليس اللغة المعروفة التي نزل بها القرآن- فقد يفضي إلى مخالفة ألفاظ القرآن في الظاهر.

فإن هؤلاء عبروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن، وربما جاءت في القرآن بمعنى آخر، فليست تلك العبارات مما أثبته القرآن، بل قد يكون

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (لما خلقت بيدي) ح٧٤١٤، ٢١٩/٨، ح٧٤١٥، ٢٢٠/٨، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح٢٧٨٦، ٢١٤٧/٤.

[2]- لقد جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فاستجيب، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له". انظر: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة آخر الليل ح١١٤٥، ٥٩/٢، وأيضاً: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، ح٧٤٩٤، ٢٤٨/٨، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة ح٧٥٨، ٥٢١/١.

[3]- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن ح٣٩٥، ٢٩٥/١.

[4]- مختصر الصواعق لابن القيم ١٣٩/١.

معناها المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن منتفياً باطلاً، نفاه الشرع والعقل، وهم اصطلحوا بتلك العبارات على معانٍ غير معانيها في لغة العرب فتبقى إذا أطلقوا نفيها لم تدل في لغة العرب على باطل، ولكن تدل في اصطلاحهم الخاص على باطل، لمن خاطبهم بلغة العرب قالوا: إنه لم يفهم مرادنا، ومن خاطبهم باصطلاحهم أخذوا يظهرون عنه أنه قال: ما يخالف القرآن، وكان هذا من جهة كون تلك الألفاظ مجملة مشتبهة"[1]، وهذه الألفاظ التي وردت بكثرة في كتابات الحبشي.

ويتبين مما سبق من ردود شيخ الإسلام -ابن تيمية- بطلان تقسيم الحبشي للتوحيد، لأنه يحتمل معاني باطلة غير مرادة، ولم يأتِ بها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-، وهذا المعنى يؤكده شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عندما يتحدث عن مقصود التوحيد عند المتكلمين بقوله: "... فهم يريدون بلفظ التوحيد والواحد في اصطلاحهم، ما لا صفة له ولا يعلم منه شيء دون شيء ولا يُرى، والتوحيد الذي جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يتضمن شيئاً من هذا النفي، وإنما تضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يُشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات،... وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وقال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة:٤]، ...وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد"[2].

المطلب الرابع: بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل:

لا بد من العلم "أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله وهو المذكور في الكتاب والسنة وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون، وإن فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- فهم مع زعمهم أنهم الموحدون، ليس توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله، بل التوحيد الذي يدعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة "[3].

---

[1]- درء التعارض لابن تيمية ٢٢٣/١.

[2]- المصدر السابق ٢٢٤/١-٢٢٥.

[3]- بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٩٧٣/١.

وحقيقة هذا التوحيد الذي جاءت به رسل الله -صلوات الله وسلامه عليهم- ودعـت إليـه المؤمنين هو:"عبادة الله وحده، فمن عبد الله وحده لم يشرك به شيئاً فقد وحده، ومن عبـد مـن دونه شيئاً من الأشياء فهو مشرك به، ليس بموحد مخلص له الدين،وإن كان مع ذلك قائلاً بهذه المقالات التي زعموا أنها التوحيد، حتى لو أقر أن الله وحده خالق كل شيء وهو التوحيد فـي الأفعال"[1]، وهذا ما بينه القرآن الكريم في وصف مشركي العرب، بأنهم كانوا مقرين بـأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين في عبادته -سبحانه وتعالى- قال تعالى:﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٦]، وجاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين المعنى السابق، منها قوله تعالى:﴿**قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ**﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]، وقوله تعالى:﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [العنكبوت:٦١]، فهذه الآيات تبـين مـا كـان المشركون عليه من توحيد الربوبية، حيث أقروا بأن الله رب كل شيء وخالقه، ومع ذلك فهذا التوحيد لا يشفع لهم عند الله -سبحانه وتعالى-، ولا ينقذهم من عذابه لأنهم كـانوا يصـرفون عبادتهم لغيره -سبحانه وتعالى-، فجاءت رسل رب العالمين تبين حقيقة التوحيد، من خـلال صرف العبادة لله -سبحانه وتعالى- دون غيره من الشركاء، والأنداد كما فعل المشركون.

والغلط الذي وقع فيه الحبشي وأمثاله من المتكلمين، ظن أن المقصود بـ **(لا إلـه إلا الله)** القدرة على الخلق، وجاء في المعنى السابق في كتاب (درء التعارض): "أن أهل الكلام الـذين ظنوا أن التوحيد هو مجرد توحيد الربوبية وهو التصديق بأن الله وحده خالق الأشياء"[2]، فهذا الكلام من قبل المتكلمين جانب الصواب الذي عليه سلف الأمة من أن الإله هو الذي يسـتحق العبودية التامة، وهو الذي تألهه القلوب بالحب، والتعظيم، والإجلال، والإكـرام، والخـوف، والرجاء[3]، وبذا يظهر الفرق بين التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وبين التوحيد الذي دعا إليه المتكلمون.

---

[1]- بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية١/٩٧٣.

[2]- درء التعارض لابن تيمية ٩/٣٧٧.

[3]- انظر: المصدر السابق ٩/٣٧٧.

المبحث الثالث: موقف الأحباش من الأسماء والصفات:

المطلب الأول: موقف الأحباش من أسماء الله الحسنى:

إن الأحباش لم يعطوا أسماء الله الحسنى جُلَّ اهتمامهم كما فعلوا في صفاته تعالى، وإذا تحدثوا عنها كان ذلك بحديث عابر، ولهذا قلما يخوضون في أسمائه الحسنى.

وقد جاء في أحد رسائلهم (مرشد الحائر) "أن الله له الأسماء الحسنى، أي الدالة على الكمال، فكل أسماء الله حسنى، ليس شيء منها إلا دالاً على الحسن، أي ليس فيها ما يدل على نقص في حقه تعالى، فالقادر يدل على القدرة، والعلاّم يدل على العلم، والرحمن الرحيم يدلان على إثبات الرحمة له تعالى، والعزيز يدل على إثبات العزة له، والسميع يدل على إثبات السمع له، والواحد يدل على الوحدة ، والخالق يدل على إثبات الخلق له، والبصير يدل على إثبات البصر له، وهكذا كل أسمائه تدل على الكمال، فيستحيل عليه الاسم الذي يدل على النقص، فلا يصح أن يسمىَّ (باه) كما يتصور بعض الناس"[1].

ويرفض الأحباش أن يسمى الله بأسماء لم ترد في الشرع فقالوا: "وكذلك لا يجوز تسميته بالمقيم، كما يلهج بذلك بعض الناس، يقولون: سبحان المقيم، كما أنه لا يجوز أن يسمى الله روحاً ولا عقلاً..."[2].

ويرى الأحباش أن لله أكثر من تسعةٍ وتسعين اسماً الوارد ذكرها في الحديث الشريف، أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن لله تسعةٍ وتسعين اسماً مائةً إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"[3] فقالوا في ذلك: "أسماء الله الحسنى التسعة والتسعون من حفظها وفهم معناها مضمون له الجنة، ويوجد غيرها أسماء لله ، ولكن ليس لها هذه الفضيلة التي هي للأسماء التسعة والتسعين"[4]. أسماء الله وصفاته عند الأحباش، يطلق عليها نفس المسمى إلا لفظ الجلالة (الله)، فيعبر الحبشي عن ذلك بقوله: "وأسماء الله الحسنى يطلق عليها صفات، ويطلق عليها أسماء الله إلا لفظ الجلالة لا يطلق عليه الصفة..."[5].

---

[1] - مرشد الحائر -في حل ألفاظ رسالة ابن عساكر- للشيخ سمير القاضي ص٢١-٢٢، الناشر:دار المشاريع، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م؛ انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٧.

[2] - مرشد الحائر للقاضي ص٢٣، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٨.

[3] - صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنايا في الإقرار والشروط ح٢٧٣٦، ٢٤٣/٣، وأيضاً: كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحد، ح٧٣٩٢، ٢١٣/٨، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ح٢٦٧٧، ٢٠٦٢/٤.

[4] - مرشد الحائر للقاضي ص٢٥، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٨.

[5] - الشرح القويم للحبشي ص١٤٨.

من الواضح أن الأحباش لم يكثروا من الخوض في أسماء الله سبحانه وتعالى كما فعلوا في الصفات، ومنهج الأحباش إثبات أسماء الله الحسنى، وأنها تدل على الكمال له سبحانه، وهذا موافق لما عليه سلف الأمة، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "أن يعلم أن الكمال ثابت لله ، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب -تعالى- يستحقه بنفسه المقدسة"[1]، وينسحب هذا الحكم على أسماء الله الحسنى، ويتضح المقال من خلال ما جاء عن صاحب (لوامع الأنوار) في حق أسماء الله الحسنى "أسماؤه كلها حسن ليس فيها اسم إلا وهو حسن"[2]، وفي المعنى نفسه يقول ابن القيم -رحمه الله-: "أن الرب أسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم سوء"[3]، ويقول أيضاً: "ومن استقرأ الأسماء الحسنى وجدها مدائح وثناء، تقصر بلاغات الواصفين عن بلوغ كنهها وتعجز الأوهام عن الإحاطة بالواحد منها"[4].

لقد وافق قول الحبشي منهج السلف في أن قول النبي -صلى الله عليه وسلم- تسعة وتسعين اسماً لا يفيد الحصر في هذا العدد لأنه ليس فيه ما يفيد نفي غيرها عن الله تعالى حيث يقول الإمام الخطابي: "في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد وليس فيه منع ما عداها من الزيادة، وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينها معاني"[5]، ويؤكد هذا قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي..."[6].

وأما ما ورد عن الأحباش من حفظ أسماء الله التسعة والتسعين وفهم معناها يؤدي ذلك إلى ضمان دخول الجنة[7]، هذا كلام فيه مبالغة، لأن الحفظ والفهم لا يكفي لضمان دخول الجنة، بل لا بد من العمل وفق ما شرع الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا**

---

[1]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٦/ ٤٤.

[2]- لوامع الأنوار للسفاريني ١٢٧/١.

[3]- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيه ص١٣٣، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[4]- المصدر السابق ص١٠٤.

[5]- فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٢٠/١١.

[6]- مسند الإمام أحمد ٤٥٢/١، قال ابن حجر في (الفتح ٢٢٠/١١): صححه ابن حبان، وكذلك صححه ابن القيم في شفاء العليل ص٤٨٤، الناشر: دار إحياء الكتب العربية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[7]- انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٨، مرشد الحائر للقاضي ص٢٥.

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤]، حيث إن الآيات جاءت تبين نوعية الإيمان المؤدي إلى دخول جنة الله ألا هو المقرون بالعمل المتمثل في الآيات بإقامة الصلاة، ويعلق الإمام الطبري في تفسيره على قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [الأنفال:٣]، بقوله: "(أولئك) هؤلاء الذين يفعلون من هذه الأفعال (هم المؤمنون) لا الذين بألسنتهم يقولون قد آمنا وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقاً..."[١] ويقول ابن كثير في تفسيره للآية: "ينبه الله تعالى بذلك على أعمالهم بعدما ذكر اعتقادهم، وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها"[٢]، وبهذا يظهر أهمية العمل وعدم الاكتفاء بالاعتقاد والفهم فقط.

ومع ما تم ذكره من أهمية العمل في دخول الجنة، إلا أن الجنة لا تكون إلا تفضلاً من الله على عباده، وليس جزاء على العمل، لأن الإنسان مهما عمل يبقى مقصراً في شكر نعم الله سبحانه وتعالى، وهذا ما عليه سلف الأمة يقول الإمام الطحاوي: "فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه"[٣]، فكيف يقول الأحباش أن الجنة مضمون دخولها لمجرد حفظ الأسماء الحسنى التسعة والتسعين وفهم معناها، مع الإشارة إلى العمل لدخول الجنة.

أما عن قول الحبشي أن: "أسماء الله الحسنى يطلق عليها صفات ويطلق عليها أسماء إلا لفظ الجلالة لا يطلق عليه الصفة"[٤]، فهذا قول يحتاج إلى النظر فيه، لأن أسماء الله سبحانه وتعالى "تنقسم على ثلاثة أقسام: أسماء تدل على الذات المقدسة، وأسماء تدل على الصفات، وأسماء تدل على الأفعال"[٥] وبالتالي فإن هنا علاقة عموم وخصوص حيث إن الاسم أعم من الصفة، وهذا يظهر من خلال أن "كل اسم من أسمائه يدل على الذات المسماة، وعلى الصفة التي تضمنها الاسم، كالعليم يدل على الذات والعلم، والقدير يدل على الذات والقدرة، والرحيم يدل على الذات والرحمة"[٦]، ويقول ابن تيمية -رحمه الله- أيضاً: "فاسم الله يتناول الذات الموصوفة بصفات الكمال، وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى بل هي داخلة في المسمى ولكنها

١- جامع البيان للطبري ١٢١/٩.

٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٨٦/٢.

٣- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٢٠ -المتن-.

٤- الشرح القويم للحبشي ص١٤٨.

٥- المقصد الأسني -في شرح أسماء الله الحسنى- للإمام عبد العزيز أحمد الديريني ص١٢، تحقيق د. مصطفى محمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٩٨م.

٦- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٧٨/١٣.

زائدة على الذات المجردة التي تثبتها نفاة الصفات"[١]، وبهذا يظهر أن الاسم غير الصفة، بحيث إن الاسم في حق الله سبحانه وتعالى يضم الذات والصفة فمثلاً: الرحيم اسم يدل على ذات الله وعلى صفته الرحمة، ويقول في ذلك شارح (لمعة الاعتقاد): "كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله وعلى الصفة التي تضمنها وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعدياً، ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله"[٢]، وبهذا العرض يظهر عدم صحة ما ذهب إليه الحبشي من جعل الاسم والصفة بمعنى واحد، ويزيد هذا الأمر وضوحاً وبياناً صاحب (لوامع الأنوار) بقوله: "أسماؤه الحسنى أعلام وأوصاف، فالوصف فيها لا ينافي العلمية، وهذا بخلاف أوصاف العباد، ثم إن الاسم من أسمائه له دلالات، دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم لأسمائه الحسنى اعتباران: (أحدهما) من حيث الذات و(الثاني) من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة"[٣]، وهذا يؤكد على عدم صحة ما ذهب إليه الحبشي.

وأيضاً لو كان الاسم يطلق على الصفة أو العكس، لما أتعب علماء السلف أنفسهم ورددوا في كتاباتهم (أسماء الله الحسنى وصفاته العلى)[٤]، ولاكتفوا بذكر الاسم أو الصفة، وبذلك يجمعوا بين الاثنين، ولكنهم لم يفعلوا ذلك فتبين عدم صحة القول الذي قال به الحبشي.

ولقد أصاب الأحباش عندما منعوا تسمية الله بأسماء لم ترد في الشرع مثل: المقيم والروح والعقل[٥]، وهذا موافق لما عليه أئمة السنة من أن أسماء الله الحسنى توقيفية ثابتة بالشرع، يقول صاحب (لوامع الأنوار): "الأسماء الحسنى في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع وورود السمع بها"[٦]، ويقول شارح (لمعة الاعتقاد): "أسماء الله لا تثبت بالعقل وإنما تثبت بالشرع، فهي توقيفية يتوقف إثباتها على ما جاء في الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص"[٧].

١- الجواب الصحيح -لمن بدل دين المسيح- لابن تيمية ١٥٤/٢، الناشر: مكتبة المدني، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢- شرح لمعة الاعتقاد -الهادي إلى سبيل الرشاد- لمحمد بن صالح العثيمين ص٢٣، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: مكتبة الإمام البخاري، ط الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣- لوامع الأنوار للسفاريني ١٢٤/١.

٤- انظر: الفوائد لابن قيم الجوزية ص١٨٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٠/٥، ٨٤/٦، لوامع الأنوار للسفاريني ١٢٤/١.

٥- انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٨، مرشد الحائر للقاضي ص٢٣.

٦- لوامع الأنوار للسفاريني ١٢٤/١.

٧- شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص٢٣.

ولكن الأحباش لم يسيروا على منهج واحد في هذه المسألة، لأنهم استخدموا أسماء في حق الله لم ترد في الشرع مثل: واجب الوجود، الصانع، المحدث، القديم[1] وهذا مردود على الأحباش بما سبق بيانه.

والحبشي يقع في التناقض والاضطراب في أقواله لأنه منع تسمية الله بأسماء لم ترد في الشرع فمثلاً: يمنع تسميته بالناسي والماكر والمستهزئ ويقول: "من قال يجوز تسمية الله ناسياً وماكراً ومستهزئاً كفر"[2]، ثم يظهر التناقض واضحاً عندما يقول: "أما إذا قلنا يا طاهر على الله فيجوز لأن معناه المنزه عن النقائص"[3] وهنا يطرح التساؤل التالي: ما المعيار أو المنهج الذي استخدمه الحبشي في إطلاق ما يريد من الأسماء في حق الله ونفي ما لا يريد؟ أم أن منهجه تابع للأهواء، بحيث إذا أراد تكفير أحد من مخالفيه في التفكير مثل: سيد قطب -رحمه الله- لأنه استخدم في حق الله (العقل المدبر) فيقوم الحبشي بتكفير من يستخدم مثل هذه الألفاظ لأنها لم ترد في الشرع، ويستدل على ما يقول بنصوص للأشعري ولأبي منصور البغدادي كما في كتابه الشرح القويم، وأما إذا استخدم الحبشي لفظاً أعجبه، أو قال به أحد من الأشاعرة وإن لم يجمعوا عليه، قال بجوازه[4]، وبهذا يظهر أنه لا منهج ثابت لدى الحبشي يستخدمه في إطلاق أسماء الله في حقه، وإنما هو التردد والاضطراب في التفكير.

المطلب الثاني: موقف الأحباش من الصفات:

خاض الأحباش كثيراً في موضوع الصفات، ويعتبر هذا الباب من أهم أبواب العقيدة لديهم، والناظر لما كتبوه في موضوع الصفات لا يجد فيه اختلافاً كثيراً عن الأشاعرة.

ولذلك يطرح الأحباش في موضوع الصفات مجموعةً من القضايا أهمها ما يلي:

أولاً: علاقة الصفات بالذات عند الأحباش:

١ - صفات الله ليست عين الذات ولا غير الذات:

يرى الحبشي أن: "صفات الله ليست عين الذات ولا غير الذات"[5]، ويعلل ذلك بأن: "ذات الله واحد، متصف بصفات لا هي عينه ولا هي غيره، أي لا يصح انفكاكها عنه كالغَيْرَين ولا هي

---

[1]- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٢١، الشرح القويم للحبشي ص١١٨، شرح الصفات للحبشي ص١٤-١٦، بغية الطلب للحبشي ص٢٠، المطالب الوفية للحبشي ص٣٣، إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢١٢،٢١١،٥٧،مختصر الهرري للحبشي ص١١.

[2]- الشرح القويم للحبشي ص١٤٩.

[3]- المصدر السابق ص١٥٠.

[4]- انظر: المصدر نفسه ص١٥٠-١٥١.

[5]- المطالب الوفية للحبشي ص٦٧، انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣٨-٣٩، ص٢١٥-٢١٦.

عينه بل لها مفهوم غير مفهوم الذات"[1]،ويُمثل لذلك بقوله: "إذا قلت: (علم الله) يفهم من هــذه الكلمة غير مفهوم الذات المقدس، وإذا قلت: (الله) يفهم من الذات، فلا يلزم من قولنــا: الله لــه علم قديم، وقدرة قديمة، وإرادة قديمة، وسمع قديم، وبصر قديم، وحياة قديمــة، وكــلام قــديم قائمات بذاته، إثبات آلهة بل أثبتنا إلهاً واحداً متصفاً بصفات أزلية بأزلية الــذات"[2]، وبالتــالي يَخْلصُ الحبشي بأن صفات الله تعالى "ليست عين الذات، ولا غير الذات،فلا يلزم قــدم الغيــر ولا تَكَثُّرُ ذوات قدماء"[3].

إن ما ذهب إليه الحبشي من جعل الصفات ليست عين الذات ولا غير الذات هو ما ذهب إليه أئمة السلف وذلك "أن الذات إن أريد بها الذات الموجودة في الخارج فتلك مستلزمة لصفاتها، يمتنــع وجودها بدون تلك الصفات، وإذا قدّر عدم اللازم لزم عدم الملزوم، فلا يمكن فرض الذات الموجودة في الخارج منفكة عن لوازمها، حتى يقال: هي زائدة أو ليست زائدة، لكن يقدر ذلك تقــديراً فــي الذهن وهو القسم الثاني، فإذا أريد بالذات ما يقدّر في النفس مجرداً عن الصفات، فلا ريب أن الصفات زائدة على هذه الذات المقدرة في النفس، ومن قال مــن متكلمــة أهــل الســنة: (أن الصفات زائدة على الذات) فتحقيق قوله: أنها زائدة على ما أثبته المنازعون من الذات، فــإنهم أثبتوا ذاتاً مجردة عن الصفات، ونحن نثبت صفاتها، زائدة على ما أثبتوه هم، لا أنّا نجعل فــي الخارج ذاتاً قائمة بنفسها، ونجعل الصفات زائدة عليها، فإن الحي الذي يمتنع أن لا يكــون إلا حياً، كيف تكون له ذات مجردة عن الحياة، وكذلك ما لا يكون إلا عليماً قديراً، كيــف تكــون ذاته مجردة عن العلم والقدرة ؟ "[4].

ومما يؤكد ما ذهب إليه الحبشي بأن صفات الله لا تعتبر عين الذات ولا غيــر الــذات "أن الحالف بصفاته ليس حالفاً بغيره، ولو كانت الصفة يطلق عليها القول بأنها غيــره، لكــان الحلف بها حلفاً بغيره، وإذا قال القائل: الحالف بصــفته حــالف بــه، لأن الصــفة تســتلزم الموصوف وهو المقصود باليمين. قيل لهم: فلهذا لم يدخل في إطلاق القول بأنهــا غيــر الله، فعلمه لازم له وملزوم له، وكلامه لازم له وملزوم له، والصفة داخلة في مسمى الموصــوف، فإذا قال القائل: عبدت الله، وذكرت الله ونحو ذلك فاسم الله متضمن لصفاته اللازمة لذاته، فإذا قيل: أنها غير الله فقد يفهم منه أنها خارجة عن مسمى اسمه وهذا باطل، ولهذا قد يقال: أنهــا غير الذات، ولا يقال أنها غير الله، لأن لفظ (الذات) يشعر بمغايرته للصفة، بخلاف اســم الله تعالى فإنه متضمن لصفات كماله، وقولنا:أنه مغاير للذات لا يتضمن جواز وجوده دون الذات،

---

[1] - المطالب الوفية للحبشي ص٦٨.

[2] - المصدر السابق ص٦٨.

[3] - المصدر نفسه ص٦٨، وانظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣٦-٣٨.

[4] - درء التعارض لابن تيمية ٢٠/٣-٢١، انظر: الصفدية لابن تيمية ص١٠٩.

فإنه ليس في الخارج ذات منفكة عن صفات، ولا صفات منفكة عن ذات بل ذلك ممتنع لنفسه"[1].

وأيضاً لا بد من معرفة أنه لا يوجد ذات في خارج الذهن منفكة عن صفاتها حتى يقال: أن الصفات غير الذات أو زائدة على الذات ولمعرفة هذا المعنى، لا بد من معرفة حقيقة الذات، حيث إن: "لفظ الذات في الأصل تأنيث (ذو) كقوله تعالى: ﴿**وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ [الأنفال:١]، وقوله تعالى: ﴿**عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [آل عمران:١١٩]، وهي تستلزم الإضافة، ولكن المتكلمين قطعوه عن الإضافة وعرّفوه فقالوا (الذات)، وحقيقته التي لها صفات، فحيث قيل لفظ (الذات) كان مستلزماً للصفات، ويستحيل وجود ذات منفكة عن الصفات في الخارج وفي العقل وفي اللغة، ومن قدّر ذاتاً بلا صفات فهو تقدير محال كما يقدّر سواد ليس بلون وعلم بلا عالم، عالم بلا علم ونحو ذلك من الأمور الممتنعة"[2].

ولكن الذي يؤخذ على الحبشي استخدامه لفظ (الغير) في اعتبار صفات الله غير الذات، لأن "لفظ (الغير) قد يراد به المباين للشيء، وقد يعني به ما يُعلم الشيء بدونه"[3] لهذا امتنع "السلف والأئمة أن يطلقوا على صفات الله: كلامه وعلمه ونحو ذلك أنه غير له أو أنه ليس غيره"[4] وهذا الأمر يوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية بأمثلة يذكرها في الصفدية فمثلاً: "لما سألوا الإمام أحمد في مناظراتهم له في المحنة، وأمر المعتصم قاضيه عبد الرحمن بن اسحق[5] أن يناظره، سأله فقال: ما تقول في القرآن: أهو الله أم غير الله؟ عارضه الإمام أحمد بالعلم فقال: ما تقول في علم الله؟ أهو الله أم غير الله؟ فسكت"[6]، ويؤكد هذا المعنى شارح الطحاوية بقوله: "وكذلك لفظ الغير فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقته له. ولهذا كان أئمة السنة -رحمهم الله تعالى- لا يطلقون على صفات الله وكلامه

---

[1] - الصفدية لابن تيمية ص١٠٨-١٠٩، انظر: درء التعارض لابن تيمية ٢٣/٣، منهاج السنة لابن تيمية ٥٦٩/٢-٥٧٠.

[2] - الصفدية لابن تيمية ص١٠٩.

[3] - المصدر السابق ص١٠٧.

[4] - المصدر نفسه ص١٠٧.

[5] - **عبد الرحمن بن اسحق**: عبد الرحمن بن اسحق بن إبراهيم بن سلمة، الضبي، كان يتولى القضاء على الرقة ثم ولي القضاء بمدينة المنصور، وبالشرقية، وكان من أصحاب أبي حنيفة، تقلد الحكم في أيام المأمون وما زال إلى آخر أيام المعتصم، توفي سنة ٢٣٢هـ. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٦٠/١٠-٢٦١، أخبار القضاة لمحمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع ٢٨٢/٣-٢٨٣، الناشر: عالم الكتب، بيروت -بدون تاريخ نشر ورقم طبعة-.

[6] - الصفدية لابن تيمية ص١٠٧، انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٣٩٩-٤٠٠، طبقات الشافعية للسبكي ٤٦/٢-٤٧.

أنه غيره ولا أنه ليس غيره، لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو..."[1] ولهذا لا بد من التفصيل والبيان عند إطلاق لفظ الغير مع صفات الله، والأولى تركها لأنها لم ترد عن السلف رضوان الله عليهم.

٢ - صفات الله أزليةٌ قائمةٌ بذاته:

يرى الحبشي "أن الله تعالى له صفات أزلية قائمة بذاته"[2]، ويبين المقصود بأن الصفات قائمة بذاته بقوله: "أي أنها ثابتة له، لا تنفك عنه كما ينفك الغير عن الغير، وليس معنى قولنا: قائمة بذاته متصلة بذاته"[3]، وهناك ألفاظ يحذر الحبشي من استخدامها في هذه المسألة فيقول: "فيجب اجتناب التعبير بأن صفات متصلة بذاته أو حالة في ذاته أو أن يقال هي بعض ذاته"[4]، ويمثل الحبشي لصفات الأزلية القائمة بذاته بقوله: "فنقول علمه تعالى صفة أزلية أبدية قائمة بذاته وقدرته صفة أزلية قائمة بذاته يتأتى بها الإيجاد والعدم"[5]، وفي موضع آخر يبين أن صفات الله قائمة بذاته "أن صفات الله تعالى باقية ببقاء قائم بذاته عز وجل"[6]، ويقول أيضاً في صفات الله: "... وهي أزلية أبدية باتفاق أهل الحق أي ليست حادثة في ذات الله بل هي قائمة بذات الله أزلاً وأبداً، فلا تتغير ولا تزيد ولا تنقص كصفات الخلق"[7].

وقول الحبشي بأن صفات الله أزلية قائمة بذاته هذا موافق لما عليه أئمة السلف، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: ".. فلا يعقل حي إلا من تقوم به الحياة، ولا عالم إلا من يقوم به العلم..."[8]، وهنا إثبات لشيخ الإسلام بأن صفات الله قائمة بذاته سبحانه وتعالى.

وهذا ما ذهب إليه الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه. لم يزدد بكونهم شيئاً، لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً"[9].

---

[1] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٢٥، وانظر: لوامع الأنوار للسفاريني ٢٩/١.

[2] - المطالب الوفية للحبشي ص٦٦.

[3] - المصدر السابق ص٦٧.

[4] - المصدر نفسه ص٦٧.

[5] - المصدر نفسه ص٦٧.

[6] - إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٤٠.

[7] - الشرح القويم للحبشي ص١١٦.

[8] - منهاج السنة لابن تيمية ٣٧٤/٢.

[9] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٢٤ -المتن-.

ويقول الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية "أن الله سبحانه وتعالى لم يــزل متصفاً بصفات الكمال، صفات الذات وصفات الفعل. ولا يجوز أن يعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص، ولا يجــوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده"[١].

ثانياً: الصفات الواجب معرفتها عند الأحباش:

يرى الأحباش أن هناك صفات ثلاث عشرة يجب معرفتها من قِبل كل مكلف، وإن لــم يجب حفظ ألفاظها يقول في ذلك الحبشي: "وهذه الصفات الثلاث عشــرة الواجبــة لله تجــب معرفتها على المكلف ولا يجب حفظ ألفاظها على كل مكلف"[٢]، وبالتالي إن الأحبــاش عــدوا ثلاث عشرة صفة يجب معرفتها، وهذه الصفات وردت في القرآن إما لفظاً أو معنى، ويعبــر الحبشي عن هذا بقوله: "إنه يتلخص من معنى ما مضى إثبات ثلاث عشرة صــفة لله تعــالى، تكرر ذكرها في القرآن إما باللفظ وإما بالمعنى"[٣].

والصفات الثلاث عشرة الواجبة التي ذكرها الأحباش هي كالتالي:

١- **الوجود**: أي "إن الله تعالى موجود أزلاً وأبداً فليس وجوده تعالى بإيجاد موجد"[٤]، "ولــم يكن في الأزل معه شيء أي لا زمان ولا مكان ولا أجرام"[٥].

٢- **القدم**: ويعرفه الحبشي بأنه: بمعنى الأزلية، لا بمعنى تقادم العهد والزمن، لأن لفظ القــديم والأزلي إذا أطلقا على الله كان المعنى أنه لا بداية لوجوده، فيقال: الله أزلــي، الله قــديم، وإذا أطلقا على المخلوق كانا بمعنى تقادم العهد والزمن، قال الله تعالى في القمــر:﴿**حَتَّــى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [يس:٣٩].[٦]

٣- **البقاء**: أي "يجب البقاء لله تعالى بمعنى أنه لا يلحقه فناء"[٧]، أي لا نهاية لوجوده تعالى.

---

[١]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٢٤، انظر: لوامع الأنوار للسفاريني ٢١٨/١-٢١٩.

[٢]- الشرح القويم للحبشي ص١١٦، انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٣٠، المطالــب الوفيــة للحبشــي ص٦٩، شرح الصفات للحبشي ص٣٤، بهجة النظر لقسم الأبحاث ص٢١.

[٣]- بغية الطالب للحبشي ص٢٠، مختصر الهرري للحبشي ص١٢، بهجة النظر لقسم الأبحاث ص٢١-٢٢.

[٤]- الصراط المستقيم للحبشي ص٣٠.

[٥]- شرح الصفات للحبشي ص٨، انظر: بغية الطالب للحبشي ص٢٠، الشرح القويم للحبشي ص١١٧-١١٨، مختصر الهرري للحبشي ص١٢، بهجة النظر لقسم الأبحاث ص٢٢.

[٦]- انظر:الصراط المستقيم للحبشي ص٣١، الشرح القويم للحبشي ص١١٨، شرح الصفات للحبشي ص١٤-١٦، بغية الطالب للحبشي ص٢٠، مختصر الهرري للحبشي ص١٢، بهجة النظر لقسم الأبحاث ص٢٢.

[٧]- الصراط المستقيم للحبشي ص٣١، وانظر: الشرح القويم للحبشي ص١٢٠-١٢١، بغية الطالب للحبشي ص٢٠، مختصر الهرري للحبشي ص١٢، بهجة النظر لقسم الأبحاث ص٢٢.

٤ - **السمع**: "وهو صفة قديمة قائمة بذات الله، أي ثابتة له تتعلق بالمسموعات... ولا يجوز أن يكون سمعه تعالى حادثاً كسمع خلقه، ولا يجوز أن يكون بآلةٍ كسمعنا فهو يسمع بلا أذن ولا صماخ"[١].

٥ - **البصر**: "معناه الرؤية، البصر صفةٌ أزلية أبدية متعلقة بالمبصرات، فهو تبارك وتعالى يرى ذاته الأزليّ، ويرى الحادثات برؤيته الأزلية، وليس بصره كبصر خلقه، لأن بصر خلقه بآلة ويكون بالعين"[٢]، ويتحدث الحبشي عن صفة البصر في موضع آخر فيقول: "فهو يرى برؤية أزلية أبديةٍ المرئيات جميعها ويرى ذاته بغير حدقةٍ وجارحةٍ، لأن الحواس من صفات المخلوقين"[٣].

٦ - **الإرادة**: "الإرادة وهي المشيئة واجبة لله تعالى، وهي صفة أزلية أبدية يخصص الله بها الجائز العقلي بالوجود بدل العدم، وبصفة دون أخرى وبوقت دون آخر"[٤]، وفي موضع آخر يقول الحبشي: "الإرادة صفة قديمة قائمة بذات الله أي ثابتة لذاته يخصص بها الممكن العقلي بصفةٍ دون صفة"[٥].

٧ - **القدرة**: "وهي صفة أزلية ثابتة لذات الله تعالى، ويصح أن يقال: قائمة بذات الله تعالى، لأن المعنى واحد... والقدرة يتأتى بها الإيجاد والإعدام أي يوجد بها المعدوم من العدم ويعدم بها الموجود"[٦].

٨ - **العلم**: "علم الله قديم أزلي كما أن ذاته أزلي، فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته فلا يتصف بعلم حادثٍ لأنه لو جاز اتصافه بالحوادث لانتفى عنه القِدم لأن ما كان محلاً للحوادث لا بد أن يكون حادثاً"[٧].

---

[١] - شرح الصفات للحبشي ص٢٨، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٢١-١٢٢، الصراط المستقيم للحبشي ص٣١، بغية الطالب للحبشي ص٢١، مختصر الهرري للحبشي ص١٢.

[٢] - شرح الصفات للحبشي ص٣٠، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٢٢-١٢٣، بغية الطالب للحبشي ص٢١، مختصر الهرري للحبشي ص١٢، بهجة النظر لقسم الأبحاث ص٢٢.

[٣] - الصراط المستقيم للحبشي ص٣٢.

[٤] -المصدر السابق ص٣٣، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٣٠-١٣١، بغية الطالب للحبشي ص٢٠، مختصر الهرري للحبشي ص١٢.

[٥] - شرح الصفات للحبشي ص٢٤.

[٦] - المصدر السابق ص٢٢، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٣٣-١٣٤، الصراط المستقيم للحبشي ص٣٤، بغية الطالب للحبشي ص٢٠،مختصر الهرري للحبشي ص١٢،بهجة النظر لقسم الأبحاث ص٢٢.

[٧] - الصراط المستقيم للحبشي ص٣٥، انظر:الشرح القويم للحبشي ص١٣٦، شرح الصفات للحبشي ص٢٥-٢٨، بغية الطالب للحبشي ص٢١، مختصر الهرري للحبشي ص١٢، بهجة النظر لقسم الأبحاث ص٢٢.

٩- **الحياة**: "الحياة في حق الله تعالى صفةٌ أزلية أبدية ليست كحياة غيره بروحٍ ولحمٍ ودمٍ"[١]، ويقول الحبشي عن صفة الحياة في موضع آخر: "يجب لله تعالى الحياة، فهو حي لا كالأحياء، إذ حياته أزلية أبدية ليست بروح ودم"[٢].

١٠- **الوحدانية**: "معنى الوحدانية أنه ليس ذاتاً مؤلفاً من أجزاء فلا يوجد ذات مثل ذاته وليس لغيره صفة كصفته، وفعل كفعله وليس المراد بوحدانيته وحدانية العدد إذ الواحد في العدد له نصف وأجزاءٌ أيضاً، بل المراد أنه لا شريك له"[٣].

١١- **القيام بالنفس**: يبين الحبشي معنى صفة القيام بالنفس فيقول: "اعلم أن معنى قيامه بنفسه هو استغناؤه عن كل ما سواه فلا يحتاج إلى مخصِّص له بالوجود، لأن الاحتياج إلى الغير ينافي قدمه، وقد ثبت وجوب قدمه وبقائه"[٤].

١٢- **المخالفة للحوادث**: "يجب لله تعالى أن يكون مخالفاً للحوادث بمعنى أنه لا يشبه شيئاً من خلقه، فليس بجوهرٍ يشغل حيزاً ولا عرضٍ، والجوهر ما له تحيز وقيام بذاته كالأجسام، والعرض ما لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره كالحركة والسكون والاجتماع والافتراق والألوان والطعوم والروائح"[٥].

١٣- **الكلام**: "هو صفة أزلية أبدية، هو متكلم بها آمرٌ، ناهٍ، واعدٌ، متوعد ليس ككلام غيره، بل أزلي بأزليةِ الذات، لا يشبه كلام الخلق وليس بصوت يحدث من انسلال الهواء أو اصطكاك الأجرام، ولا بحرفٍ ينقطع بإطباق شفةٍ أو تحريك لسانٍ... وكلامه تعالى الذاتي ليس حروفاً متعاقبة ككلامنا. وإذ قرأ القارئ منا كلام الله فقراءته حرف وصوت ليست أزلية"[٦]؛ ثم يتحدث الحبشي عن مسألة لها صلة وثيقة بكلام الله، وهي إطلاقات القرآن فيقول في ذلك: "القرآن له إطلاقان: يطلق على اللفظ المنزل، وعلى الكلام الذاتي الأزلي الذي ليس هو بحرفٍ وصوت، ولا لغة عربية ولا غيرها. والحاصل أنه إن قصد بكلام الله اللفظ المنزل الذي بعضه بلغة العرب، وبعضه بالعبرانية، وبعضه بالسريانية فهو

---

[١] - شرح الصفات للحبشي ص٢١، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٠، بغية الطالب للحبشي ص٢١.

[٢] - الصراط المستقيم للحبشي ص٣٥.

[٣] - المصدر السابق ص٣٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٠-١٤١، شرح الصفات للحبشي ص١٨-١٩، بغية الطالب للحبشي ص٢٠.

[٤] - الصراط المستقيم للحبشي ص٣٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٢-١٤٣، شرح الصفات للحبشي ص١٩، بغية الطالب للحبشي ص٢٠.

[٥] -شرح الصفات للحبشي ص١٩،انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٤٣-١٤٤،الصراط المستقيم للحبشي ص٣٧.

[٦] -الصراط المستقيم للحبشي ص٣٢،انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٢٣-١٢٤،بغية الطالب للحبشي ص٢١

حادث مخلوق، فالأول شهر بالقرآن والثاني بالتوراة والثالث بالإنجيل"[1]، وفي المعنى نفسه يتحدث الحبشي عن كلام الله فيقول: "ويُعبر عنه بالقرآن وغيره من الكتب المنزلة. وليست هذه الكتب المنزلة عين الكلام الذاتي، بل هي عبارات عنه... فالقرآن يراد به الكلام الذي هو معنى أي صفة قائمة بذات الله، ويطلق على اللفظ المنزل على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال الله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤]، وليس الكلام الذي هو معنى قائم بالله، المسمى الكلام النفسي لكونه قائماً بذات الله أي بنفسه أي ذاته. فالقرآن بمعنى اللفظ المنزل هو الذي يكتب بأشكال الحروف، ويسمع بالآذان، ويحفظ في الأذهان بالألفاظ المتخيلة،ويقرأ باللفظ، أما الكلام الذاتي فلا يحل في المصاحف، لكنه يطلق على كلا الأمرين أنه كلام الله فهو باعتبار إطلاقه على الكلام النفسي حقيقة عقلية شرعية. أما باعتبار إطلاقه على اللفظ المنزل فهو حقيقة شرعية"[2]. ويبين الحبشي أن نزول كلام الله إلى سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- باعتبار اللفظ المنزل غير عين كلام الله الذاتي من خلال قوله: "إن جبريل وجده مكتوباً في اللوح المحفوظ فأنزله بأمر الله له على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- قراءة عليه لا مكتوباً في صحفٍ، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ [التكوير:١٩]، أي مقروء جبريل، فلو كان هذا اللفظ المنزل عين كلام الله الذاتي لم يقل الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ [التكوير:١٩]، أي جبريل، لأن جبريل هو المراد بالرسول الكريم"[3]. ويوضح الحبشي بيان إنزال القرآن على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "والله تعالى أسمع جبريل -عليه السلام- قبل أن ينزل بالقرآن على سيدنا محمد كلاماً غير كلامه الأزلي الذي ليس حرفاً، ولا صوتاً، أسمعه كلاماً مخلوقاً بصوتٍ وحروفٍ متقطعة على ترتيب اللفظ المنزل، وفهم منه جبريل هذا اللفظ المنزل، الله تعالى خلق صوتاً بحروف القرآن فأسمع جبريل ذلك الصوت، وجبريل تلقاه ونَزلَ به على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وكذلك وَجَدَ جبريل هذا الصوت الذي سمعه مكتوباً في اللوح المحفوظ. فيفهم من هذا أن جبريل لم يسمع القرآن من كلام الله الأزلي الذي ليس حرفاً ولا صوتاً"[4].

مما سبق ذكره يتبين أن الأحباش أثبتوا ثلاث عشرة صفة لله من صفاته العُلى، وأوّلوا بقية الصفات، وهذا المنهج مخالف لما عليه أئمة السنة لأنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، ونفوا ما نفاه الله عن نفسه مما جاء في الكتاب والسنة، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "الإيمان بما

[1] - الصراط المستقيم للحبشي ص٣٢-٣٣.

[2] - شرح الصفات للحبشي ص٣١-٣٢.

[3] - المصدر السابق ص٣٣.

[4] - الشرح القويم للحبشي ص١٢٥.

وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه..."[١].

وسيتم مناقشة الأحباش -بمشيئة الله بطريقتين: الأولى: مناقشة منهجهم بشكل عام، والثانية: مناقشتهم في الصفات التي أثبتوها بخلاف السلف.

الطريقة الأولى: مناقشة منهج الأحباش في إثبات الصفات الثلاث عشرة:

الأحباش اخطأوا بانتهاجهم هذا المنهج من حيث إثبات صفات محددة -وهي الصفات الثلاث عشرة- وتأويل بقية الصفات، وهذا مما لا ريب فيه مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، ولهذا يرد عليهم بالردود التالية:

١- **القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر**[٢].

فيقال للأحباش كما أثبتم الكلام والسمع والبصر والإرادة لله وغيرها من الصفات الثلاث عشرة، أثبتوا الصفات الأخرى التي أولتموها مثل الاستواء والمجيء والنزول، فلا فرق بين ما أثبتموه وبين ما نفيتموه بتأويله، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر.

٢- **القول في الصفات كالقول في الذات**[٣].

ويقال للأحباش أنكم أثبتم لله ذاتاً حقيقيةً لا تماثل ذوات المخلوقين، فكذلك فلله صفات حقيقية لا تماثل صفات المخلوقين التي نفيتموها خوف التشبيه والتجسيم.

٣- **الاتفاق في الألفاظ لا يعني الاتفاق في المعنى**، وهذا ما يوضحه صاحب كتاب (العقيدة في الله) بقوله: "الاتفاق في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسميات"[٤] فمثلاً ذكر القرآن أنواعاً من فاكهة الجنة، وهذه الفاكهة تتشابه مع فاكهة الدنيا في الاسم، ولكن في الطعم واللون والشكل هناك اختلاف كبير، وهذا ما يؤكده -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ"[٥]، وهذا الاختلاف بين

---

[١]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٨٧/٣، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢١٨.

[٢]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٦/٣-٢٠، العقيدة في الله د. الأشقر ص٢٤٢-٢٤٣.

[٣]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢١/٣-٢٢، شرح الفقه الأكبر للقاري ص٤٩-٥٠، العقيدة في الله د. الأشقر ص٢٤٣.

[٤]- العقيدة في الله د. الأشقر ص٢٤٤.

[٥]- صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح٢٨٢٤، ٢١٧٤/٤-٢١٧٥.

المخلوقين، فكيف بين الخالق والمخلوق، بل ويرد على الحبشي من كلامه حيث يقول: "وأما اتفاق اللفظ فلا يعني اتفاق المعنى"[1]، ولكن مع تصريحه هذا إلا أنه يثبت بعض الأمور وينفي الآخر بحجة خوفه من الوقوع في التشبيه والتجسيم، وهذا تناقض واضح فيما يقول الحبشي ويعتقد.

٤- **إن ما أخبر به الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن ربه، يجب الإيمان به سواء عرفنا معناه أو لم نعرف،** لأن الصادق المصدوق أخبر به، فما جاء في الكتاب والسنة يجب الإيمان به من كل مؤمن وإن لم يفهم معناه[2]، أو يتصور كيفيته، لأننا غير مطالبين بمعرفة الكيفية، وينسحب هذا الكلام على صفات الله سبحانه وتعالى، وأيضاً يقال للحبشي كما أنك تدعو إلى الإيمان بسؤال الملكين في القبر للميت دون معرفة الكيفية، حيث قلت: "يجب الإيمان بسؤالهما للميت تصديقاً، ولا يجب معرفة كيفية السؤال"[3] وهذا في حق المخلوق سواء الملكين أو الميت، فأنت تطالب بالإيمان بذلك دون تصور الكيفية لأن مثل هذه الأمور لا تعرف إلا عن طريق السمع وكذلك فإن صفات الله لا تعرف إلا عن طريق السمع لأنه هو سبحانه أخبر بها فلذا يجب الإيمان بها دون السؤال عن الكيفية أو تصورها أو توهم التجسيم وما شابهه في حق الله إذا تم إثبات صفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

٥- **أن يوصف الله بما وصف به نفسه في الكتاب والسنة دون توهم وجود الشبه بينه سبحانه وتعالى وبين المخلوقين،** وهذا ما يقوله الحبشي: "والأصل أن الله تعالى يوصف بما وصف به نفسه في كتابه العزيز وبما صحّ أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصفه به من غير أن يكون لأحدٍ شركةٌ مع الله تعالى في ذاته ولا في صفاته"[4]، ولا شك أن الحبشي أجاد في هذا القول، ولكنه خالف نفسه وناقضها عندما أثبت بعض الصفات، وقام بتأويل القسم الآخر، وهذا مردود عليه بما قاله سابقاً وبما قاله سلف الأمة حيث إن "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك،ولا يجدون فيه صفة محصورة،وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً

---

[1]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣٣.

[2]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٨/٣، المسودة لابن تيمية ص١٤٧.

[3]- إظهار العقيدة السنية ص٢٥٢.

[4]- الشرح القويم للحبشي ص١٥٤.

منها على الحقيقة،ويزعمون أن من أقر بها مشبه،وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق ما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله"[1].

الطريقة الثانية: مناقشة الأحباش في الصفات التي أثبتوها بخلاف السلف:

الملاحظ أن الأحباش أثبتوا لله ثلاث عشرة صفةً فقط، من هذه الصفات التي أثبتوها خالفوا السلف فيها، ومن تلك المخالفات ما يلي:

١ - أن الأحباش أخذوا من صفة القدم المتصف بها الله سبحانه وتعالى اسماً أطلقوه على الله وهو القديم، وهذا الاسم لم يرد من ضمن أسماء الله سبحانه وتعالى وهذا ما عليه أئمة السلف يقول شارح الطحاوية: "وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم وليس هو من الأسماء الحسنى"[2].

ولا بد من معرفة أن اسم القديم الذي أطلقه المتكلمون ومنهم الحبشي، ليس بمعنى القديم الذي جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويتضح هذا من خلال قول ابن تيمية -رحمه الله-: "والمقصود هنا ذكر من يقع ذلك منه من غير تدبر منه للغة الرسول -صلى الله عليه وسلم- كلفظ القديم بأنه في لغة الرسول التي جاء بها القرآن خلاف الحديث وإن كان مسبوقاً بغيره، كقوله تعالى: ﴿**حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [يس:٣٩]، وقال تعالى عن أخوة يوسف: ﴿**تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ**﴾ [يوسف:٩٥]، ...وهو عند أهل الكلام عبارة عما لم يزل أو عما لم يسبقه وجود غيره إن لم يكن مسبوقاً بعدم نفسه ويجعلونه -إذا أريد به هذا- من باب المجاز، ولفظ المحدث في لغة القرآن يقابل لفظ (القديم) في القرآن"[3]؛ وفي المعنى نفسه يقول شارح الطحاوية: "فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد. ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم كما قال تعالى: ﴿**حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [يس:٣٩]، والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، وإذا وجد الجديد قيل للأول قديم"[4].

مع العلم أن صفة القدم التي يدل عليها في القرآن لفظة (الأول) مثل قوله تعالى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾ [الحديد:٣]، وهو ما مدح الله به نفسه ولم يمدح نفسه بلفظة القديم، ويقول شارح الطحاوية موضحاً هذا المعنى: "لكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا

---

[1] - التمهيد لابن عبد البر ١٤٥/٧.

[2] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١١٢.

[3] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٧٦/١.

[4] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١١٢.

يكون من الأسماء الحسنى. وجاء الشرع باسمه الأول وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له بخلاف القديم"[١]، ولذلك فإن اعتبار القديم اسم من أسماء الله الحسنى فيه نظر من وجهين: "الأول: أن أسماء الله تعالى عند أهل السنة توقيفية، والتوقيفي هو الذي لا يثبت إلا بنص، وهذا كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وكلام السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ليس في شيء منها تسمية الله بالقديم... وأما الوجه الثاني: فلأن أسماء الله كلها حسنى أي بالغة في الحسن منتهاه، فهي مشتملة من كل معنى كمال على أحسنه وأتمه وأعمه فلا نقص فيها بوجه من الوجوه، فلم يكن من أسمائه المريد ولا المتكلم ولا الصانع لانقسام مثل هذه الأسماء إلى صيغتي مدح وذم باعتبارين، وأما الأخبار منه أوسع من باب الإنشاء، وحيث تقرر ذلك فإن القديم ليس من الأسماء الحسنى..."[٢].

وأيضاً فإن الأحباش يستدلون على صفتي القدم والبقاء لله تعالى من قوله تعالى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾ [الحديد:٣]، ويزعمون أن الله وصف نفسه بهما من خلال الآية الكريمة السالفة الذكر؛ ومن المعلوم أن الله لم يصف نفسه بالقدم -كما تقدم ذكره- وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالبقاء، بل هذا الوصف من استنتاجات المتكلمين التي لم يرد الشرع بها، وفي هذا يقول صاحب (العقيدة في الله): "وصف الله بالقدم والبقاء لم يرد في الكتاب والسنة"[٣].

والحبشي عندما استدل على صفة البقاء لله، استند إلى قوله تعالى: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ [الرحمن:٢٧]، وهنا الاستدلال في غير موضعه للتالي:

أ- أن الآية الكريمة جاءت تثبت صفة الوجه لله سبحانه وتعالى.

ب- أن الحبشي اخذ مفهوم صفة البقاء من لفظة (يبقى) وهذا لا يجوز عند السلف، لأن صفات الله لا تؤخذ من الأفعال وإلا لجاز أن نسمي الله بأنه ماكر ونأخذه من قوله تعالى: ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [الأنفال:٣٠]، ولقد جاء عن الشيخ عبدالله بن بابطين[٤] أنه لا يوجد "ما يدل صراحةً على أن الباقي من أسماء الله

١- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١١٣.

٢- لوامع الأنوار للسفاريني ٣٨/١ -الهامش.

٣- العقيدة في الله د. الأشقر ص٢٢٩.

٤- **عبدالله بن بابطين**: هو عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن بابطين، فقيه الديار النجدية في عصره، ولد في بلدة روضة سُدير سنة ١١٩٤هـ، وتوفي سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م. كتب كتباً كثيرة منها: مختصر إغاثة اللهفان ومختصر بدائع الفوائد كلاهما لابن القيم وحاشية على شرح المنتهى، وله تعليقات على لوامع الأنوار البهية للسفاريني، انظر: موسوعة الزاد للعلوم والتكنولوجيا، المؤلف: مجموعة من العلماء، ٣٤٨١/١٢-٣٤٨٢، الناشر: مطابع ديداكو، إسبانيا، ط ١٩٩٥م،لوامع الأنوار للسفاريني ٣٨/١ -الهامش.

الحسنى... وإن كان في القرآن قد أضيف البقاء إلى الله في قوله تعالى: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ [الرحمن:٢٧]، لكن التعبير عن الصفة بالفعل لا يعني أن يشتق له اسم منها، ولذلك لم يشتق لله اسم من نحو قوله: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾ [البقرة:١٥]، .. وأمثال ذلك"[١].

ج- إن أسماء الله وصفاته توقيفية، بحيث يتوقف إثباتها على ما جاء من نصوص شرعية لا من استنتاجات عقلية ظنية[٢].

أما الذي ورد في الشرع بدل صفة البقاء التي جاء بها الأحباش وأمثالهم من المتكلمين صفة الآخرية المأخوذة من قوله تعالى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾ [الحديد:٣].[٣]

ومن الصفات التي أثبتها الحبشي ولم ترد في الكتاب ولا في السنة صفتا المخالفة للحوادث والقيام بالنفس، وهذا ما يذهب إليه صاحب كتاب (الرد على عبدالله الحبشي) عندما يتحدث عن الصفات التي أثبتها الحبشي فيقول: "منها صفات لم تثبت لا في كتاب ولا في سنة كصفة المخالفة للحوادث، والقيام بالنفس.."[٤]، وهاتان الصفتان يقال فيهما ما قيل في صفتي القدم والبقاء، لأن منهج الحبشي فيهما واحد لم يختلف عن سابقتيهم.

٢- ومما يؤخذ على الحبشي في منهجه في الصفات، أنه استخدم طريقة النفي المفصل في الصفات، وبذلك خالف منهج القرآن كما في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، حيث إن القرآن أجمل القول في نفي المثلية عنه سبحانه في صفاته وأسمائه وذاته، وفصَّل القول في إثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وهذا المنهج المخالف لمنهج القرآن يظهر جلياً من خلال أقوال الحبشي التالية:"ولا يجوز أن يكون بآلة كسمعنا فهو يسمع بلا أذن ولا صماخ"[٥]، وقوله: "فهو يرى برؤية أزلية أبدية بالمرئيات جميعها، ويرى ذاته بغير حدقةٍ أو جارحةٍ"[٦]، وقوله:"وليس بصوت يحدث من انسلال الهواء أو اصطكاك الأجرام، ولا بحرفٍ ينقطع بإطباق شفةٍ أو تحريك لسانٍ"[٧]، وقوله: "فهو حي لا كالأحياء، إذ حياته أزلية أبدية ليست بروحٍ ودمٍ"[٨]، وقول الحبشي في تنزيه

---

[١]- لوامع الأنوار للسفاريني ٣٩/١ -الهامش-، وانظر: المصدر نفسه ١٢٥/١-١٢٦.

[٢]- انظر: شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص٢٣.

[٣]- انظر: العقيدة في الله د. الأشقر ص٢٢٩.

[٤]- الرد على الحبشي للشامي ص١٨٧.

[٥]- الصراط المستقيم للحبشي ص٢٨.

[٦]- المصدر السابق ص٣٢.

[٧]- المصدر نفسه ص٣٢.

[٨]- المصدر نفسه ص٣٥.

الله عن المشابهة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]: "هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ، فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر"[١].

٣- إن الحبشي أثبت صفة الكلام، ولكنه مع ذلك خالف السلف في أن جعل كلام الله ليس بحرفٍ وصوت[٢]، ويقول الحبشي: "أن الله تعالى متكلم من غير أن يكون كلامه أصواتاً وحروفاً"[٣]، والحبشي يعتبر كلام الله معنى قائماً بذات الله فيقول: "كلام الله الذي هو صفة أزلية أبدية قائمة بذات الله ليست مقترنة بالزمن"[٤]، ويقول الحبشي أيضاً: "الكلام الذي هو معنى قائم بالله المسمى الكلام النفسي لكونه قائماً بذات الله أي بنفسه أي ذاته"[٥]، وبالتالي فإن الحبشي جعل كلام الله ليس بحرفٍ وصوتٍ، وأنه نفساني قائم بذاته.

وهذا الكلام مردود على الحبشي بما جاء في الكتاب والسنة، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿يَامُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه:١١-١٢]، فهذه الكلمات عبارة عن مجموعة من الحروف وهي كلام الله[٦].
- وقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]، وفي هذه الآية دليل على أنه تعالى تكلم بصوت، وذلك أن النداء لا يكون إلا صوتاً مسموعاً، فلا يعقل في لغة العرب لفظ النداء لغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازاً[٧].

أما ما جاء في السنة ما يدلل على كلام الله بحرف وصوت ما يلي:

- ما جاء عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار"[٨].

---

[١]- الصراط المستقيم للحبشي ص٤٤.

[٢]- انظر: المصدر السابق ص٣٢، الشرح القويم للحبشي ص١٢٤.

[٣]- المطالب الوفية للحبشي ص٧٤.

[٤]- المصدر السابق ص٧١.

[٥]- شرح الصفات للحبشي ص٣١-٣٢.

[٦]- انظر: شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص٧٣.

[٧]- انظر: لوامع الأنوار للسفاريني ١٦٩/١، شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص٧٣.

[٨]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) ح٧٤٨٣، ٢٤٦/٨، وأيضاً: كتاب تفسير القرآن، باب (وترى الناس سكارى) ح٤٧٤١، ٢٨٧/٦.

- وما رواه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير"[١]، وقد فسرَّ الصحابة قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ:٢٣]، مما يوافق الحديث السابق، فقد جاء عن ابن عباس أنه قال في الآية السابقة: لما أوحى الجبار جل جلاله إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي، فلما كشف عن قلوبهم فسألوه عما قال الله: قالوا الحق، علموا أن الله تعالى لا يقول إلا حقاً، وأنه تعالى منجز ما وعد، -قال ابن عباس- وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا، فلما سمعوه خروا سجداً، فلما رفعوا رؤوسهم قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا: الحق وهو العلي الكبير[٢].
- والحديث الذي يرويه جابر بن عبدالله عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان"[٣]، وهذا الحديث حسنه ابن القيم وأخرجه من باب الضعف، وينقل عن أئمة السلف مثل ذلك فيقول: "هذا حديث حسن جليل.. وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد.. بإسناده بطوله محتجاً به على من رده، وروى البخاري أوله في الصحيح مستشهداً به تعليقاً، ورواه في كتابه الأدب بطوله. ورواه الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي في كتابه في الأحاديث المختارة، -يقول ابن القيم-وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول:هي أصح من صحيح الحاكم"[٤]،ويقول ابن القيم:"ويكفي رواية البخاري في صحيحه مستشهداً به،واحتج به في أفعال العباد ورواه أئمة الإسلام في كتب السنة،وما

---

[١]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) ح٧٤٨١، ٢٤٥/٨، وأيضاً: كتاب تفسير القرآن، باب (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) ح٤٧٠١، ٢٦٣/٥-٢٦٤، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة سبأ) ح٣٢٢٣، ٣٦٢/٥، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجة لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، المقدمة، ح١٩٤، ٦٩/١-٧٠، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

[٢]- انظر: جامع البيان للطبري ٦٣/٢٢، كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ح٥٣٧، ٢٨١/١-٢٨٢، ح٥٣٨،١/٢٨٢.

[٣]- صحيح البخاري، كتاب (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) ٢٤٥/٨.

[٤]- مختصر الصواعق لابن القيم ٤٦١/٢-٤٦٢.

زال السلف يرويه ولم يسمع عن أحد من أعمدة السنة أنه أنكره حتى جاءت الجهمية فأنكروه،ومضى على آثارهم من اتبعهم بذلك"[١].

- وقد جاء عن عبدالله بن أحمد في كتاب السنة أنه قال: "سألت أبي -رحمه الله- عن قوم يقولون: لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت، فقال أبي: بلى إن ربك تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت"[٢].
- وقال البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد): "ويُذكر عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه كان يحب أن يكون الرجل خفيض الصوت،ويكره أن يكون رفيع الصوت(وأن الله ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)[٣] فليس هذا لغير الله عز وجل...وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق،لأن صوت الله يسمع من بعد كما يسمع من قرب،وأن الملائكة يصعقون من صوته"[٤]،وفي هذه النصوص رد على الحبشي بعدم الأخذ بأحاديث الصوت في العقائد حيث يقول:"أحاديث الصوت فليس فيها ما يحتج به في العقائد"[٥].

ومن الردود التي رد بها سلف الأمة على من جعل كلام الله قائماً بذاته -بالإضافة إلى ما سبق- ما يلي:

- يقال للحبشي: أن المسلمين أجمعوا "على أن القرآن انزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- وأنه معجزة النبي -صلى الله عليه وسلم- المستمرة الذي تحدى الله الخلق بالإتيان بمثله فعجزوا، وأجمعوا على أنه يقرأ ويسمع ويحفظ ويكتب، وكل هذه الصفات لا تعلق لها بالكلام النفسي"[٦].
- وأيضاً يقال في الآيات التالية: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنْزِيلًا**﴾ [الإنسان:٢٣]، وقوله تعالى:﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا**﴾ [المزمل:٤]، وقوله تعالى:﴿**حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة:٦]، وقوله تعالى:﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا**﴾ [الأعراف:٢٠٤]،

١- المصدر السابق ٤٦٢/٢.

٢- كتاب السُّنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل ٢٨٠/١، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، السعودية، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣- سبق تخريجه، انظر: ص١٣٤.

٤- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ص٩٨، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف، الرياض، سنة النشر ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٥- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١١٩.

٦- لوامع الأنوار للسفاريني ١٦٣/١.

"فإن هذه الآيات كلها من صفات الموجود لا من صفات ما في النفس الذي لا يظهر لحسن ولا يدرك كنهه أو ما هو"[١].

- ويقال للحبشي أن الإمام الأشعري الذي تنتسب إليه أثبت وغيره من الأشاعرة أن الصفة النفسية مسموعة وفي هذا يقول صاحب (العلم الشامخ): "لكن ذهب الأشعري في أحد قوليه والسبكي وغيرهما، إلى أن الصفة النفسية مسموعة"[٢].
- يلزم من كلام الحبشي من أن كلام الله واحد قام بذاته وهو الذي يسمى الكلام النفساني، أن يكون الأخرس متكلماً، بل ويلزم ألا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، وذلك مثاله كأن يشير أخرس إلى شخص بإشارة فيفهم ذلك الشخص مقصوده، فيكتب عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وبالتالي هذا ينطبق على الملك الذي فهم من الله المعنى القائم بنفسه لأنه لم يسمع من الله حرفاً ولا صوتاً بل فهم معنىً مجرداً ثم عبر عنه[٣]؛ وهذا بالضرورة كلام باطل ومردود على الحبشي وغيره من المتكلمين.
- ويقال للحبشي: إثبات الكلام النفسي لله يحمل مجموعة من التناقضات فمثلاً: أن الكلام الذي أثبته، لم تثبت ما هو؟ بل ولا تصوره؟ ومن المعلوم أن إثبات الشيء فرع تصوره؟ فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟[٤].
- إن القول بالكلام ذات المعنى القائم بالنفس لله، "خلاف الأدلة لأنها تدل على أن كلام الله يسمع ولا يسمع إلا الصوت، لا يسمع المعنى القائم بالنفس"[٥]، وأيضاً يعتبر الكلام النفسي لله "خلاف المعهود لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه"[٦].
- ويرد على الحبشي "بقوله -صلى الله عليه وسلم- إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس"[٧]، وقال: "إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإنما أحدث ألا تكلَّموا في الصلاة"[١]. واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بطلت صلاته.

---

[١]- المصدر السابق ١٦٢/١.

[٢]- العلم الشامخ للمقبلي اليمني ص١٧٢-١٧٣.

[٣]- انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٨٣.

[٤]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٧٨/٦-١٧٩.

[٥]- شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص٧٣.

[٦]- المصدر السابق ص٧٣، انظر: العلم الشامخ للمقبلي ص٤٢٩، موسوعة أهل السنة لدمشقية ٥٩٩/١.

[٧]- صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، ح٥٣٧، ٣٨١/١، سنن النسائي، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، ح١٢١٨، ١٤/٣-١٨.

واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب -لا يبطل الصلاة وإنما يبطلها التكلم بذلك فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام. وأيضاً ففي (الصحيحين) عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تـتكلم به أو تعمل به"[٢]. فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففـرق بـين حـديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان باتفـاق العلماء. فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب"[٣] وبذلك يتبـين بطلان القول بأن المعنى القائم بالنفس يسمى كلاماً.

- وأيضاً إن "إثبات الكلام النفسي لا يثبت لله صفة الكلام وإنما ينفيها، فإنـه يجـوز حينئـذ وصف الأبكم بأنه متكلم لأنه قادر على الكلام النفسي مع عجزه عن الكلام الحقيقي. فـإن من لم يكن قادراً على الكلام فهو الأخرس. وإذا كان قادراً ولم يتكلم فهو الساكت"[٤].
- الاعتقاد بان كلام الله كلام نفساني مناقض لما جاء في القرآن حيث إن الله "فرق بـين مراتـب تكليمه لرسله. فكلامه لموسى يختلف عن إيحائه لغيره من الأنبياء. فـإن الله كلمـه مـن غيـر واسطة"[٥] ولذلك سُمي موسى -عليه السلام- (كليم الله) وهذا من باب المدح، وإلا فكيف يمـدح موسى بشيء لا حقيقة له؟!.
- ويقال للحبشي: أنت منعت إطلاق ألفاظ في حق الله لم ترد في الشرع، على أن يوصـف الله بها أو يسمى بها، لأن صفاته أمر توقيفي من الشارع وهذا موافق لما عليـه السـلف، فكيـف تسمـى كـلام الله بشـيء لم يرد في الشرع كأن تسمى كلامه قائمـاً بذاتـه أو كلاماً نفسانياً[٦].

---

[١]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (كل يوم هو في شأن) ٢٦١/٨، سنن النسائي، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة ١٨/٣-١٩.

[٢]- صحيح البخاري، كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاقة ونحوه ولا عتاقة إلا لوجـه الله تعالى، ح٢٥٢٨، ١٦٣/٣، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، ح١٢٧، ١١٦/١، سنن الترمذي، كتاب الطلاق، باب ما جاء فيمن يحـدّث نفسـه بطـلاق امرأته، ح١١٨٣، ٤٨٠/٣.

[٣]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٨٤-١٨٥.

[٤]- موسوعة أهل السنة لدمشقية ٦٠٠/١.

[٥]- المرجع السابق ٦٠٠/١.

[٦]- المرجع نفسه ٦٠٠/١.

٤- إن الحبشي جعل كلام الله معنىً واحداً، فإن عُبر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عُبر عنه بالعبرانية فهو توراة، وإن عبر عنه بالسريانية فهو إنجيل[١]، وبالتالي اختلفت العبارات لا الكلام، وهذا معلوم الفساد لأنه يعني أن آيات القرآن ذات معنى واحد فمثلاً: معنى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا**﴾ [الإسراء:٣٢]، هو معنى قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ [البقرة:٤٣]، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين، ومعنى سورة الإخلاص هو معنى سور المسد[٢].

- ويقال أيضاً: "فإنا إذا عربنا التوراة والإنجيل لم يكن معناهما معنى القرآن بل معاني هذا ليست معاني هذا"[٣].

- ويقال للأحباش: "إذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً، فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة"[٤] وبالتالي هذا كلام لن توافقوا عليه، فتبين فساد قولكم.

٥- وفي كيفية تلقي القرآن، وإنزاله على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- تحدث الحبشي عن ذلك في كتاباته، فتارة يذكر أن جبريل -عليه السلام- وجد القرآن مكتوباً في اللوح المحفوظ وأنزله على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- بأمر الله سبحانه وتعالى[٥] وأخرى يذكر أن الله أسمع جبريل "قبل أن ينزل بالقرآن على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- كلاماً غير كلامه الأزلي الذي ليس حرفاً ولا صوتاً، أسمعه كلاماً مخلوقاً بصوت وحروف متقطعة على ترتيب اللفظ المنزل وفهم منه جبريل هذا اللفظ المنزل.."[٦]، ثم يلحق بعد ذلك القول الأول بهذا القول:"وكذلك وجد جبريل هذا الصوت الذي سمعه مكتوباً في اللوح المحفوظ"[٧]، فيلاحظ التردد والاضطراب الواقع فيه الحبشي من خلال تعدد الأقوال في كيفية تلقي جبريل-عليه السلام-القرآن من الله، بل في كلامه اتهام لله سبحانه وتعالى بأنه لم يفهم جبريل-عليه السلام-ما أسمعه إياه بحيث رجع جبريل-عليه السلام- مرة أخرى إلى اللوح المحفوظ بعد سماعه للقرآن من الله بالكيفية التي يوردها الحبشي.

١- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٣٢-٣٣، الشرح القويم للحبشي ص١٢٧-١٢٨، شرح الصفات للحبشي ص٣١-٣٢.

٢- انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٧٨.

٣- لوامع الأنوار للسفاريني ١٦٦/١.

٤- المصدر السابق ١٦٦/١.

٥- انظر: شرح الصفات للحبشي ص٣٣.

٦- الشرح القويم للحبشي ص١٢٥.

٧- المصدر السابق ص١٢٥.

- وادعاء الحبشي بأن جبريل عليه السلام، أخذ القرآن من اللوح المحفوظ مردود عليه، وهذا الفساد يبينه النص القرآني في قوله تعالى: ﴿**نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ**﴾ [النحل:١٠٢]، "يقتضي نزول القرآن من رب العالمين، والقرآن اسم لهذا الكتاب العربي لفظه ومعناه بدليل قوله: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ**﴾ [النحل:٩٨]، فإنه إنما يقرأ القرآن العربي لمعانيه المجردة، وأيضاً: فضمير المفعول في قوله (نزله) عائد إلى ما في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ**﴾ [النحل:١٠١]، فالذي أنزله الله هو الذي أنزله روح القدس، فإذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي، لزم أن يكون نزله من الله فلا يكون شيء نزله من عين من الأعيان المخلوقة"[1] ويقصد بذلك اللوح المحفوظ، وإذا كان جبريل -عليه السلام- نزل بالقرآن من الله، فلا بد أن يكون سمعه من الله تبارك وتعالى "وهذا بيان من الله تعالى أن القرآن الذي هو باللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله سبحانه وتعالى ونزل به منه، وقد قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [الأنعام:١١٤]"[2].

ويرد أيضاً على الحبشي بزعمه أن جبريل -عليه السلام- أخذ القرآن مكتوباً من اللوح المحفوظ لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله تعالى وسمعه منه سبحانه وتعالى وذلك بأن "الله تعالى كتب التوراة لموسى -عليه السلام- بيده[3]، فبنو إسرائيل أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه الله سبحانه فيه، فإن كان محمد أخذه عن جبريل، وجبريل عن الكتاب، كان بنو إسرائيل أعلى من محمد -صلى الله عليه وسلم- بدرجة"[4] وهذا باطل لأن سيدنا محمداً -صلى الله عليه وسلم- أفضل الخلق عند الله سبحانه وتعالى، حيث جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "أنا سيد الناس يوم القيامة"[5].

[1]- لوامع الأنوار للسفاريني ١٦٦/١.

[2]- المصدر السابق ١٦٦/١-١٦٧.

[3]- انظر: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ح٢٦٥٢، ٢٠٤٢/٤-٢٠٤٣.

[4]- لوامع الأنوار للسفاريني ١٦٨/١.

[5]- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، ح٤٧١٢، ٢٦٩/٥، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، ح١٩٤، ١٨٤/١، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة، ح٢٤٣٤، ٦٢٢/٤-٦٢٤، سنن الدارمي لعبدالله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، ح٥٢، ٤٢٤١/١، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، الناشر: دار الريان للتراث -القاهرة-، ودار الكتاب العربي-بيروت- ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

وأيضاً فإن "الآيات القرآنية تدل دلالة صريحة على أن القرآن منزل من الله لا من غيره كقوله تعالى: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الزمر:١]، ﴿**حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [غافر:١-٢]، وكذا قوله تعالى: ﴿**بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ [المائدة:٦٧]"[١].

وأما القول الثاني: أن الله أسمع جبريل كلامه ليس بحرف وصوت فقد تم مناقشته فيما سبق، وبذلك يتبين خطأ ما ذهب إليه الحبشي، والصحيح ما عليه السلف أن الله أسمع جبريل القرآن بصوت وحرف.

٦- أن الحبشي يحاول أن يفرق بين الكلام المنزل مع جبريل وبين كلام الله الذاتي[٢]، ويدعي الحبشي: "إن القراءة غير المقروء والتلاوة غير المتلو"[٣]، ولهذا يرى الحبشي: "أن القرآن بمعنى اللفظ المنزل المقروء هو مقروء جبريل وليس مقروء الله تعالى"[٤]، ويبين الحبشي هذا بقوله: "أن القرآن يقال فيه: أنه مكتوب في مصاحفنا أي بأشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه، محفوظ في قلوبنا أي بالألفاظ المتخيلة مقروء بألسنتنا أي بالحروف الملفوظة المسموعة، مسموع بآذاننا غير حال فيها، أي أن الكلام الذاتي ليس حالاً في المصاحف ولا في القلوب، ولا هو المسموع بآذاننا، إنما المكتوب بأشكال الحروف والمحفوظ في القلوب والمقروء بالألسن والمسموع بالآذان هو اللفظ المنزل لا عين الصفة القديمة فإنها معنى قائم بذات الله"[٥]، ويرجع هذا التخبط لدى الحبشي لاعتبار كلام الله معنىً ذاتياً قائماً بنفسه، ولكن الذي عليه سلف الأمة خلاف ما قاله الحبشي فإنه: "تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً"[٦].

ويرد على الحبشي في ادعائه بأن "حقيقة كلام الله تعالى: الخارجية: هي ما يسمع منه أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع علمه وحفظه. فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم. وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه. والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ**

---

[١]- لوامع الأنوار للسفاريني ١٦٩/١.

[٢]- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٣٢-٣٣، شرح الصفات للحبشي ص٣١-٣٣.

[٣]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٩٩.

[٤]- الشرح القويم للحبشي ص١٢٩.

[٥]- المطالب الوفية للحبشي ص٨١.

[٦]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٦٩.

اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه من مبلغه عن الله. والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿**حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة:٦]،ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام.والأصل الحقيقة.ومن قال:إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله، فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكفى بذلك ضلالاً"[١]،والمعنى السابق نفسه يذكره ابن القيم على لسان السلف بقوله: "قالوا: التلاوة هي قراءتنا وتلفظنا بالقرآن. والمتلو هو القرآن العزيز والمسموع بالآذان بالأداء من فيّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهي ﴿**المص**﴾ [الأعراف:١]،و﴿**كهيعص**﴾[مريم:١]،و﴿**حم**﴾[الدخان:١]،و﴿**الـم**﴾[البقرة:١]، حروف وكلمات وسور وآيات تلاه عليه جبرائيل،كذلك وتلاه هو على الأمة كما تلاه عليه جبرائيل،وبلغة جبرائيل عن الله تعالى كما سمعه،وهذا قول السلف وأئمة السنة والحديث، فهم يميزون بين ما قام بالعبد وما قام بالرب، والقرآن عندهم جميعه كلام الله حروفه ومعانيه، وأصوات العباد وحركاتهم وأداؤهم وتلفظهم كل ذلك مخلوق بائن عن الله"[٢]،وبالتالي فإن منهج السلف واضح حيث إن:القرآن الكريم في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم، قال تعالى:﴿ **بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ [العنكبوت:٤٩]، وهو متلو بالألسنة،قال تعالى:﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾ [القيامة:١٦]،فالقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة،محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو بألسنتنا في الحقيقة،مسموع لنا في الحقيقة كما قال تعالى:﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة:٦].[٣]

ثالثاً: موقف الأحباش من الصفات غير الثلاث عشرة التي أثبتوها:

لم يختلف منهج الأحباش عن منهج المتكلمين في الصفات الأخرى -غير الصفات الثلاث عشرة التي أثبتوها على طريقتهم- حيث أوّلوا جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ويرجع السبب في ذلك حسب ظن الحبشي في أن "الآيات والأحاديث الموهم ظاهرها تشبيه الله بخلقه لا بدّ من تأويلها على معنى لائق بالله عز وجل أو الامتناع عن التأويل واعتقاد تنزيهه عن صفات الحدوث والمخلوقين"[٤]، ومن أهم الصفات التي أوّلها الأحباش ما يلي:

١- صفة الاستواء:

---

[١]- المصدر السابق ص١٨٠-١٨١.

[٢]- مختصر الصواعق لابن القيم ٤٨٠/٢.

[٣]- كتاب الأربعين في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الهروي ص٩٣ بتصرف، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي -بدون ناشر-، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

[٤]- صريح البيان للحبشي ص٥٣.

اهتم الأحباش كثيراً بصفة الاستواء في كتاباتهم، وجعلوها مضرب المثل في التأويل، ومما قالوه في تأويل هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، قول الحبشي: "فلا تكون آية ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، حجة لإثبات الاستقرار لله على العرش، بل الترجيح لمعنى الاستيلاء... كما في قول الشاعر في بشر بن مروان[١]:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيفٍ ولا دمٍ مهراق

فليس مدح بشر بن مروان في هذا البيت من حيث إنه جالس في هذا البلد، إنما المدح له لأنه استولى أي قهر وهيمن وسيطر على العراق، لأن الجلوس في العراق يشترك فيه الإنسان الشريف، والإنسان القوي، والإنسان الدنيء، والإنسان الضعيف، فالمدح إنما يكون بصفة يمتاز به الممدوح عما لا يكاد يدانيه ولا يساويه ولا يكافئه غيره، فلا بد أن يفهم من الاستواء القهر والاستيلاء، إذ هو أشرف معاني الاستواء ومما يليق بالله تعالى لأنه وصف نفسه بأنه قهار، فلا يجوز أن يترك ما هو لائق بالله تعالى إلى ما هو غير لائق بالله تعالى وهو الجلوس والاتصال والاستقرار"[٢]، ويقول الحبشي أيضاً في الاستواء في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]: "فهذه الآية، السلف لم يشتغلوا بتأويلها بتعيين معنى خاص، إنما قالوا: استوى استواء يليق به مع تنزيهه عن صفات الحوادث، ونفوا الكيفية عن الله تعالى"[٣]، ويقول أيضاً في الاستواء: "فتحمل لفظة الاستواء على القهر"[٤]، وأحياناً يجعل الحبشي الاستواء بمعنى الاستيلاء والقهر فيقول: "... استوى أي قهر، ومن قال استولى فالمعنى واحد أي قهر"[٥]، ومرة أخرى يجمع بين الأقوال السابقة فيقول: "آية الاستواء تحمل على القهر أو يقال استوى استواءً يليق به، أو يقال: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، بلا كيف، أما من أراد التأويل التفصيلي فيقول: قَهَرَ ويجوز أن يقول استولى"[٦]، وبالإضافة إلى الأقوال السابقة يقول الحبشي بمعنى جديد للاستواء وهو العلو فيقول: "والاستواء قد يراد به أيضاً العلو، والعلو على وجهين: علو مكان، وعلو معنى أي

١- **بشر بن مروان**: بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، أميراً، كان سمحاً جواداً. ولي آمرة العراقين (البصرة والكوفة)، لأخيه عبد الملك سنة ٧٤هـ، توفي سنة ٧٥هـ.انظر:البداية والنهاية لابن كثير ٧/٩، النجوم الزاهرة لابن تغري ١/١٩١.

٢- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٩٩-٢٠٠.

٣- صريح البيان للحبشي ص٤٥، انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٧.

٤- الصراط المستقيم للحبشي ص٤٧، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٥٩.

٥- الشرح القويم للحبشي ص١٧٦.

٦- المصدر السابق ص١٨١.

علو قدر، والذي يليق بالله هو علو القدر، لا علو المكان لأنه لا شأن في علو المكان، إنما شأن في علو القدر..."[1].

إن الأحباش خالفوا السلف في تفسيرهم لصفة الاستواء بحيث أوّلوها مرة بمعنى الاستيلاء أو بمعنى القهر، وأحياناً يجمعون بينهما ويجعلونها بمعنى واحد، أو أوّلوا الاستواء بمعنى علو القدر، أو جعلوا الاستواء بمعنى يليق به مع نفي الكيفية عن الله أي تفويض المعنى لله، وبالتالي فإن التردد والاضطراب هي السمة المميزة للحبشي في تأويله لصفة الاستواء، وهي مردودة عليه بالتالي:

أ- تأويل الاستواء بهذه المعاني باطل، بحيث لم يفسره أحد من السلف من صحابة وتابعين بهذه المعاني، ولم يرد تفسيره في أحد الكتب الصحيحة عنهم مما سبق[2]، بل إن الإمام أبا الحسن الأشعري في كتابه الإبانة[3]، يقرر أن من فسر الاستواء بالاستيلاء أو القهر أو الملك، إنما هو من أقوال المعتزلة والجهمية، وليس مما ذهب إليه أهل الحق[4].

ب- تبطل المعاني السابقة التي ذهب إليها الحبشي في حق الله من خلال ما جاء في لغة العرب حيث إن "لفظ الاستواء في كلام العرب الذين خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه (نوعان) مطلق ومقيد، فالمطلق: ما لم يوصف معناه بحرف مثل قوله: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى**﴾ [القصص:١٤]، وهذا معناه كمل وتّم، ويقال: استوى النبات واستوى الطعام. وأما مقيد فثلاثة أضراب (أحدهما) مقيد بـ (إلى)، كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**﴾ [البقرة:٢٩]، ...وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**﴾ [البقرة:٢٩]، والثاني: مقيد بعلى كقوله تعالى: ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ**﴾ [الزخرف:١٣]، ...وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة (الثالث) المقرون بواو (مع) التي تعدى الفعل إلى الفصول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها، وهذه معاني الاستواء المنقولة في كلامهم"[5].

---

[1]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٦٥.

[2]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٩٢/٥، وانظر: لوامع الأنوار للسفاريني ١٩٠/١.

[3]- الأحباش لا يعترفون بكتاب الإبانة للإمام الأشعري، الذي يعلن فيه رجوعه لمذهب أهل السنة والجماعة وخاصة في الصفات، ويعتبرون هذه النسخة مدسوسة على الإمام الأشعري. انظر: مقدمة -منتخب حدائق الفصول للحموي- ص١٠ -تحقيق تلاميذ الحبشي-.

[4]- انظر: الإبانة للإمام الأشعري ص٣٢.

[5]- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٥٣/٢، انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس ص٦١.

ج- ويقال أيضاً: "أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى، إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور: ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا: أنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لاحتاج إلى -بيان- صحته، فكيف ببيتٍ من الشعر لا يعرف إسناده؟!"[١].

وهذا البيت الذي استدل به الحبشي وجعل الاستواء بمعنى الاستيلاء بناء عليه، قول مرفوض لأن من "تعقب بأن الاستيلاء معناه: حصول الغلبة بعد العجز، وذلك محال في حقه تعالى، وأيضاً يقال: استولى فلان على كذا: إذا كان له منازع ينازعه، وهو في حقه تعالى محال أيضاً. وأيضاً: إنما يقال ذلك إذا كان المستولى عليه موجوداً من قبل، والعرش إنما حدث بتخليته تعالى وتكوينه سبحانه، وأيضاً: الاستيلاء واحد بالنسبة إلى كل المخلوقات، فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة"[٢]، ثم "أين استواء بشر على العراق من استواء الحق سبحانه على العرش، فالصواب أن يلزم العبد الأدب مع مولاه"[٣].

د- ويقال أيضاً: أنه لو صح هذا البيت، وصح أنه غير محرف لم يكن فيه حجة بل هو حجة عليهم، وهو على حقيقة الاستواء، فإن بشراً هذا كان أخاً عبد الملك بن مروان وكان أميراً على العراق فاستوى على سريرها كما هي عادة الملوك ونوابها أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه، وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة كقوله تعالى: ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ**﴾ [الزخرف:١٣]، ...وفي الصحيح (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ملبياً)[٤] وقال علي: (أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بدابة يركبها، فلما وضع رجله في الغرز قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله)[٥]، فهل نجد في هذه المواضع موضعاً واحداً أنه بمعنى الاستيلاء والقهر؟"[٦].

وأيضاً: "إنه لو كان المراد بالبيت استيلاء القهر والملك، لكان المستوي على العراق عبد الملك بن مروان لا أخوه بشر، فإن بشراً لم يكن ينازع أخاه الملك ولم يكن ملكاً مثله،وإنما كان نائباً له عليها ووالياً من جهته، فالمستولي عليها هو عبد الملك لا بشر بخلاف الاستواء

١- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٩٣/٥، انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٣٦٠/٢.

٢- جلاء العينين لابن الآلوسي ص٣٦٤، انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٩٤/٥.

٣- جلاء العينين لابن الآلوسي ص٣٦٩.

٤- صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، ح١٣٤٢، ٩٧٨/٢.

٥- سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، ح٢٥٩٩، ٣٣/٣، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ركب الناقة، ح٣٤٤٦، ٥٠١/٥، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

٦- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٦٠/٢.

الحقيقي،وهو الاستواء فيها والجلوس على سريرها،فإن نـواب الملـوك تفعـل هـذا بـإذن الملوك"[1].

هـ- "إنه لا يقال لمن استولى على بلدة ولم يدخلها ولم يستقر فيها، بل بينه وبينها بعد كثيـر، إنه قد استوى عليها،فلا يقال:استوى أبو بكر على الشام،ولا استوى عمر علـى مصـر والعراق...ولم يزل الشعراء يمدحون الملوك والخلفاء بالفتوحات ويتوسعون في نظمهـم واستعارتهم فلم يسمع عن قديم منهم: جاهلي ولا إسلامي ولا محدث أنه مدح أحـداً قـط أنـه استوى على البلد الفلاني الذي فتحه واستولى عليـه فهـذه دواويـنهم وأشـعارهم موجودة "[2].

و- ويرد على الحبشي الذي جعل من معاني الاستواء معنى يليق به مع نفي الاسـتواء عـن الله، بما أجاب به الإمام ربيعة الرأي والإمام مالك وغيرهم عن قوله تعالى: ﴿**الـرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، "قالا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمـان بـه واجب، والسؤال عنه بدعة. ولا يريد أن الاستواء معلـوم فـي اللغـة دون الآيـة، لأن السؤال عن الاستواء في الآية كما يستوي الناس"[3] حيث "أنه إذا كان معلوماً في اللغـة التي نزل بها القرآن كان معلوماً في القرآن"[4] وبالتالي "لو لم يكن معنى الاسـتواء فـي الآية معلوماً لم يحتج أن يقول: الكيف مجهول، لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي إلا ما قـد علم أصله، كما تقول: إن نكفر بالله، ونؤمن به ولا نعلم كيف هو"[5] وهنا يتبين خطأ مـا ذهب إليه الحبشي.

ز- وأيضاً: "إذا فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى هذه الآيات كلها -الآيات التـي ورد فيها ذكر الاستواء- إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق السموات والأرض ثم غلـب العرش بعد ذلك وقهره، وحكم عليه أفلا يستحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله بكلامه أن ينسب ذلك إليه، وأنه أراده بقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طـه:٥]، أي اعلموا يا عبادي أني بعد فراغي من خلـق السـموات والأرض، غلبـت عرشـي وقهرته واستوليت عليه"[6] وهذا المعنى فاسد معلوم الفساد لا خلاف في ذلك.

---

[1]- المصدر السابق ٣٦١/٢.

[2]- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٦١/٢.

[3]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٩٢/٥.

[4]- المصدر السابق ٩٣/٥.

[5]- المصدر نفسه ٩٣/٥.

[6]- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٦٣/٢.

ح- كما أن لفظة (استوى) مهما تعددت الصلات المقرونة بها سواء بـأداة أم إلى المقترن بواو المصاحبة، أم المقترن بإلى، أم إلى المقترن بعلى، أم إلى كل واحد من ذلك، أم كانت مجرد لفظة (استوى) مجردة فإنها ترجع إلى معنى واحد، ويقول في ذلك ابن القيم: "والذي استوى على العرش لا يحتمل هذا اللفظ معنيين البتة. ... فإن الأصل في الكلام الإفراد والحقيقة دون الاشتراك والمجاز"[1]، ثم يقول: "إن نمنع الاحتمال في نفس لفظ الاستواء مع قطع النظر عن صلاته المقرونة لها، وأنه ليس له إلا معنى واحد وإن تنوع بتنوع صلاته كنظائره من الأفعال التي تنوع معانيها بتنوع صلاتها كملت عنه، وصلت إليه ورغبت عنه، ورغبت فيه، وعدلت عنه، وعدلت إليه، فررت منه، وفررت إليه، فهذا لا يقال له مشترك ولا مجاز، والحقيقة واحدة تنوعت دلالتها بتنوع صلاتها، وهكذا لفظ الاستواء هو بمعنى الاعتدال حيث استعمل مجرداً أو مقروناً، تقول: سويته فاستوى كما يقال: استعماله في اللغة ومنه استوى إلى السطح، أي ارتفع في اعتدال، ومنه استوى على ظهر الدابة أي اعتدل عليها، قال تعالى: ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ**﴾ [الزخرف:١٣]، (وأَهلَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما استوى على راحلته)[2]، فهو يتضمن اعتدالاً واستقراراً عند تجرده، ويتضمن المقرون مع ذلك معنى العلو والارتفاع وهذا حقيقة واحدة تتنوع بتنوع قيودها كما تتنوع دلالة الفعل بحسب مفعولاته وصلاته، وما يصاحبه من أداة نفي، أو استفهام، أو نهي، أو إغراء فيكون له عند كل أمر من هذه الأمور دلالة خاصة والحقيقة واحدةٌ "[3].

ط- ويرد على الحبشي بتأويله للاستواء بعلو القدر بما أورده الإمام أبو الحسن الأشعري في الإبانة من حيث إثباته للعلو الذاتي لله سبحانه وتعالى حيث قال: "إن الله عز وجل مستوٍ على عرشه، كما قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه:٥]، وقد قال الله عز وجل:﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠]،وقال تعالى:﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء:١٥٨]، ...وقال سبحانه وتعالى:﴿**ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ**﴾[الملك:١٦]، فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات قال: ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات وكل ما علا فهو سماء... ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا إلى الأرض وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية.. أن قول الله عز وجل:﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ**

---

[1]- المصدر السابق ٣٦٨/٢.

[2]- صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من أهلَّ حين استوت به راحلته قائمة، ح١٥٥٢، ١٨١/٢.

[3]- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٦٩/٢.

اسْتَوَى﴾[طه:٥]،أنه استولى وملك وقهر...وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض فالله سبحانه قادر عليها الحشوش[١]وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستو على الأشياء،كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأفراد لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها،ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول أن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية[٢]،لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو في الأشياء كلها ووجب أن يكون صفة استواء يخص العرش دون الأشياء كلها"[٣].

وهذه الأدلة تدلك بطريقة قطعية لا تحتمل التأويل أن الاستواء في حق الله يقصد به العلو والارتفاع[٤]، وليس كما أوّله الحبشي من أن المقصود بالاستواء الاستيلاء والقهر والغلبة وعلو القدر أو عدم معرفة المقصود بالاستواء.

٢ - صفة الوجه:

لقد أوّل الحبشي صفة الوجه الثابتة لله بالكتاب والسنة، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، حيث أوّل الوجه في الآية الكريمة بالقِبلة، فقال في معنى الآية: "فأينما توجهوا وجوهكم في صلاة النفل في السفر فَثمَّ قِبلة الله أي: فتلك الوجهة التي توجهتم إليها هي قِبلةٌ لكم، ولا يراد الوجه الجارحة... وقد يراد بالوجهِ الجهة التي يراد بها التقرب إلى الله تعالى، كأن يقول أحدهم (فعلت كذا وكذا لوجه الله) ومعنى ذلك (فعلت كذا وكذا امتثالاً لأمر الله)"[٥].

والحبشي لا يألو جهداً في الاستدلال بكل نص شرعي يوافق فكرته -حسب ظنه- وإن كان الاستدلال به في الحقيقة في غير موضعه، فمثلاً يذكر ما قاله الإمام البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

١- **الحشوش**: الحشوش في الأصل جمع الحَشّ وهو البستان من النخل، ويُكنى بها عن مواضع الغائط. انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٣٩٤/٣.

٢- **الأخلية**: هي أماكن بروك النواق وهي كناية عن المكان المستقذر. انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٥٧٦/٧-٥٧٧.

٣- الإبانة للأشعري ص٣١-٣٢، وانظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب لأبي الحسن الأشعري ص١٣٠-١٣١، تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١٤١٣هـ، لوامع الأنوار للسفاريني ١٩٧/١.

٤- انظر: جلاء العينين لابن الآلوسي ص٣٧١.

٥- الصراط المستقيم للحبشي ص٥٢-٥٣، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٩٨-٢٠٠.

وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨]، "إلا ملكه"[١] ويستدل الحبشي بهذا النص على تأويل صفة الوجه[٢]، ويعلق الحبشي على قول الإمام البخاري بقوله: "أي إلا سلطانه، ملك الله أزلي أبدي لا يفنى، أما ملك غيره يفنى.. وقيل : ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، أي كل أمور الدنيا فتهلك إلا ما قصد به وجه الله من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍ وزكاة وتهليل وتكبير.."[٣].

ويتضح تأويل الحبشي لصفة الوجه بجلاء من خلال قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]، فيقول: "أي ذاته"[٤].

خالف الأحباش السلف في إثبات صفة الوجه، حيث قاموا بتأويلها، فتارة يؤولون صفة الوجه بالذات أو القبلة والجهة والسلطان،وهذه التأويلات رد عليها السلف بعدة وجوه منها:

أ- تأويل الحبشي صفة الوجه بالقبلة أو الجهة في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، مردود عليه بما قال ابن القيم -رحمه الله-: "إن تفسير وجه الله بقبلة الله وإن قاله بعض السلف[٥] كمجاهد وتبعه الشافعي، فإنما قالوه في موضع واحد لا غير وهو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، ... على أن الصحيح في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، إنه كقوله في سائر الآيات التي ذكر فيها الوجه، فإنه قد اطرد مجيئه في القرآن والسنة مضافاً إلى الرب تعالى على طريقة واحدة ومعنى واحد، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع غير الموضع الذي ذكره في سورة البقرة، وهو في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، وهذا لا يتعين حمله على القبلة والجهة، ولا يمتنع أن يراد به وجه الرب حقيقة فحمله على غير القبلة كنظائره"[٦].

ب- ويقال أيضاً: "انه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً، بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه، فلا يدخل أحدهما على الآخر، ولا يستعار اسمه له"[٧]، وإن الجهة التي أصلها وجهة لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه،

---

[١] - سبق تخريجه، انظر: ص٢٨.

[٢] - انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٥، الشرح القويم للحبشي ص١٧٣.

[٣] - الشرح القويم للحبشي ص١٧٣-١٧٤.

[٤] - بغية الطالب للحبشي ص٢٠.

[٥] - وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية -رحمه الله- في آية البقرة١١٥، انظر: مجموعة الفتاوى ١٢/٢-١٤.

[٦] - مختصر الصواعق لابن القيم ٣٩١/٢.

[٧] - المصدر السابق ٣٩١/٢-٣٩٢.

وأما تسميتها وجهاً فلا عهد به، فكيف إذا أضيف إلى الله مع العلم أن القبلة لا تعـرف (بوجهة الله) في شيء من الكلام.

بالإضافة إلى ما سبق فإن قبلة الله واحدة وهي التي أمر الله عباده أن يتوجهوا إليهـا، فكيف يُسمى كل وجهة يولي الرجل وجهه إليها قبلة[١].

ج- ومما يبطل القول بأن المقصود بالوجه القِبلة أن الآية: "ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمـة الرب والرد على من جعل لله عدلاً من خلقه أشركه معه في العبادة، ولهذا ذكـر بعـدها الرد على من جعل له ولداً، فقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِـي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [البقرة:١١٦]، إلى قوله تعالى: ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [البقرة:١١٧]، فهذا السياق لا تعرض فيه للقِبلة، ولا سيق الكلام لأجلها، وإنما سيق لذكر عظمة الرب وبيان سعة علمه وملكه وعلمه"[٢].

د- ويقال أيضاً: "إن تفسير القرآن بعضه في بعض أولى التفاسير ما وجد إليه السبيل، ولهذا كان يعتمده الصحابة والتابعون والأئمة بعدهم، والله تعالى ذكر في القـرآن القِبلـة باسـم القِبلـة والوجهة، وذكر وجهه الكريم باسم الوجه المضاف إليه، فتفسيره في هذه الآية بنظـائره هـو المتعين"[٣]، أي تفسيره بصفة الوجه على الحقيقة اللائقة به سبحانه وتعالى.

ه- أما استدلال الحبشي بنصوص موهمة، تخدم منهجه وفكرته مثل ما قاله البخاري علـى قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨]، فقال: "ملكه"[٤]، فهذا مردود عليه، لأن الحبشي يؤول صفة الوجه بالكلية إلى غير حقيقتهـا -وهـذا واضـح مـن النصوص التي ذكرت فيما سبق-، والسلف استدلوا بهذه الآية على إثبات صفة الوجـه لله تعالى[٥]، بالإضافة إلى أن الصفة يثبتها السلف على الحقيقة، مع بيان لوازمها كمـا فعل الإمام البخاري بحيث أثبت صفة الوجه وبينَّ أن من لوازم الصفة إثبات الملـك لله مثل قوله تعالى: ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾ [القمر:١٤]، أي بمرأى منا وبرعايتنا كما فسـرها السلف[٦]، مع إثبات صفة العين لله سبحانه وتعالى.

---

[١]- انظر: المصدر نفسه ٣٩٣/٢.

[٢]- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٩٣/٢.

[٣]- المصدر السابق ٣٩٥/٢.

[٤]- سبق تخريجه، انظر: ص٢٨.

[٥]- انظر: الإبانة للأشعري ص٣٥، مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٥٨/٢، لوامع الأنوار للسفاريني ٢٢٦/١، شرح الواسطية لهراس ص٤٧-٤٨.

[٦]- انظر: جامع البيان للطبري ٥٥/٢٧-٥٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٤/٤.

و- ويبطل قول الحبشي في أن الوجه يقصد به الذات من خلال قوله تعالى: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ [الرحمن:٢٧]، حيث إنه أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه فقال: ﴿**ذُو الْجَلَالِ**﴾ [الرحمن:٢٧]، ولو كان من ذكر الوجه صلة ولم يكن صفة للذات لقال: ذي الجلال، فلما قال: ﴿**ذُو الْجَلَالِ**﴾ [الرحمن:٢٧]، علمنا أنه نعت للوجه وأن الوجه صفة للذات[١].

ز- وتأويل الوجه بالذات أو الوجهة أو السلطان أو غيرها من هذه التأويلات الفاسدة، يعد هذا تكذيباً صريحاً لما أخبر الله به عن نفسه وأخبر به عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[٢].

ويقال أيضاً: "أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه"[٣].

ح- إن الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين وجميع أهل السنة والحديث وأتباعهم، متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة، وهي الزيادة التي فسر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة قوله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس:٢٦]، وجاء في الصحيحين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "النظر إلى وجه الله تعالى[٤]، فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن النظر عنده حقيقة[٥]، وبالتالي يقع في المحظور وهو إنكار نصوص متواترة معروفة في الدين.

ط- ويقال أيضاً: "إن الوجه حيث ورد فإنما ورد مضافاً إلى الذات في جميع موارده، والمضاف إلى الرب تعالى نوعان: أعيان قائمة بنفسها كبيت الله وناقة الله... فهذه إضافة تشريفٍ وتخصيصٍ، وهي إضافة مملوكٍ إلى مالكه، (والثاني): صفات لا تقوم بنفسها كعلم الله وحياته وقدرته.. فهذه إذا وردت مضافةً إليه فهي إضافة صفةٍ الموصوف بها، إذا عرف ذلك بوجهه الكريم وسمعه وبصره، وإذا أضيف إليه وجب أن تكون إضافة وصف لا إضافة خلق، وهذه الإضافة تنفي أن تكون مخلوقاً، وأن يكون حشراً في الكلام، وفي سنن أبي داود عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه كان إذا

١- لوامع الأنوار للسفاريني ٢٢٦/١، انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٣٧٨/٢.

٢- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٨٧/٢.

٣- المصدر السابق ٣٨٨/١.

٤- انظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة يونس، قال ابن عباس (فاختلط فنبت بالماء من كل لون) ٢٥١/٥-٢٥٢ (بنحوه)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ح١٨٠،١٨١، ١٦٣/١ (بنحوه).

٥- انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٣٩٠/٢.

دخل المسجد قال: "أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم"[1]، فتأمل كيف قرن في الاستعاذة بين استعاذته بالذات وبين استعاذته بالوجه الكريم، وهذا صريح في إبطال قول من قال أنه الذات نفسها وقول من قال أنه مخلوق"[2].

٣- صفة اليد:

جاء عن الحبشي في تفسيره لصفة اليد في قوله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، "فيجوز أن يقال المراد باليدين العناية والحفظ"[3]، ويقول أيضاً: "نقول كما قال بعض الخلف أي خلقته بعنايتي وبحفظي معناه على وجه الإكرام والتعظيم له"[4]، ويظهر بوضوح تأويل الحبشي لصفة اليد من خلال قوله: "والغرض أن يستبين من معه مُسْكَةٌ من العقل أن قول من يقول: (...واليد صفة ذاتية لا يعقل معناها...) تمويه ضمنه تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل"[5].

ومن تأويلات الحبشي لصفة اليد قوله: "وتأتي -اليد- بمعنى العهد كما في قوله تعالى: ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح:١٠]، أي عهد الله فوق عهودهم أن ثبت عليهم عهد الله لأن معاهدتهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- تحت شجرة الرضوان في الحديبية على ألا يفروا معاهدة لله تبارك وتعالى لأن الله تعالى هو الذي أمر نبيه بهذه المبايعة. وأما قوله تعالى: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة:٦٤]، فمعناه غني واسع الكرم"[6].

يلاحظ أن الحبشي قام بتأويل صفة اليد بالحفظ والعناية، أو العهد، وبهذا يكون الحبشي قد نفى صفة اليد عن الله سبحانه وتعالى من خلال تأويلها وبذلك يكون خالف السلف في صفة، وهذه التأويلات مردودة عليه من وجوه:

أ- النصوص الشرعية الوارد فيها ذكر اليد سواء من الكتاب مثل قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة:٦٤]، وقوله تعالى لإبليس -عليه اللعنة-: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، وقوله تعالى:﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ [الملك:١]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة؛ أو من السنة المطهرة ما رواه أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدة يتكفؤها الجبار

---

[1]- سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، ح٤٦٦، ١٢٧/١.

[2]- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٩١/٢، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٨-١٧٦.

[3]- الشرح القويم للحبشي ص١٧٧، انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٤٦.

[4]- الشرح القويم للحبشي ص١٧٧.

[5]- صريح البيان للحبشي ص٣٥.

[6]- الشرح القويم للحبشي ص١٥٤.

بيــده، كما يتكفأ أحدكم بيده خبزته في الســفر"[1]، وحديـــث احتجـــاج آدم وموســى – عليهمــا الســلام- الذي روي بصيغ متعددة منها: ما جاء عن رســول الله -صــلى الله عليه وســلم- أنه قال: "احتــج آدم ومــوسى، فقــال: أنــت الــذي خلقــك اللـــه عــز وجــل بيده..."[2]، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي تثبت صــفة اليــد لله عز وجل، وبالتالي فإن "المفهوم من هذا الكلام: أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له، كما يليق بجلاله.. وأن ﴿**يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة:٦٤]، ومعنى بســطهما: بــذل الجود وسعة العطاء لأن الإعطاء والجود في الغالب يكون ببسط اليد ومــدها، وتركــه يكون ضماً لليد إلى العنق، صار من الحقائق العرفية إذا قيل: هو مبسوط اليد، فُهم منه يد حقيقة وكان ظاهره الجود واليُمن كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ [الإسراء:٢٩] "[3] إن صفة اليــد أينمــا وردت فهــي علــى الحقيقة، ولكنها تفسر حسب موضعها في الآية، دون تعطيلها عن حقيقتها.

ب- وأيضاً لم يأتِ في كتاب الله أو في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو عن أحد من أئمة المسلمين أنهم قالوا: المراد باليد خلاف ظاهره، أو الظاهر غير مــراد، أو أن في كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة، بل ولا يوجد دلالــة خفيــة على ما ذهب إليه الحبشي وغيره من نفاة الصفات، فإن أقصى ما يســتند إليــه نفــاة الصفات من المتكلمين قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١]، وقوله تعــالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]، وقوله تعالى: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [مريم:٦٥]، وهذه الآيات إنما تدلل على انتفاء التمثيل والتشبيه، أما انتفاء يد تليق بجلالــه ســبحانه وتعالى فليس في الكلام ما يدل على ذلك بوجه من الوجوه. بل ولا يوجد في العقل مــا يدل على انتفاء اليد للباري سواء دلالة ظاهرة أو خفية، وبذلك يتبين أن هذه التأويلات فاسدة ليس لها أصل سوى التوهمات الظنية[4].

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض، ح٦٥٢٠، ٢٤٨/٧، صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب نزل أهل الجنة، ح٢٧٩٢، ٢١٥١/٤.

[2]- صحيح البخاري، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله عز وجــل، ح٦٦١٤، ٢٧٢/٧، صــحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ح٢٦٥٢، ٢٠٤٢/٤-٢٠٤٣.

[3]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢١٨/٦.

[4]- انظر: الإبانة للأشعري ص٣٦-٣٧، مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٢٠/٦-٢٢١.

ج- ويقال للحبشي: كيف يمكن حمل اليد على القدرة أو النعمة مع ما ورد من إثبات الكف والأصابع واليمين والقبض والبسط، وغير ذلك من الصفات التي لا يوصف بها إلا من يتصف باليد الحقيقية[1].

د- لو صح التعبير أن معنى اليد النعمة كما ادعت المؤولة من الأحباش وغيرهم، لقرأت (بل يداه مبسوطة) أو (منبسطة) لأن نعم الله أكثر من أن تحصى ومحال أن تكون نعم الله نعمتين لا أكثر، ولما قال الله عز وجل: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة:٦٤]، كان العلم محيطاً أنه أثبت لنفسه يدين لا أكثر منهما، وأعلم أنهما مبسوطتان ينفق كيف يشاء[2].

ه- إن لفظ (اليدين) بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة، لأن من لغة العرب استعمال الواحد في الجمع كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر:٢]، ولفظ الجمع في الواحد كقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ**﴾ [آل عمران:١٧٣]، ولفظ الجمع في الاثنين كقوله تعالى:﴿**صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ [التحريم:٤]، أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين أو الاثنين في الواحد فلا أصل له لأن هذه الألفاظ عدد وهي نصوص في معناها لا يتجوز بها... فقوله: ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، لا يجوز أن يراد به القدرة، لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد، ولا يجوز أن يراد به النعمة، لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية[3].

و- لا يوجد "في كلام العرب ولا العجم -إن شاء الله تعالى- أن فصيحاً يقول: فعلت هذا بيدي، أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة، ولا يجوز أن يكون لا يد له أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها"[4]، بالتالي إن دعوى المجاز في لفظة (اليد) الواردة في الكتاب أو السنة دعوى باطلة، وذلك لأنه يلزم القرائن الدالة على المجاز الذي عينه المتكلمون، وهذا مما لا دليل عليه، ويبقى الكلام على أصله حتى يوجد الدليل الصارف عن الحقيقة[5].

---

[1] - انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٣٧٥/٢، شرح العقيدة الواسطية لهراس ص٤٨.

[2] - انظر: التوحيد -وإثبات صفات الرب عز وجل لمحمد بن اسحق بن خزيمة ص٨٦-٨٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[3] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢١٩/٦بتصرف.

[4] - المصدر السابق ٢٢/٦.

[5] - مختصر الصواعق لابن القيم ٣٧١/٢ بتصرف.

ز - ويقال أيضاً: "ليس يخلو قول الله عز وجل:﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[ص:٧٥]،أن يكون يعني بذلك إثبات يدين نعمتين،أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين،أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين،أو يكون معناه إثبات يدين ليسا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين،ولا يوصفان إلا كما وصف الله،ولا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين،لأنه لا يجوز أن يقول القائل:عملت بيدي،وهو يعني نعمتي، ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا جارحتين، أن يعني قدرتين...وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع وهو أن معنى قوله عز وجل (بيدي)إثبات يدين ليستا قدرتين ولا نعمتين ولا جارحتين ولا يوصفان إلا أن يقال : إنهما يدان ليستا كالأيدي خارجاً عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت"[1].

ويقال للحبشي: أنت أشعري المعتقد قد خالفت إمامك الإمام الأشعري في إثبات صفة اليدين، حيث ورد عن الإمام الأشعري إثبات صفة اليدين حيث يقول: "فإن سئلنا أتقولون إن لله يدين؟قيل:نقول ذلك وقد دل عليه قوله عز وجل:﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح:١٠]، وقوله عز وجل:﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[ص:٧٥]،...وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ويعني به النعمة،وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها،وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل:فعلت بيدي،ويعني النعمة بطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة.."[2].

وجاء عنه أيضاً: "وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارح، وأن يديه تعالى غير نعمته"[3].

وبالتالي يتبين خطأ ما ذهب إليه الحبشي من تأويل اليد وصرفها عن حقيقتها في حق الله إلى معانٍ أخرى كالقدرة والنعمة والعناية والعهد.

٤ - صفة المجيء:

يؤول الحبشي صفة المجيء في قوله تعالى:﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الفجر:٢٢]، بمجيء أثر من آثار قدرته سبحانه، يقول: "ومعنى قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**

---

[1]- تلبيس الجهمية لابن تيمية ٢/٢٤.

[2]- الإبانة للأشعري ص٣٦.

[3]- رسالة إلى أهل الثغر للأشعري ص١٢٧.

وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، ليس مجيء الحركة والانتقال والزوال وإفراغ مكان وملء آخر، ومن اعتقد ذلك يكفر، لأن الله تعالى خلق الحركة والسكون، وكل ما كان من صفات الحوادث، فلا يوصف الله تعالى بالحركة ولا بالسكون، بل المعنى بقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]، جاء أمر ربك أي آثر من آثار قدرته"[١].

يتضح مما سبق أن الحبشي قام بتأويل صفة المجيء بمجيء أمر الله تعالى وهذا التأويل رده السلف لفساده من وجوه:

أ- "إن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار، فإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز"[٢].

ب- وأيضاً: "إن هذا الذي ادعوا حذفه وإضماره يلزمهم فيه، كما لزمهم فيما أنكروه، فإنهم إذا قدروا (وجاء أمر ربك) و(يأتي أمره) و(يجيء أمره) و(ينزل أمره) فأمره هو كلامه، وهو حقيقة فكيف تجيء الصفة وتأتي دون موصوفها، وكيف الأمر ممن ليس هو فوق سمواته على عرشه"[٣].

ج- يقال للحبشي: إن ثبوت المجيء لله تعالى يجب إثباته له سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهي مجيء حقيقي يليق بالله سبحانه وتعالى، ومن قال بخلافه إنما قال بخلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف وليس على ما يدعيه دليل صحيح، بل هو من توهمات العقول[٤].

د- استخدم الحبشي ألفاظاً لم ترد في الكتاب أو السنة لتأويل صفة المجيء، مثل: اعتقاده: أن صفة المجيء يلزم منها الحركة والانتقال والزوال وإفراغ مكان، وملء آخر... وهذه ألفاظ من توهمات الحبشي التي ليس لها أصل في الشرع، وإنما هي من صنع المتكلمين سلف الحبشي، وخالفوا بذلك ما عليه السلف الذين هم أسعد بالصواب والاتباع حيث قالوا: "لا نقول يتحرك وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه"[٥]، لأن منهج السلف هو استخدام الألفاظ التي جاءت في الشرع، والسكوت والتوقف فيما لم يذكره الشرع إلا بعد معرفة المقصود به، لاحتمال هذه الألفاظ معاني باطلة.

ه- ويرد على الحبشي بأن: "الصفة يلزمها لوازم لنفسها وذاتها، فلا يجوز نفي هذه اللوازم عنها لا في حق الرب ولا في حق العبد، ويلزمها لوازم من جهة بالعبد، فلا يجوز

---

[١]- الصراط المستقيم للحبشي ص٥٠، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٩٢.

[٢]- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٣٩/٢-٣٤٠.

[٣]- المصدر السابق ٣٤١/٢.

[٤]- انظر: شرح الواسطية لهراس ص٤٥-٤٦، شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص٢٧،٥٢.

[٥]- مختصر الصواعق لابن القيم ٤٤٥/٢.

إثبات تلك اللوازم للرب، ويلزمها لوازم من حيث اختصاصها بالرب، فلا يجوز سلبها عنه ولا إثباتها للعبد"[1]، وبالتالي فإن قصد بالانتقال انتقال الجسم والعرض من مكـان إلى مكان آخر يحتاج إليه، فهذا لا يجوز إثباته للرب، وأما إن أريد بالحركة والانتقـال حركة الفاعل من كونه فاعلاً وانتقاله أيضاً من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلاً، فهـذا معنى حق في نفسه، لأنه لا يعقل كون الفاعل إلا به، ونفيه عن الفاعل نفـي لحقيقـة الفاعل وتعطيل له، وقد يراد به ما هو أعم من ذلك: حيث هو فعل يقوم بذات الفاعـل يتعلق بالمكان الذي قصد له، وأرادوا إيقاع الفعل بنفسه فيه، وقد دل القـرآن والسـنة والإجماع على إثبات صفة المجيء لله سبحانه وتعالى[2].

٥- صفة النزول:

يظهر تأويل الحبشي لصفة النزول بوضوح، من خلال أقواله تعقيباً على الحديث الـذي يرويه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلـث الليـل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يسـتغفرني فـأغفر لـه"[3]، فيعلق الحبشي على حديث النزول بقوله: "فلا يجوز أن يحمل على ظاهره لإثبات النزول من علو إلى سفل في حق الله تعالى"[4]، ثم يؤول صفة النزول بنزول المَلَك بقوله: "ويبطـل مـا ذهبت إليه المشبهة من اعتقاد نزول الله بذاته إلى السماء الـدنيا، أن بعـض رواة البخـاري ضبطوا كلمة (ينزل) بضم الياء وكسر الزين، فيكون المعنى نزول المَلَـك بـأمر الله الـذي

---

[1]- المصدر السابق ٤٤٥/٢.

[2]- مختصر الصواعق لابن القيم ٤٤٥/٢ بتصرف.

[3]- صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة مع آخر الليل، ح١١٤٥، ٥٩/٢، وأيضـاً: كتـاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل، ح٦٣٢١، ١٩٣/٧، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصـرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، ح٧٥٨، ٥٢١/١، سنن الترمـذي، كتـاب الدعوات، ح٣٤٩٨، ٥٢٦/٥.

[4]- صريح البيان للحبشي ص٥١.

صرح به في حديث أبي هريرة وأبي سعيد من أن الله يأمر ملكاً بأن ينزل فينادي[١]، فتبين أن المشبهة ليس لها حجة في هذا الحديث"[٢].

يتضح مما سبق تأويل الحبشي لنزول الله تعالى بنزول الملَكَ، ويرد عليه بالتالي:

أ- ما ذهب إليه الحبشي من تأويل صفة النزول، فراراً من التشبيه والتجسيم -حسب دعواه- أمرٌ مخالفٌ لما عليه السلف لأن "مذهب السلف والأئمة وإثبات الصفات ونفي مما ثلتها لصفات المخلوقات"[٣]، وبالتالي لا ضير بإثبات صفة النزول لله عز وجل، بدون السؤال عن الكيف ولهذا كان السلف يقولون في صفة النزول بأن "الإيمان به واجب بلا كيف"[٤]، ولقد أثبت الإمام الأشعري صفة النزول حيث قال: "وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-"[٥].

ب- يقال للحبشي: "إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع، فكيف تكون حقيقة محالاً وباطلاً"[٦]، وفي هذا المعنى يقول الإمام الآجري[٧] بأن "الأخبار قد صحت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة"[٨]، ويبين الإمام الآجري حكم من يرد هذه الأحاديث بتأويلها من خلال نقله لقول السلف "من ردها فهو ضال خبيث، يَحذرونه ويُحذرونه منه"[٩].

---

[١]-انظر: كتاب السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب الوقت الذي يستجيب فيه الاستغفار، ح١٠٣١٦، ١٢٤/٦، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م، عمل اليوم والليلة للإمام أحمد بن شعيب النسائي، الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار، ح٤٨٢، ص٣٤٠. دراسة وتحقيق: د. فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

[٢]- صريح البيان للحبشي ص٥١-٥٢.

[٣]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٩٩/٥.

[٤]- الشريعة للآجري ص٣٠٦، انظر: لوامع الأنوار ٢٤٣/١-٢٤٧.

[٥]- رسالة أهل الثغر للأشعري ص١٢٩.

[٦]- مختصر الصواعق لابن القيم ٤٢٠/٢.

[٧]- **الآجري**: محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الآجري (أبو بكر)، إمام، محدث، قدوة، شيخ الحرم الشريف، توفي سنة ٣٦٠هـ بمكة المكرمة. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٤٣/٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٢/٤-٢٩٣، سير الأعلام للذهبي ١٣٣/١٦-١٣٦.

[٨]- الشريعة للآجري ص٣٠٦.

[٩]- المصدر السابق ص٣٠٦.

ج- ويرد على الحبشي بتأويله الفاسد بأن "الخبر وقع عن نفس ذات الله تعالى لا غيره، فإنـه قال: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا)[1]، فهذا أخبر عن معنى لا عن لفظ... فإن الخبر عن مسمى ذاته، وهذا حقيقة الكلام، ولا ينصرف إلى غير ذلك إلا بقرينـة ظـاهرة، تزيـل اللبس وتعين المراد"[2].

د- ويقال للحبشي: "إن أعلم الخلق بالله وأنصحهم للأمة وأقدرهم على العبادة التي لا توقـع لبساً قد صرح بالنزول مضافاً إلى الرب في جميع الأحاديث، ولم يذكر في موضع واحد ما ينفي الحقيقة بل يؤكدها، فلو كانت إرادة الحقيقة باطلة وهي منفية لزم القدح في علمه أو نصوصه أو بيانه"[3].

أما قول الحبشي بأن بعض رواة البخاري ضبطوا كلمة (ينزل) بضم الياء وكسر الراء فيكون المعنى نزول المَلَك بأمر الله[4]، هذا أمرٌ فيه مغالطات للتالي:

١- لأن الحبشي نقل عن ابن فورك عن بعض المشايخ[5]،وليس كما ادعـى الحبشـي عـن بعض رواة البخاري، ويؤكد هذا المنحى أن ابن حجر في شرحه لصـحيح البخـاري، يذكر عن ابن فورك أنه نقل عن بعض المشايخ[6]، وصاحب (عمدة القاري) ينقـل عـن ابن فورك أنه نقل عن بعض أهل النقل[7]، ولم يقل الرواة، وإذا كان الأمر كذلك، فهـذا لا يمكن اعتماده كدليل لأنه لم يتم التصريح بمن قال هذا القول مـن المشـايخ أو أهـل النقل، ويبقى المصدر الحاكي لهذه الرواية مبهم، وبالتالي يحكم عليها بالضعف، وتبقـى احتمالية و"المحتمل لا يصلح حجة"[8] كما قال الإمام السـيوطي. وكلمـة (المشـايخ) أو (أهل النقل) إن صحت الرواية عنهم تؤكد أنهم ليسوا برواة للبخاري كما ادعى الحبشي، لأن ابن فورك لو علم أنهم من رواة البخاري لبين هذا الأمر وصرح به، لأنه بدون شك يخدم ما ذهب إليه ويقويه، ولكن ابن فورك اكتفى كما نقل عنه أنه ذكر هذه الرواية عن (بعض المشايخ) أو (بعض أهل النقل)، وهذا يظهر أن هذا الأمر اجتهادي مـن أولئـك المشايخ أو أهل النقل. بل إن الإمام البخاري في صحيحه ضبط كلمـة (ينـزل) بفـتح

---

[1]- سبق تخريجه، انظر ص١٥٦ (بنحوه).

[2]- مختصر الصواعق لابن القيم ٤٢١/٢.

[3]- المصدر السابق ٤٢١/٢.

[4]- انظر: صريح البيان للحبشي ص٥١-٥٢.

[5]- انظر: لوامع الأنوار للسفاريني ٢٤٩/١.

[6]- انظر: فتح الباري لابن حجر ٣٠/٣.

[7]- انظر: عمدة القاري -شرح صحيح البخاري- لأبي محمد محمود بن أحمد العيني ١٩٩/٧، الناشر: دار الفكر، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[8]- الاجتهاد للسيوطي ص١٣٥.

أهل النقل. بل إن الإمام البخاري في صحيحه ضبط كلمة (ينزل) بفتح الياء[1]، وهذا ما ذهب إليه أيضاً ابن حجر في الفتح[2]، وصاحب (عمدة القاري)[3]، ولم يعتمدوا الضبط بالرواية التي ذكرها ابن فورك، بل إن ابن فورك في الكتب المتوفرة له التي يتطرق فيها إلى مسألة النزول مثل كتابه (مشكل الحديث) لم يذكر تلك الرواية البتة، وإنما اكتفى بتوجيه النزول حسب ما يرتضيه[4].

٢- هناك من العلماء أمثال: الإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي عبدالله ابن منده[5]، ضعف الحديث الذي فيه أن الله يأمر ملكاً أن ينزل فينادي منادياً.. إلخ وجعله في رتبة

الموضوع[6]، وهذا الحديث الذي به الحبشي يستدل على أن الذي ينزل الملك وليس الله.

٣- إن أحاديث النزول قد استفاضت بها السنة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- واتفق سلف الأمة وأئمتها، وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول، حيث إن الصحابة والتابعين يذكرون تلك الأحاديث في المجالس العامة والخاصة كصحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، وأمثال ذلك من كتب المسلمين[7]؛ ويقول الإمام الدارمي: "فما يُعتبر به من كتاب الله عز وجل في النزول ويُحتج به على من أنكره قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ**﴾ [البقرة:٢١٠]، وقوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الفجر:٢٢]، وهذا يوم القيامة إذا نزل الله ليحكم بين العباد وهو قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا**﴾ [الفرقان:٢٥-٢٦]، فالذي يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها ليفصل بين عباده قادر أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء فإن ردوا

---

[1] - انظر: صحيح البخاري، ح١١٤٥، ٥٩/٢.

[2] - انظر: فتح الباري لابن حجر ٢٩/٣.

[3] - انظر: شرح القاري للعيني ١٩٦/٧.

[4] - انظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص٢٤٩-٢٥٢.

[5] - **أبو القاسم عبد الرحمن ابن منده**: عبد الرحمن بن أبي عبدالله محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي، الأصبهاني أبو القاسم، ولد سنة ٣٨١هـ، وتوفي سنة ٤٠٧هـ، إمام، محدث، مصنف. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٦٥/٣-١١٧٠، البداية والنهاية لابن كثير ١١٨/١٢.

[6] - انظر: لوامع الأنوار للسفاريني ٢٤٩/١ -الهامش-.

[7] - انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٩٥/٥-١٩٦.

قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في النزول فماذا يصنعون في قول الله عز وجل تبارك وتعالى؟"[١].

٤- وأيضاً عبارة الحديث التي فيها "من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له"[٢]، هذه العبارة لا يجوز أن يقولها ملك عن الله، بل الذي يقول الملك، ما ثبت في الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل أني أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"[٣]، فالملك إذا نادى عن الله لا يتكلم بصيغة المخاطب بل يقول: "إن الله أمر بكذا أو قال كذا، وهكذا إذا أمر السلطان منادياً ينادي فإنه يقول: يا معشر الناس، أمر السلطان بكذا، ونهى عن كذا... لا يقول: أمرت بكذا، ونهيت عن كذا"[٤]، ولو قال ذلك لعوقب أشد العقاب.

٥- وإن كان هذا الحديث ثابتاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فإن الرب يقول ذلك، ويأمر منادياً بذلك، لا أن المنادي يقول: "من يدعوني فأستجيب له"[٥]، وبهذا يتبين بطلان ما ذهب إليه بتأويله صفة النزول بنزول الملك.

وجاء عن ابن تيمية-رحمه الله-قوله:"ومن روى عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أن المنادي يقول ذلك فقد علمنا أنه يكذب على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-،فإنه مع خلاف اللفظ المستفيض المتواتر الذي نقلته خلفاً عن سلف فاسد في المعقول، فعلم أنه من كذب بعض المبتدعين كما روى بعضهم(ينزل) بالضم...ونحو ذلك من تحريفهم اللفظ والمعنى"[٦].

ولم أجد الحديث الذي يستدل به الحبشي في أن الذي ينادي هو الملك إلا عند النسائي[٧] -كما سبق تخريجه- حيث إن الإمام النسائي روى ثلاثة عشر حديثاً ومن ضمنها هذا

---

[١]- الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ص٣١-٣٢، بدون دار نشر، ط ١٩٦٠م.

[٢]- سبق تخريجه، انظر: ص١٥٦.

[٣]- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، ح٣٢٠٩، ٩٤/٤، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، ح٢٦٣٧، ٢٠٣٠/٤.

[٤]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٢٢/٥.

[٥]- سبق تخريجه، انظر: ص١٥٦.

[٦]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٢٣/٥، انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبدالله بن محمد الغنيمان، الناشر: مكتبة لينة، دمنهور، ط الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

[٧]- وقد جاء في سند الحديث: إبراهيم بن يعقوب بن اسحق الجوزجاني، وهو ثقة ولكنه رُميَ بالنّصبْ. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص١١٨، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، الناشر: دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ. وجاء في معنى (النَّصب): هو بغض عليّ -رضي الله عنه- وتقديم غيره عليه. انظر: فتح الباري لابن حجر المقدمة ص٤٥٩. وجاء أيضاً: عمر بن حفص

الحديث، ولكن الملاحظ أن جميع الأحاديث -ما عدا هذا الحديث- تبين أن الله ينزل إلى السماء الدنيا وفي بعضها بأن الله يهبط[1]، فلماذا لم يستدل الحبشي بالأحاديث الأخرى المتعددة، واستدل بهذا الحديث الوحيد المتفرد بهذا اللفظ.

ومن ثُمَّ لو ثبت هذا الحديث بأن الله يأمر ملكاً فينادي، لا يمنع ذلك من نزول الله سبحانه وتعالى بالكيفية التي تليق به كباقي الصفات التي اتصف بها سبحانه وتعالى؛ بل يقال لمن أنكر صفة النزول ومنهم الأحباش بأننا "نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب جلا وعلا من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى -صلى الله عليه وسلم- لم يصف كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه -صلى الله عليه وسلم- بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول كما يشاء ربنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمته عز وجل غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يصف لنا كيفية النزول، فنسير بسير النصوص حيث صارت ونقف معها حيث وقفت لا نعدوها إن شاء الله تعالى ولا نقصر عنها"[2]، وبهذا نكون على نهج السلف لم نخالفه ولم نتزحزح عنه.

٦- صفة الفوقية والعلو:

يقوم الحبشي بتأويل صفة الفوقية بفوقية القهر دون المكان والجهة، وهذا يظهر جلياً في تأويله لقوله تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾ [النحل:٥٠]، فيقول: "فوقية القهر دون المكان والجهة"[3]؛ ولا يتورع الحبشي عن تأويل كل نص يثبت الفوقية لله وأنه في السماء فيقول: "وأما الآيات والأحاديث التي يوهم ظاهرها أن الله في السماء، أو هو فوق السماء بالمسافة فلا بد من تأويلها وإخراجها عن ظواهرها أيضاً: كآية: ﴿**ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**﴾ [الملك:١٦]، فيقال: المراد بمن في السماء الملائكة"[4]، ويعلل صحة ما ذهب إليه من التأويل بأن "الملائكة قادرون على أن يخسفوا بأولئك المشركين الأرض، فلو أمروا لفعلوا، وقادرون

ابن غياث وهو ثقة ربما وهم. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص٧١٦، وأيضاً: حفص بن غياث وقيل فيه: ثقة فقيه تغير حفظه قليلاً في الآخر. انظر: تقريب التهذيب ص٢٦٠.

[1]- انظر: السنن الكبرى للنسائي ١٢١/٦-١٢٥، عمل اليوم والليلة للنسائي ص٣٣٧-٣٤٢.

[2]- معارج القبول -بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد- للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ٢٣٦/١، تحقيق: سيد عمران، علي محمد علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

[3]- الصراط المستقيم للحبشي ص٥٠، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٩١.

[4]- صريح البيان للحبشي ص٤٨.

على ما ذكر في الآية التالية لها وهو إرسال الحاصب أي الريح الشديدة بأمر الله تعالى"[1]، وأيضاً أوّل ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم: "والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها"[2]، فيؤول الحبشي الحديث بقوله: "فيحمل أيضاً على الملائكة"[3].

ويذكر الحبشي حديث الجارية الذي رواه مسلم والذي فيه: "أن رجلاً جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسأله عن جارية له، قال: قلت: يا رسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: (ائتني بها) فأتيته بها، فقال لها: (أين الله) قالت: في السماء، قال: (من أنا) قالت: أنت رسول الله، قال: (أعتقها فإنها مؤمنة)[4]، فيؤول الحبشي الشاهد في الحديث بأن الله عالي القدر وليس في السماء، فيقول: "فليس معناه أن الله يسكن السماء كما توهم بعض الجهلة، بل معناه أن الله عالي القدر جداً"[5].

وأيضاً لم يدخر الحبشي جهداً في نفي الجهة والمكان عن الله سبحانه وتعالى وذلك من خلال نفي الحركة والسكون والاتصال بالعالم والانفصال عنه ومحاذاة شيء من الخلق حيث يقول: "الاستدلال على نفي الحركة والسكون والاتصال بالعالم والانفصال عنه ومحاذاة شيء من الخلق عن الله"[6]، وهذا لنفي علو الله وأنه موجود بذاته فوق عرشه بالكيفية التي تليق به سبحانه وتعالى، ومما استدل به الحبشي ليثبت صحة ما ذهب إليه قوله: "والله تعالى غني عن العالمين، أي مستغن عن كل ما سواه أزلاً وأبداً، فلا يحتاج إلى مكان يقوم به، أو شيء يحلّ به أو إلى جهة"[7]، ويأتي الحبشي بالنصوص الشرعية ليدلل على صحة قوله من خلال نفي الجهة والمكان عن الله من خلال تأويل هذه النصوص، وتضعيف بعضها، وأحياناً رفضها بالكلية[8]، ومن الأدلة التي يستند إليها لنفي الجهة والمكان عنه سبحانه وتعالى مثل قوله

---

[1] - المصدر السابق ص٤٨-٤٩.

[2] - صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، ح١٤٣٦، ٢/١٠٥٩-١٠٦٠.

[3] - صريح البيان للحبشي ص٤٩.

[4] - صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة، ح٥٣٧، ١/٣٨١-٣٨٢، سنن النسائي، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، ح١٢١٨، ٣/١٤-١٨.

[5] - صريح البيان للحبشي ص٤٩.

[6] - إظهار العقيدة السنية ص١٦٦، وانظر: المطالب الوفية ص٤٩.

[7] - الصراط المستقيم للحبشي ص٢٥، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٩٦.

[8] - انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٢٦-٢٩، تفنيد مزاعم المدعى إعداد قسم الأبحاث ص٦٥-٧١، إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٦٣-١٦٧، شرح الصفات للحبشي ص٣٨-٤١، المطالب الوفية للحبشي

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فيعلق على الآية الكريمة بقوله: "فلو كان له مكان لكان له أمثال، وأبعادٌ: طول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان مُحَدثاً محتاجاً لمن حدَه بهذا الطول، وبهذا العرض، وبهذا العمق"[١]، وأيضاً ما جاء عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره)[٢]، معناه أن الله لم يزل موجوداً في الأزل ليس معه غيره... ولا زمان ولا مكان، فهو تعالى موجودٌ قبل المكان بلا مكان، وهو الذي خلق المكان فليس بحاجة إليه"[٣]، ويرى الحبشي أنه كما "صح وجود الله بلا مكان ولا جهة قبل خلق الأماكن والجهات، فكذلك يصح وجوده بعد خلق الأماكن بلا مكان و لاجهةٍ، وهذا لا يكون نفياً لوجوده تعالى"[٤].

ويرد الحبشي على من يرفع يديه إلى السماء بالدعاء أنه ليس دليلاً على وجود الله بذاته في السماء، فيقول: "ونرفع الأيدي في الدعاء للسماء لأنها مهبط الرحمات والبركات وليس لأن الله موجود بذاته في السماء كما أننا نستقبل الكعبة الشريفة في الصلاة، لأن الله تعالى أمرنا بذلك، وليس لأنها لها ميزة وخصوصية بسكنى الله فيها"[٥].

أولاً: الرد على الحبشي لتأويله صفة الفوقية:

يتبين أن الحبشي قام بتأويل صفة الفوقية بفوقية القهر دون المكان والجهة، أو تأويل النصوص بأنها تدل على الملائكة، وهذا تأويل فاسد ومردود على الحبشي بالتالي:

أ- الله سبحانه وتعالى أخبر أنه الأعلى فقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، فإن لفظ العلو في الآية يقتضي علو ذاته فوق العرش[٦].

ب- وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى "أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، فإن لم يكن استواؤه على العرش يتضمن أنه فوق العرش، لم يكن الاستواء معلوماً، وجاز حينئذ ألا يكون فوق العرش شيء"[٧]، وهذا باطل ومخالف

ص٤٧، غاية البيان إعداد قسم الأبحاث ص١١-١٧٣، مجلة منار الهدى ص٢٦-٢٧، عدد ٧٤ ذو الحجة ١٤١٩هـ.

[١]- الصراط المستقيم للحبشي ص٢٥، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٩٧.

[٢]- سبق تخريجه، انظر: ص٩١.

[٣]- الصراط المستقيم للحبشي ص٢٥، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٩٧.

[٤]- الصراط المستقيم للحبشي ص٢٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٩٩-١٠٠.

[٥]- الصراط المستقيم للحبشي ص٢٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٠١.

[٦]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٣٤٣/٥.

[٧]- المصدر السابق ٣٤٣/٥.

لاعتقاد السلف، فثبت عند ذلك الفوقية لله، ويضاف إلى ما سبق أن السلف علموا معنى الاستواء ولكنهم جهلوا كيفيته في حق الله سبحانه وتعالى.

ج- يقال للحبشي: أي ميزة في تفسير الفوقية بالقهر في قوله تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾ [النحل: ٥٠]، لأن "الرجل إذا تكلم بمثل هذا الكلام في حق المخلوق لكان مستهجناً جداً، فلو قال الشمس أضوأ من السراج، والسماء أكبر من الرغيف وأعلى من سقف الدار ونحو ذلك لكان مستقبحاً مع قرب النسبة بين المخلوق والمخلوق، فكيف إذا قيل ذلك بين الخالق تعالى والمخلوق مع تفاوت الذي بين الله وخلقه"[1].

د- وهناك من النصوص التي لا تقبل التأويل التي تثبت صفة الفوقية لذات الله سبحانه وتعالى فوق عرشه منها: قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام: ١٨،٦١]، وما جاء عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي"[2]؛ وما روي عن زينب -رضي الله عنها- أنها كانت تفخر على أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- وتقول: "زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات"[3].

هـ- ويقال للحبشي: إن الفوقية المطلقة تحمل في معناها فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات، ومن أثبت بعض ذلك ونفى بعضه فقد تنقص[4]، فلهذا لا بد من إثبات الفوقية المطلقة لله دون تأويل أو تحديد معنى جزئي.

و- ويرد على الحبشي في إثبات صفة الفوقية: "أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق لم يخلقهم في ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فتعين أنه خلقهم خارجاً عن ذاته ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفاً بضد ذلك، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية السفول، وهو مذموم على الإطلاق لأنه مستقر إبليس وجنوده"[5].

---

[1]- مختصر الصواعق لابن القيم ٣٦٤/٢-٣٦٥.

[2]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) ح٧٤٢٢، ٢٢٢/٨، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح٢٧٥١، ٢١٠٧/٤.

[3]- صحيح البخاري،كتاب التوحيد،باب قول النبي-صلى الله عليه وسلم-(لا شخص أغير من الله)، ح٧٤٢٠، ٢٢١/٨-٢٢٢. سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة الأحزاب) ح٣٢١٣، ٣٥٤/٥-٣٥٥.

[4]- انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٨٩.

[5]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٨٤.

ز- إن صفة الفوقية هي صفة كمال لا نقص فيها، وإثباتها على الحقيقة لا يستلزم نقصاً، ولا يوجب محذوراً، لأن ذلك الإثبات لا يخالف الكتاب والسنة ولا الإجماع، فنفي حقيقة الفوقية يكون عين الباطل والمحال لا تأتي به الشريعة[1].

ح- أما تأويل النصوص الشرعية من قبل الحبشي لنفي صفة الفوقية فهذا أمر مردود عليه فمثلاً: تأويله لقوله الله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦]، بالملائكة، فهذا تفسير مغلوط حيث جاء في تفسير هذه الآية ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦]، (وهو الله تعالى، العالي على خلقه)[2]، وبالتالي فإن الآية لا تحتمل تأويل الحبشي الفاسد.

وأيضاً حمل الحديث الذي رواه مسلم على الملائكة، تأويل فاسد لأن الذي يسخط ويغضب هو الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يثيب ويعاقب لأنه المتصرف بأحوال العباد، ثم إن نص الحديث (إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها)[3]، فهذا يدلل قطعاً أن المقصود الذي في السماء هو الله وإن كانت الملائكة موجودة أيضاً، فلا ينفي وجودها إثبات وجود الله بذاته فوق عرشه بدون علم الكيفية، لأن صيغة اللفظ المروي فيه الحديث تدلل على الإفراد وليس الجمع، ولا يوجد هناك قرينة في النص تحمل معنى الحديث على الملائكة، بالإضافة إلى ذلك ليس هناك ميزة على تعيين الملائكة في هذا الموضع، لأن هناك ملائكة لله في الأرض، فقد جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر..)[4]، وقوله -صلى الله عليه وسلم- (إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول..)[5]، وقوله -صلى الله عليه وسلم- (إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة النهار..)[6].

---

[1]- انظر: المصدر السابق ص٢٨٥.

[2]- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ص٨١٢، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

[3]- سبق تخريجه، انظر: ص١٦١.

[4]- صحيح مسلم، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ح٦٤٠٨، ٢١٦/٧.

[5]- صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة يوم الجمعة، ح٩٢٩، ٢٥٢/١، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة، ح٨٥٠، ٥٨٧/٢.

[6]- صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ح٥٥٥، ١٥٧/١، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، ح٦٣٢، ٤٣٩/١، سنن النسائي، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، ح٤٨٥، ٢٤٠/١-٢٤١.

ويبطل تأويل الحبشي بأن المقصود في النصوص الشرعية الذي في السماء هم الملائكة بما جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بأن الله هو الذي في السماء، مثل: ما جاء في حديث الخوارج "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"[١]، وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود "ربنا الله الذي في السماء"[٢]، وقصة معراج الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه[٣].

وأيضاً تأويل الحبشي لحديث الجارية الذي رواه مسلم بأن المقصود بقول الجارية عن الله: أنه في السماء أي عالي القدر، تأويل فاسد، لأن التصريح بلفظ (الأين) من قِبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو أعلم الخلق وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه (أين الله)[٤] يبين أن السؤال موجه إلى المكان، بالإضافة إلى ذلك إن (أين) تستخدم للسؤال عن المكان، والأمكنة عبارة عن أشياء مادية، فكيف يؤول الحبشي الحديث إلى شيء معنوي بقوله "عالي القدر جداً"[٥].

ويبين ابن تيمية -رحمه الله- المقصود بحديث الجارية من أن الله في السماء بقوله: "لكن ليس معنى ذلك أن الله في حوض السماء، وأن السموات تحصره وتحويه، فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون على أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته"[٦]، بالتالي فإنه "لا يمكن لمسلم يفقه عقيدته حق الفقه، أن يظن أن الله في السماء بمعنى أن السماء تحويه، وأنه في جرم السماء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، كيف والسموات ليس بشيء بالنسبة إليه سبحانه وتعالى: ﴿**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ [الزمر:٦٧]، ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**﴾ [الأنبياء:١٠٤] "[٧].

١- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد -رضي الله عنهما- إلى اليمن قبل حجة الوداع، ح٤٣٥١، ٥/١٢٩-١٣٠، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخارج وصفاتهم، ح١٤٠٦، ٢/٧٤٢.

٢- سنن أبي داود، كتاب الطب، باب كيف الرقي، ح٣٨٩٢، ٤/١٢.

٣- صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ح٣٤٩، ١/١٠٦-١٠٧، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات، ح١٦٢، ١/١٤٥-١٤٧.

٤- انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٨٧.

٥- صريح البيان للحبشي ص٤٩.

٦- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٥/١٥٩.

٧- العقيدة في الله د. الأشقر ص١٩٠.

ثانياً: الرد على الحبشي لتأويله صفة العلو:

ومن الردود التي ردّ بها سلف الأمة على من أنكر صفة العلو لله:

أ- أن الروح تتصف بمجموعة من الصفات فهي موجودة حية، عالمة، قـادرة، سـميعة، بصيرة، تصعد، وتنزل، وتذهب، وتجيء إلى غير ذلك من الصفات، والعقول قاصـرة عن تكييفها وتحديدها لأنهم لم يشاهدوها ولم يشاهدوا لها نظيراً، والشيء إنمـا يُـدرك حقيقة بمشاهدته أو مشاهدة نظيره، وإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مـع عـدم مماثلتها للمخلوقات، فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسـماء وصفات ومن ضمنها صفة العلو[1].

ب- لقد اتفق الفلاسفة مع السلف على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت علـى ذلـك الشرائع، حيث بيّن الفلاسفة صفة العلو والفوقية له سبحانه لا يوجب الجسمية بـل ولا إثبات المكان[2].

ج- إن الأحباش اعترفوا بوصف الله سبحانه وتعالى بعلو القهر، وعلو القـدر، واعتبـروا ذلك كمالاً لا نقصاً وأنه من لوازم ذاته، فيقال لهم: أن ما أثبتم به هذين النـوعين مـن العلو والفوقية هو بعينه حجة عليكم في إثبات علو الذات له سبحانه، وما نفيتم به علـو الذات يلزمكم أن تنفوا به ذينك الوجهين من العلو،فإذا أحد الأمرين لازم لكم ولا بد إما أن تثبتوا له سبحانه العلو المطلق من كل وجه ذاتاً وقدراً، وإما أن تنفوا ذلك كله، فإنكم إنما نفيتم علو ذاته سبحانه بناء على لوازم التجسيم، وهو لازم فيما أثبتموه من وجهـي العلو القهر والقدر[3].

د- لقد رد الإمام أحمد على الجهمية الذين قالوا بأن الله في كل مكان فقـال لهـم: "قـد عـرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها عظمة الرب شيء. فقـالوا: أي مكـان؟ فقلنـا: أجسـامكم وأجوافكم، وأجواف الخنازير والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب شـيء، وقد أخبرنا أنه في السماء"[4]، ثم يذكر العديد من النصوص القرآنية التي تثبت علوه سـبحانه وتعالى، ويعلق عليها بقوله: "فهذا خبر الله أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شـيء أسـفل منه"[5].

---

[1]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٥/٥.

[2]- انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ١٩٣/١-١٩٤.

[3]- انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ١٩٦/١-١٩٧، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٨٩.

[4]- الرد على الجهمية لابن حنبل ص١٣٥.

[5]- المصدر السابق ص١٣٦.

هـ- وكذلك لما خلق الله العالم: فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عــن ذاتــه، والأول: باطل للاتفاق على ذلك، ولأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، تعــالى الله، فثبت كونه خارجاً عن ذاته فيكون منفصلاً فتعينت المباينة، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه، غير معقول[1].

و- ويقال للحبشي الأشعري، إن الإمام أبا الحسن الأشعري أثبت العلو الذاتي لله ســبحانه وتعالى في كتابه الإبانة، حيث قال بعد ذكر النصوص التي تبين علوه سبحانه وتعالى: "فكذب فرعون نبي الله موسى -عليه السلام- في قوله أن الله عز وجل فوق السموات وقال عز وجل: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُــمُ الْــأَرْضَ﴾ [الملــك:١٦]، فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قــال: ﴿ءَأَمِنْــتُمْ مَــنْ فِــي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦]، لأنه مستوٍ على العرش الذي فوق السموات وكل ما عــلا فهــو سماءٌ... ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله عز وجــل مستوٍ على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله عز وجل علــى العــرش لــم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلــى الأرض"[2]. فمــاذا يقــول الحبشي بعد هذا الكلام للإمام الأشعري -رحمه الله-؟!!!

ز- "كل من أقر بوجود ربٍ للعالم مدبرٍ له، لزمه الإقرار بمباينته لخلقه وعلوه عليهم، وكل من أنكر مباينته وعلوه لزمه إنكاره وتعطيله"[3].

وأيضاً "كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية، لأنــه غيــر معقول، فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه، والأول باطل فتعين الثــاني، فلزمــت المباينة"[4] وبالتالي يثبت له العلو الذاتي.

ح- ومن الحجج العقلية القطعية لإثبات علوه سبحانه وتعالى، هو أن "الاحتجاج بكون الــرب قائماً بنفسه على كونه مبايناً للعالم، وذلك ملزوم لكونه فوقه عالياً عليه بالذات"[5]، وهــذه حجة صحيحة لا يمكن مدافعتها.

---

[1] - انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٩٠.

[2] - الإبانة للأشعري ص٣٢.

[3] - مختصر الصواعق لابن القيم ١٩٩/١.

[4] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٩٠-٢٩١.

[5] - مختصر الصواعق لابن القيم ١٩٨/١.

ط- ومما يؤكد علوه سبحانه وتعالى، أن العلم البديهي القاطع يوضح بأن كل موجودين إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائنـــاً مـــن الآخر، والوجه الثاني في حق الله جائز[1].

الرد على مقولات الحبشي في تأويله صفة العلو:

١- والحبشي عندما أراد نفي صفة العلو الذاتي عـــن الله مـــن خـــلال التأويـــل المـــذموم وخلط كلاماً صحيحاً بآخر غير صـــحيح، حيـــث إنـــه وصـــف الله بأنـــه غنـــي عـــن العالمين، وهذا كلام لا شيء فيه، ولكنـــه أخطـــأ عنـــدما تصـــور أن إثبـــات العلـــو لله يلزم منه أن الله يحتاج إلى مكان يقـــوم بـــه، أو إلـــى جهـــة، وإنمـــا هـــذه التوهمـــات الظنية من عقل الحبشي وصنعه وخاصة عنـــدما يعتقـــد أن الله لـــو كـــان فـــي مكـــان لأصبح له أمثال وأبعادٌ من طول وعرض وعمـــق..[2]، فهـــذا كـــلام مبتـــدع لـــم يـــرد عن السلف ويحتمل فـــي معنـــاه الكثيـــر مـــن المغالطـــات لأن الله ســـبحانه وتعـــالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فكيـــف يعتقـــد الحبشـــي مثـــل هـــذه المغالطـــات الشنيعة في حق الله لإثبات عدم علوه سبحانه وتعالى.

ولفظ الجهة والتحيز إطلاقها على الله نفياً بدعة لم ترد في كلام السلف[3]، يقول الإمام القرطبي في تفسيره: "كان السلف الأول -رضي الله عنهم- لا يقولون بنفـــي الجهـــة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله"[4].

وكذلك لم يرد لفظ الانفصال والاتصال عن العالم في حق الله، يقول ابن تيمية -رحمه الله: "ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا عن أحـــد من سلف الأمة -لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف -حرف واحد يخالف ذلك، لا نصاً ولا ظاهراً؛ ولم يقل أحد منهم قط: أن الله ليس في السماء، ولا أنه بذاته في كل مكان... ولا أنـــه لا داخـــل العـــالم ولا خارجه، ولا أنه متصل ولا منفصل"[5].

---

[1]- انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٩٠.

[2]- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٢٥، الشرح القويم للحبشي ص٩٧.

[3]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٦٢/٥-١٦٣.

[4]- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٢١٩/٧، الناشر: دار الكاتب العربي، القاهرة، بدون رقم طبعة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

[5]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٤/٥.

٢- وأما استدلال الحبشي بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (كان الله ولم يكن شيء غيره)[١]، على نفي العلو الذاتي لله، وذلك من خلال تعليله: بأن الله صح وجوده بلا مكان وجهة قبل خلق الأماكن والجهات، فكذلك يصح وجوده بلا مكان ولا جهة[٢]، فهذا استدلال فاسد مردود على الحبشي لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وهو مستغنٍ عنهم وليس بحاجة لهم، وعند وصف ذاته بالعلو لا يعني هذا أن الله بحاجة لما خلقه، بل المخلوقات بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى يقول الإمام الطحاوي عن الله: "خالق بلا حاجة"[٣].

٣- وأيضاً: فإن الله سبحانه وتعالى متصف بالعلو الذاتي قبل خلق المخلوقات، وبعد خلقه للمخلوقات (ما زال بصفاته قديماً قبل، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، وكذلك لا يزال عليها أبدياً)[٤].

٤- والحديث الذي استدل به الحبشي لم يصرح بنفي العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى، وإنما ما صرح به الحبشي نتيجة اجتهاد شخصي منه على ظنون يعتقد بها.

أما اعتبار رفع الأيدي في الدعاء للسماء لا تعتبر دليلاً على وجود الله بذاته في السماء، واستدل الحبشي على ما يقول باتجاه المصلين للكعبة في الصلاة وأن الله مع ذلك ليس بذلك فيها، وإنما لأمره سبحانه وتعالى بذلك[٥]، وهذا الاعتراض مردود على الحبشي لأن الإنسان إذا أراد أن يدعو الله توجه بقلبه إلى السماء ولم يلتفت يمنةً ولا يسرةً ، وهذا أمرٌ فطري مفطور عليه العباد[٦].

٥- أيضاً: فإن الإنسان يعلم أن الله لا يسكن الكعبة فلا يجوز المقارنة بين التوجه بالدعاء إلى الله، وبين التوجه بالصلاة إلى الكعبة فلا يوجد قاسم مشترك بينهما.

ولم يرد في نص شرعي أن الله يسكن في الكعبة، ولكن ورد العديد من النصوص الصحيحة التي تبين أن الله سبحانه وتعالى موجود في السماء بذاته فوق عرشه.

وأما بقية النصوص التي ذكرها الحبشي ليدلل بها على نفي علو الله سبحانه وتعالى لا تقوى أمام الأدلة الصريحة الصحيحة من الكتاب والسنة، أو أنه يقوم بتأويلها بناءً على

١- سبق تخريجه، انظر: ص٩١.

٢- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٢٦، الشرح القويم للحبشي ص٩٩-١٠٠.

٣- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٢٢ -المتن-.

٤- المصدر السابق ص١٢٤ -المتن-.

٥- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص١٦، الشرح القويم للحبشي ص١٠١.

٦- انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٩١.

توهمات يظنها في حق الله دون الاستناد إلى صحيح المنقول وصريح المعقول، وبالتالي فإن نفي العلو الذاتي لله غير صحيحٍ مخالفٌ لما عليه السلف الصالح.

٦- أما الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى كثيرة جداً، يقول صاحب (لوامع الأنوار): "وقد أكثر العلماء من التصنيف، وأجلبوا بخيلهم، ورجلهم من التأليف في ثبوت العلو والاستواء، ونبهوا على ذلك بالآيات والحديث وما حوى، فمنهم الراوي للأخبار بالأسانيد، ومنهم الحاذف لها، وأتى بكل لفظ مفيد، ومنهم المطول المسهب، ومنهم المختصر والمتوسط والمهذب"[١]، ومن النصوص الشرعية التي سيقت في إثبات علو الله الذاتي ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**﴾ [الملك:١٦، ١٧].
- قوله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠].
- قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ [آل عمران:٥٥].
- قوله تعالى: ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء:١٥٨].
- قوله تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾ [النحل:٥٠].
- قوله تعالى: ﴿**ذِي الْمَعَارِجِ**﴾ [المعارج:٣].
- قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام:١٨].

- قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة:٢٥٥].
- قوله تعالى: ﴿**يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**﴾ [غافر:٣٦-٣٧].

وغير ذلك الكثير من الآيات في القرآن الكريم التي تدلل على علو الله الذاتي.

أما الأدلة من السنة على إثبات علو الله الذاتي ما يلي:

- قصة معراج الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه[٢].
- نزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقوله -صلى الله عليه وسلم- في الملائكة الذين يتعاقبون في بني آدم بالليل والنهار (ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم)[٣].

---

[١]- لوامع الأنوار للسفاريني ١/١٩٥.

[٢]- انظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ح٣٤٩، ١/١٠٦-١٠٧، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى السموات وفرض الصلوات، ح١٦٢، ١/١٤٥-١٤٧.

[٣]- صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ح٥٥٥، ١/١٥٧، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، ح٦٣٢، ١/٤٣٩.

- وحديث الجارية التي أراد أن يعتقها صاحبها عندما قال لها الرسول -صلى الله عليه وسلم: (أين الله؟، قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: اعتقها فإنها مؤمنة)[1].
- وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (إن الله لما خلق الخلق، كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي)[2].
- قوله -صلى الله عليه وسلم-: (إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً)[3].
- وقوله -صلى الله عليه وسلم- في الرجل الذي يطيل السفر، المستجاب الدعاء: (يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب)[4]، إلى غير ذلك من الأحاديث التي بلغت حد التواتر التي تثبت العلو الذاتي لله.

الفصل الثالث

[1] - صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة، ح٥٣٧، ٣٨١/١-٣٨٢، سنن النسائي، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، ح١٢١٨، ١٤/٣-١٨.

[2] - صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (لا شخص أغير من الله)، ح٧٤٢٠، ٢٢١/٨-٢٢٢ (بنحوه). سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب ح٣٢١٣،٥/٣٥٤-٣٥٥.

[3] - سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب١٠٥، ح٣٥٥٦، ٥٥٦/٥-٥٥٧، وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب. سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، ح١٤٨٨، ٧٨/٢، سنن ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، ح٣٨٦٥، ١٢٧١/٢.

[4] - صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح١٠١٥، ٧٠٣/٢.

عقيدة الأحباش في النبوات

ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول : النبوة والرسالة عند الأحباش .

المبحث الثاني : دليل النبوة عند الأحباش (المعجزة).

المبحث الأول: النبوة والرسالة عند الأحباش:

المطلب الأول: النبوة والرسالة لغةً واصطلاحاً:

أولاً: تعريف النبوة:

أ- **النبوة لغة**: النبوة مأخوذة من مادة (نبا) غير مهموزة، أو من مادة (نبأ) مهمـــوز وهمـــا أصلان صحيحان في اللغة.

فإذا أخذت النبوة من (نبا) بغير همز كانت بمعنى ارتفع فجاء في التهذيب: "نبا: ارتفع، ونبا السيف عن الضريبة، إذا لم يَحِكْ فيها"[1]، ولهذا "النَبْوَةُ والنَبَاوَةُ: ما ارتفع من الأرض"[2]، فإن جعل النبي مأخوذاً منها فيصير المعنى "أنه شُرِّفَ على سائر الخلق"[3].

أما إذا أخذت النبوة من (نبأ) بهمزٍ، حيث جاء في معنى "النبأ: الخبر، وإن لفلان نبأ، أي خبراً والفعل: نبأته، وأنبأته، واستنبأته"[4] ويقال: "تنبأ الرجل، ادعى النبوة... ونَبَأْتُ على القوم أنبأ نبئاً إذا طلعت عليهم، ويقال: نبأتُ على القوم أنبأ نبئاً إذا أطلعت عليهم، ويقال: نبأتُ من الأرض إلى أرضٍ أخرى إذا خرجت منها إليها؛ ونبأ من بلد كذا ينبأ نبئاً ونبوءاً: طرأ"[5].

وبذلك يكون إطلاق لفظ النبوة على النبي بسبب خروج خبر السماء ووصوله إليه.

ب- **النبوة (اصطلاحاً)**: انقسم العلماء في تعريف النبوة إلى قسمين:

القسم الأول: من جعلها بمعنى وحي الله إلى إنسان بخبر السماء ولم يؤمر بالتبليغ وجاء في هذا المعنى التعريفات التالية:

- قال ابن أبي العز الحنفي: "أن من نبأه الله بخبر السماء.. وإن لم يأمره أن يبلغ غيره"[6]
- قال السفاريني: "هو إنسان أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه"[7]
- قال الشيخ الحكمي: "من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط"[8]

القسم الثاني: وهناك من جعل النبوة بمعنى:وحي الله إلى إنسان لينبئ الآخرين، وزاد بعضهم: على أن يكون الإنباء من خلال تقرير شرع ما قبله؛ ومما جاء في المعنى السابق ما يلي:

- وقال ابن تيمية: أن "النبي هو المنبئ عن الله"[9]، أو "هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به... وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي"[10] أي أن النبي يوحي إليه بشيء معين، ويخبره شرعة من قبله، كأنبياء بني

---

[1] - تهذيب اللغة للأزهري ٤٨٥/١٥.
[2] - الصحاح للجوهري ٢٥٠٠/٦، انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٤٨٦/١٥.
[3] - المصدرين السابقين.
[4] - تهذيب اللغة للأزهري ٤٨٧/١٥.
[5] -لسان العرب لابن منظور ٤٣١٦/١٥.
[6] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥٨.
[7] - لوامع الأنوار للسفاريني ٤٩/١.
[8] - معارج القبول للحكمي ٨١/٢.
[9] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٧٠/١٠.
[10] - النبوات لابن تيمية ص٢٨١، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

إسرائيل يخبرون أقوامهم بأشياء من الله، ولكن على شريعة موسى، ولا يرسلون إلى قوم كافرين يدعونهم إلى التوحيد ويلاقون التكذيب والتعنت من قبلهم وعند ذلك يسمون رسلاً[1].

- وجاء عن الآلوسي أن النبي هو: "من بعث لتقرير شرع من قبله"[2]

ثانياً: تعريف الرسالة:

أ- **الرسالة (لغة):** جاء في معنى الرسالة عند الأزهري قوله: "والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أُخذ من قولهم: جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة، يقال جاءت الإبل أرسالاً: إذا جاءت منها رَسل بعد رَسل... الرَّسل -بفتح الراء- الذي فيه لين واسترخاء... الرَّسْل -بسكون السين الطويل المسترسل، وقد رَسل رَسَلاً ورَسَالة... والتَّرسل من الرِّسْل في الأمور والمنطق: كالتمهل والتوفر والتثبت"[3]، "والاسترسال إلى الشيء: كالطمأنينة إليه... والرسالة معروفة وجمعها رسائل، والرسول جمعه رسل"[4].

ب- **الرسالة (اصطلاحاً):** انقسم العلماء في تعريف الرسالة إلى قسمين:

القسم الأول: من جعل الرسالة بمعنى وحي الله إلى إنسان وأمره بالتبليغ، وجاء في هذا المعنى من أقوال أهل العلم ما يلي:

- يقول ابن أبي العز: إن الرسول هو من نبأه الله بخبر السماء وأمره أن يبلغ غيره[5].
- ويقول السفاريني إن الرسول: هو إنسان أوحي إليه بشرع الله وأمر بتبليغه[6].
- وذكر الشيخ الحكمي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو: "كل من أوحي إليه وأمر بالتبليغ"[1].

---

[1]- وهذا المعنى يوضحه ابن تيمية -رحمه الله- بنقله عن ابن عباس -رضي الله عنه- قوله: "كان بين آدم ونوح، عشرة قرون كلهم على الإسلام فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول، وكذلك أنبياء ببني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يوحي إلى أحدهم وحي خاص في قصة معينة... فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر والنهي، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ولا بد أن يكذب الرسل قومٌ، قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾ [الذاريات: ٥٢]"، النبوات لابن تيمية ص٢٨١-٢٨٢.

[2]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم -للعلامة الآلوسي البغدادي ١٧٣/١٧، الناشر: مكتبة دار التراث، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[3]- تهذيب اللغة للأزهري ٣٩١/١٢-٣٩٣، انظر: مجمل اللغة لابن فارس ٣٧٦/١.

[4]- المحيط في اللغة لابن عباد ٣٠٣/٨-٣٠٤.

[5]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥٨ بتصرف.

[6]- لوامع الأنوار للسفاريني ٤٩/١ بتصرف.

- أو هو من أوحى الله إليه بخبر السماء، وأمره أن يبلغ إلى من خالف أمره، حيث قال بهذا التعريف ابن تيمية -رحمه الله- فبعد أن يعرف النبوة بقوله: "فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به"[٢] ثم يضيف عليها التالي: "فإن من أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول"[٣].

القسم الثاني: وهناك من عَرّف الرسالة بأن من أوحى الله إليه وأمره بتبليغ شرعة جديدة حيث جاء عن صاحب (روح المعاني) قوله: "يراد بالرسول من بعث بشرع جديد"[٤].

ولا خلاف بين العلماء بأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً[٥].

وهناك بعض الملاحظات على التعريفات السابقة:

- أما تعريف النبي بأنه من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ، والرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه[٦]، تعريف فيه نقص كما وضح ذلك د. الأشقر في كتابه الرسل والرسالات من عدة وجوه حيث قال: "وهذا الذي ذكروه هنا بعيد لأمور: الأول: أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**﴾ [الحج: ٥٢]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ؛ الثاني: أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته؛ الثالث: قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- "عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد"[٧]، فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم"[٨].

---

[١]- معارج القبول للحكمي ٨١/٢.

[٢]- النبوات لابن تيمية ص٢٨١.

[٣]- المصدر السابق ص٢٨١.

[٤]- روح المعاني للآلوسي ١٧٣/١٧.

[٥]- انظر: النبوات لابن تيمية ص٢٨١، شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥٨، لوامع الأنوار للسفاريني ٤٩/١، روح المعاني للآلوسي ١٧٣/١٧، معارج القبول للحكمي ٨١/٢.

[٦]- انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥٨، لوامع الأنوار للسفاريني ٤٩/١، معارج القبول للحكمي ٨١/٢.

[٧]- صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق، ح٥٧٥٢، ٣٤/٧، صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ح٢٢٠، ١٩٩/١.

[٨]- الرسل والرسالات د. الأشقر ص١٤-١٥، الناشر: دار النفائس، الأردن، ط الثامنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

- أما التعريف الذي قال به شيخ الإسلام -ابن تيمية- في التفريق بين النبي والرسول وهو: "فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي"[1]، والملاحظ أن هذا التعريف يظهر النبي بأنه يرسل إلى قوم غير مخالفين لأمر الله من خلال قوله: "فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول"[2] ومن المعلوم أن أنبياء بني إسرائيل لاقوا ما لاقوه من قومهم بني إسرائيل تكذيباً وتعنتاً بل وقتلاً وما حصل لأنبياء الله يحيى وزكريا وغيرهم عليهم السلام ليس بمجهول، فتبين أن الأنبياء يرسلوا إلى أقوام مخالفين ومتعنتين ومتشددين كما حصل لأنبياء بني إسرائيل مع قومهم.

ثم قوله -رحمه الله-: "وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي وليس برسول"[3]، ومن المعلوم أن النبي ينبئ عن الله ويأمره بالتبليغ كما قال نفسه -ابن تيمية- في الفقرة ذاتها.

- أما التعريف الأخير في التفريق بين النبي والرسول الذي فيه: أن النبي من يوحي إليه ويأتي لتبليغ رسالة الله على شرع من قبله، أما الرسول من يأتي لتبليغ شريعة الله على شرع جديد[4]، يحتاج إلى ضبط أكثر من ذلك لأنه "ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا**﴾ [غافر:٣٤]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ [النساء:١٦٣-١٦٤] "[5].

ومما سبق عرضه يتبين لنا أن التعريف المختار للنبوة والرسالة هو: النبي من بُعث لتقرير شريعة من قبله، أما الرسول من بعثه الله لتقرير شرع من قبله، أو بعضه، وعلى الأغلب أن يأتي بشرع جديد.

---

[1]- النبوات لابن تيمية ص٢٨١.

[2]- المصدر السابق ص٢٨١.

[3]- المصدر نفسه ص٢٨١.

[4]- انظر: روح المعاني للآلوسي ١٧٣/١٧، الرسل والرسالات د. الأشقر ص٢٥.

[5]- النبوات لابن تيمية ص٢٨٢.

المطلب الثاني: الحاجة إلى النبوة وصفات النبي:

يرى الحبشي أن "الله تعالى بعث الأنبياء رحمة للعباد إذ ليس في العقل ما يستغني به عنهم، لأن العقل لا يستقل بمعرفة الأشياء المنجية في الآخرة، ففي بعثة الأنبياء مصلحة لحاجتهم لذلك، فالله متفضل بها على عباده فهي سفارة بين الحق تعالى وبين الخلق"[١].

يبين الحبشي بأن العقل وحده لا يكفي للنجاة من النار بدون إرسال الأنبياء من الله فيقول: "العقل وحده لا يكفي للنجاة، الكفار فيهم عقل طبيعي لكن مع ذلك هم من أهل النار، لذلك لا بد من شرائع الأنبياء، الأنبياء هم الذين يعلّمون الناس ما ينجي في الآخرة وما يهلك في الآخرة "[٢].

يعتبر الحبشي أن الذكورة والبشرية من الصفات اللازمة للنبي فيقول: "وليعلم أن النبوة خاصة بالذكور من البشر فلا نبية في النساء كما يرى جمهور العلماء، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل:٤٣]، فهذه الآية فيها دليل اختصاص الرسالة بالذكور وهم من الأنس فقط"[٣]؛ ومن اعتقاد الحبشي في الأنبياء: "أنهم بلّغوا ما أمروا بتبليغه ولم يكتموا شيئاً من ذلك، ويجب اعتقاد أنهم صادقون فيما جاءوا ، وأنهم ناصحون، فلا يكذبون، ولا يخونون"[٤]؛ ويرى الحبشي بأنه يجب الإيمان بإنزال كتب سماوية من عند الله على أنبيائه، يقول: "يجب الإيمان بأن الله أنزل كتباً سماوية على أنبيائه، وليس معنى هذا أن كل فرد من أفراد الأنبياء أنزل عليه كتاب خاص بل كان يُنزل على بعضهم ثم يوحي إلى بعض آخرين منهم العمل بهذا الكتاب كأكثر أنبياء بني إسرائيل فإنهم أمروا بالتوراة"[٥]؛ وما تم عرضه من عقيدة الأحباش في النبوات كان بشكل عام. أما بالنسبة لموقف الأحباش من سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم-، فقد بيّن الحبشي أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين[٦]، وأنه رسول الله إلى جميع الخلق،وأنه صادق في جميع ما أخبر به عن الله وبلّغه[٧]، وأنه -صلى الله عليه وسلم- أفضل الأنبياء وحبيب الله، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- مبعوث للجن كما هو مبعوث إلى الإنس[٨].

---

[١] - الصراط المستقيم للحبشي ص٧٥، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٢٨٨، إظهار العقيدة السنية ص٦٦.

[٢] - الشرح القويم للحبشي ص٢٨٨-٢٨٩.

[٣] - المصدر السابق ص٢٨٩.

[٤] - المطالب الوفية للحبشي ص١٣٦.

[٥] - المصدر السابق ص١٤٠.

[٦] - انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٧٧-٧٨، المطالب الوفية للحبشي ص١٣٦.

[٧] - انظر: مختصر الهرري للحبشي ص١٢، بهجة النظر لقسم الأبحاث ص٢٢-٢٣.

[٨] - انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٩٨-٩٩.

اعتقاد الأحباش في النبوات موافق لما عليه السلف حيث ورد عن ابن تيمية -رحمه الله- أن الله "أرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"[1] وذلك لمصلحة العباد، حيث إن الرسل "مبشرين لمن أطاعهم بغاية المراد من كل ما تحبه النفوس وتراه نعيماً، ومنذرين لمن عصاهم باللعن والإبعاد وأن يعذبوا عذاباً أليماً"[2]، ويزيد الأمر وضوحاً صاحب (لوامع الأنوار) بقوله: "اعلم أن حاجة الخلق إلى إرسال الرسل وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية، لا ينتظم لهم حال، ولا يصلح لهم دين ولا بال إلا بذلك فهم أشد احتياجاً إلى ذلك من إرسال المطر والهواء بل ومن النفس والذي لا بد لهم منه"[3]؛ ويقول أيضاً: "أن الرسالة ضرورية للعباد ولا غنى لهم عنها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، فإن الرسالة روح العلم، ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح، والحياة، والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة كلها إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة..."[4].

وأن إرسال الرسل للبشر إنما هو فضل من الله سبحانه وتعالى لا واجب عليه وإنما هو على سبيل اللطف بالخلق والفضل عليهم[5].

وأيضاً وافق الحبشي السلف في الصفات التي يجب أن تتوفر في الرسول: كالذكورة والبشرية، يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ**﴾ [الأنبياء:٧]: "أي جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالاً من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة"[6]، وأيضاً يقول الطبري في تفسيره: "يقول تعالى ذكره لنبيه: وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولاً إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمتك إلا رجالاً مثلهم نوحي إليهم ما نريد أن نوحيه إليهم من أمرنا ونهينا لا ملائكة؛ فلماذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم وأنت رجل كسائر الرسل الذين من قبلك"[7].

وأيضاً أكد القرآن على صفة البشرية للرسول، يقول تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ [الكهف:١١٠]، وجاء في تفسير هذه الآية "يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد

---

[1] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٥/١.

[2] - المصدر السابق ٥/١.

[3] - لوامع الأنوار للسفاريني ٢٥٦/٢.

[4] - المصدر السابق ٢٥٩/٢.

[5] - انظر: المصدر نفسه ٢٥٨/٢.

[6] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧٤/٣.

[7] - جامع البيان للطبري ١٢/١٧، وانظر: الرسل والرسالات د. الأشقر ص٨٤،٦٩.

إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم"[1]، وبهذا يكون الحبشي وافق منهج القرآن الذي هو منهج السلف في إثبات البشرية للأنبياء.

ولقد وافق الحبشي السلف في اعتقاده في سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، حيث جاء عن الإمام الطحاوي قوله في حق سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- "وأنه خاتم الأنبياء"[2]، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب:٤٠]، وأنه -صلى الله عليه وسلم- "إمام لأتقياء وسيد المرسلين"[3]، وأنه -صلى الله عليه وسلم- "حبيب رب العالمين"[4]، وأنه -صلى الله عليه وسلم- "هو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى، وبالنور والضياء"[5]، وبالتالي لم يخالف الحبشي السلف في اعتقاده بسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

المطلب الثالث: الفرق بين النبوة والرسالة عند الأحباش:

يفرق الأحباش بين الأنبياء والرسل، فالرسول يأتي بنسخ بعض شرع من قبله، أو يأتي بشرع جديد، والنبي يوحي إليه ليتبع شرع رسول قبله ليقوم بتبليغه يقول الحبشي: "اعلم أن النبي والرسول يشتركان في الوحي، فكل قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به لتبليغه للناس، غير أن الرسول يأتي بنسخ بعض شرع من قبله أو بشرع جديد. والنبي غير الرسول يوحي إليه ليتبع شرع رسولٍ قبله ليبلغه، فلذلك قال العلماء: كل رسولٍ نبي وليس كل نبي رسول. ثم أيضاً: يفترقان في أن الرسالة يوصف بها الملك والبشر، والنبوة لا تكون إلا في البشر"[6]، ويزيد الحبشي الأمر وضوحاً بقوله: "الرسول ينزلُ عليه الوحي بشرع يعمل به، ويوحي إليه بنسخ بعض شرع من قبلَهُ، أي بنسخ بعض الأحكام التي كانت في زمن الرسول الذي قبله أو ينزل عليه حكمٌ جديدٌ لم ينزل على من قبلهُ من الأنبياء هذا يقال له رسولٌ، أما الذي لم ينزل عليه شيء جديد إلا أن يعمل بشريعة الرسول الذي قبله كأن أمر فقيل له: بلّغ شريعة موسى مثلاً فهذا يقال له نبي ولا يقال له رسول"[7].

---

[1]- جامع البيان للطبري ٣١/١٦.

[2]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥٨ -المتن-.

[3]- المصدر السابق ص١٥٩ -المتن-.

[4]- المصدر نفسه ص١٦٤ -المتن-.

[5]- المصدر نفسه ص١٦٦ -المتن-.

[6]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٥، انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٨٩.

[7]- الشرح القويم للحبشي ص٢٨٩-٢٩٠،انظر:إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٦٥،المطالب الوفيةص١٣٨.

وبعد هذا العرض للتفريق بين النبوة والرسالة عند الأحباش، يلاحظ على الحبشي أنــه قال بالتعريف الصحيح الذي عليه السلف، وهذا ما سبق بيانه في تعريف النبوة والرسالة[1].

وأيضاً وافق الحبشي السلف في تفريقه بين النبوة والرسالة حيث إن الرسالة يوصف بها الملك والبشر، ولكن هذا التفريق ليس دقيقاً لأن إرسال الملائكة لا يكون لتبليغ رسالة بل لتفعل فعلاً معيناً ويقول ابن تيمية -رحمه الله- في ذلك: "والإرسال اسم عام يتنــاول إرســال الملائكــة، وإرسال الرياح،وإرسال الشياطين،وإرسال النار... لكن الرسول المضاف إلــى الله إذا قيــل رسول الله،فهم من يأتي برسالة من الله من الملائكة والبشر،كما قال تعالى:﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِــنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾[الحج:٧٥]،وقالت الملائكة:﴿**يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ**﴾ [هود:٨١]،وأما عموم الملائكة والرياح والجن،فإن إرسالها لتفعل فعلاً لا لتبلغ رسالة"[2].

المطلب الرابع: ما يجب للأنبياء وما يستحيل عليهم:

هناك أمور يجب أن يتصف بها الأنبياء، وأخرى يستحيل أن يوصفوا بها لــئلا تنفــر الناس من دعوتهم، تحدث الحبشي في هذا فقال: "يجب للأنبيــاء الصــدق ويســتحيل علــيهم الكذب"[3]، ويمثل الحبشي لذلك بقوله:"وقد كان سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- معروفاً بين أهل مكة بالأمين لما عُرف به من الصدق والأمانة والنزاهة، لم تجرّب عليه كذبــة قــط كــل المدة التي قضاها قبل أن ينزل عليه الوحي، فالكذب نقص ينافي منصب النبــوة"[4]، ويجــب للأنبياء "الفطانة ويستحيل عليهم البلادة والغباوة"[5]أي يجب لهم "الذكاء فكلهــم كــانوا أذكيــاء فطناء أصحابُ عقولٍ كاملةٍ قويةِ الفهم،ويستحيل عليهم البلادة والغباوة فليس فيهم بليدٌ أي مــن هو ضعيف الفهم لا يفهم الكلام بسرعة إلا بعد أن يكررّ عليه عدّة مرّات وليس فيهم من هــو غبي أي فهمه ضعيف،لأنهم لو كانوا أغبياء لنفر الناس منهم لغباوتهم والله حكيم لا يفعل ذلك، فإنهم أرسلوا ليبلّغوا الناس مصالح آخرتهم ودنياهم، والبلادة تنافي هذا المطلــوب مــنهم"[6]، "وتجب لهم الأمانة"[7] أي يستحيل "عليهم الخيانة في الأقــوال، والأفعــال، والأحــوال، فــإذا استنصحهم شخص لا يكذبون عليه فيوهمونه خلاف الحقيقة وإذا وضع عندهم شخص شيئاً لا

---

[1]- انظر: البحث ص١٧٣-١٧٥.

[2]- النبوات لابن تيمية ص٢٨٣.

[3]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٥،انظر:الشرح القويم للحبشي ص٢٩١،مختصر الهرري للحبشي ص١٢.

[4]- الشرح القويم للحبشي ص٢٩١، انظر: بغية الطالب للحبشي ص٣٣.

[5]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٥،انظر:الشرح القويم للحبشي ص٢٩١،مختصر الهرري للحبشي ص١٢.

[6]- الشرح القويم للحبشي ص٢٩١، انظر: بغية الطالب للحبشي ص٣٣.

[7]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٥،انظر:الشرح القويم للحبشي ص٢٩١،مختصر الهرري للحبشي ص١٢.

يضيعونه"[١]، وأيضاً الأنبياء "سالمون من الكفر والكبائر وصغائر الخسة "[٢]، ويقصد الحبشي بصغائر الخسة "التي تدل على دناءة النفس كسرقة حبة عنب قبل النبــوة وبعــدَها"[٣]، ويبــين الحبشي أن "هذه هي العصمة الواجبة لهم، ويجوز عليهم ما سوى ذلك مــن المعاصــي لكــن ينبهون فوراً للتوبة قبل أن يقتدي بهم فيها غيرهم"[٤]، ويجب للأنبياء "الصيانة فيستحيل علــيهم الرذالة والسفاهة والجبن"[٥] أي "مما يجب للأنبياء الصيانة فيستحيل عليهم الرذالــة كــاختلاس النظر إلى الأجنبية بشهوةٍ، وكسرقة حبة عنب، وكذلك يستحيل عليهم السفاهة كالــذي يقــول ألفاظاً شنيعة، وكذلك يستحيل عليهم الجبن فالأنبياء هم أشجع خلق الله"[٦].

ويرى الحبشي أن كل الأنبياء فصحاء، ويستحيل عليهم سبق اللسان فــي الشــرعيات والعادّيات، ويستحيل عليهم الجنون وكذلك يستحيل عليهم السحر فلا يؤثر فــي عقــولهم، ولا يجوز أن يعتقد أن الرسول أثرّ السحر في عقله وإن كان قاله ما قاله[٧]، وأيضاً "يستحيل عليهم كل مرض منفر"[٨].

إن الحبشي فيما ذكر مما يجب للأنبياء وما يستحيل عليهم، وافق في كثير منها أهل السنة والجماعة، حيث ورد في عصمة الأنبيــاء في المسائل الإعتقادية أنه "اجتمعت الأمــة علــى أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة "[٩]، إلا من شذ باعتقــاده مثل الفضيلية من الخوارج[١٠]

وأيضاً الروافض[١]ما اعتقدوه في الأنبياء وادعائهم أن ذلك على سبيل التقية[٢].

١- الشرح القويم للحبشي ص٢٩٢.

٢- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٥، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٢٩١، مختصر الهــرري للحبشــي ص١٢، المطالب الوفية للحبشي ص١٣٦-١٣٧.

٣- الشرح القويم للحبشي ص٢٩٢.

٤- المصدر السابق ص٢٩٢، انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٧٥.

٥- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٥،انظر:الشرح القويم للحبشي ص٢٩١،مختصر الهرري للحبشي ص١٢.

٦- الشرح القويم للحبشي ص٢٩٢.

٧- انظر: المصدر السابق ص٢٩٤-٢٩٥.

٨- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٦.

٩- عصمة الأنبياء لفخر الدين الرازي ص٢٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠١هــــ-١٩٨١م.

١٠- **الفضيلية**: أو الفضلية وهي فرقة من الخوارج الصفرية أتباع فضل بن عبدالله، قالوا لا يكفر عندنا ولا يعصي من قال بضرب من الحق الذي يكون من المسلمين وأراد به غير الله أو وجهة على غير ما يوجهه المسلمون عليه،نحو قول (لا إله إلا الله) يريد بها قول النصارى.انظر:موسوعة الفرق د. الحفني ص٣١٠.

وفيما يتعلق بالشرائع والأحكام من الله تعالى فإن سلف الأمة "أجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف، والخيانة، في هذا الباب، لا بالعمد ولا بالسهو، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع"[3]، وفي المعنى نفسه جاء عن ابن تيمية -رحمه الله- قوله: "العصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"[4] أي لا يجوز الخطأ في التبليغ من قِبل الأنبياء، وأما في غيرها فإن "الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف: إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً، والرد على من يقول: إنه يجوز إقرارهم عليها"[5]، وفي موضع آخر يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "قد اتفق المسلمون على أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله، فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيء مما يبلغونه عنه، وبهذا يحصل المقصود من البعثة، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبياً لا يخطئ أو لا يذنب فليس في النبوة ما يستلزم هذا"[6].

وهذا الأمر يبين جواز وقوع الذنوب الصغار من الأنبياء، ولكن سرعان ما ينبهون إليها فيتوبون منها، ولهذا رد السلف على من نفى وقوع الذنوب بالكلية عن الأنبياء بأن "ما احتجوا به من أن الذنوب تنافي الكمال، أو أنها ممن عظمت عليه النعمة أقبح، أو أنها توجب التنفير، أو نحو ذلك من الحجج العقلية، فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع، وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه"[7].

ويفصل القول الإمام الرازي في عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر بقوله: "إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز"[8] ولكن سرعان ما يتوبون منها، وجاء في (المقاصد النووية):

---

[1] - **الروافض**: هم الشيعة الرافضون لإمامة أبي بكر وعمر، أو أن ابتداءهم كان عندما خرج زيد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب على هشام بن عبد الملك، فأراد أنصاره الطعن في أبي بكر فمنعهم فتركوه وانصرفوا عنه، فقال لهم: رفضتموني، فبقى اسم الرافضة عليهم وقيل غير ذلك. انظر: اعتقادات فرق المشركين والمسلمين للرازي ص٣٥، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية د. عبد المنعم الحفني ص٢٢٨-٢٣٠، الناشر: دار الرشاد، ط الأولى ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

[2] - انظر: عصمة الأنبياء للرازي ص٢٦.

[3] - المصدر السابق ص٢٦.

[4] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٧٠/١٠، ١٧٣.

[5] - المصدر السابق ١٧١/١٠.

[6] - منهاج السنة لابن تيمية ٣٩٦/٢.

[7] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٨١/١٠،١٨٠،١٧٢.

[8] - عصمة الأنبياء للرازي ص٢٨.

"أرسل -الله- بفضله الرسل وتولاهم بعصمته إياهم عمّا لا يليق بهم، فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها، منزهون عن كل منفرٍ طبعاً كالجذام والعمى"[١].

ويتحدث الشيخ السفاريني[٢] صاحب (لوامع الأنوار) فيما يجب ويستحيل للأنبياء بأنه يجب على كل مسلم أن يعرف بأن الأنبياء الكرام والرسل العظام منزهون عن كل نقصٍ يؤدي إلى إزالة الحشمة وإسقاط المروءة وألحقت بفاعلها الإزراء والخسة كسرقة لقمة، وتطفيف بحبة، لقيام الإجماع على عصمتهم من كل ما يؤدي إلى الإزراء والدناءة لأن الله تعالى يقول: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب:٢١]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران:٣١]، ومن المعلوم عموم ذلك وليس في شيء من فعل ما يزري ما يوجب حب الله ولا حسن التأسي والاقتداء في ذلك فوجب تنزيههم عنه وعن كل عيب، وسلامتهم من كل ما يوجب الريب، وأن كل واحد من الأنبياء معصوم قبل النبوة وبعدها"[٣]، وأيضاً: أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب والخيانة ومتصفون بالصدق والأمانة، والأنبياء معصومون من الأخبار عن شيء بخلاف الواقع لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً[٤].

ويتحدث ابن تيمية -رحمه الله- عمن يتهم أنبياء الله بالكذب والجهل ويبين سوء عاقبتهم بقوله: "... فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه. فإن كان قد قدح فيهم ونسب ما يقولونه إلى أنه جهل وخروج عن العلم والعقل، ابتلي في عقله وعلمه وظهر من جهله ما عوقب به، ومن قال عنهم: إنهم تعمدوا الكذب، أظهر الله كذبه، ومن قال انهم جهال أظهر الله جهله"[٥]، "وأيضاً فجمهور المسلمين على أن النبي لا بد أن يكون من أهل البر والتقوى متصفاً بصفات الكمال، ووجود بعض الذنوب أحياناً مع التوبة الماحية الرافعة لدرجته إلى أفضل مما كان عليه لا ينافي ذلك"[٦].

---

[١] - المقاصد النووية لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ص١٥-١٦، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، انظر: التمهيد لابن عبد البر ٢٦٦/٣.

[٢] - **السفاريني**: محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، النابلسي، الحنبلي، ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة ١١١٤هـ، وتوفي سنة ١١٨٨هـ بنابلس. انظر: مقدمة -لوامع الأنوار للسفاريني (بدون ترقيم للصفحة)، معجم المؤلفين لكحالة ٢٦٢/١٠.

[٣] - لوامع الأنوار للسفاريني ٣٠٣/٢-٣٠٤ بتصرف.

[٤] - المصدر السابق ص٣٠٧ بتصرف.

[٥] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٩٣/١٣.

[٦] - منهاج السنة لابن تيمية ٣٩٧/٢.

مما سبق بيانه يتبين أن الحبشي وافق السلف في كثير مما ذكره فيما يجب للأنبياء ويستحيل عليهم، ولكن مما يؤخذ عليه نفي السحر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وظنه أن إثبات ذلك يقدح في نبوة الرسول[1] -صلى الله عليه وسلم- بسبب الفهم الخاطئ لديه، مع العلم أن سحر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثبت بالصحيحين وفيه أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله[2]، ولقد ثبت عن علماء أهل السنة والجماعة إثبات السحر، فقد جاء عن الإمام المازري[3] -رحمه الله- "مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجته، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجها، وهذا كله يبطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال، ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر.."[4]، وقال أيضاً الإمام المقريزي[5]: "... وهو حين سحر النبي -صلى الله عليه وسلم- وخيل إليه أنه يفعل الشيء -صلى الله عليه وسلم- وما فعله وأقام على ذلك أربعين يوماً كما في الصحيح"[6]، ويقال للحبشي أن نفي السحر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا ينقص من قدر نبوته لأن "تأثيره ذلك إنما هو بما قدره القدير سبحانه

---

[1]- انظر: الشرح القويم للحبشي ص٢٩٤-٢٩٥.

[2]- انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح٣٢٦٨، ٤/١٠٨-١٠٩، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب السحر، ح٢١٨٩، ٤/١٧١٩-١٧٢١.

[3]- **الإمام المازري**: محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي، المازري، المالكي (أبو عبدالله)، مولده بمدينة المهدية من أفريقية ولد سنة ٤٥٣هـ، وتوفي سنة ٥٣٦هـ. انظر: شذرات الذهب لابن عماد ٤/١١٤، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/٢٨٥، سير الأعلام للذهبي ٢٠/١٠٤-١٠٧.

[4]- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج -المسمى اختصاراً: صحيح مسلم بشرح النووي -لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ١٥/٣٤٥، الناشر: دار الخير، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

[5]- **الإمام المقريزي**: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك من حارة المقارزة، ولد ونشأ ومات في القاهرة، ولد سنة ٧٦٦هـ، وتوفي سنة ٨٤٥هـ. انظر: الضوء اللامع للسخاوي ٢/٢١-٢٥، الأعلام للزركلي ١/١٧٧-١٧٨، البدر الطالع للشوكاني ١/٧٩-٨١.

[6]- تجريد التوحيد المفيد للإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ص٨، الناشر: مركز شئون الدعوة -الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة ط ١٤١٢هـ.

وتعالى أي بما قضاه الله وقدره وخلقه"[1]، وأيضاً يرد الإمام المازري -رحمه الله- على مثل هذا الادعاء بقوله: "وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر، فزعم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة القطعية، قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل. فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلاً من أجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل: إنه إنما كان يتخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بوطء، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة، ولا حقيقة له. وقيل: إنه يخيل إليه أنه فعل وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله، فتكون اعتقاداته على السداد"[2]، قال القاضي عياض[3]: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر: إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن؛ ويروي: يخيل إليه أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن، ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور؛ وكل ما جاء في الروايات أنه يخيل إليه فعل الشيء ولم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة،ولا طعناً لأهل الضلالة"[4]، وينقل ابن القيم عن المتكلمين نفيهم لسحر الرسول -صلى الله عليه وسلم- من قبل ذلك اليهودي، ويرد عليهم بعد ذلك حيث يقول على لسان المتكلمين قولهم: "فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا، فإن ذلك ينافي حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين؛ وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم... وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عن أهل التفسير، والسنن، والحديث، والتاريخ، والفقهاء. وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين"[5] أمثال الحبشي.

---

[1]- تجريد التوحيد للمقريزي ٣٣٩/١.

[2]- شرح صحيح مسلم للنووي ٣٤٥/١٥-٣٤٦.

[3]- **القاضي عياض**: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي (أبو الفضل)، ولد سنة ٤٧٦هـ، وتوفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٥/١٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٨٣/٣-٤٨٥، تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٠٤/٤-١٣٠٧.

[4]- شرح صحيح مسلم للنووي ٣٤٦/١٥.

[5]- التفسير القيم للإمام ابن القيم جمع: محمد أويس الندوي ص٥٦٦، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

ومما يؤخذ على الحبشي أنه فصّل القول في بعض الأمور التي لا تحتاج إلى ذلك في حق الأنبياء مثل قوله: "يستحيل عليهم البلادة والغباوة، فليس فيهم بليد أي من هو ضعيف الفهم لا يفهم الكلام بسرعة إلا بعد أن يكرر عليه عدة مرات وليس فيهم من هو غبي أي فهمه ضعيف، لأنهم لو كانوا أغبياء لنفر الناس منهم لغباوتهم.."[1]، وكان الأولى بالحبشي أن يكتفي بقوله بأن يجب أن يتصف الأنبياء بالذكاء والفطنة -كما فعل- دون تفصيل من باب التأدب مع أنبياء الله ورسله، فمثلاً منع علماء السلف -من باب التأدب- القول في حق لأنبياء والرسل لفظة (يجهل) لقبح لفظه وشناعته بل يقال: هل يجوز أن لا يعلم إلا ما علم؟ وهل يمكن عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحي إليه وهذا في الأقوال؛ أما إذا تُكلم في بعض الأفعال يقال: هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعه بعض الصغائر فهو أدب وأولى من القول: هل يجوز أن (يعصي) أو (يذنب) أو أن يفعل كذا من أنواع المعاصي[2].

---

[1]- الشرح القويم للحبشي ص٢٩١، انظر: بغية الطالب ص٣٣.

[2]- انظر: لوامع الأنوار للسفاريني ص٣٠٨-٣٠٩.

المبحث الثاني: دليل النبوة عند الأحباش (المعجزة):

المطلب الأول: أولاً: تعريف المعجزة لغةً واصطلاحاً:

أ- **المعجزة لغةً**: وأصل المعجزة من (العَجْز) "والعَجْزُ الضعف، تقول: عَجَزتُ عن كذا، أعْجِزُ بالكسر عَجْزَاً ومَعْجِزَةً ومَعْجِزاً بالفتح"[١] والعَجْزُ "نقض الحزم"[٢]، "والأرض لا تنبت شيئاً"[٣]، "والعَجْزُ: أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره... وصار في العرف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة، وأعجزته وعجّزته وعاجزته: جعلته عاجزاً"[٤]، وجاء في معنى الأعجاز "الفوت والسبق، يقال أعجزت فلان، أي فاتني... إذا عجزت عن طلبه وإدراكه"[٥] و"المعجزة: واحد معجزات الأنبياء"[٦]، وبالتالي فإن المعاني الواردة في المعجزة تدل على ضعف الخصم وتأخره وعدم قدرته على المواجهة بالشيء المتحدى به.

ب- **المعجزة اصطلاحاً**: إطلاق لفظ (المعجزة) على ما يأتي به النبي لإظهار صدقه في دعواه للنبوة لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا على ألسنة الأئمة المتقدمين وإنما الذي ورد لفظ الآية، والبينة، والبرهان[٧].

وبهذا يتبين أن لفظ (المعجزة) لفظ متأخر قُرن بما يدعيه صاحب النبوة من دلائل تظهر صدقه، ولهذا عَرّف العلماء (المعجزة) بتعريفات مختلفة ترجع في معناها إلى مفهوم واحد، ومن هذه التعريفات ما يلي:

- قال الجرجاني في تعريف المعجزة أنها: "أمر خارق للعادة، داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله"[٨].

---

[١]- الصحاح للجوهري ٣/٨٨٣-٨٨٤.

[٢]- المحيط في اللغة لابن عباد ١/٢٤١.

[٣]- المصدر السابق ١/٢٤٢.

[٤]- بصائر ذوي التمييز -في لطائف الكتاب العزيز- لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ٤/٢٢، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة ط ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

[٥]- تهذيب اللغة للأزهري ١/٣٤٠.

[٦]- الصحاح للجوهري ٣/٨٨٤.

[٧]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١١/١٧٢، الجواب الصحيح لابن تيمية ٤/٦٧-٧١،النبوات لابن تيمية ص٣١٣، لوامع الأنوار للسفاريني ١/٢٩٠، الرسل والرسالات د. الأشقر ص١٢٢.

[٨]- التعريفات للجرجاني ص٢٤٩.

- قال السيوطي في تعريفه للمعجزة هي: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة"[١].
- أو كما قال البيهقي: "إن كل رسول أرسله الله تعالى إلى قومٍ، فلم يُخلّه من آية أيدَّه بها، وحجةٍ آتاها إياه، وجعل تلك الآية مخالفة للعادات، إذ كان ما يريد الرسول إثباته بها رسالة الله عز وجل أمراً خارجاً عن العادات ليستدل باقتران تلك الآية بدعواه أنه رسول الله"[٢].
- وقال اللقاني في المعجزة هي: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة"[٣].

ثانياً: الرد على قول الأحباش (السبيل إلى معرفة النبي المعجزة)

يستدل الحبشي على نبوة النبي بالمعجزة، ويجعلها الشاهد والدلالة على صدقه في دعواه، يقول الحبشي: "اعلم أن السبيل إلى معرفة النبي المعجزة"[٤]، وفي موضع آخر يقول: "بالمعجزة يعرف النبي، فما من نبي إلا وكانت له معجزة، ومعنى المعجزة العلامة الشاهدة التي تشهد أن هذا الإنسان الذي يقول عن نفسه إنه نبي الله أنه نبي وأنه صادق"[٥]، ويقول أيضاً: "ثم إذا ادعى واحد رسالة في زمان جوازها وهو قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يجب قبوله بدون معجزة "[٦]، ويقول الحبشي إن "الله خصّ الأنبياء بالمعجزات التي هي خارقات للعادات وتفسيرها أنها أمر يظهر بخلاف العادة على يد من ادعى النبوة عند تحدي المفكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله، وذلك لأنه لولا التأييد بالمعجزة لما بان الصادق في دعوى الرسالة عن الكاذب أي أنه بالمعجزة يتبين النبي من المتنبي"[٧].

مما سبق بيانه يظهر اتباع الحبشي لطريقة المتكلمين في تقرير نبوة الأنبياء من خلال المعجزات، وجعلها السبيل الوحيد لمعرفة صدق النبي، ويؤكد هذا المنحى عند الحبشي عندما تحدث عن نبوة الأنبياء لم يذكر دليل سوى المعجزة، والذي يشار إليه في هذا الجانب "أن

١- الإتقان للسيوطي ٣/٤.

٢- شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ١٥٢/١، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣- شرح جوهرة التوحيد للقاني ص١٣٣.

٤- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٢٩٩.

٥- الشرح القويم للحبشي ص٢٩٩.

٦- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٦٦.

٧- المطالب الوفية للحبشي ص١٣٥.

المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات"[1]، وبالتالي فإن دلائل النبوة غير محصورة في المعجزة فقط مع صحتها، ولكن هناك دلائل أخـر لا تقـل أهميـة عـن المعجزة، ولبيان هذا الأمر وتوضيحه أمثل على دلائل نبوة سيدنا محمـد -صـلى الله عليـه وسلم- بأشياء غير معجزاته الباهرة -صلى الله عليه وسلم- مثل:

أولاً: تبشير الأمم السابقة بنبوة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-:

بشارات الأمم السابقة بسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- كثيرة ومتعـددة حيـث إن القرآن الكريم ذكر أن سيدنا محمداً -صلى الله عليه وسلم- مـذكور فـي الكتـب السـماوية السابقة، ومعلوم لدى الأمم السابقة من خلال إخبار أنبيائهم بمقدم سيدنا محمد -صلى الله عليـه وسلم- ونبوته، يقول تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَـابٍ وَحِكْمَـةٍ ثُـمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْـرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** [آل عمران:٨١]، وجـاء عـن الإمـام الطبري في تفسيره للآية قوله: "وكان تأويل الكلام:وإذ اخذ الله ميثاق النبيين من أجـل الـذي أتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول، يعني: ثم إن جاءكم رسول يعني ذكـر محمـد فـي التوراة لتؤمنن به، أي ليكون إيمانكم به للذي عندكم في التوراة من ذكره"[2]، ومن بشـارات الأنبياء السابقين بنبوة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الواردة في القرآن قولـه تعـالى: **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَـا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْـتَ التَّـوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُـزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** البقرة١٢٧-١٢٩، وجاء في تفسير قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِـيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾** [البقرة:١٢٩]، (وهذه دعوة إبراهيم وإسماعيل لنبينا محمد -صـلى الله عليـه وسلم- خاصة وهي الدعوة التي كان نبينا -صلى الله عليه وسلم- يقـول: "أنـا دعـوة أبـي إبراهيم وبشرى عيسى"[3])[4]، ويقول ابن كثير في تفسير الآية السـابقـة: "يقـول تعـالى إخباراً عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولاً مـنهم أي مـن ذريـة

---

[1]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥٠.

[2]- جامع البيان للطبري ٢٣٥/٣-٢٣٦.

[3]- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقول الله عز وجل (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) الفتح٢٩، وقوله (من بعدي اسمه أحمد) الصف٦، ح٣٥٣٢، ١٩٦/٤، مسند الإمام أحمد ١٢٨/٤، ٢٦٢/٥.

[4]- جامع البيان للطبري ٤٣٥/١.

إبراهيم وقد وافقت هذه الدعوى المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد -صلوات الله وسلامه عليه-

هذه الدعوى المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد -صلوات الله وسلامه عليه-رسولاً في الأميين إليهم وإلى سائر الأعجميين من الأنس والجن"[1].

وأيضاً من البشارات الواضحة بشارة عيسى -عليه السلام- في سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ [الصف:٦]، وجاء في تفسير هذه الآية: (التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد، فعيسى -عليه السلام- وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد قام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، وما أحسن ما أورده البخاري... عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد"[2])[3].

ومن البشارات التي جاءت تبشر بنبوة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- من غير المعجزات ما جاء في الكتب السابقة مثاله: ما جاء في سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، فقرة (٢٠) "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه: ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يلد واجعله أمة كبيرة "[4]، وجاء في ترجمة التوراة السامرية "وفي إسماعيل استجبت منك هو ذا باركته وأثمره وأكثره جداً جداً اثنا عشر رئيساً يولد وسأجعله شعباً عظيماً"[5].

وأيضاً من البشارات الواضحة في سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ما جاء في سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثون فقرة (١): (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران)[6] ويفسر هذا النص بالتالي: أن "أن سيناء هي الموضع الذي كلم الله فيه موسى، وسعير الموضع الذي أوحى الله فيه لعيسى، وفاران جبال مكة، حيث أوحى الله

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٤/١.

٢- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن -باب قوله تعالى (من بعدي اسمه أحمد) ح٤٨٩٦، ٧٤/٦، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه -صلى الله عليه وسلم- ح٢٣٥٤، ١٨٢٨/٤، سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في أسماء النبي، ح٢٨٤٠، ١٣٥/٥، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٩/٤-٣٦٠.

٤- الكتاب المقدس -أسفار العهد القديم- ص٢٥، الناشر: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ط ١٩٩٦م.

٥- ترجمة التوراة السامرية لأبي الحسن الصوري، إعداد الكاهن: عبد المعين صدقه السامري ص٢٠، الناشر: مطبعة النصر -نابلس- ط ١٩٧٨م -مخطوط-.

٦- الكتاب المقدس -أسفار العهد القديم- ص٣٣٤.

لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وكون جبال فاران هي مكة دلت عليه نصوص من التوراة، وقد جمع الله هذه الأماكن المقدسة في قوله تعالى: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**﴾ [التين: ١-٣]"[١].

ومن البشارات الواردة في العهد الجديد ما جاء في إنجيل متى الإصحاح الحادي عشر فقرة (١٤): (وأن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي من له أذنان للسمع فليسمع)[٢]، ومن المعلوم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا "أنه ليس بينه وبين عيسى نبي، فيكون إيليا الذي بشر به عيسى هو محمداً -صلى الله عليه وسلم- وإيلياء بحساب الجمل الذي أغرقت به اليهود يساوي محمداً"[٣].

ثانياً: النظر في أحوال الأنبياء:

وهنا التركيز على صدق النبي وأمانته من خلال اعتراف خصومه -صلى الله عليه وسلم- بهذا، وقد شهر عنه -صلى الله عليه وسلم- في بداية دعوته لقريش عندما جمعها وسألهم بقوله: "أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذاباً"[٤]، وأيضاً: ما حصل بين هرقل وأبي سفيان عندما كتب النبي -صلى الله عليه وسلم- كتاباً لهرقل لكي يسلم، فعندما وصل كتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لهرقل، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام، فبعث هرقل إلى أبي سفيان ومن معه ليسألهم عن أحوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وعندما جاءوا إليه طلب هرقل أقرب القوم إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فكان أبو سفيان، ثم طلب من الآخرين عندما يسأله إن كذب أن يكذبوه، وحصل هناك حوار طويل بينهما، ثم قال هرقل في خاتمة حديثه مع أبي سفيان: "فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم،فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه،ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه"[٥].

---

[١]- الرسل والرسالات د. الأشقر ص١٦٩، وانظر: الجواب الصحيح لابن تيمية ٢٩٩/٣-٣٠٠.

[٢]- الكتاب المقدس -أسفار العهد الجديد- ص١٩.

[٣]- الرسل والرسالات د. الأشقر ص١٧٦.

[٤]- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة (تبت يدا أبي لهب وتب)، ح٤٩٧١، ١١٤/٦، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) ح٢٠٨، ١٩٣/١-١٩٤.

[٥]- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب، ح٦/٧،١-٧، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ح٢٩٤١، ٣/٤-٦.

ثالثاً: النظر في دعوة الرسل:

وعند النظر إلى دعوة الرسل نجدها دعوة تقوم علـــى توحيــد الله ســبحانه وتعــالى ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ [النساء:٣٦]، وجميع دعــوات الأنبيــاء دون اســتثناء جاءت لتهذيب النفوس، وتطويعها، وإصلاحها لتكون عنصراً فاعلاً في المجتمع.

وجاءت هذه الدعوات لنشر الفضائل والقيم بين أفراد المجتمع ليكون مجتمعاً متضامناً متكافلاً كالجسد الواحد والبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً؛ ومن جاء لنشر مثل هذه القــيم والفضائل يحتاج إلى منهج رباني يسير عليه ويطبقه، وبالتالي لا بد أن يكون أوحي إليه هــذا المنهج من عند الله، وبهذا تثبت نبوة النبي بخلاف المعجزات[١].

رابعاً: تأييد الله لرسله ونصره لهم:

ومما يدلل على صدق الأنبياء فيما يقولونه عن الله، نصرة الله سبحانه وتعــالى لهــم، بحيث لو كانوا كاذبين لبين الله سبحانه وتعالى عدم صدقهم أمام أقــوامهم، ولكــن الحاصــل خلاف ذلك حيث أن الله سبحانه وتعالى يؤيدهم بكل موطن وفي كل مكان تأييداً وتأكيداً علـــى صدقهم. وما سبق بيانه يجمله شارح الطحاوية بقوله: "ونحن اليوم إذا علمنـــا بـــالتواتر مـــن أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم علمنا يقينا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعـــددة: منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم. ومنها: مـــا أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه كغرق فرعـــون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم، عُرف صدق الرسل، ومنها: أن من عَرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك مـــن كـــذاب جاهل، وأن فيما جاءوا به من المصلحة والرحمة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم، ومنع ما يضرهم ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم برّ يقصد غاية الخير والمنفعة للخلــق"[٢]، وهذا يبين دون أدنى شك نبوة الأنبياء، وأن هذه النبوة لم تقتصر على المعجزات بـــل تعـــدتها لأمور أخر، وبذلك يظهر حَجْر الحبشي وتضيقه على واسع، بحيث جعل دلائل النبوة تقتصـــر على المعجزة، وهذا مخالف لمنهج السلف الذين عدّوا مجموعة من الدلائل على نبوة الأنبيـــاء والرسل ولم يقتصروها على المعجزة، وهذا ما يؤكده شـــيخ الإســـلام ابـــن تيميـــة بقولـــه: "والمقصود هنا أن دلائل نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- كثيرة ومتنوعة... وبينـــا أن مـــن

---

[١]- انظر: الرسل والرسالات د. الأشقر ص٢٠٢-٢٠٣، الجواب الصحيح لابن تيمية ٣٣/٤.

[٢]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥٦-١٥٧.

يخصص دلائل نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- بنوع فقد غلط بل هي أنـواع كثيـرة "[١]
وهذا هو منهج السلف أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: الأمور التي تخرج عن كونها معجزة:

بعد أن وافق الحبشي أهل السنة والجماعة في تعريفه للمعجزة بأنها: "أمر خارق للعـادة يأتي على وفق دعوى من ادعوا النبوة، سالم عن المعارضة بالمثل"[٢]، يـذكر الأمـور التـي تخرج عن كونها معجزة، ومن هذه الاستثناءات التي يذكرها الحبشي ما يلي:

١- "ما كان من الأمور عجيباً، ولم يكن خارقاً للعادة، فليس بمعجز"[٣].
٢- "وكذلك ما كان خارقاً لكنه لم يقترن بدعوى النبوة كالخوارق التـي تظهـر علـى أيـدي الأولياء أتباع الأنبياء، فإنه ليس بمعجزة بل يسمى كرامة"[٤].
٣- وأيضاً: "ليس من المعجزة ما يستطاع معارضته بالمثل كالسحر فإنـه يعـارض بسـحرٍ مثله"[٥] ويوضح هذا الأمر بقوله: "السحر لا يسمى معجزة لأن السحر يستطيع أن يعمـل ساحرٌ آخر مثله، أما المعجزة لا يستطيع المعارضون أن يفعلوا مثلها"[٦].
٤- أن تكون المعجزة قد قيدت "بدار التكليف وهي الدنيا، ليخرج الخارق للعادة في العُقبـى"[٧] أي عند قيام الساعة.
٥- ألّا يكون المستدل به مكذباً لمدعي النبوة مثلاً: "بأن قال دليل صحة نبـوتي شـهادة هـذا الحجر لي بذلك فأنطق الله الحجر بتكذيبه، لا يكون معجزة بل يكون دليل كذبه في دعـواه النبوة "[٨].

إن ما ذكره الحبشي من أمور تخرج عن كونها معجزة، ليس فيها ما يخالف علماء أهل السنة والجماعة، حيث ذكروا أشياء مشابهة لما ذكره الحبشي، ومما ذكره العلماء فـي الأمور التي تخرج عن كونها معجزة ما يلي:

---

[١]- التفسير الكبير لابن تيمية ١٤٨/٢، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: الكتب العلمية، بيـروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
[٢]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٦.
[٣]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٠٠.
[٤]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٠١.
[٥]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٠١.
[٦]- الشرح القويم للحبشي ص٣٠١.
[٧]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٦٦.
[٨]- المصدر السابق ص٦٦-٦٧.

١- أن تكون المعجزة مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما وجب حصول هذه الشروط للمعجزة حيث لو كان زمان فيه يصح مجيء الرسل، وادعى أحدهم الرسالة وجعل معجزته مثلاً القيام والقعود والمجيء والحركة وما شابهها من أمور يستطيع فعلها جميع الخلق لا تعد معجزة دالة على صدقه[١].
٢- أن تكون المعجزة خارقة للعادة على يد مدعي النبوة، حيث لو قال مدعي النبوة: آيتي مجيء الليل بعد النهار وطلوع الشمس من مشرقها لم تكن معجزة، لأنها أمور حاصلة قبل ادعائه النبوة، ولم تحصل هذه الأمور من أجله[٢].
٣- أن يستشهد بها مدعي النبوة على الله عز وجل فيقول مثلاً: آيتي أن يحرك الله الأرض عند قولي لها: تزلزلي، فإذا تحقق ما أراد حصل مراده[٣].
٤- أن تقع المعجزة وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له، حيث لو ادّعى المدعي أن آية نبوته أن ينطق الحجر بصدقه، فنطق الحجر بتكذيبه، فلا يكون معجزة له مع أنه أمر خارق للعادة، لكنه جاء على غير مراد المدعي بل مكذباً له، وكذلك يروى أن مسيلمة الكذاب -لعنه الله- تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت البئر وفُقد الماء بالكلية من البئر[٤].
٥- ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدّي على وجه المعارضة، فإن أقام الله من يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبياً وخرج عن كونه معجز[٥].
٦- ألا تكون المعجزة في زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها، أو ما يحصل على يد الدجال -بحول الله وقوته- في آخر الزمان كأمره للسماء أن تمطر فتمطر[٦].
٧- أن تكون المعجزة مقرونة بدعوى النبوة بحيث لا تكون متأخرة عنها ولو بزمن يسير كالإرهاصات التي سبقت دعوة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- من إظلال الغمام له قبل البعثة[٧].

---

[١]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٠/١ بتصرف، انظر: إتقان البرهان لعباس ١٠٨/١، المقدمة لابن خلدون ص٧٤.
[٢]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٠/١ بتصرف، انظر: شرح جوهرة التوحيد للقاني ص١٣٣، إتقان البرهان لعباس ١٠٨/١، فتح الباري لابن حجر ٥٨٢/٦، شرح كتاب الفقه الأكبر للقاري ص١١٣.
[٣]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧١/١ بتصرف.
[٤]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧١/١ بتصرف، انظر: شرح جوهرة التوحيد للقاني ص١٣٣، إتقان البرهان لعباس ١٠٨/١، شرح كتاب الفقه الأكبر للقاري ص١١٣، لوامع الأنوار للسفاريني ٢٩٠/٢.
[٥]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧١/١ بتصرف.
[٦]- شرح جوهرة التوحيد للقاني ص١٣٣، انظر: أصول الدين للبغدادي ص١٧١.
[٧]- شرح جوهرة التوحيد للقاني ص١٣٤، لوامع الأنوار للسفاريني ٢٩٠/٢، أصول الدين للبغدادي ص١٧١.

المطلب الثالث: أقسام المعجزة:

يقسم الحبشي المعجزة إلى قسمين: قسم يقع بعد اقتراح من الناس على النبي، وقسم يقع من غير اقتراح، وفي ذلك يقول الحبشي: "والمعجزة قسمان: قسم يقع بعد اقتراح من الناس على الذي ادَّعى النبوة، وقسم يقع من غير اقتراح"[١] ويبين الحبشي المقصود بهذا أن "بعض الأنبياء معجزاتهم تظهر لما يطلب منهم الناس الذين أرسلوا إليهم، وبعض من دون اقتراح يظهر على أيديهم من دون أن يطلب منهم أحد"[٢] ويمثل الحبشي للقسم الأول الذي يقع بعد اقتراح الناس بناقة صالح التي خرجت من الصخرة[٣]، أما القسم الثاني من أقسام المعجزة لم يمثل لها الحبشي.

لقد نالت المعجزة عدة تقسيمات بحسب اعتبارات معينة فمثلاً:

١- الإمام القرطبي قسمها على حسب انقراضها وبقائها فيقول: "فاعلم أن المعجزات على ضربين: الأولى: ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي -صلى الله عليه وسلم- والثاني: ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، واستفاضت بثبوته ووجوده، ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة "[٤]، وبالمعنى نفسه نقل عن ابن تيمية قوله: "لكن الآيات نوعان: منها: ما مضى وصار معلوماً بالخبر كمعجزات موسى وعيسى، ومنها: ما هو باقٍ إلى اليوم كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-"[٥].

٢- ومنهم من قسمها من حيث القول أو الفعل أو الترك، فجاء في (شرح جوهرة التوحيد): "أن تكون قولاً أو فعلاً أو تركاً، فالأول كالقرآن، والثاني: كنبع الماء من بين أصابعه -صلى الله عليه وسلم-، والثالث: كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم"[٦].

٣- ومنهم من قسمها من حيث اعتياد الإنسان فعل مثلها وعدم اعتياده، يقول الإمام عبد القاهر البغدادي: "وبناء على تعريف المعجزة وشروطها فإن المعجزات نوعان: أحدهما: وجود فعلٍ غير معتادٍ فعله، والثاني: تعجيز الفاعل عن فعل شيء معتاد فعله، كمنع زكريا -عليه السلام- عن الكلام ثلاث ليالٍ بعد أن كان معتاداً له للدلالة على صحة ما بُشّر به من الولد. وأما النوع الأول: وهو وجود فعلٍ غير معتادٍ فعله فنوعان أيضاً: أحدهما: لا

---

[١]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٠١.

[٢]- الشرح القويم للحبشي ص٣٠١.

[٣]-انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٧٦، الشرح القويم للحبشي ص٣٠١-٣٠٢.

[٤]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٢/١.

[٥]- التفسير الكبير لابن تيمية ١٤٨/٢.

[٦]- شرح جوهرة التوحيد للقاني ص١٣٣.

يدخل تحت قدرة من هو معجز له وفيه، ولا تحت قدرة غيره من الخلق، ولا يقدر عليه غير الله عز وجل، وذلك مثل: اختراع الألوان والحواس، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص، وقلب العصا حية. والثاني: يدخل تحت قدرة من هو معجزة فيه وله، لا على هذا الوجه الذي أظهره الله عليه، وإن دخل مثل أبعاضه وجنسه تحت قدرة العباد بأن يكتسبوه في أنفسهم، وهذا مثل الكلام المنظوم نظم القرآن في فصاحته وبلاغته المفارقة لبلاغات البلغاء، وإن كان جنس العبارات ومفردات الألفاظ وبعض أنواع التركيب منها مقدوراً للعباد"[١].

٤- ومنهم من قسم المعجزة إلى حسية ومعنوية وجعلوها تنقسم قسمين: فالقسم الأول: المعجزات المادية المرئية أو الملموسة كانشقاق القمر وما شابهها. وأما القسم الثاني: المعجزات المعنوية: وهي المعجزات التي لا تقع تحت بصر الإنسان أو حسه، ولكن يتم إخبار الرسول بها كمعجزة القرآن وهو أعظمها[٢].

٥- ومنهم من قسم المعجزة باعتبار الاقتراح بوقوعها من المرسل أو من المرسل إليهم، وهذا الذي ذكره ابن حجر في قوله عن المعجزة: "لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه بأن يقول إن فعلتُ كذلك أتصدق بأني صادق؟ أو يقول من يتحداه: لا أصدقك حتى تفعل كذا... وقد وقع النوعان للنبي -صلى الله عليه وسلم- في عدة مواطن[٣]، وهذا القسم الأخير شابه إلى حد كبير تقسيم الحبشي للمعجزة؛ وبالتالي إذا كان الأمر اجتهادياً من قبل العلماء في تقسيم المعجزة فلا يوجد في تقسيم الحبشي للمعجزة أي مخالفة.

٦- ومن العلماء من قسمها بحسب الإتيان بما ليس بمعتاد، أو المنع من المعتاد، فجاء عن الإمام الشافعي قوله: "واعلموا أن المعجزة على نوعين: أحدهما: الإتيان بما ليس بمعتاد كقلب العصا حية، واليد بيضاء، وإحياء الموتى، وانفجار الماء من بين الأصابع، والثاني: المنع من المعتاد مع التحدي والدعاء له إلى الانقياد والتغيير لهم بالمخالفة والانقطاع عن المعارضة لجواب"[٤].

---

[١]- أصول الدين للبغدادي ص١٧١-١٧٢ بتصرف.

[٢]- انظر: الإعجاز العلمي في القرآن د. عبد السلام اللوح ص١٧ بتصرف (نقلاً عن: كتاب العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة لمحمد أبو الغيط ومحمد دوّاس)، الناشر: آفاق -غزة، ط الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

[٣]- فتح الباري لابن حجر ٥٨١/٦.

[٤]- الفقه الأكبر للإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، ص٤٧، إعداد: محمد محمود محمد فرغلي، الناشر: مجلة الأزهر، -بدون رقم طبعة- ط جمادى الأولى ١٤٠٦هـ.

الفصل الرابع

الغيبيات عند الأحباش

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عذاب القبر ونعيمه عند الأحباش.

المبحث الثاني : اليـــوم الآخر عنـــد الأحباش.

المبحث الثالث : القضاء والقـــدر عند الأحباش.

مدخـــل: لعلـــم الغيـــــب

أولاً: تعريف الغيب لغةً واصطلاحاً:

أ- الغيب لغةً:

ومما جاء في معاجم اللغة في تعريف الغيب أن "كل مكان لا يُدْرَى ما فيه فهو غيب، وكذلك الموضعُ الذي لا يُدْرَى ما وراءه وجمعه غيوب"(1) والغيبُ هو "كل ما غاب عنك"(2) ويقال: "وقعنـــا في غَيْبَةٍ وغَيابةٍ أي: في هبطةٍ من الأرض"(3) وفي المعنى يتحدث صاحب (جمهرة اللغـــة) بقولـــه: "والغيب من الأرض كل ما غيبك، والجمع غُيوب وكل ما غيبك فهو غيب وغيابه كل شيء ســترك ومنه قوله تعالى: ﴿فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ [يوسف:١٥،١٠]، وغاب القمر وغيره غُيُوباً وغاب الإنســـان غَيْبَةً ومغْيباً، وغيبّت الشيء إذا سترته"(4)، وبالتالي يرجع معنى الغيب في اللغة للستر والخفاء الــذي لا يرى ولا يعرف إلا بعد ظهوره أو الإخبار عنه.

ب- الغيب اصطلاحاً:

هو "الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل"(5)، أو ما جاء عـــن الإمـــام الآلوسي قوله: "ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقل، فمنه ما لم ينصب عليه دليل وتفرد بعلمه اللطيف الخبير سبحانه كعلم القدر مثلاً، ومنه ما نصب عليه دليل كـــالحق تعـــالى وصـــفاته العلا"(6).

ثانياً: علم الغيب عند الأحباش:

يرى الأحباش وجوب الإيمان بعلم الغيب سواء ما أتى منها كالإخبار عن الأمم الســـابقة وبدء الخلق، أو الإخبار عما يأتي في المستقبل في الدنيا وفي الآخرة، يقول الحبشي في ذلـــك: "إنه يجب الإيمان بهذه المذكورات لثبوتها خبراً عن رسول الله -صـــلى الله عليـــه وســـلم"(7)، ويظهر موقف الحبشي من علم الغيب من خلال عدم إجازته الذهاب إلى الكهان الذين يـــدعون

1- تهذيب اللغة للأزهري ٢١٤/٨.

2- مجمل اللغة لابن فارس ص٦٨٨، وانظر: المحيط في اللغة لابن عباد ١٤٤/٥.

3- مجمل اللغة لابن فارس ص٦٨٨-٦٨٩.

4- جمهرة اللغة لابن دريد ٢٠٩/٣.

5- التعريفات للجرجاني ص١٨٥.

6- روح المعاني للآلوسي ١٢٤/١.

7- المطالب الوفية للحبشي ص١٦١.

علم الغيب، فيقول: "الكاهن هو الذي يتعاطى الإخبار عن الحوادث في المستقبل، ويدعي معرفة الأسرار، ومطالعة علم الغيب سواء اعتمد على أخبار الجن، أو النظر في النجوم ويسمى هذا منجماً، أو اعتمد على أسباب ومقدمات هم يدعونها فيما بينهم كل هؤلاء تصديقهم حرام، والذهاب إليهم لسؤالهم حرام، وإعطاء المال لهم أجرة على إخبارهم حرام"[1]، وبهذا يظهر منهج الحبشي في عدم جواز إدعاء علم الغيب ومعرفته.

ومما سبق بيانه يتبين أن الحبشي لم يخالف السلف في الإيمان بالغيب، حيث جاء في معنى الغيب في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ [البقرة:٣]، عن السلف مثل ابن عباس قوله: "بما جاء منه يعني من الله جل ثناؤه"[2]، ويوضح قول ابن عباس ما جاء عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار، وما ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن"[3]، ويذكر ابن كثير في تفسيره أقوالاً للسلف عن المقصود بالغيب من أمور غائبة عن العباد من الجنة والنار، وما ذكر في القرآن والقدر إلى غير ذلك من الأمور ثم يعلق عليها بقوله: "فكل هذه متقاربة في معنى واحد لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به"[4]، ويقول السعدي صاحب تفسير (تيسير الكريم) في الغيب قوله: "ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك"[5].

وعندما منع الحبشي الذهاب إلى الكهان لعدم علمهم بالغيب وافق السلف بهذا، حيث جاء عن الإمام الطحاوي قوله: "ولا نصدق كاهناً ولا عَرَّافاً، ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة"[6]، وأيضاً جاء عن شارح الطحاوية قوله: "والواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والقالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك"[7]،وهذا مصداق لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-:"من أتى عرّافاً

---

[1] - المطالب الوفية للحبشي ص١٥٢.

[2] - جامع البيان للطبري ٧٨/١.

[3] - المصدر السابق ٧٨/١.

[4] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١/١.

[5] - تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٢٤.

[6] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٥٠٢ -المتن-.

[7] - المصدر السابق ص٥٠٤.

فسأله عن شيء، لم يقبل له صلاة أربعين ليلة"[1] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة في المعنى نفسه.

المبحث الأول: عذاب القبر ونعيمه عند الأحباش:

المطلب الأول: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه عند الأحباش:

يؤمن الأحباش بعذاب القبر ونعيمه في الحياة البرزخية، حيث يثبت الحبشي عذاب القبر بأدلة متعددة من الكتاب والسنة وأشهرها عذاب آل فرعون مستدلاً بقوله تعالى:﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:٤٦]، فيعلق الحبشي على الآية بقوله:"يخبر الله تبارك وتعالى أن آل فرعون أي أتباعه الذين اتبعوه على الكفر والشرك يعرضون على النار عرضاً من غير أن يدخلوها حتى يمتلئوا رعباً"[2].

ويبين الحبشي بعض أنواع العذاب في القبر كضغطة القبر على الميت فيقول: "ومن جملة عذاب القبر ضغطة القبر حتى تختلف الأضلاع، وهذا للكفار وبعض أهل الكبائر من المسلمين كمن لا يتجنب البولَ وليس لكل صغير وكبير كما قال به بعض العلماء"[3].

عن وقوع العذاب فيرى الحبشي أن عذاب القبر يقع على الكفار، وأما على عصاة المسلمين من أهل الكبائر الذين ماتوا قبل التوبة، فيصنفهم الحبشي إلى صنفين: "صنف يعفيهم الله من عذاب القبر، وصنف يعذبهم ثم ينقطع العذاب ويؤخر لهم بقية عذابهم إلى الآخرة "[4].

أما عن نعيم القبر فيرى الحبشي أنه لا بُدّ من"الإيمان بنعيم القبر فإنه -صلى الله عليه وسلم- أخبر بذلك أيضاً"[5]،وبالتالي فإن الحبشي يثبت نعيم القبر للمؤمن التقي الذي أطاع الله سبحانه وتعالى.

منهج الأحباش في إثبات عذاب القبر ونعيمه موافق لما عليه سلف الأمة، حيث إن السلف أثبتوا ذلك، يقول الإمام الشافعي: "واعلموا أن عذاب القبر لمن يكون أهل العذاب، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ [غافر:٤٦]، ومعلوم أنهم لا

---

[1] - صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ح٢٢٣٠، ٤/١٧٥١.

[2] - الشرح القويم للحبشي ص٣٢٠، انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٨٤.

[3] - الشرح القويم للحبشي ص٣٢١، انظر: بغية الطالب للحبشي ص٢٣.

[4] - الصراط المستقيم للحبشي ص٨٤،انظر:الشرح القويم للحبشي ص٣٢١،المطالب الوفية للحبشي ص١١٨.

[5] - بغية الطالب للحبشي ص٢٣، انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٨٦، الشرح القويم للحبشي ص٣٢٣، ص٣٢٩، المطالب الوفية للحبشي ص١١٨-١١٩.

يعرضون على النار قبل الموت وهم على ظهر الأرض وفي القيامة لا غدو ولا عشي، ولأنه تعالى بين حكم القيامة ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:٤٦]، قلت: إنهم يعرضون على النار في قبورهم،وقد روي ذلك في الأخبار أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول

في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ومن عذاب القبر لا إله إلا أنت)(١)"(٢).

ومن الأحاديث التي جاءت في إثبات عذاب القبر، ما جاء عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن هذه الأمة ستبتلى في قبورها فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا من عذاب النار تعوذوا من عذاب القبر"[٣]، وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر"[٤].

وجاء عن الإمام أحمد "الإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتن في قبورها وتسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه؟ ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله عز وجل وكيف أراد. والإيمان به والتصديق به"[٥]، ويقول الإمام ابن عبد البر: "الإقرار بعذاب القبر، ولا خلاف بين أهل السنة في جواز تصحيحه، واعتقاد ذلك والإيمان به"[٦]، وفي موضع آخر يقول عن عذاب القبر: "والآثار في هذا متواترة، وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك، ولا ينكره إلا أهل البدع"[٧].

١- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، ح٥٠٩٠، ٣٢٤/٤، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ح١٣٧٧، ٢٢٥/٢، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ح٥٨٨، ٤١٢/١.

٢- الفقه الأكبر للإمام الشافعي ص٦٤-٦٥.

٣- كتاب السنة لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، باب عذاب القبر، ح٨٦٨ ص٤٠٧، قال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤- كتاب السنة لأبي عاصم الشيباني، باب في عذاب القبر، ح٨٧٠، ص٤٠٨، قال الألباني: إسناده صحيح.

٥- شرح الأصول للالكائي ١٥٨/١.

٦- التمهيد لابن عبد البر ١٨٦/١٢.

٧- المصدر السابق ٢٤٧/٢٢.

أما عن النعيم في القبر فهذا يظهر جلياً من قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حق المؤمن: "فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسح له في قبره مَدُّ بصره، قال: ويأتيه رجل حسنُ الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: ابشر بالذي يسرُّك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا ربّ، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي" [١]، وجاء عن الإمام الطحاوي قوله: "والقبر روضة من رياض الجنة" [٢].

أما عن قول الحبشي أن آل فرعون "يعرضون على النار عرضاً من غير أن يدخلوها حتى يمتلئوا رعباً"[٣]، فقد خالف جمهور علماء السلف من المفسرين فمثلاً الإمام الطبري يقول في قوله تعالى:﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ [غافر:٤٦]،حيث يذكر في ذلك قولين: أحدهما: قوله: "يقول تعالى ذكره مبيناً سوء العذاب الذي حل بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله النار يعرضون عليها، أنهم لما اهلكوا وأغرّقهم الله جعلت أرواحهم في أجواف طير سود فهي تعرض على النار كل يوم مرتين غدواً وعشياً إلى أن تقوم الساعة"[٤] ثم يذكر الطبري الآثار المروية في ذلك، وأما القول الثاني يذكره بصيغة التضعيف قوله: "وقيل عني بذلك أنهم يعرضون على منازلهم في النار تعذيباً لهم غدواً وعشياً"[٥]، ويذكر آثراً واحداً في ذلك عن قتادة -رحمه الله-، ثم يرجح الإمام الطبري القول الأول فيقول: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال أن الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً"[٦]، ويعلق على الأثر المروي عن قتادة بقوله: "ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعنى به فليس في ذلك إلا ما دل عليه ظاهر القرآن وهو أنهم يعرضون على النار غدواً وعشياً"[٧]، ويقول أيضاً: ابن كثير في قوله تعالى: ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾

---

[١]- مسند الإمام أحمد ٢٨٧/٤-٢٨٨، يقول الحافظ في الفتح (٢٨٢/٣): وهو أعم الأحاديث سياقاً، ويقول شارح لمعة الاعتقاد ص١١٣: حديث صحيح، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ح١٣٧٤، ١٢٥/٢ (بنحوه)، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، ح٢٨٧٠، ٢٢٠٠/٤-٢٢٠١ (بنحوه).

[٢]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٣٩٦.

[٣]- الشرح القويم للحبشي ص٣٢٠.

[٤]- جامع البيان للطبري ٤٦/٢٤.

[٥]- المصدر السابق ٤٧/٢٤.

[٦]- المصدر نفسه ٤٧/٢٤.

[٧]- المصدر نفسه ٤٧/٢٤.

[غافر:٤٥]، "وهو الغرق في اليم، ثم النقلة إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار"[١].

ومن كتب التفسير المعاصرة مثل (التفسير المنير) يقول صاحبه في قوله تعالى:﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا**﴾ [غافر:٤٦]، "أي يحرقون بها، فإن عرضهم على النار إحراقهم بها، مأخوذ من قولهم: عرض الحاكم الأسارى على السيف إذا قتلهم به﴿**غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ صباحاً ومساءً، وذكر هذين الوقتين يفيد التأبيد والدوام، مادامت الدنيا... والمعنى: أن أرواح الكفار وهم في القبور تعرض على النار صباح مساء أي تحرق بها، مما يدل على بقاء النفس وثبوت عذاب القبر"[٢].

وأما عن قول الحبشي "ومن جملة عذاب القبر ضغطة القبر حتى تختلف الأضلاع، وهذا للكفار وبعض أهل الكبائر من المسلمين"[٣]، وهذا الذي ذهب إليه الحبشي مخالف لما عليه جمهور أهل السنة والجماعة، فمثلاً جاء عن شارح الفقه الأكبر قوله: "وضغطة القبر أي تضيقه حق حتى للمؤمن الكامل"[٤]، ومن العلماء الذين فسروا القول في هذه المسألة الإمام السيوطي، حيث ورد في كتابه (شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور) قوله: "باب ضمة القبر لكل أحد"[٥]، والإمام ابن حجر العسقلاني أثبت ضمة القبر لكل ميت عندما سُئل في ذلك فقال: "نعم صح أن القبر يضم كل ميت"[٦]، ومن الأدلة على ذلك ما جاء في السنة، حيث جاء في الأحاديث أن القبر ضم سعد بن معاذ، وهو الذي تحرك لموته عرش الرحمن، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، فقد ورد في سنن النسائي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في حق سعد بن معاذ عند موته: "هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء،

---

[١] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨١/٤.

[٢] - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د. وهبة الزحيلي ١٢٧/٢٤، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط ١٤١٨هـ-١٩٩٨م -بدون رقم طبعة-.

[٣] - الشرح القويم لحبشي ص٣٢٠.

[٤] - شرح الفقه الأكبر للقاري ص١٤٩.

[٥] - شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ص١٠٧، الناشر: دار المدني، جدة -بدون رقم طبعة- ط ١٩٨٥م.

[٦] - فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني (قسم العقيدة)، تحقيق ودراسة: محمد تامر ص٧٧، الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضمّ ضـمة، ثـم فـرج عنـه"[١]، وجـاء فـي مسـند الإمام أحمد عن عائشة -رضي الله عنها- أن الرسـول -صـلى الله عليـه وسـلم- قـال: "إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها لنجا سعد بن معـاذ"[٢]، بـل ممـا يـدل علـى مـا سبق أن الضغطة في القبر لازمة لكـل إنسـان حتـى الصـبيان، مـا جـاء فـي المعجـم الكبير للطبراني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لـو أفلـت أحـد مـن ضـمة القبر لأفلت هذا الصبي"[٣]. ومما جاء عـن السـلف فـي إثبـات ضـمة القبـر، مـا نقلـه الإمام السيوطي عن أبي القاسم السعدي في كتـاب (الـروح) لـه: "لا ينجـو مـن ضـغطة القبر صالح ولا طالح، غيـر أن الفـرق بـين المسـلم والكـافر دوام الضـغطة للكـافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره، ثـم يعـود إلـى الأنفسـاح لـه فيـه. قال: والمراد بضغطة القبر التقـاء جانبيـه علـى جسـد الميـت"[٤]، وجـاء عـن الحكـيم الترمذي[٥] في كتابه (نوادر الأصول): "سبب هذه الضغطة أنه مـا مـن أحـد إلا وقـد ألَـمّ بخطيئة ما، وإن كان صالحاً، فجعلـت هـذه الضـغطة جـزاء لـه ثـم تدركـه الرحمـة، ولذلك ضغط سعد بن معاذ في التقصـير مـن البـول"[٦]، وحكـى الإمـام النسـفي[٧] فـي كتابه (بحر الكلام): "المؤمن المطيـع لا يكـون لـه عـذاب القبـر، ويكـون لـه ضـغطة

١- سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ضمة القبر وضغطته، ح٢٠٥٥، ١٠٠/٤-١٠١ (تحقيق: أبو غـدة)، وقال الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح -لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي- ٤٩/١، وسنده صحح على شرط مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢- مسند الإمام أحمد ٩٨/٦، قال الألباني في صحيح الجامع (٤٣٥/١): صحيح.

٣- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،ح٣٨٥٨،٤/١٢١،تحقيق:حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر:مكتبة ابن تيمية،القاهرة-بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-،قال الألباني في صحيح الجامع (٩٢٩/٢): صحيح، انظر: كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، ح١٤٣٤، ٦٠٢/٢، قال المحقق: إسناده حسن.

٤- شرح الصدور للسيوطي ص١٠٨، انظر: شرح سنن النسائي للسيوطي ١٠٠/٤.

٥- **الحكيم الترمذي**: محمد بن علي بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذي (أبو عبدالله) محدث، حافظ، صوفي. سمع الكثير بخراسان والعراق، وقدم نيسابور وحدث بها، من تصانيفه: الأكيـاس والمغتـربين، نـوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول -صلى الله عليه وسلم-، كان حياً سنة ٣١٨هـ-٩٣٠م،لم يذكر سـنة الميلاد والوفاة. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢٤٥/٢-٢٤٦، معجم المؤلفين لكحالة ٣١٥/١٠.

٦- شرح الصدور للسيوطي ص١١٠، انظر: شرح سنن النسائي للسيوطي ١٠١/٤.

٧- **الإمام النسفي**: ميمون بن محمد بن محمد بن مكحول النسفي، الحنفي (أبو المعين) متكلم، فقيه، أصولي. كان بسمرقند وسكن بخارا، من تصانيفه: التمهيد لقواعد التوحيد، بحر الكلام، ولد سنة ٤١٨هـ، وتـوفي سنة ٥٠٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٣٤١/٧، معجم المؤلفين لكحالة ٦٦/١٤.

القبر، فيجد هول ذلك وخوفه لما أنه تنعم بنعمة الله، ولم يشكر النعمة"[1]، وهذا ما ذهب إليه الإمام القرطبي[2] في تذكرته فقد عنون بقوله: "باب ما جاء في ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحاً"[3]، ثم يذكر العديد من الأحاديث التي تؤكد ما ذهب إليه من ضغط القبر لصاحبه وإن كان صالحاً.

وأما وقوع عذاب القبر عند الحبشي على الكفار فقد أثبته وهذا لا خلاف فيه، وأما على عصاة المسلمين من أهل الكبائر الذين ماتوا قبل التوبة فيصنفهم الحبشي إلى صنفين: "صنف يعفيهم الله من عذاب القبر، وصنف يعذبهم ثم ينقطع عنهم العذاب ويؤخر لهم بقية العذاب إلى الآخرة "[4]، ويلاحظ على الحبشي أنه يذكر هذا التقسيم على التأكيد دون تعليق الأمر بمشيئة الله دون تعليق الأمر بصيغة الجزم بل تعليقه بعفو الله كما ورد عن ابن حجر العسقلاني، بخلاف بعض علماء أهل السنة والجماعة أمثال الإمام ابن حجر عندما سُئل: هل يُعذب العاصي في قبره إلى يوم القيامة؟ فأجاب "أن ذلك يختلف باختلاف كبر المعصية وصغرها، وحصول العفو عن بعض الموتى دون بعض، فقد لا يُعذب بعض العصاة، وقد لا يستمر التعذيب على بعض العصاة وقد يرفع عن بعض"[5]، وهذا امتنان من الله على عبيده لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨]، وخاصة أن هناك نصوصاً تبين أن مرتكب الكبيرة من الذين يعذبون، قال تعالى:﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾ [النساء:٣١]، وقوله تعالى:﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ**﴾ [النجم:٣٢]، وجاء في الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: "الصلوات الخمس والجمعة إلى

لقد ورد عن الإمام السيوطي أثناء نقله لمقولة عن كتاب (بحر الكلام)، أنه أسند المقولة إلى الإمام السبكي في (شرح الصدور) ص١١٠، ومرة أخرى نسب الكتاب إلى الإمام النسفي في (شرح السنن للنسائي) ١٠٣/٤، والصحيح أن هذه المقولة منسوبة للإمام أبي المعين ميمون بن محمد النسفي المتوفى (٥٨٠هـ) في كتابه (بحر الكلام). انظر: كشف الظنون -عن أسامي الكتب والفنون- لمصطفى بن عبدالله القسطنطي الرومي الحنفي، المعروف -بحاجي خليفة- ٢٢٥/١، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

[1] - شرح سنن النسائي للسيوطي ١٠٣/٤، شرح الصدور للسيوطي ص١١٠.

[2] - **الإمام القرطبي**: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، القرطبي، المالكي (أبو عبدالله)، مفسر. توفي سنة ٦٧١هـ، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وغيرها. انظر: شذرات الذهب لابن عماد ٣٣٥/٥، طبقات المفسرين للسيوطي ص٧٩.

[3] - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن نوح الأنصاري القرطبي ص١١٠، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[4] - الصراط المستقيم للحبشي ص٨٤.

[5] - فتاوى الحافظ لابن حجر العسقلاني (قسم العقيدة)، تحقيق ودراسة: محمد تامر ص٤٤-٤٥.

الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر"[1]، ولهـذا كـان الأولـى بالحبشي تعليق أمر العذاب بمشيئة الله وعفوه، لا أن يذكر على سبيل التأكيد لأن هذا الأمر خارج عن معرفة المخلوقين، بل هو خاص بالخالق سبحانه وتعالى.

ويمثل رأي السلف في هذه المسألة ابن القيم -رحمه الله- بقوله: "هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟ فجوابها أنه نوعان: نوع دائم سوى ما ورد في بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بـين النفختين، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا؛ ويدل على دوامه قولـه تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِـيًّا**﴾ [غافر:٤٦]؛ ... النوع الثاني:إلى مدة ثم ينقطـع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة، ثم يزول عنه العذاب وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم...والله سبحانه وتعالى لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه،فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له"[2].

المطلب الثاني: مستقر الأرواح في البرزخ عند الأحباش:

عند الحديث عن مستقر الأرواح في الحياة البرزخية لدى الأحبـاش يبينهـا شـيخهم الحبشي من خلال قوله: "ثم إذا بلي الجسد كله ولم يبق إلا عَجْب الذنب يكـون روح المـؤمن التقي في الجنة،وتكون أرواح عصاة المسلمين أهل الكبائر الذين ماتوا بلا توبة بعد بِلي الجسد فيما بين السماء والأرض، وبعضهم في السماء الأولى، وتكون أرواح الكفار بعد بِلي الجسـد في سجين، وهو مكان في الأرض السفلى، وأما أرواح الشهداء فتصعد أرواحهم فـوراً إلـى الجنة"[3]، ومما سبق بيانه يمكن القول في مستقر الأرواح في البرزخ عند الأحباش كالتالي:

١- روح المؤمن التقي في الجنة.
٢- أرواح عصاة المسلمين من أهل الكبائر الذين ماتوا من غير توبة ما بين السماء والأرض، وبعضهم في السماء الأولى.
٣- أرواح الكفار في سجين في الأرض السفلى.
٤- أرواح الشهداء تصعد فوراً إلى الجنة.

---

[1] - صحيح مسلم،كتاب الطهارة،باب فضل الوضوء والصلاة عقبه،ح٢٣٣، ٢٠٩/١،سـنن الترمـذي،كتاب أبواب الصلاة،باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس،ح٤١٨/٢١٤،١ (بنحوه)، قال أبو عيسى: حـديث حسن صحيح.

[2] - الروح لابن القيم الجوزية ص١١٩-١٢٠، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٠١.

[3] - الصراط المستقيم للحبشي ص٨٦، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٣٢.

ويلاحظ أن الحبشي لم يختلف عن السلف كثيراً فيما أورده في مستقر الأرواح، وممن يبين منهج السلف في هذه المسألة الإمام ابن القيم في كتابه (الروح)، ومن الأقوال التي ذكرها الإمام ابن القيم في كتابه في هذه المسألة ما يلي:

١- أن هناك أرواحا في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في ليلة الإسراء[١].

٢- أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره، كما في المسند عن محمد بن عبدالله بن جحش: (أن رجلاً جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: الجنة، فلما ولى قال: إلا الدين، سارني به جبريل آنفاً)[٢]، وفي هذا المعنى جاء عن صاحب (تسلية أهل المصائب) قوله: "فمن العلماء من ذهب إلى أن أرواح المؤمنين والشهداء في الجنة بشرط أن لا يحبسهم عنها ذنب عظيم، كمظالم العباد ونحوها، فإذا كانوا خالين من ذلك تلقاهم ربهم بالعفو والرحمة"[٣]، وهذا الذي ذكره علماء السلف، خالفهم الحبشي فيه عندما ذكر أن أرواح الشهداء تصعد فوراً إلى الجنة[٤]، وهذا الذي ذكره الحبشي مخالف لما عليه السلف كما سبق بيانه.

وهناك فرق يذكره السيوطي بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين: "أحدهما: أن أرواح الشهداء تخلق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد، فإن الشهداء بدلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله فعوضوا

١- الروح لابن القيم ص١٥٤ بتصرف، انظر: التمهيد لابن عبد البر ٦٤/١١.

٢- مسند الإمام أحمد ١٣٩/٤، ٣٥٠، قال الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية ص٤٠٣: حديث صحيح، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه، إلا الدين،ح١٨٨٥، ١٥٠١/٣ (بنحوه).

٣- تسلية أهل المصائب لأبي عبدالله محمد بن محمد المنجي الحنبلي ص٢٧٩-٢٨٠، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، ط الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٤- الصراط المستقيم للحبشي ص٨٦.

عنها بهذه الأجساد في البرزخ؛ والثاني: أنهم يرزقون من الجنة، وغيرهم لم يثبت في حقه مثل ذلك"[1].

٣- "ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر: (رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة)[2]"[3].

٤- "ومنهم من يكون محبوساً في قبره، كحديث صاحب الشملة[4] التي غلها، ثم استشهد، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره)[5]"[6].

٥- "ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى، فإنها كانت روحاً سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية"[7]، وفي موضع آخر يبين ابن القيم: أن أرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة وينسب هذا القول إلى جماعة من السلف والخلف[8].

أما ما ذكره الحبشي في مستقر أرواح عصاة المسلمين من أهل الكبائر الذين ماتوا من غير توبة أنهم ما بين السماء والأرض وبعضهم في السماء الأولى[9]، لم أجد في كتب السلف التي تحدثت عن هذه المسألة أي رأي يشبهه[10].

---

[1]- شرح الصدور للسيوطي ص٢٥٥.

[2]-مسند الإمام أحمد ١١/٥(بنحوه)،قال الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية ص٤٠٣ عن الحديث:صحيح.

[3]- الروح لابن القيم ص١٥٤، انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٠٣، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٥٥/٢.

[4]- **الشملة**: كساء يُشتمل به، وجمعها شِمال، انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٣٧١/١١.

[5]- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح٤٢٣٤، ٩٥/٥-٩٦ (بنحوه)، وأيضاً: كتاب الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، ح٦٧٠٧، ٢٩٨/٧ (بنحوه)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١٠٧/١ (بنحوه).

[6]- الروح لابن القيم ص١٥٤، انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٠٣، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٥٥/٢.

[7]- الروح لابن القيم ص١٥٤-١٥٥، انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٠٣، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٥٥/٢.

[8]- انظر: الروح لابن القيم ص١٤٤.

[9]- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٨٦.

[10]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٣٥/٤-١٣٧، الروح لابن القيم ص١٢١-١٥٥، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٤٠١-٤٠٤، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٤٦/٢-٥٦، القيامة الصغرى د. عمر سليمان الأشقر ص١٠٢-١٠٤، الناشر: دار النفائس، الأردن، ط التاسعة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

المطلب الثالث: حكم منكر عذاب القبر عند الأحباش:

أطلق الأحباش حكم الكفر على من ينكر عذاب القبر، حيث جاء على لسان شيخهم -الحبشي- في صراطه المستقيم قوله: "ويكفر منكر عذاب القبر لقول الله تعالى:﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:٤٦]"[١]، وبالتالي يكون الحبشي قد خالف أهل السنة والجماعة في حكم منكر عذاب القبر.

ويمثل منهج السلف في الحكم على منكر عذاب القبر ما جاء عن الإمام الآجري في كتابه (الشريعة) عقب ذكره الأحاديث التي توجب الإيمان والتصديق بعذاب القبر، فقال: "ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً"[٢]، ولقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية من أنكر مجموعة من الغيبيات ومن ضمنها الثواب والعقاب في البرزخ بأنه "من أهل البدع"[٣]، ولقد ورد عن الإمام أحمد قوله: "عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل"[٤]، وهذا ابن القيم عندما يذكر أقوال من ينكر عذاب القبر يصفهم بقوله: "أهل البدع والضلال"[٥] وقوله أيضاً: "أهل الحيرة والضلالة"[٦].

والملاحظ أن منهج السلف لا يظهر عليه الميل إلى تكفير منكر عذاب القبر، وإنما اكتفى علماء السلف بإطلاق عبارات التضليل والتبديع وبيان سوء المنقلب وخسران من ينكر عذاب القبر، بل إن هناك من العلماء اعتبر من ينكر عذاب القبر من خلال الاجتهاد لا يكفر، حيث قال صاحب (حاشية إعانة الطالبين): "الاجتهاد فيما لم يقم الدليل القاطع على خلافه كاعتقاد المعتزلة عدم رؤية الباري في الآخرة أو عدم عذاب القبر أو نعيمه فلا يكفرون لأنه اقترن باجتهاد"[٧]، وبالتالي إطلاق عبارات التكفير دون بيان مخالف لنهج السلف.

---

[١]- الصراط المستقيم للحبشي ص٨٧، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٣٦-٣٣٧.

[٢]- الشريعة للآجري ص٣٦٤.

[٣]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٦١/٤.

[٤]- الروح لابن القيم ص٧٦، انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل -في العقيدة- جمع وتحقيق ودراسة: عبد الإله بن سلمان الأحمدي ١٧٧/٢، الناشر: دار طيبة، الرياض، ط الأولى ١٤١٢هـ.

[٥]- الروح لابن القيم ص٧٧.

[٦]- المصدر السابق ص٧٧.

[٧]- حاشية إعانة الطالبين للسيد أبي بكر -المشهور بالسيد البكري بن السيد محمد شطا الدمياطي المصري- ١٣٣/٤-١٣٤، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الثانية ١٣٥٦هـ-١٩٣٨م.

المبحث الثاني: اليوم الآخر عند الأحباش:

المطلب الأول: صفة حشر العباد:

يعتبر الأحباش أن حشر العباد عند قيام الساعة حق، فيقول الحبشي: "والحشر حق"[1]، ويصف الحبشي كيفية حشر العباد بقوله: "وهو أن يجمعوا بعد البعث إلى مكان ويكون على الأرض المبدّلة، وهي أرض مستوية كالجلد المشدود لا جبال فيها ولا وديان، أكبر وأوسع من أرضنا هذه، بيضاء كالفضة، ويكون الحشر على ثلاثة أحوال:

١- قسم طاعمون كاسون راكبون على نوق رحائلها من ذهب وهم الأتقياء.
٢- وقسم حفاة عراة، وهم المسلمون من أهل الكبائر.
٣- وقسم يحشرون ويجرون على وجوههم وهم الكفار"[2]

وافق الأحباش السلف في إثبات الحشر يوم القيامة للعباد وذلك "أن قدرة الله محيطة بعباده تأتي بهم حيثما كانوا، فكذلك علمه محيط بهم، فلا ينسى منهم أحداً، ولا يضلُّ منهم أحداً، ولا يشذُّ منهم أحد، لقد أحصاهم خالقهم تبارك وتعالى وعدَّهم عداً: ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾ [مريم:٩٣-٩٥]، ﴿**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ [الكهف:٤٧]، وهذه النصوص بعمومها تدل على حشر الخلق جميعاً الإنس والجن والملائكة "[3].

أما عن الأرض التي يحشر عليها العباد يوم القيامة، فهي أرض غير هذه الأرض لقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [إبراهيم:٤٨]، ومن الأحاديث التي تبين تبديل الأرض بأخرى يوم القيامة ما رواه مسلم عن ثوبان مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: كنت قائماً عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجاء حَبْر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد -وذكر الحديث وفيه: فقال اليهودي أين يكون الناس : ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**﴾ [إبراهيم:٤٨]؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (هم في الظلمة دون الجسر)[4]، وأيضاً ما روته عائشة -رضي الله عنها- قالت: سُئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قوله تعالى:﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ**

---

[1] - الصراط المستقيم للحبشي ص٨٧.
[2] - المصدر السابق ص٨٧-٨٨، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٤٥-٣٤٦.
[3] - القيامة الكبرى د. عمر الأشقر ص٥٦-٥٧، الناشر: دار النفائس، الأردن، ط الثامنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
[4] - صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق مائهما، ح٣١٥، ٢٥٢/١-٢٥٣.

الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، فأين يكون النـــاس يومئـــذٍ؟ قـــال: (علـــى الصراط)[١]، ويعلق الإمام القرطبي في تذكرته على هذه الأحاديث بقوله: "هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموت تبدّل وتزال ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كـــونهم على الجسر وهو الصراط"[٢].

وأما عن صفة هذه الأرض التي يحشر عليها العباد يوم القيامة فقد جاء عن سهل بـــن سعد قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (يحشر الناس يوم القيامـــة علـــى أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي)[٣]، وجاء في فتح الباري في بيان معنى (عفراء):من العفر أي بياض ليس بناصع أو يميل إلى الحمرة قليلاً أو خالصة البياض؛ أما المقصـــود (بـــالنقي) بفتح النون وكسر القاف، أي الدقيق النقي من النسق والنخال[٤]، ولقد ذكر ابن مسعود قوله في وصف أرض المحشر: "تبدل الأرض أرضاً كأنها الفضة لم يسفك عليها دم حرام، ولم يعمـــل عليها خطيئة"[٥].

أما عن صفة حشر العباد يوم القيامة جاء أحاديث كثيرة تبينها فمـــن هـــذه الأحاديـــث الواردة في هذا الشأن ما رواه ابن عباس عن النبي -صلى الله عليـــه وســـلم- قـــال: "إنكـــم محشورون حفاة عراة غُرْلاً ثم قرأ:**﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَـــاعِلِينَ﴾** [الأنبياء:١٠٤]"[٦]، وما رواه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: "يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة، وصنف ركباناً، وصنف على وجوههم، قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم، قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر علـــى أن يمشـــيهم على وجوههم"[٧]، وما جاء أيضاً عن أبي ذر قال: "إن الصادق المصدوق -صـــلى الله عليـــه

١- صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يـــوم القيامـــة، ح٢٧٩٠، ٢١٥٠/٤.

٢- التذكرة للقرطبي ص٢١٦.

٣- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض، ح٦٥٢١، ٢٤٨/٧، صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة، ح٢٧٩٠، ٢١٥٠/٤.

٤- فتح الباري لابن حجر ٣٧٥/١١.

٥- المصدر السابق ٣٧٥/١١، قال ابن حجر: رجاله رجال الصحيح وهو موقوف، انظـــر: جـــامع البيـــان للطبري ١٦٤/١٣٠.

٦- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:**﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾** [النساء:١٢٥]، وقوله تعالى:**﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾** [النحل:١٢٠]، ح٣٣٤٩، ١٣٢/٣، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، ح٢٨٦٠، ٢١٩٤/٤-٢١٩٥.

٧- سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة بني إسرائيل) ح٣١٤٠، ٣١٤٢/٥، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وسلم- حدثني أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج، فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار، وفوج يمشون ويَسعوْن"[1].

ويلاحظ أن الحبشي وافق علماء السلف إلى حدٍ ما في بيان صفة حشر العباد، حيث وافقهم في القسم الطاعمون الكاسون -كما ورد في الحديث السابق- وإنهم يركبون على نوق رحائلها من ذهب، ذكر الإمام علي -رضي الله عنه- في تفسيره لقوله تعالى:﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا**﴾ [مريم:٨٥]، قوله:"لا والله ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن على نوق لم ترى الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة"[2]، وأما الذين يحشرون على وجوههم وهم الكفار فقد ورد ذكره في الحديث، وأما ما جاء عن الحبشي أن قوماً يحشرون حفاة عراة وهم المسلمون من أهل الكبائر، لم أجد له أثر في الكتب التي تحدثت عن الحشر يوم القيامة والتي بحثت فيها وإنما هذا اجتهاد من الحبشي، والذي يدلل على هذا ما جاء عن الإمام القرطبي في حديثه عن أهل الموقف بعد خروجهم من القبور قوله: "لا يركبون ولا يلبسون إلا من الموقف، وأما إذا خرجوا من القبور فمشاة حفاة عراة غرلاً إلى الموقف بدليل حديث ابن عباس قال: قام فينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بموعظة فقال: (يأيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً)[3]"[4].

ومما سبق بيانه يتبين أن الناس في يوم المحشر يكونون على ثلاثة أقسام -كما جاءت في الأحاديث السالفة الذكر- قسم راكبين طاعمين كاسين وهم في حال ذهابهم إلى الجنة وهم الأتقياء، وقسم مشاة وهؤلاء يكونون قد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وقسم يسحبون على وجوههم إلى النار وهم الكفار، وهذا ما ذهب إليه الإمام السيوطي عندما عنون أحد أبواب كتابه (البدور السافرة) بقوله: "حشر المتقي راكباً، والعاصي ماشياً، والكافر مسحوباً"[5]، أما

[1]- سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب البعث، ح٢٥٨،٤/١١٦(تحقيق: أبو غدة)، مسند الإمام أحمد ١٦٤/٥-١٦٥، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد، انظر: المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ح٣٣٨٩، ٣٩٨/٢-٣٩٩، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

[2]- مسند الإمام أحمد ١٥٥/١، قال الهيثمي: وفيه عبد الرحمن بن اسحق الواسطي وهو ضعيف، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي ٥٥/٧، الناشر: دار الرياض للتراث، القاهرة، -بدون رقم طبعة- سنة النشر ١٤٠٧هـ.

[3]- سبق تخريجه، انظر: ص٢١١.

[4]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٢/١١.

[5]- البدور السافرة في أمور الآخرة لجلال الدين السيوطي ص٥٨، تحقيق: مصطفى عاشور، الناشر: مكتبة القرآن، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

حشر الناس حفاة عراة غرلاً يكون في بداية خروجهم من القبور قبل أن يقضي الله بينهم ويذهب كل إنسان إلى مكانه من جنة أو نار -كما ذكره القرطبي سابقاً-.

المطلب الثاني: الشفاعة:

يثبت الأحباش الشفاعة، ويعتبرونها حقاً حيث يقول الحبشي: "والشفاعة حق"[1]، ويعرف الحبشي الشفاعة بقوله: "وهي سؤال الخير من الغير للغير"[2]، ثم يحدد الحبشي شفاعة نبينا -صلى الله عليه وسلم- لأهل الكبائر من أمته فيقول: "ويشفع نبينا -صلى الله عليه وسلم- لأهل الكبائر من أمته، فقد جاء في الحديث الصحيح: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[3] رواه ابن حبان، أي غير أهل الكبائر ليسوا بحاجة للشفاعة، وتكون لبعضهم قبل دخولهم النار، ولبعض بعد دخولهم النار، وقبل أن تمضي المدة التي يستحقون بمعاصيهم، ولا تكون للكفار، قال الله تعالى:﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى**﴾ [الأنبياء:٢٨]"[4]، وفي المعنى نفسه يقول: إن "الشفاعة في الآخرة لأهل الكبائر يجب الإيمان بها لثبوتها بنص القرآن وبالأحاديث المستفيضة أي المشهورة "[5]، ويقول أيضاً: "وقوله -صلى الله عليه وسلم- (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[6]... ومعناه أن المحتاجين إلى شفاعته -صلى الله عليه وسلم- أهل الكبائر دون غيرهم فإنهم ناجون فليس بهم حاجة إلى الشفاعة "[7]، ويُفصّل الحبشي القول في هذه الجزئية فيقول: "ثم المحتاجون للشفاعة هم أهل الكبائر من المؤمنين أما غير أهل الكبائر فليسوا محتاجين للشفاعة لا في القيامة ولا بعد دخول بعض العباد النار، لأن الأتقياء لا يحصل لهم في الموقف مشقة من حر الشمس، ولا يحصل لهم ألم من جوع وعطش، ولا يحصل لهم تعب من طول الموقف، ولكن يخفف الله عليهم ذلك الوقت الطويل الذي هو قدر خمسين ألف سنة، ويجعلها عليهم أخف من صلاة الفريضة، أما النار فلا يدخلونها فلا حاجة بهم إلى الشفاعة "[8]، ولكن يلاحظ على الحبشي الحيرة، والاضطراب، والتردد في أقواله حيث يثبت شفاعة للرسول -صلى الله عليه وسلم- وهي تخليص أمتة من حر الشمس يوم القيامة فيقول: "يجب الإيمان

---

[1] - الصراط المستقيم للحبشي ص٩١، انظر: الشرح القويم للحبشي ٣٥٩،إظهار العقيدة السنية للحبشي ١٨٤.

[2] - الصراط المستقيم للحبشي ص٩١، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٥٩.

[3] - سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (منه)، ح٢٤٣٥، ٤/٦٢٥، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

[4] - الصراط المستقيم للحبشي ص٩١-٩٢، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٦١-٣٦٢.

[5] - المطالب الوفية للحبشي ص١٢٧.

[6] - سبق تخريجه، انظر نفس الصفحة.

[7] - المطالب الوفية للحبشي ص١٢٧-١٢٨.

[8] - إظهار العقيدة السنية للحبشي ١٨٤.

بالشفاعة التي أدخرها النبي لأمته ومعناها سؤال الخير... والشفاعة في الآخرة تكون لتخليص الناس من حر الشمس يوم القيامة وهذه لسيدنا محمد"[1].

وبعد أن يتحدث الحبشي عن شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- لأهل الكبائر يقول: "ومع هذا يقول بعض العلماء أن للرسول شفاعات أخرى"[2].

تعريف الحبشي للشفاعة تعريف صحيح ولكن هناك ما هو أصح منه حيث يذكر السفاريني ذلك في كتابه (لوامع الأنوار) بقوله هي: "سؤال الخير للغير كذا عرفها بعضهم، والحق أنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر فكان الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له"[3] وكذا قال شارح العقيدة الواسطية[4]، وهناك من العلماء من عرفها بقوله: "التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة "[5].

وأما جعل الحبشي أن شفاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- خاصة لأهل الكبائر من أمته[6]، وأحياناً يتعدى ذلك ويثبت شفاعة أخرى للرسول -صلى الله عليه وسلم- وهي تخليص الناس من حر الشمس يوم القيامة[7]، فإن كان الحبشي يثبت هاتين الشفاعتين من ضمن بقية الشفاعات الأخرى التي أثبتها السلف فهذا شيء صحيح، ولكن إن قصر شفاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- على هاتين الشفاعتين أو على إحداهما فهذا غير صحيح وذلك لثبوت الشفاعات الأخرى عنه -صلى الله عليه وسلم-، والذي عليه الحبشي في إثبات الشفاعة الأمر الثاني وهو تحديد شفاعته -صلى الله عليه وسلم- لأهل الكبائر وأحياناً يتعداها بإثبات شفاعته لتخليص الناس من حر الشمس؛ والدليل على اعتقاد الحبشي فيما يثبت من الشفاعة قوله: "إن المحتاجين إلى شفاعته -صلى الله عليه وسلم- أهل الكبائر دون غيرهم فإنهم ناجون فليس بهم حاجة إلى الشفاعة "[8]، وقوله أيضاً: "أما غير أهل الكبائر فليسوا محتاجين للشفاعة، لا في القيامة ولا بعد دخول بعض العباد النار..."[9]، أما الذي عليه السلف

---

[1] - الشرح القويم للحبشي ص٣٦٠.
[2] - المصدر السابق ص٣٦٢.
[3] - لوامع الأنوار للسفاريني ٢/٢٠٤.
[4] - شرح العقيدة الواسطية لهراس ص١٠٥.
[5] - شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص١٢٨.
[6] - انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٩١-٩٢.
[7] - انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٦٠.
[8] - المطالب الوفية للحبشي ص١٢٧-١٢٨.
[9] - إظهار العقيدة السنية ص٣٦٠.

في إثبات شفاعاته -صلى الله عليه وسلم- ما ذكره شارح الطحاوية بقوله: "الشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع:

- **النوع الأول**: الشفاعة الأولى، وهي العظمى، الخاصة بنبينا -صلى الله عليه وسلم- من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين -صلوات الله عليهم أجمعين"[١]، ومن الأحاديث التي تدل على هذه الشفاعة، ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أن الله يجمع الأولين والآخرين في صعيد فيقول الناس بعضهم لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ ويبدأ الناس بالذهاب إلى الأنبياء فيبتدئون بآدم -عليه السلام- فيعتذر عن ذلك، ثم يأتون نوحاً -عليه السلام-، ثم يأتون إبراهيم -عليه السلام- فيعتذر عن ذلك، ثم يأتون موسى -عليه السلام- وأيضاً يعتذر، فيأتون عيسى -عليه السلام- فيعتذر ويرشدهم إلى سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فيأتون إلى سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- "فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه، وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، والذي نفسي بيده لما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرة "[٢]، ويعلق الإمام القرطبي على هذا الحديث بقوله: "هذه الشفاعة العامة التي خُص بها نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- من بين سائر الأنبياء هي المراد بقوله -عليه السلام- (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي)[٣]، الشفاعة لتعجيل الحساب والإراحة من هول الموقف، وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي ليعجل حسابهم، ويراحوا من هول الموقف، وهي الخاصة به -صلى الله عليه وسلم-، وقوله أقوال: (يا رب أمتي، ...أمتي) اهتمام بأمر أمته، وإظهار محبته فيهم، وشفقته عليهم، وقوله: فيقال: يا محمد (أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه) يدل على أنه

---

[١]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٢٩، وانظر: مجموعة الفتاوى ٩٨/٣.

[٢]- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح١٩٤، ١٨٤/١-١٨٦.

[٣]- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ح٦٣٠٥، ١٨٧/٧، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي -عليه السلام- دعوة الشفاعة لأمته، ح١٩٩، ١٨٩/١.

شُفِّع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته، فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم"[1].

- **النوع الثاني**: "شفاعته -صلى الله عليه وسلم- في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة "[2].
- **النوع الثالث**: شفاعته -صلى الله عليه وسلم- "في أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار، أن لا يدخلونها"[3].
- **النوع الرابع**: "شفاعته -صلى الله عليه وسلم- في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها"[4].
- **النوع الخامس**: "الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يجعله من السبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب[5]"[6].
- **النوع السادس**: "الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه"[7]، فقد ذكر عند الرسول -صلى الله عليه وسلم- عمه فقال: "لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضحاح من نار، يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه"[8]، "فإن قيل: فقد قال الله تعالى:﴿**فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾ [المدثر:٤٨]، قيل له: لا تنفع في الخروج من النار، كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها، ويدخلون الجنة "[9].

---

[1] - يوم الفزع الأكبر -مشاهد يوم القيامة وأهوالها- للإمام القرطبي ص١٠٧، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: مكتبة القرآن، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[2] - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢٣٢.

[3] - المصدر السابق ص٢٣٢، انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٢٢/٣،٩٨.

[4] - المصدر السابق ص٢٣٢.

[5] - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ح٢١٦، ١٩٧/١، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (١٦)، ح٢٤٤٦، ٦٣١/٤.

[6] - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢٣٢-٢٣٣.

[7] - المصدر السابق ص٢٣٣.

[8] - صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، ح٣٨٨٣، ٣٨٨٣/٤، صحيح مسلم، كتاب الإيمان،باب شفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم-لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، ح٢٠٩، ١٩٤/١-١٩٥.

[9] - يوم الفزع الأكبر للقرطبي ص١١٣.

- **النوع السابع**: "شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، ...عن أنس -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (أنا أول شفيع في الجنة)[1]"[2].
- **النوع الثامن**: "شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار فيخرجون منها وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث... وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً؛ ومن أحاديث هذا النوع، حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[3]"[4].

وبهذا يتبين مخالفة الحبشي للسلف في إثبات بعض الشفاعات للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وأيضاً يؤخذ على الحبشي ترديده لقوله: "فليس بهم حاجة إلى الشفاعة[5] في حق غير أهل الكبائر يوم القيامة، وهذا كلام معلوم الفساد بما تقدم بيانه من إثبات الشفاعات المختلفة له -صلى الله عليه وسلم- وحاجة الناس الماسة لهذه الشفاعات كما ذكرها علماء أهل السنة والجماعة[6] وأثبتوها للنبي -صلى الله عليه وسلم- وحاجة الخلق لها.

المطلب الثالث: الحساب:

يؤمن الأحباش بمحاسبة الله سبحانه وتعالى للعباد، يقول الحبشي: "الحساب حق"[7]، ويبين الحبشي المقصود بالحساب بقوله: "وهو عرض أعمال العباد عليهم، ويكون بتكليم الله للعباد جميعهم فيفهمون من كلام الله السؤال عما فعلوا بالنعم التي أعطاهم الله إياها فيسر المؤمن التقي، ولا يسر الكافر بل يكاد يغشاه الموت، فقد ورد في الحديث الصحيح:(ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه يوم القيامة،ليس بينه وبينه

[1]- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (أنا أول الناس يشفع في الجنة) وأنا أكثر الأنبياء تبعاً، ح١٩٦، ١٨٨/١.

[2]- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢٣٣، انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٩٨/٣.

[3]- سبق تخريجه، انظر: ص ٢١١.

[4]- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢٣٣، انظر: شرح الأصول للالكائي ١٥٩/١، مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٩٨/٣.

[5]- المطالب الوفية للحبشي ص١٢٨، انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١٨٤.

[6]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١١٣،١١٦/١؛ الشريعة للآجري ص٣٣١-٣٥٢، التذكرة للقرطبي ص٢٨٠-٢٨٨، يوم الفزع الأكبر للقرطبي ص١٠٥-١١٣، البدور السافرة للسيوطي ص١١٦-١٣١، ٢٦٠-٢٦٥، لوامع الأنوار للسفاريني ٢٠٤/٢-٢١٨، شرح العقيدة الواسطية لهراس ص١٠٤-١٠٦، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص١٢٨-١٣٠، القيامة الكبرى د. الأشقر ص١٧٣-١٩١.

[7]- الصراط المستقيم للحبشي ص٨٨، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٤٧.

ترجمان)[1]"[2]، وفي موضع آخر يقول الحبشي: "والإيمان بالحساب وهو عرض أعمال العباد عليهم، والثواب والعذاب. أما الثواب فهو الجزاء الذي يجازاه المؤمن في الآخرة مما يسره، وأما العذاب فهو ما يسوء العبد ذلك اليوم من دخول النار وما دون ذلك"[3].

ومن الملاحظ أن الأحباش وافقوا السلف في مسألة الحساب ولم يخالفوهم فيه، والحساب ثابت "بالسنة والكتاب وإجماع أهل الحق بلا ارتياب، قال تعالى:﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، وقال في حق أدائه:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾ [النمل:٥]، ﴿**وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه**﴾ [الزلزلة:٧-٨] ..."[4]، والمقصود بالحساب "أن الباري سبحانه وتعالى يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف[5] منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذي عينه للخير بالخير، وللشر بالشر"[6]، ويبين الدكتور الأشقر المراد بالحساب والجزاء بقوله: "يراد بالحساب والجزاء: أن يُوقف الحقُّ تبارك وتعالى عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر، واستقامة وانحراف، وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين وبشمالهم إن كانوا طالحين. ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده، وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، وشهادة الشهود ووزن الأعمال. والحساب منه العسير، ومنه اليسير، ومنه التكريم، ومنه التوبيخ، ومنه الفضل والصفح، ومتولي ذلك أكرم الأكرمين"[7]، وعندما يأتي "وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها، فمنهم من يؤتَ كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتَ كتابه بشماله أو من وراء ظهره وهم الأشقياء"[8].

١- صحيح البخاري،كتاب الرقاق،باب من نوقش الحساب عُذِّب، ح٦٥٣٩،٧/٢٥٣،صحيح مسلم، كتاب الزكاة،باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة،وإنها حجاب من النار،ح١٠١٦،٢/٧٠٣-٧٠٤

٢- الصراط المستقيم للحبشي ص٨٨، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٤٧.

٣- بغية الطالب للحبشي ص٢٤، انظر: إظهار العقيدة السنية ص٢٥٣-٢٥٤.

٤- لوامع الأنوار للسفاريني ٢/١٧١.

٥- **يشف**: يزيد، انظر: لسان العرب لابن منظور ٣/٢٢٩١.

٦- يوم الفزع الأكبر للقرطبي ص٧٧.

٧- القيامة الكبرى د. الأشقر ص١٩٣.

٨- التذكرة للقرطبي ص٢٩٤.

والذي عليه سلف الأمة أن الله سبحانه وتعالى يكلم المسلمين عند الحساب من غير ترجمان كما قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان"[1]، وفي ذلك يقول الإمام السيوطي: "يكلم الله المؤمن بلا حجاب ولا ترجمان"[2].

المطلب الرابع: الميزان:

يعتقد الأحباش بوجود الميزان يوم القيامة، ومما جاء على لسان شيخهم الحبشي في وصف الميزان قوله: "الميزان حق، وهو كميزان الدنيا له قصبةٌ، وعامود، وكفتان: كفة للحسنات، وكفة للسيئات توزن به الأعمال يوم القيامة، والذي يتولى وزنها جبريل وميكائيل، وما يوزن إنما هو الصحائف التي كتب عليها الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته فهو من أهل النجاة ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أهل النجاة أيضاً، ولكنه أقل رتبة من الطبقة الأولى وأرفع من الثالثة، ومن رجحت سيئاته على حسناته فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.وأما الكافر فترجح كفة سيئاته لا غير لأنه لا حسنات له في الآخرة لأنه أُطعم بحسناته في الدنيا"[3]، وفي موضع آخر يتحدث الحبشي عن الميزان بقوله: "والإيمان بالميزان أي ما يوزن عليه الأعمال، فالكافر ليس له حسنات يوم القيامة، إنما توضع سيئاته في كفة من الكفتين، وأما المؤمن فتوضع حسناته في كفة وسيئاته في الكفة الأخرى"[4].

يرى الحبشي أنه لا مجال للعقل في تصور كيفية الميزان ووزن الأعمال به، فيقول: "فالميزان هو عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال، والعقل قاصر عن إدراك كيفيته، وهل توزن الأشخاص أو الكتب أو الأعمال ورد بكل ذلك نص فلا مانع من القول بكل ذلك، ومعنى ذلك أنه يمكن أن توزن أحياناً الأشخاص أو أعمالهم وأحياناً الكتب. فإن قيل: كيف توزن الأعمال وهي حركات ونوايا فعلها العبد؟ قلنا: لا مانع عقلاً من ذلك، قالوا: الحسنات تصور بصور حسنة،

---

[1]- سبق تخريجه، انظر: ص٢١٨.

[2]- البدور السافرة للسيوطي ص٢١٣، انظر: التذكرة للقرطبي ص٣٠٥-٣٠٧، لوامع الأنوار للسفاريني ١٧٧/٢.

[3]- الصراط المستقيم للحبشي ص٨٨، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٤٧-٣٤٨.

[4]- بغية الطالب للحبشي ص٢٤-٢٥.

والسيئــات بصور قبيحة، وتوزن هذه، وتوزن هذه، وتوضع هذه في كفة وتلك توضع في كفة "[1] ويقول: "وأما الإيمان بالميزان والوزن فلقوله تعالى:﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأنبياء:٤٧]، وللأخبار الواردة في ذلك، ولم يتعرض العلمــاء لبيــان كيفية الوزن، ومنهم من تعرض لذلك بأن الموزون العمل، ومنهم من قال الموزون الصحائف. ويكفي للإيمان بذلك الاعتقاد بحقية المراد به بدون معرفــة التفاصــيل"[2]، والملاحــظ علــى الحبشي ميله إلى إثبات هذه الأشياء والإيمان بها دون الخوض في تفاصيلها.

لقد وافق الحبشي في الإيمان بالميزان، حيث ورد عن الإمام الشافعي قوله: "واعلمــوا أن الميزان... حق"[3]، وعن الإمام أحمد قوله: "والميزان حق"[4] وقوله أيضاً: "والميزان حــق توزن به الحسنات والسيئات كما شاء أن توزن"[5]، وأيضاً: "والإيمان بالميزان... والتصــديق به والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته"[6]، ومن الأدلة التي استدل بها السلف على وجود الميزان قوله تعالى:﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقوله تعالى:﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِــدُونَ**﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

أما عن وصف الميزان فقد جاء عن شارح الطحاوية قوله: "أن ميزان الأعمــال لــه كفتان حسيتان مشاهدتان"[7]، ويقول صاحب (الاعتقاد) في الميزان: "والميزان له كفتان ولسان يوزن به أعمال العباد"[8]، ويقول شارح (لمعة الاعتقاد) في وصف الميزان: "هو ميزان حقيقي له كفتان"[9]، والذي يدل على ذلك من السنة ما رواه عبدالله بن عمرو، أن رسول الله -صــلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله سيخلِّصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مدُّ البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي

[1]- المطالب الوفية للحبشي ص١٢٠.

[2]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٥٥.

[3]- الثقة الأكبر للشافعي ص٦٥.

[4]- المسائل والرسائل للأحمدي ٢٠٣/٢.

[5]- المرجع السابق ٢٠٣/٢.

[6]- المرجع نفسه ٢٠٣/٢، انظر: شرح الأصول للالكائي ١٥٨/١.

[7]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤١٧.

[8]- الاعتقاد للإمام ابن قداحة المقدسي ص٥٥، تحقيق: عادل عبد المنعم أبو العباس، الناشر: مكتبة القرآن، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[9]- شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص١٢٠، انظر: القيامة الكبرى للأشقر ص٢٤٧.

الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً واحدةً لا ظلم اليوم عليك، فتُخرج له بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم"[١]، ويبين الإمام القرطبي أن هذا الميزان حقيقي "ووصفه بكفتين ولسان وإن كل كفاً منهما طباق السموات والأرض؛ وقد جاء أن كفة الحسنات من نور، والأخرى من ظلام، والكفة النيرة للحسنات، والكفة المظلمة للسيئات"[٢].

ويبين الإمام القرطبي أقسام الناس يوم القيامة، وكيفية وزن أعمال كل قسم فيقول:" قال: علماؤنا -رحمهم الله-: الناس في الآخرة ثلاث طبقات: متقون لا كبائر لهم، ومخلطون وهم الذين يوافقون بالفواحش والكبائر، والثالث الكفار.

فأما المتقون: فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي.

وأما المخلطون: فحسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة[٣] دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار إلا أن يغفر الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات لكثرة ما عليه من التبعات فيحمل عليه من أوزار من ظلمه، ثم يعذب على جميع ذنوبه.

وأما الكافر: فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة، ولا يوجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر الله بهم إلى النار ويعذب كل واحد

---

[١]- سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ح٢٦٣٩،٥/٢٤-٢٥، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، وقال الألباني في تعليقه على الطحاوية ص٤١٨: صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

[٢]- التذكرة للقرطبي ص٣٦٤، وانظر: يوم الفزع الأكبر للقرطبي ص١٩٦-١٩٧.

[٣]- **صؤابة**: بيضة القمل والبرغوت أو ما يتحبَّبُ من الجليد كاللؤلؤ الصغار، والمراد بذلك لو كان مصدر الثقل شيئاً متناهياً في الصغر فإنه يغير من الموقف.انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٥٤/١٢.

منهم بقدر أوزاره وآثامه"[1]، وما ذكره القرطبي في حق الكافر يوافقه فيه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها"[2].

أما الذي يوزن في الميزان يوم القيامة، فقد اختلف أهل العلم في ذلك على ثلاثة أقوال:

-**الأول**: أن الذي يوزن يوم القيامة هي الأعمال نفسها، وهذا الذي يدل عليه حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"[3].

-**الثاني**: أن الذي يوزن يوم القيامة في الميزان هو العامل نفسه، حيث دلت النصوص على أن الذي يوزن هم العباد، فيثقلون في الميزان أو يخفون وذلك حسب أعمالهم لا بحسب ضخامة أجسامهم واكتسائهم باللحم والشحم، فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرءوا ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [الكهف:١٠٥] "[4].

وفي المقابل يؤتى بالرجل النحيف الضعيف فإذا به يزن الجبال، فقد رُوي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- "أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ممّ تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد"[5].

-**الثالث**: أن الذي يوزن يوم القيامة صحائف الأعمال، والذي يدل عليه حديث عبدالله بن عمرو -الذي سبق ذكره- والذي يسمى حديث البطاقة، حيث يقول الله لذلك الرجل الذي يحاسبه على رؤوس الخلائق بعد أن يقرره بذنوبه ومعاصيه "فيقول الله تعالى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك

---

[1]- التذكرة للقرطبي ص٣٦٥-٣٦٦، انظر: يوم الفزع الأكبر للقرطبي ص١٩٧-١٩٨.

[2]- مجموعة فتاوى ابن تيمية ٩٧/٣.

[3]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)،ح٨،٧٥٦٣/٢٧٤.

[4]- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم)، ح٤٧٢٩، ٢٨٠/٥، صحيح مسلم، كتاب صفة يوم القيامة والجنة والنار، ح٢٧٨٥، ٢١٤٧/٤.

[5]- مسند الإمام أحمد ٤٢٠/١-٤٢١، قال الألباني في تعليقه على الحديث في شرح الطحاوية ص(٤١٨): حديث حسن.

لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء"[١].

ولعل الصحيح هو الجمع بين الأقوال الثلاثة في أن الذي يوزن العامل وعمله وصحف أعماله، فقد دلت النصوص السالفة الذكر "أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن، ولم تنف النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن، فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها"[٢]، وهذا الذي مال إليه صاحب (معارج القبول) بقوله: "والذي استظهر من النصوص -والله أعلم- أن العامل، وعمله، وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها"[٣] وأيضاً يقول شارح الطحاوية: "فثبت وزن الأعمال، والعامل، وصحائف الأعمال"[٤].

المطلب الخامس: الثواب والعقاب:

يرى الأحباش أن الإيمان بالثواب والعقاب في الآخرة حق، ويبين الحبشي هذه المسألة بقوله: "الثواب عند أهل الحق ليس بحق للطائعين واجبٍ على الله، وإنما هو فضلٌ منه وهو الجزاء الذي يجازاه المؤمن مما يسره في الآخرة، والعقاب لا يجب على الله أيضاً إيقاعه للعصاة، وإنما هو عدل منه وهو ما يسوء العبد يوم القيامة، وهو على قسمين: أكبر وأصغر، فالعقاب الأكبر هو دخول النار، والعقاب الأصغر ما سوى ذلك كأذى حرّ الشمس يوم القيامة فإنها تسلط على الكفار فيغرقون حتى يصل العرق أحدهم إلى فيه، ولا يتجاوز عرق هذا الشخص إلى شخصٍ آخر، بل يقتصر عليه حتى يقول الكافر من شدة ما يقاسي منها: رب أرحني ولو إلى النار، ويكون المؤمنون الأتقياء تلك الساعة تحت ظل العرش، وهذا معنى حديث (سبعة يظلهم الله في ظله)[٥]"[٦]، ويبين الحبشي المقصود بكلٍ من الثواب والعقاب بقوله: "أما الثواب فهو الجزاء الذي يجازاه المؤمن في الآخرة مما يسره. وأما العذاب فهو ما يسوء العبد ذلك اليوم من دخول النار، وما دون ذلك"[٧].

١- سبق تخريجه، انظر: ص٢٢١.

٢- القيامة الكبرى للأشقر ص٢٥٤.

٣- معارج القبول للحكمي ٢/٢١٦.

٤- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤١٧.

٥- صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، ح٦٦٠، ١/١٨١-١٨٢، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ح١٠٣١، ٢/٧١٥.

٦- الصراط المستقيم للحبشي ص٨٩، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٤٨.

٧- بغية الطالب للحبشي ص٢٤.

وافق الأحباش السلف في موقفهم من الثواب والعقاب بحق العبيد، يقول الإمام الطحاوي: "فإن الله خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه"[١]، وجاء عن ابن القيم -رحمه الله- قوله: "أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى، وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها، وإن كان سبباً"[٢]، وينقل ابن القيم عن بعض علماء السلف قولهم: "النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالمنازل"[٣]، ويبين شارح الطحاوية المقصود بتفضل الله على عبيده بدخول الجنة، وبعدله في عبيده في إدخالهم النار فيقول: "أن الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح فإنه ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا**﴾ [طه:١١٢]، وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى يقول:﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى:٣٠]، وهو سبحانه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، لكن إذا مَنَّ على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح فلا يمنعه موجب ذلك أصلاً، بل يعطيه من الثواب والقرب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك فلانتفاء سببه، وهو العمل الصالح. ولا ريب أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لكن ذلك كله حكمةٌ منه وعدل، فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله. وأما المسببات بعد وجود أسبابها، فلا يمنعها بحال، إذا لم تكن أسباباً غير صالحة، إما لفساد في العمل، وإما لسبب يعارض موجبه ومقتضاه، فيكون ذلك لعدم المقتضي، أو لوجود المانع. وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح، وهو لم يعط ذلك ابتلاءً وابتداءً إلا حكمة منه وعدلاً؛ فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حال كل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل"[٤].

المطلب السادس: الصراط:

يؤمن الأحباش بالصراط، ويتحدث الحبشي عن الصراط، وعن ماهيته، ووظيفته يوم القيامة بقوله: "والصراط حق، وهو جسر عريض ممدود على جهنم تَرِدُ عليه الخلائق، فمنهم من يرده ورود دخول وهم الكفار، وبعض عصاة المسلمين أي يَزِلُّون منه إلى جهنم، ومنهم من يرده ورود مرور فهو في هوائه. فمن هؤلاء من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كطرفة عين.

١- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٢٠ -المتن.

٢- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص٨٨، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٣- المصدر السابق ص٨٨.

٤- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٣١-٤٣٢.

وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، وأحد طرفيه في الأرض المبدَّلة والآخر فيما يلي الجنة... ومما ورد أنه أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعرة كما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري: "بلغني أنه أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السيف"[١]، وليس المراد ظاهره وإنما المراد بذلك أن خطره عظيم، فإن يُسْرَ الجواز عليه وعُسْرَهُ على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك إلا الله"[٢].

وافق الأحباش السلف في الإيمان بالصراط، فقد جاء عن الإمام أحمد قوله: "إن الصراط حق"[٣] ويقول أيضاً: "والصراط حق يوضع على شفير جهنم ويمر الناس عليه، والجنة من وراء ذلك"[٤]، وبذلك قال الإمام السفاريني: "أجزم بثبوت الصراط، فإنه حق ثابت بلا شطاط"[٥]، ويقول شارح الطحاوية: "ونؤمن بالصراط"[٦].

وعن وصف الصراط جاء عن الإمام الشافعي قوله: "وأما الصراط فقنطرة ممدودة على جهنم، وروي في الخبر المشهور: أنها أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف، فمن كان من أهل السعادة عبر عليها كعبور الريح، ويعبر كل واحد من المؤمنين على حسب مراتبه، والكافر لا يمكّن من العبور عليها"[٧]، وأيضاً تحدث ابن تيمية -رحمه الله- عن الصراط وعن كيفية مرور الناس عليه فقال: "والصراط منصوب على متن جهنم -وهو الجسر الذي بين الجنة والنار- يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة "[٨]، وجاء عن ابن القيم في وصف الصراط بقوله: "وهو أدق من الشعرة، وأحَدُّ من الحسام. وهو دحض مزلة، مظلم لا يقطعه أحد إلا بنور يبصر مواطئ الأقدام"[٩].

---

[١]- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح١٨٣، ١٦٧/١-١٧١.

[٢]- الصراط المستقيم للحبشي ص٨٩-٩٠، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٤٩، المطالب الوفية للحبشي ص١٢١-١٢٢.

[٣]- المسائل والرسائل للأحمدي ٢٠٨/٢.

[٤]- المرجع السابق ٢٠٨/٢.

[٥]- لوامع الأنوار للسفاريني ١٨٩/٢.

[٦]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤١٥.

[٧]- الفقه الأكبر للشافعي ص٦٦.

[٨]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٩٧/٣-٩٨.

[٩]- مدارج السالكين -بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- لابن قيم الجوزية ٣٥٧/١، الناشر: دار الفكر -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

ويصف شارح الطحاوية الصراط بقوله: "وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سئل: أين الناسُ يوم تبدّل الأرض غير الأرض؟ فقال: (هم في الظلمة دون الجسر)[1]"[2].

والذي يؤخذ على الحبشي عند حديثه عن الصراط أنه وصف الصراط بأنه "جسر عريض"[3] وهذا خلاف النصوص الصحيحة كالحديث الوارد في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري أنه قال: "بلغني أنه أدق من الشَّعر وأحدُّ من السيف"[4]، وأيضاً ما قاله -صلى الله عليه وسلم- في الصراط: "والصراط كحد السيف، دحض مزلة[5]"[6]، ولهذا يؤول الحبشي حديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري ويدعي أن ظاهره ليس المقصود، بل المقصود الخطر العظيم الذي يتعرض له المار على الصراط حيث يقول: "وليس المراد ظاهره، وإنما المراد بذلك أن خطره عظيم، فإن يُسْرَه الجواز عليه، وعُسْرَه على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك إلا الله"[7]، وهذا الكلام مردود لدى علماء أهل السنة والجماعة، ويبين هذا الأمر الإمام القرطبي عندما يتحدث عمن يؤول الصراط بأن المقصود به اليسر والعسر الذي يلاقيه المار عليه حسب الطاعات والمعاصي، فيعلق بقوله: "ما ذكره القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار، وأن الإيمان يجب بذلك. وأن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك، للآثار الواردة في ذلك وثباتها بنقل الأئمة العدول﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ**

---

[1] - صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، ح٣١٥، ٢٥٢/١-٢٥٣.

[2] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤١٥.

[3] - الصراط المستقيم للحبشي ص٨٩.

[4] - سبق تخريجه، انظر: ص٢٢٥.

[5] - **دحض مزلة**: أي تزلق عنه الأقدام ولا تثبت. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ١٠٥/٢، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

[6] - المستدرك للحاكم ح٣٤٢٤، ٤٠٨/٢، ويعلق الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ،صحيح البخاري،كتاب التوحيد،باب قول الله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)،ح٧٤٤٠، ٢٣١/٨-٢٣٢ (بنحوه)،صحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب معرفة طريق الرؤية، ح١٨٣، ١٦٧/١-١٧١ (بنحوه).

[7] - الصراط المستقيم للحبشي ص٨٩-٩٠.

نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُــورٍ﴾ [النور:٤٠] "[1]، ويرد الإمام السفاريني أيضاً على من يؤول الصراط بقوله: "اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة لكن أهل الحــق يثبتــونه على ظاهـــره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعر، وأنكر هــذا الظــاهر القاضي عبد الجبار[2] المعتزلي وكثير من أتباعه زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكــن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة وإنما المراد طريق الجنة إليه بقوله تعالى: ﴿**سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَــالَهُمْ**﴾ [محمد:٥]، وطريق النار المشــار إليــه بقولــه تعــالى: ﴿**فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾ [الصافات:٢٣]؛ ومنهم من حملــه علــى الأدلــة الواضــحة والمباحثات والأعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها. وكل هذا باطل وخرافات لوجــوب رد النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه. وقد أجاب -صلى الله عليه وسلم- عن سؤال حشر الكــافر علــى وجهه بأن القدرة صالحة لذلك. وأنكر العلامة القرافي[3] كون الصراط أدق من الشعر وأحــدُّ مــن السيف وسبقه إلى ذلك شيخه العز بن عبد السلام[4]، والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصــحاح ممــا لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم فــي جــوازه متفاوتون"[5]، وبهذا يتبين عدم صحة ما ذهب إليه الحبشي، وتأويله للصراط، ووصفه بأوصاف مــن عنده لم تثبت بالشرع.

المطلب السابع: الجنة والنار:

---

[1] - التذكرة للقرطبي ص٣٨٦، انظر: يوم الفزع الأكبر للقرطبي ص٢٢١.

[2] - **القاضي عبد الجبار**: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة أبو الحسن الهمذاني صاحب التصانيف من كبار فقهاء الشافعية، توفي سنة ٤١٥هـ. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/١١٣-١١٥، سير الأعلام للذهبي ١٧/٢٤٤-٢٤٥.

[3] - **القرافي**: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبدالله الصنهاجي الأصل، البهنسي، المشــهور بــالقرافي (شهاب الدين، أبو العباس) فقيه، أصولي، مفسر، ومشارك في علوم أخرى، ولد بمصر سنة ٦٢٦هــــ، وتوفي سنة ٦٨٤هـ. انظر: معجم المؤلفين لكحالة ١/١٥٨.

[4] - **العز بن عبد السلام**: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمي، الدمشقي، الشافعي، المعروف بابن عبد السلام (عز الدين أبو محمد) فقيه، مشارك في الأصول والعربية، ولد سنة ٥٧٧هـ، وتوفي سنة ٦٦٠هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٣٠٢، شذرات الذهب لابن عماد ٥/٣٠١-٣٠٢، معجم المؤلفين لكحالة ٥/٢٤٩.

[5] - لوامع الأنوار للسفاريني ٢/١٩٢-١٩٣.

ويرى الحبشي أن "الجنة حق، فيجب الإيمان بها وأنها مخلوقة الآن كما يفهم ذلك من القرآن والحديث، وهي فوق السماء السابعة ليست متصلة بها وسقفها عرش الرحمن"[١]، وفي موضع آخر يقول عن الجنة أن: "وجودها ثابت وهي مخلوقة الآن... والجنة فوق السماء السابعة منفصلة عنها بمسافة بعيدة ولها أرضها المستقلة وسقفها عرش الرحمن كما أخبر بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه البخاري: (إذا سألتم الله -الجنة- فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن)[٢]"[٣].

أما بالنسبة للنار فيعتقد الحبشي أن "النار حق، فيجب الإيمان بها وبأنها مخلوقة الآن كما يفهم ذلك من الآيات والأحاديث الصحيحة وهي مكان أعده الله لعذاب الكفار الذي لا ينتهي أبداً، وبعض عصاة المسلمين؛ ومكانها تحت الأرض السابعة من غير أن تكون متصلة بها"[٤]،و بالمعنى نفسه يقول في (بغية الطالب): "والإيمان بالنار أي جهنم، أي بأنها مخلوقة الآن ولا تزال باقية إلى ما لا نهاية له"[٥].

ويتحدث الحبشي عن الجنة والنار بقوله: "يجب الإيمان بالجنة ودوامها، ونعيمها، والنار ودوامها، ودوام عقابها، فالجنة أعدت للمتقين لإيمانهم على التأبيد، والنار أعدت للكافرين جزاءً لكفرهم على التأبيد، قال تعالى:﴿**جَزَاءً وِفَاقًا** ﴾ [النبأ:٢٦]"[٦].

وافق الحبشي علماء السلف في إثبات الجنة والنار، جاء عن الإمام أحمد قوله: "وإن الله خلق الجنة قبل الخلق، وخلق لها أهلاً، ونعيمها دائم، ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر، وخلق النار قبل خلق الخلق، وخلق لها أهلاً، وعذابها دائم"[٧]، ويقول أيضاً: "والجنة والنار مخلوقتان...، فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار"[٨]، ويقول الإمام ابن عبد البر: "وأما الإقرار بالجنة والنار فواجب مجتمع عليه، ألا ترى أن ذلك مما يكتب في صدور الوصايا مع الشهادة بالتوحيد وبالنبي -صلى الله عليه وسلم-"[٩].

١- الصراط المستقيم للحبشي ص٩٠، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٥٠.

٢- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ح٢٧٩٠، ٢٦٦/٣، وأيضاً: كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم)، ح٧٤٢٣، ٢٢٢/٨.

٣- الشرح القويم للحبشي ص٣٥١.

٤- الصراط المستقيم للحبشي ص١٩١، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٥٧.

٥- بغية الطالب للحبشي ص٢٥.

٦- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٥٥، انظر: المطالب الوفية للحبشي ص١٢٢-١٢٣.

٧- المسائل والرسائل للأحمدي ٢٢٥/٢.

٨- المرجع السابق ٢٢٥/٢.

٩- التمهيد لابن عبد البر ١٩٠/١٢.

ويقول ابن قدامة المقدسي: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان"[١]، ثم يبين سبب خلق الجنة والنار فيقول:"فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه"[٢]، وفي المعنى نفسه يتحدث الإمام الآجري من أعلام السلف-رحمهم الله-عن الجنة والنار بقوله: "اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن القرآن شاهد: أن الله عز وجل خلق الجنة والنار،قبل أن يخلق آدم-عليه السلام- وخلق للجنة أهلاً،وللنار أهلاً، قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام، وذاق حلاوة طعم الإيمان، دل على ذلك القرآن والسنة، نتعوذ بالله ممن كذب بهذا"[٣].

أما عن مكان الجنة والنار، فإن "الجنة في أعلى عليين لقوله تعالى:﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ**﴾ [المطففون:١٨]، وقوله -صلى الله عليه وسلم- في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: "فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض"[٤]؛ والنار في أسفل سافلين لقوله تعالى:﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**﴾ [المطففون:٧]، وقوله -صلى الله عليه وسلم- في حديث البراء بن عازب السابق: "فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى"[٥]"[٦]، وينقل ابن القيم أقوالاً تحدد مكان الجنة والنار بدقة، فينقل عن ابن عباس أنه قال: "الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة، وجهنم في الأرض السابعة "[٧]، وأيضاً ينقل عن مجاهد قوله: "قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سموات، قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة "[٨]، وهذه النقول التي يقوم بنقلها ابن القيم، لا يعلق عليها بتضعيفها ولا ينقضها أو يقول بخلافها، بل يسردها دون ذكر أي شيء، وهذا يدل على موافقته لما في هذه النقول.

وهذا ما ذهب إليه الإمام السفاريني في لوامع الأنوار بعد ذكره للأحاديث التي تدلل على ذلك ويعلق عليها بقوله: "والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش، وأن النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد"[٩]، وبهذا يكون الحبشي وافق علماء السلف في مكان وجود الجنة والنار.

---

[١]- الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص٥٧.

[٢]- المصدر السابق ص٥٨، انظر معارج القبول للحكمي ٢٢٢/٢.

[٣]- الشريعة للآجري ص٣٨٧.

[٤]- سبق تخريجه، انظر: ص٢٠٢ ــ جزء من حديث طويل ــ.

[٥]- سبق تخريجه، انظر: ص٢٠٢.

[٦]- شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص١٣٢-١٣٣.

[٧]- حادي الأرواح لابن القيم ص٦٩.

[٨]- المصدر السابق ص٦٩.

[٩]- لوامع الأنوار للسفاريني ٢٣٩/٢.

المبحث الثالث: القضاء والقدر عند الأحباش:

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر والإيمان به:

يبين الحبشي المقصود بالقدر من خلال قوله: "قال بعض العلماء: القــدر هــو تــدبير الأشياء على وجهٍ مطابق لعلم الله الأزلي، ومشيئته الأزلية، فيوجدها في الوقت الذي علم أنهــا تكون فيه فيدخل في ذلك عمل العبد الخير والشر باختياره ويدل عليه ما جاء في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى جبريل حين سأله عن الإيمان: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[١] رواه مسلم، ومعناه: أن المخلوقــات التي قدّرها الله تعالى وفيها الخير والشر وجدت بتقدير الله الأزلي، وأما تقدير الله الــذي هــو صفة ذاته فهو لا يوصف بالشر، فإرادة الله تعالى نافذةٌ في جميع مراداته على حسب علمه بها فما علِمَ كونه أراد كونه في الوقت الذي يكون فيه، وما علم أنه لا يكون لم يرد أن يكون.

فلا يحدث في العالم شيء إلا بمشيئته، ولا يصيب العبد شيء من الخير أو الشرِّ أو الصحة أو المرض أو الفقر أو الغنى أو غير ذلك إلا بمشيئة الله تعالى، ولا يخطئ العبدَ شيء قدّر الله وشاء أن يصيبه"[٢].

ويرى الحبشي أنه لا بد من الإيمان بالقدر فيقول الحبشي: "والإيمان بالقدر خيره وشــره"[٣] ثــم يبين المقصود بذلك فيقول: "ومعنى ذلك أن كل ما دخل في الوجود من خيرٍ وشــرٍ هــو بتقــدير الله الأزلي، فالخير من أعمال العباد بتقدير الله ومحبته ورضاه، والشر من أعمال العبــاد بتقــدير الله لا بمحبته ورضاه، قال تعالى:﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ [الأنفال:٢٤]"[٤].

ويعتقد الحبشي أن العباد "منساقون إلى فعل ما يصدر عنهم باختيــارهم لا بــالإكراه والجبر"[٥]؛ يقول الحبشي في تعذيب العصاة وإثابة المطيعين من قِبــل الله: "إن الله تعــالى إذا عذب العاصي فبعدله من غير ظلمٍ، وإذا أثاب المطيع فبفضله من غير وجوب، لأن الظلم إنما يتصور ممن له آمر وناهٍ، ولا آمر ولا ناهي له، فهو يتصرف في ملكه كما يشاء لأنه خــالق الأشياء ومالكها"[٦].

١- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة وبيان النبي -صلى الله عليه وسلم- له، ح٥٠، ٢٢/١.

٢- الصراط المستقيم للحبشي ص٥٣-٥٤.

٣- بغية الطالب للحبشي ص٢٧.

٤- المصدر السابق ص٢٧.

٥- الصراط المستقيم للحبشي ص٥٧.

٦- المصدر السابق ص٥٨.

وافق الحبشي السلف في تعريفه للقضاء والقدر وإن كان اقتصر في تعريفه على القدر؛ ومما ورد عن علماء أهل السنة والجماعة في تعريف القدر ما يلي:

- عرفه الإمام السفاريني بقوله: "ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[١].
- وقال الإمام ابن حجر في تعريفه للقدر: "المراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته"[٢].
- ويقول الأمير الصنعاني في تعريفه للقدر: "فاعلم أن القدر يراد به تقدير الله سبحانه ما سيفعله هو، وما سيفعله المخلوقون على مقتضى علمه تعالى بتلك الواقعات عند حضور وقتها، فلها وقت تقدير وكتاب سابق ووقت وقوع لاصق، سابق لذلك"[٣].
- ويُعرّف الإمام الأزهري القضاء والقدر بقوله: "هو علم الله السابق في خلقه، وقد كتبه عليهم، فهم صائر إلى علمه وكل ميسر لما خلق له"[٤].

والملاحظ أن هذه تعريفات متقاربة المعنى فيما بينها، وتشتمل على أمرين:

"الأول: علم الله الأزلي الذي حكم فيه بوجود ما شاء أن يوجده....

والثاني: إيجاد ما قدر الله إيجاده على النحو الذي سبق علمه وجرى به قلمه، فيأتي الواقع المشهود مطابقاً للعلم السابق المكتوب"[٥].

أما بالنسبة للقضاء، فقد ذكر الدكتور الأشقر في أن للعلماء في التفرقة بين القضاء والقدر قولين:

"الأول: القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق؛... والثاني: عكس القول السابق، فالقدر هو الحكم السابق، والقضاء هو الخلق"[٦].

---

[١]- لوامع الأنوار للسفاريني ٢٤٨/١.

[٢]- فتح الباري لابن حجر ١١٨/١.

[٣]- كتاب إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص٣٥٣، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلّان، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

[٤]- تهذيب اللغة للأزهري ٥٩/١١.

[٥]- القضاء والقدر د. عمر الأشقر ص٢٦، الناشر: دار النفائس، الأردن، ط الثانية ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

[٦]- المصدر السابق ص٢٧.

وكذلك وافق الحبشي السلف في اعتقاده بالقدر خيره وشره، حيث جاء عن الإمام أحمد قوله: "ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها، ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان لا يقال لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها؛ ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله، فقد كفى ذلك وأحكم له فعليه الإيمان به والتسليم له مثل حديث الصادق المصدوق وما كان مثله في القدر"[1] وأيضاً يقول: "فمن لم يؤمن بالقدر ورده فقد ضاد الله عز وجل في أمره، ورد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما جاء به وجحد القرآن وما أنزل الله عز وجل"[2]، وأيضاً قوله: "ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، وحلوه ومره"[3].

والإمام ابن عبد البر يدعو إلى الإيمان بالقدر وهذا يظهر من خلال قوله: "قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩]، وقال:﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير:٢٩]، فليس لأحد مشيئة تنفذ، إلا أن تنفذ منها مشيئة الله تعالى، وإنما يجزى الخلق فيما سبق من علم الله. والقدر سر الله لا يدرك بجدال، ولا يشفى منه مقال، والحجاج فيه مرتجة، لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء وغلقه، وقد تظاهرت الآثار وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار، الطيبين الأبرار، بالاستسلام والانقياد والإقرار، بأن علم الله سابق، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت:٤٦]"[4]، وهذا الذي ذكره الإمام ابن عبد البر يوافقه الحبشي عندما يقول: "فلا يحدث في العالم شيء إلا بمشيئته، ولا يصيب العبد شيء من الخير أو الشر أو الصحة أو المرض أو الفقر أو الغنى أو غير ذلك إلا بمشيئة الله تعالى، ولا يخطئ العبدُ شيء قدّر الله وشاء أن يصيبه"[5]، وفي المعنى ذاته يقول أيضاً ابن عبد البر في (الاستذكار) في تعليقه على حديث تحاج آدم وموسى -عليهما السلام-: "وفي هذا الحديث دليل على أن الله عز وجل قد سبق في علمه ما يكون، وأنه في كتاب مسطور، جرى القلم فيه بما يكون إلى آخر الأبد، وأن العباد لا يعلمون إلا فيما قد علمه الله عز وجل وقضى به وقدّره"[6].

---

[1] - شرح الأصول للالكائي ١٥٧/١.

[2] - المسائل والرسائل للأحمدي ١٣٩/١.

[3] - المصدر السابق ١٣٩/١.

[4] - التمهيد لابن عبد البر ١٣/٢-١٤.

[5] - الصراط المستقيم للحبشي ص٥٤.

[6] - الاستذكار -الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار- لابن عبد البر ٨٥/٢٦، مراجعة وتدقيق وترقيم د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: مؤسسة الرسالة، دمشق، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

وما ذكره الحبشي من أن الخير والشر وجد بتقدير الله أي خلقه الله، ولكن التقدير الذي هو صفة ذاته لا يوصف بالشر، ومن أن إرادة الله نافذة في جميع مخلوقاته[1]، وأن الخير من أفعال العباد بمحبة الله ورضاه، ومن أن الشر من أفعال العباد لا بمحبته ورضاه[2]، وأيضاً فإن الله إذا عذب العصاة فبعدله من غير ظلم، وإن أثاب المطيعين فبفضله من غير وجوب[3]، وهذا الذي سبق يبينه ابن تيمية -رحمه الله- عندما سئل في جماعة اختلفوا في قضاء الله وقدره، وخيره وشره، فمنهم من يرى أن الخير من الله تعالى والشر من النفس فأجاب -رحمه الله- بقوله: "مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى خالق كل شيء، وربه ومليكه لا رب غيره، ولا خالق سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، والعبد مأمور بطاعة الله، وطاعة رسوله، منهي عن معصية الله، ومعصية رسوله، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقاً للذم والعقاب، وكان الله عليه الحجة البالغة، ولا حجة لأحد على الله تعالى وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ومشيئته وقدرته، لكن يحب الطاعة ويأمر بها، ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم، ويبغض المعصية وينهى عنها، ويعاقب أهلها ويهينهم، وما يصيب العبد من النعم، فالله أنعم بها عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه، كما قال تعالى:﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى:٣٠]، وقال تعالى:﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾ [النساء:٧٩]، أي ما أصابك من خِصْب[4] ونصر وهدى فالله أنعم به عليك، وما أصابك من حزن وذل وشر بذنوبك وخطاياك، وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه"[5].

ويعلق الإمام النووي -رحمه الله- على أحاديث القدر في صحيح مسلم بقوله: "وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها"[6]، وفي المعنى ذاته يقول الإمام البخاري -رحمه الله- : "وأن الخير والشر بقدر لقوله تعالى:﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ [الفلق:١]، ولقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات:٩٦]، ولقوله تعالى:﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩]"[7]، وبالتالي فإن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ومن ضمنها

---

[1]- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٥٤.

[2]- انظر: بغية الطالب للحبشي ص٢٧.

[3]- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٥٨.

[4]- **خصب**: نقيض الجَدْب، وهو كثرة العُشب، ورفَاغَةُ العين. انظر: لسان العرب لابن منظور ١١٧٠/٢.

[5]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٤٠/٨.

[6]- شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٩/١٦-١٥٠.

[7]- شرح الأصول للالكائي ١٧٥/١.

الخير والشر فهما من ضمن مخلوقاته، لكن لا ينسب الشر إلى الله سبحانه وتعالى لتنزه عنـه سبحانه، وهذا ما وضحه ابن القيم -رحمه الله- عندما تحدث عن امتناع إطلاق الشر على الله تعالى نفياً وإثباتاً فقال: "وإن الصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الرب تعالى لا وصفاً ولا فعلاً، ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه، وإنما يـدخل في مفعولاته بطرق العموم كقوله تعالى:﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ [الفلـق:١-٢]، ... أي من شر الذي خلقه أو من شر مخلوقه"[١]، ويقول في موضع آخر: "وهو سـبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، وخلقه وفعله وقضاؤه خيـر كله"[٢].

وأخطأ الحبشي عندما فسر قوله تعالى:﴿**بِيَدِكَ الْخَيْرُ**﴾ [آل عمران:٢٦]، بمعنى بيـدك الخير والشر، فإن الله نسب إلى نفسه الخير في الآية ولم ينسب الشر،فقال في (الشرح القويم): "فإن قيل: أليس الله تبارك وتعالى قال:﴿**بِيَدِكَ الْخَيْرُ**﴾ [آل عمران:٢٦]، اقتصر علـى ذكـر الخير ولم يقل والشَّرُ فكيف يجوز أن يقال إنه خالق الخير والشر، فـالجواب: فـي مواضـع أخرى من القرآن ما يفيد أن الله تعالى خالق كل شيءٍ، والشيء يشمل الخير والشر"[٣].

ورد ابن القيم -رحمه الله - مثل هذا القول وخطأه فقال: "وأخطأ من قـال: المعنـي بيدك الخير والشر، لثلاثة أوجه: أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف بل ترك ذكره قصداً أو بياناً أنه ليس بمراد، الثاني: أن الذي بيد الله نوعان: فضل وعدل، كما في الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "يمين الله ملأى لا يغيضها[٤] نفقة سحَّاء[٥] الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع"[٦]، فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى، وكلاهما خير لا شر فيه بوجه. الثالث: أن قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لبيك وسعديك والخير في يديك والشـر لـيس إليـك"[٧]

---

[١] - شفاء العليل -في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل- لابن قيم الجوزيـة ص٤٧٧-٤٧٨، تعليـق: إبراهيم أحمد عبد الحميد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

[٢] - المصدر السابق ص٣٢٧.

[٣] - الشرح القويم للحبشي ص٢٠٧.

[٤] - **يغيضها**: ينقص. انظر: لسان العرب لابن منظور ٣٣٢٦/٤.

[٥] - **سحَّاء**: أي دائمة الصَّبِّ والهطل بالعطاء. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الجزري ٣٤٥/٢.

[٦] - صحيح البخاري،كتاب التوحيد،باب (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم)،ح٧٤١٩،٢٢١/٨.

[٧] - صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامـه، ح٧٧١، /٥٣٤-٥٣٦، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب (٣٢)، ح٣٤٢٢، ٤٨٦/٥-٤٨٧، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

كالتفسير للآية، ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه وقطع إضافة الأخرى إليه من إثبات عموم خلقه لكل شيء"[1]، وفي هذا الكلام لابن القيم لفتة بأن عقاب العصاة يكون بعدل الله من غير ظلم، وإثابة المطيعين بفضل الله من غير وجوب، وهذا موافق لما قاله الحبشي[2]، وهذا القول موافق لما عليه السلف فقد جاء عن الإمام الطحاوي قوله: "فإن الله تعالى خلق الجنة والنار، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدّران على العباد"[3].

ولقد وافق الحبشي السلف عندما قرر أن الخير من أفعال العباد وهي بمحبة الله ورضاه وأن الشر من أفعال العباد بغير محبته ورضاه ونصه "فالخير من أعمال العباد بتقدير الله ومحبته ورضاه، والشرّ من أعمال العباد بتقدير الله لا بمحبته ورضاه"[4]، حيث قال الإمام ابن القيم في بيان قوله تعالى:﴿**كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا** ﴾ [الإسراء:٣٨]، "فأخبر أنه يكره ويبغض ويمقت ويسخط ويعادي ويذم ويلعن ومحال أنه يحب ذلك ويرضى به، فهو سبحانه يكرهه ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضى به، بل لا يليق ذلك بعبده فإنه نقص وعيب في المخلوق أن يحب الفساد والشر والظلم والبغي والكفر ويرضاه، فكيف يجوز نسبة ذلك إلى الله"[5]؛ ويبين الإمام أبو حنيفة أن الطاعات كلها ما كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضاه ولا بأمره[6].

واتفق السلف أن كل كائن في هذا الوجود هو بمشيئة الله تعالى وإرادته رضيه أم لم يرضه، أمر به أم لم يأمر به، فالشرور والقبائح وإن كان لا يحبها ويبغضها وينهى عنها ويغضب من مرتكبها، إلا أنها بمشيئة الله تعالى وكونها بمشيئته لا يستلزم ذلك محبته ورضاه لكل ما شاءه وقدره[7].

---

[1]- شفاء العليل لابن القيم ص٤٧٨-٤٧٩.

[2]- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٥٨.

[3]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٢٠ -المتن.

[4]- بغية الطالب للحبشي ص٢٧.

[5]- شفاء العليل لابن القيم ص٤٩٣-٤٩٤.

[6]- شرح الفقه الأكبر للقاري ص٨٣ -المتن- بتصرف.

[7]- انظر: طريق الهجرتين لابن القيم ص١٥٥، مدارج السالكين لابن القيم ٢٥٣/١-٢٥٥.

المطلب الثاني: مسألة الجبر:

أولاً: تعريف الجبر لغةً واصطلاحاً:

أ- **لغة**: يرجع الجبر في اللغة إلى ثلاثة أصول[١]:

- **الأصل الأول**: من الإصلاح فالجَبْرُ: "أن تغني الرجل من فقر أو تُصلح عظمهُ من كسر"[٢] وجاء في المحيط في اللغة: "والجَبْرُ: أن تجبر كسراً، جَبَرْتُه مَجبُرَ وجَبَرَ"[٣].

- **الأصل الثاني**: من الإكراه والقهر: فيقال: "أجبرته على الأمر: أكرهته عليه"[٤]، ومأخوذة من "الإجبار: أن تجبر الإنسان على ما لا يريد وتكرهه، وجَبَرْتُه بمعنى أجبرته"[٥]، ويقول الأزهري: "جعل جباراً في صفة العباد من الإجبار وهو القهر والإكراه لا من (جَبَرَ)"[٦].

- **الأصل الثالث**: من العز والامتناع: "قال الله عز وجل:﴿**إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ**﴾ [المائدة:٢٢]، ...أراد الطول والقوة والعِظم، والله أعلم بذلك -يقول الأزهري- قلت: كأنه ذهب به إلى الجبار من النخيل، وهو الطويل الذي فاتَ يد المتناول"[٧].

ومما سبق بيانه يظهر أن الجبر يعود إلى عدة معانٍ وهي مأخوذة من الإصلاح أو من الإكراه والقهر، أو من العز والامتناع.

ب- اصطلاحاً: ويقصد بالجبر: "هو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى"[٨].

ولهذا فإن الجبر "إفراط في تفويض الأمر إلى الله تعالى بحيث يصير العبد بمنزلة الجماد، لا إرادة له ولا اختيار"[٩].

وهناك من العلماء من قسم الجبرية إلى قسمين: جبرية "متوسطة تثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية، وخالصة لا تثبت كالجهمية"[١٠].

---

[١]- شفاء العليل لابن القيم ص٢٣٢.

[٢]- الصحاح للجوهري ٦٠٧/٢.

[٣]- المحيط في اللغة لابن عماد ٩٧/٧.

[٤]- الصحاح للجوهري ٦٠٨/٢.

[٥]- المحيط في اللغة لابن عماد ٩٧/٧.

[٦]- تهذيب اللغة للأزهري ٥٩/١١.

[٧]- المصدر السابق ٥٧/١١.

[٨]- التعريفات للجرجاني ص٨٤، انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢٨٢/١.

[٩]- المصدر السابق ٢٨٢/١-٢٨٣.

[١٠]- التعريفات للجرجاني ص٨٤.

ثانياً: نصوص للحبشي توهم القول بالجبر، والرد عليها:

من المعلوم أن الحبشي أشعري المذهب، لهذا يدافع عن مذهب الأشعري وينافح عنه بكل ما أوتي من حجة؛ ومن جملة المعتقدات الأشعرية التي التزم في منهجه أن يقوم بنشره مسألة الكسب التي قال بها الإمام الأشعري، ومع هذا فإن الحبشي لا يصرح بألفاظ الأشعري بشكل حرفي لما يعلم من نقد العلماء الذي وجه لكسب الأشعري، ولكن الحبشي يقرر كسب الأشعري بصورة أخرى في مسألة أفعال العباد، والتي يكثر من ذكرها في كتاباته، والذي يؤكد صحة هذا القول، أن الحبشي يكثر من النقول عن أعيان الأشاعرة في مسألة الكسب دون أن يعلق عليها، وهذا يدلل على موافقته لما يقولونه[١].

ومن النصوص الواردة عن الحبشي في أفعال العباد قوله: "أن أعمال العباد كلها خلق لله تعالى وكسب للعباد، أي نحن نوجه إليها القصد والإرادة والقدرة التي هي حادثة أما حصول ذلك الشيء فهو بخلق الله"[٢]، والملاحظ أن الحبشي اقتصر في إثبات أعمال العباد على مجرد توجيه القصد والإرادة التي هي حادثة، ولم يبين وقوع الفعل من العبد، إنما أسنده إلى الله تعالى من خلال خلق الله لهذا الشيء؛ ولهذا يفسر الحبشي الكسب بقوله: "الكسب أمر دون الخلق، وهو العزم المصمم على فعل الشيء، لما يوجه ويعلق العبد قصده وإرادته بشيء يخلق الله ذلك الشيء"[٣]، ويقول في موضع آخر في الكسب: "صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب، وإيجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك خلق، فالمقدور الواحد داخل تحت قدرتين، لكن بجهتين مختلفتين، فالفعل مقدور الله تعالى من جهة الإيجاد، ومقدور العبد من جهة الكسب"[٤]؛ ويذكر الحبشي في كتابه الدليل القويم أنه "لا دخل لمشيئة العبد إلا في الكسب"[٥] أي أن العبد تقتصر مشيئته على نيل الفعل فقط.

ومما سبق ذكره يتبين أن الحبشي يقول بمقالة الأشاعرة في الكسب، ولقد نقل ابن القيم -رحمه الله- ما لخصه متأخرو الأشاعرة في الكسب بأن "الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل، فإن الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد

١- انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٧٢-٢٧٨، المطالب الوفية للحبشي ص٩٣-١٠٠، ١٠٣-١٠٧، الشرح القويم للحبشي ص٢٥٠-٢٥٨.

٢- الشرح القويم للحبشي ص٢٢٥.

٣- المصدر السابق ص٢٥٧.

٤- المطالب الوفية للحبشي ص١٠٥.

٥- انظر: موسوعة أهل السنة لدمشقية ٨٧١/٢، الحبشي أخطاؤه وشذوذه لدمشقية ص٦٨ نقلاً عن الدليل القويم للحبشي ص٩٤.

وإرادته لا بهما فهذا الاقتران هو الكسب"[1]، ثم يذكر ابن القيم -رحمه الله- ما استقر عليه الإمام الأشعري في الكسب "إن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها، ولم يقع بها المقدور ولا صفة من صفاته، بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة، ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه"[2]، ويقول أيضاً: "وتابعه على ذلك عامة أصحابه"[3].

ومما ذكره الحبشي في الكسب يتبين أنه جعل أفعال العباد هي كسب العبد لا فعله، ومرة جعلها بين فاعلين أو قدرتين -وهذه حيرة وقع فيها الحبشي كما وقع فيها من سبقه من متكلمي الأشاعرة- وهذا ما بينه ابن تيمية بقوله: "ولكن طائفة من أهل الكلام -المثبتين للقدر- ظنوا أن الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق فلما اعتقدوا أن أفعال العباد مخلوقة مفعولة لله، قالوا: فهي فعله. فقيل لهم مع ذلك: أهي فعل العبد؟ فاضطربوا فمنهم من قال: هي كسبه لا فعله، ولم يفرقوا بين الكسب والفعل بفرق محقق، ومنهم من قال: بل هي فعل بين فاعلين. ومنهم من قال: بل الرب فعل ذات الفعل، والعبد فعل صفاته"[4].

ويرد على الحبشي بما عليه سلف الأمة وجمهورها والذي يوضحه ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "والتحقيق ما عليه أئمة السنة، وجمهور الأمة من الفرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق، فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة، مفعولة لله، كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة، مفعولة لله، وليس ذلك نفس خلقه وفعله، بل هي مخلوقة ومفعولة، وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به، ليست قائمة بالله، ولا يتصف بسائر ما يقوم بذاته، والعبد فاعل لهذه الأفعال وهو المتصف بها، وله عليها قدرة، وهو فاعلها باختياره ومشيئته، وذلك كله مخلوق لله، فهي فعل العبد وهي مفعول للرب"[5].

- أيضاً: حقيقة الكسب عند السلف يختلف عنه عند المتكلمين من أشاعرة وغيرهم، وهذا ما يوضحه ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "إن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو خير، كما قال تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة:٢٨٦]، فبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها، والناس يقولون: فلان كسب مالاً أو حمداً أو شرفاً، كما أنه ينتفع بذلك، ولما كان العباد يكملون بأفعالهم ويصلحون بها، إذا كانوا في أول الخلق خلقوا ناقصين صح إثبات السبب إذ كمالهم وصلاحهم عن أفعالهم"[6]، وفي المقابل يبين ابن

---

[1] - شفاء العليل لابن القيم ص٢٣٤.
[2] - المصدر السابق ص٢٣٥.
[3] - المصدر نفسه ص٢٣٥.
[4] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٧٨/٢.
[5] - المصدر السابق ٧٨/٢.
[6] - المصدر نفسه ٢٣٠/٨.

تيمية -رحمه الله- الخطأ الذي وقع فيه القدرية على اختلاف أزمانهم وأماكنهم: "ومن هنا ضلت القدرية حيث شبهوا أفعاله -سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً- بأفعال العباد، وكانوا هم المشبهة في الأفعال"[1].

- ولا بد من التذكير أن العلماء بينوا أن كسب الأشعري من محالات العقول التي تتيه في فهمه، ولا تصل إلى نتيجة فيه بعد طول عناء وجهد تفكير[2].
- وقول الحبشي أن العبد لا دخل لمشيئته إلا في جانب الكسب[3]،فقولٌ مردودٌ عليه لأنه يثبت للعبد الفعل فقط وينفي المشيئة والقدرة للعبد في الفعل،وهذا مخالف لما عليه جمهور السلف حيث أن"مذهب سلف الأمة-مع قولهم:الله خالق كل شيء وربه،ومليكه،وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،وأنه على كل شيء قدير،وأنه هو الذي خلق العبد هلوعاً،إذا مسه الشر جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً ونحو ذلك- إن العبد فاعل حقيقة، وله مشيئة وقدرة، قال تعالى:﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]"[4]، وغيرها من الآيات الكثيرة المنتشرة بين ثنايا المصحف التي تثبت مشيئة العبد وقدرته على الفعل، وهذا ما عليه السلف، وأيضاً: كيف يتوافق هذا القول مع قول الحبشي:"إن العبد له اختيار ممزوجٍ بجبرٍ"[5]وأيضاً قوله:"نجد العباد مختارين ظاهراً، مجبورين باطناً؛ العباد مختارون اختياراً ممزوجاً بجبرٍ"[6]،وهذا الذي قاله الحبشي مردود عليه، لأنه يجعل العبد مجبوراً ولو في بعض أفعاله بالإضافة لابتداعه هذا المصطلح الذي لم يرد عن السلف،وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية-رحمه الله-معبراً عن منهج السلف في تبديع مثل هذه المصطلحات"إن إطلاق الجبر مما أنكره أئمة السنة...وما علمت أحداً من الأئمة أطلقه بل ما علمت أحداً من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أطلقوه في مسائل القدر والجبر"[7].

وبالإضافة إلى ما سبق من ردود على قول الحبشي بالكسب، فإنه يرد بالتالي:

أ- لا يوجد فرقٌ بين الكسب والفعل الذي قال به الأحباش ومن سايرهم بهذا القول من المتكلمين لأنهما مقدوران بالقدرة الحادثة وهما قائمان في محل القدرة الحادثة، وبذلك يقول السلف بأنه "لا يوجب فرقاً بين كون العبد كسب وبين كونه فعل وأوجد وأحدث وصنع

---

[1]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٣١/٨.
[2]- انظر: شفاء العليل لابن القيم ص٣٣٢.
[3]- انظر: موسوعة أهل السنة لدمشقية ٨٧١/٢.
[4]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٧٣/٨-٧٤.
[5]- الشرح القويم للحبشي ص٢٣٢، وانظر: المصدر السابق ص٢٧٤.
[6]- المصدر نفسه ص٢٥٨.
[7]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٨٣/٨.

وعمل ونحو ذلك، فإن فعله وإحداثه وعمله وصنعه هو أيضاً مقدور بالقدرة الحادثة، وهو قائم في محل القدرة الحادثة"[1].

ب- ويقال أيضاً:"من المستقر في فطر الناس أن من فعل العدل فهو عادل،ومن فعل الظلم فهو ظالم،ومن فعل الكذب فهو كاذب،فإذا لم يكن العبد فاعلاً لكذبه وظلمه وعدله،بل الله فاعل ذلك،لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم"[2]-تعالى الله عن ذلك-،وهذا أمر معلوم الفساد.

ج- أيضاً: القرآن مملوء بالآيات التي تضيف أفعال العباد إلى ذواتهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة:١٧]، وقوله تعالى:﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾ [فصلت:٤٠]، وقوله تعالى:﴿**وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ**﴾ [التوبة:١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[البقرة:٢٧٧]،وغيره هذه الآيات الكثير[3].

د- الحبشي يثبت قدرة لا تأثير لها في الكسب من خلال قوله: "وبالضرورة أن لقدرة العبد وإرادته مدخلاً في بعض الأفعال كحركة البطش دون البعض كحركة الإرعاش احتجنا في التقصي عن هذا المضيق إلى القول بأن الله تعالى خالق العبد كاسب"[4]، وهذا هو الجبر الذي قالت به القدرية حيث شبه الحبشي حركة البطش بإيجاد الله للفعل، وحركة الارتعاش التي ظهرت من غير تأثير من العبد هي الكسب، وهذا يرد عليه بأن "حركة المختار حاصلة بإرادته دون حركة المرتعش، وهي حاصلة بقدرته أيضاً، فإن جعلتم الفرق مجرد الإرادة فالإنسان قد يريد فعل غيره ولا يكون فاعلاً له، وأن أردتم أنه قادر عليه فقد عاد الأمر إلى معنى القدرة، والمعقول من القدرة معني به يفعل الفاعل، ولا تثبت قدره لغير فاعله، ولا قدرة يكون وجودها وعدمها بالنسبة إلى الفاعل سواء"[5]؛ وأما الذي عليه جمهور السلف في أفعال العباد أنهم يقولون "أنها مخلوقة لله مفعولة له، وهي فعل للعبد قائمة به، وليست فعلاً لله قائماً به، بل مفعوله غير فعله، والرب تعالى لا يوصف بما هو مخلوق له، وإنما يوصف بما هو قائم به"[6].

وبالتالي يتبين أن من قال بالك سب هو من أتباع الجبرية المتوسطة[7]، وهو بذلك مخالف لما عليه جمهور أهل السنة والجماعة.

---

[1]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٧٤/٨.

[2]- المصدر السابق ٧٥/٨.

[3]- المصدر نفسه ٧٥/٨.

[4]- المطالب الوفية للحبشي ص١٠٥.

[5]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٧٧/٧.

[6]- المصدر السابق ٢٧٧/٧.

[7]- انظر: التعريفات للجرجاني ص٨٤.

الباب الثاني

الإيمان والكفر والتصوف عند الأحباش عرض ونقد

ويحتوي على فصلين :

الفصل الأول : الإيمان و الكفر عند الأحباش.

الفصل الثاني : الأحباش والتصوف.

الفصل الأول

الإيمان والكفر عند الأحباش

ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول : الإيمان و الإسلام .

المبحث الثاني : الكفـــر والـــردة .

المبحـــث الأول: الإيمـــان والإسلام

المطلب الأول: تعريف الإيمان والإسلام:

أولاً: الإيمان لغةً واصطلاحاً:

أ- الإيمان لغةً:

"الإيمان فهو مصدر: آمن، يؤمن، إيماناً، فهو مؤمن"[١]، والإيمان يقصد به التصديق كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا**﴾ [يوسف:١٧]، أي بمصدق[٢]، ويقول الأزهـــري فـــي تأكيد المعنى سالف الذكر: "واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه:التصـــديق، وقال الله تعالى: ﴿**قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ [الحجرات:١٤]"[٣]، وجاء في (مجمل اللغة) في معنى الإيمان: "أمن: أمنتُ فأنا آمنٌ، وآمنتُ غيـــري، إذا أعطيتـــه الأمان والله جل ثناؤه المؤمن أعطى عباده الأمان أن يظلم، وآمنت بالله: صدقت، والإيمـــان: التصديق"[٤]، وبالتالي فإن المعنى الذي أجمع عليه أهل اللغة في الإيمان هو التصديق.

ب- الإيمان اصطلاحاً:

أما تعريف الإيمان في الاصطلاح فقد عَرّفه الحبشي بقوله هو: "تصديق مخصوص"[٥]، ويقصد بذلك: "التصديق بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-"[٦]، وتارة يرى أن الإيمـــان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، فيقول في (المطالب الوفية): "الإيمان هو التصديق بالقلب بمـــا جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- من عند الله تعالى، والإقرار به باللسان"[٧]، ويعلق علـــى ما ذكره بقوله: "أي الإيمان يشمل كلا الأمرين"[٨].

ومما سبق بيانه يتبين أن الحبشي واقع في الحيرة والاضطراب في تعريفه للإيمان لأنـــه تارة يعرف الإيمان بالتصديق أي يجعله قاصراً على معرفة القلب، وأخرى يتعـــداها ويجعـــل الإيمان تصديقاً بالقلب وإقراراً باللسان، وعلى كلا الوجهين لم يصب الحبشـــي فـــي تعريفـــه للإيمان، حيث خالف السلف وأئمة أهل السنة والجماعة في تعريفاته للإيمان لأن الوارد عـــنهم

---

[١]- تهذيب اللغة للأزهري ٥١٣/١٥.

[٢]- انظر: المحيط في اللغة لابن عباد ٤١٤/١٠.

[٣]- تهذيب اللغة للأزهري ٥١٣/١٥.

[٤]- مجمل اللغة لابن فارس ١٠٢/١.

[٥]- صريح البيان للحبشي ص٨٩، انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٢٧.

[٦]- صريح البيان للحبشي ص٨٩، انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٢٧.

[٧]- المطالب الوفية للحبشي ص١٢٩.

[٨]- المصدر السابق ص١٢٩.

في تعريف الإيمان: أنه تصديق القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ ومن هذه التعريفات الواردة في هذا المعنى عن علماء السلف على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- عَرّفه الإمام الشافعي بقوله:"واعلموا أن الإيمان:معرفة بالقلب،وإقرار باللسان وعمل بالأركان"[١].

- قول الإمام الآجري في الإيمان: "أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح"[٢].

- وما قاله أبو ثور[٣]عندما سئل عن الإيمان:"أنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان،وعمل الجوارح"[٤].

- وما ذكره ابن بطال[٥] في شرحه لصحيح البخاري في بيان "مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل"[٦].

- وما جاء عن الإمام ابن قدامة المقدسي[٧]:"والإيمان قول باللسان،وعمل بالأركان،وعقد بالجنان"[٨].

- وما أورده ابن رجب[٩] في تعريف الإيمان:"المشهور عن السلف وأهل الحديث أن

١- الفقه الأكبر للشافعي ص٥٦.

٢- الشريعة للآجري ص١١٩.

٣- **أبو ثور**: إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي (أبو ثور) الإمام الحافظ الحجة المجتهد مفتي العراق ويُكنى أيضاً (أبو عبدالله) ولد في حدود سنة ١٧٠هـ، وتوفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٥١٢/٢-٥١٣، سير الأعلام للذهبي ٧٢/١٢-٧٦.

٤- شرح الأصول للالكائي ١٧٢/١.

٥- **ابن بطال**:علي بن خلف بن بطال البكري،القرطبي،ثم البلنسي،ويعرف بابن اللجام (أبو الحسن)شارح صحيح البخاري،وهو من كبار المالكية، توفي سنة ٤٤٩هـ.انظر:العبر للذهبي٢٩٤/٢،سير الأعلام للذهبي ٤٧/١٨-٤٨.

٦- شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٢/١.

٧- **ابن قدامة المقدسي**: شيخ الإسلام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي (أبو محمد) ولد سنة ٥٤١هـ، وتوفي سنة ٦٢٠هـ. انظر: ، البداية والنهاية لابن كثير ٩٩/١٣-١٠١، سير الأعلام للذهبي ١٦٥/٢٢-١٧٣.

٨- الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص٤٧.

٩- **ابن رجب**:زيد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين بن محمد البغدادي،ثم الدمشقي،الحنبلي،المعروف (بابن رجب)ويكنى (بأبي الفرج)المتوفى بدمشق سنة ٧٩٥هـ.انظر:الرسالة المستطرفة-لبيان مشهور كتب السنة المشرقة-لمحمد بن جعفر الكتاني ص١١١،الناشر:دار الكتب العلمية،بيروت،ط الثانية ١٤٠٠هـ.

الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان"[١].

- وأيضاً التعريف الجامع الذي ذكره ابن القيم للإيمان قوله: "هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان"[٢].

- ويضاف إلى ما سبق ما ذكره الإمام ابن أبي العز شارح الطحاوية، حيث يذكر عن قول السلف المختار في الإيمان وهو: "أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان، وسائر الجوارح"[٣].

ويُجمل شيخ الإسلام -ابن تيمية- موقف السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان فيقول: "فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح ...، والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن مقصودهم الرد على المرجئة[٤] الذين جعلوه قولاً فقط؛ فقالوا: بل هو قول وعمل"[٥].

---

[١]- جامع العلوم والحكم -شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم- لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص١٨-١٩، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط جمادى الثانية ١٣٤٦هـ.

[٢]- الفوائد لابن قيم الجوزية ص١٢٩، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[٣]- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٣٣٢.

[٤]- **المرجئة**: سموا بالمرجئة:لأنها زعمت أن الواحد من المكلفين إذا قال:لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفعل بعد ذلك سائر المعاصي لم يدخل النار أصلاً،وأن الإيمان هو قول بلا عمل، والأعمال الشرائع، والإيمان قول مجرد والناس لا يتفاضلون في الإيمان، وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء واحد لا يزيد ولا ينقص ولا يستثنى فيه فمن أقر بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن. انظر: الغنية -لطالبي طريق الحق عز وجل في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية-للشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني ١٨٥/١، وضع حواشيه: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، فتح الباري ١١٠/١.

[٥]- الإيمان لابن تيمية ص١٣٦-١٣٧، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

والإيمان -كما سبق ذكره- هو تلفظ باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح والأركان، والأدلة على ذلك كثيرة ومتزاحمة في الكتاب والسنة، ومن هذه الأدلة على أن الإيمان تلفظ باللسان قول الله عز وجل: ﴿**قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ [الحجرات:١٤]، وما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها"[١].

ومن الأدلة على أن الإيمان يتضمن الاعتقاد بالقلب، قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا يَدْخُلْ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات:١٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات:٧]، وقوله تعالى: ﴿**كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ**﴾ [المجادلة:٢٢]، وما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: "يا معشر من آمن بلسانه، ولم يخلص الإيمان إلى قلبه"[٢].

ومن الأدلة على أن الإيمان يشتمل على العمل، قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة:٥]، وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:١١٠]، وما روي أن رجلاً جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله: ما الإسلام؟ قال: تقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتحج البيت، قال: فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال: نعم، قال: فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار والقدر خيره وشره. قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: نعم"[٣]؛ ويروي الإمام اللالكائي عن جمعٍ من الصحابة من الذين قالوا أن العمل داخل الإيمان فيقول: "وبه قال من الصحابة ممن تقدم ذكرهم في أن الصلاة من الإيمان: عمر وعلي ومعاذ وعبدالله بن مسعود وابن عباس وأبو الدرداء وجابر بن عبدالله"[٤]، وبهذا يتبين أن العمل داخل في مسمى الإيمان ولا بد منه.

---

[١]- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)، ح٢٥،١٤/١، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله...)، ح٢٢، ٥٣/١ (بنحوه).

[٢]- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ح٤٨٨٠، ٢٧٠/٤، مسند الإمام أحمد ٤٢٠/٤-٤٢١، قال الألباني: حديث حسن صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني ح٤٨٨٠، ١٩٧/٣، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

[٣]- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (إن الله عنده علم الساعة) ح٤٧٧٧، ٢٤/٦.

[٤]- شرح الأصول للالكائي ٨٣٢/٤.

ويرد على الحبشي في جعله الإيمان بمعنى التصديق فقط[1]، ومرادفاً له، وهذا مردود من عدة وجوه:

١- "أن يقال للمخبر إذا صدقته: صدقه، ولا يقال: آمنه وآمن به. بل يقال: آمن له، كما قال: ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ**﴾ [العنكبوت:٢٦]،وقال:﴿**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ**﴾ [يونس:٨٣] ..."[2]

٢- "أنه ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى، فإن كل مخبراً عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت. فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة، كقوله: طلعت الشمس، وغربت، أنه يقال: آمناه. كما يقال: صدقناه، ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم، يقال: صدقناهم، وما يقال: آمنا لهم، فإن الإيمان مشتق من الأمن. فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر؛ كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر؛ ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ (آمن له)، إلا في هذا النوع، والاثنان إذا اشتركا في معرفة الشيء، يقال: صدق أحدهما صاحبه، ولا يقال: آمن له، لأنه لم يكن غائباً عنه ائتمنه عليه، ولهذا قال: ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ**﴾ [العنكبوت:٢٦]"[3].

٣- "أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق، فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت أو كذبت، ويقال: صدقناه أو كذبناه، ولا يقال لكل مخبر: آمنا له أو كذبناه، ولا يقال: أنت مؤمن له أو مكذب له، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر. يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك، لكان كفره أعظم، فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط، علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط"[4]؛ وبهذا يتبين خطأ جعل الإيمان مرادفاً للتصديق فقط.

وأما جعل الحبشي الإيمان عبارة عن إقرار باللسان وتصديق بالقلب[5] ففيه مغالطات من وجوه، منها على سبيل المثال:

---

[1]- انظر: صريح البيان للحبشي ص٨٩.

[2]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٨٢/٧.

[3]- المصدر السابق ١٨٣/٧.

[4]- المصدر نفسه ١٨٤/٧.

[5]- انظر: المطالب الوفية للحبشي ص١٢٩.

١- "ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد، وأن الإيمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص، وليس الأمر كذلك فإن أتباع الأنبياء المتقدمين أوجب الله عليهم من الإيمان ما لم يوجبه على أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأوجب على أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- من الإيمان ما لم يوجبه على غيرهم، والإيمان الذي كان يجب قبل نزول جميع القرآن، ليس هو مثل الإيمان الذي يجب بعد نزول القرآن، والإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به الرسول مفصلاً ليس مثل الإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به مجملاً، فإنه لا بد في الإيمان من تصديق الرسول في كل ما أخبر، لكن من صدق الرسول ومات عقب ذلك لم يجب عليه من الإيمان غير ذلك. وأما من بلغه من القرآن والأحاديث وما فيهما من الأخبار والأوامر المفصلة فيجب عليه من التصديق المفصل بخبر خبر، وأمر أمر ما لا يجب على من لم يجب عليه إلا الإيمان المجمل؛ لموته قبل أن يبلغه شيء آخر؛ وأيضاً لو قدر أنه عاش، فلا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول، وكل ما نهى عنه وكل ما أخبر به، بل إنما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه، فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه، فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف أمره المفصل في الزكاة، ومن لا استطاعة له على الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصل بالمناسك، ومن لم يتزوج ليس عليه أن يعرف ما وجب للزوجة، فصار يجب من الإيمان تصديقاً وعملاً على أشخاص ما لا يجب على آخرين"[1]، وبهذا يتبين وجوب العمل وعدم الاكتفاء بالإقرار باللسان والتصديق بالجنان.

٢- من خطأ الأحباش: "ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط، دون أعمال القلوب"، وهذا نفس ما قاله جهمية المرجئة"[2].

٣- وأيضاً: ظن الحبشي أن الإيمان الذي في القلب يكون تاماً بدون شيء من الأعمال، ولهذا يجعل الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه، بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلها لازمة له. والذي عليه سلف الأمة أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر[3].

---

[1] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٢٥/٧.

[2] - المصدر السابق ١٣٠/٧.

[3] - انظر: المصدر نفسه ١٣٠/٧.

ثانياً: الإسلام لغةً واصطلاحاً:

أ- الإسلام لغةً:

جاء في مادة (سلم) أن "السَّلام والسلامة: البراءة، وتسلَّمَ منه: تبرأ"[١]، "وسلَّمه الله من الأمر: وقاه إياه"[٢]، "والسَّلَمَ: الاستسلام"[٣]، "والسَّلْمُ: الإسلام، والسَّـلْمُ: الاستخذاء والانقياد والاستسلام"[٤]، وجاء في (المحيط في اللغة) أن "الإسلام: الاستسلام لأمر الله والانقياد لطاعته، ويقولون: سلّمنا لله ربنا: أي استسلمنا له، وأسلمنا. والسَّلْمُ -أيضاً- الإسلام. والمسلم: المستسلم"[٥]، ولهذا يقال "المسلم: المخلص لله عبادته"[٦]، وخلاصة القول في معنى الإسلام لغة هو تمام الخضوع والانقياد والاستسلام.

ب- **الإسلام اصطلاحاً:**

يرى الحبشي أن المقصود بالإسلام في الشرع هو: "انقياد مخصوص، وهو الانقياد لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- بالنطق بالشهادتين"[٧]، ولهذا يقول الحبشي عن الإسلام: "هو الدين الذي رضيه الله لعباده وأمرنا باتباعه"[٨].

في تعريف الحبشي للإسلام وافق السلف في بعض الأمور وخالفهم في بعضها الآخر فكانت موافقة الحبشي تتمثل في تعريفه للإسلام بأنه جعله انقياداً لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكن المخالفة ظهرت لديه عندما جعل الإسلام انقياداً بالنطق بالشهادتين، وإن كان هذا صحيحاً إلا أنه غير كامل لأن الأعمال الظاهرة جزء من تعريف الإسلام، فجاء عن ابن تيمية قوله في الإسلام: "لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سئل عن الإسلام والإيمان، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة"[٩]، ويزيد الأمر وضوحاً شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه للإسلام الذي جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "الظاهر من القول والعمل، وهي

---

[١]- لسان العرب لابن منظور ٢٠٧٧/٣.

[٢]- المصدر السابق ٢٠٧٨/٣.

[٣]- المصدر نفسه ٢٠٧٩/٣.

[٤]- المصدر نفسه ٢٠٨١/٣.

[٥]- المحيط في اللغة لابن عباد ٣٣٣/٨.

[٦]- المصدر السابق ٣٣٣/٨.

[٧]- صريح البيان للحبشي ص٨٩، انظر: المطالب الوفية للحبشي ص١٣٢.

[٨]- الصراط المستقيم للحبشي ص٧، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٢٥.

[٩]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٦٤/٧، انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٣٤٨.

المباني الخمسة"[1]، ويعرفه الشيخ الحكمي بقوله: "الإسلام: معناه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ**﴾ [النساء:١٢٥]"[2]، ويزيد الأمر وضوحاً الشيخ الحكمي في تعريفه للإسلام بقوله: "وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان: **الحالة الأولى**:أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان،فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله كقوله تعالى:﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ [آل عمران:١٩]... ، **الحالة الثانية**: أن يطلق مقترناً بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة، كقوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات:١٤]"[3]

وبهذا يتبين أهمية ذكر الأعمال الظاهرة من الإنسان لإثبات الإسلام له، أما ما ذكره الحبشي من النطق بالشهادتين إنما هو إثبات حكم الإسلام فقط ولم يذكر حقيقته وهو المطلوب في التعريف، وفي هذا المعنى يقول ابن الصلاح: "وبيان لأصل الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد الظاهر. وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الأربع لكونهما أظهر شعائر الإسلام ومعظمها، وبقيامه بها يثبت استسلامه، وتركه لها يشعر بحل قيد انقياده وانحلاله"[4]

وما سبق ذكره من أن الإسلام لا بد فيه من العمل وعدم الاكتفاء بالنطق بالشهادتين وإن كانت هي مفتاح الدخول لهذا الدين، ما ذكره مجموعة من علماء السلف منهم:

- والإمام الطبري يقول في الإسلام: "وهو الانقياد بالتذلل والخشوع"[5] ويكون هذا الأمر بالعمل كما يوضحه فيما بعد بقوله: "أن الدين عند الله الإسلام أن الطاعة التي هي الطاعة عنده له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية، والذلة وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه، ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية"[6].

---

[1]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ٣٨٦/٧.

[2]- العقيدة الإسلامية -٢٠٠سؤال وجواب- للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ص٨، الناشر: دار الاعتصام، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[3]- معارج القبول للحكمي ٢١/٢-٢٢.

[4]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٢٦/٧.

[5]- جامع البيان للطبري ١٤١/٣.

[6]- المصدر السابق ١٤١/٣.

- الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي[١] -رحمه الله- في حديث سؤال جبريل -عليه السلام- للنبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان والإسلام، فقال عن الإسلام: "جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال"[٢].
- وما ذكره أبو بكر الإسماعيلي[٣]في رسالته إلى أهل الجبل:"والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله"[٤].
- وما قاله ابن رجب في الإسلام: "والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه، وانقياده له، وذلك يكون بالعمل وهو الدين"[٥].

المطلب الثاني: العلاقة بين الإيمان والإسلام عند الأحباش:

يعتقد الحبشي أن "الإسلام والإيمان متلازمان لا يقبل أحدهما بدون الآخر، وإن كانا مختلفين من حيث معنياهما الأصليان... فكما أن الظهر لا ينفصل عن البطن مع أنهما مختلفان فكذلك الإيمان لا ينفصل عن الإسلام، والإسلام لا ينفصل عن الإيمان، فمن آمن بما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصدّق ذلك بالنطق بالشهادتين بلسانه فهو مسلم مؤمن"[٦]، وبهذا يتبين أن الإيمان والإسلام عند الحبشي بمعنى واحد، وعلى هذا يرى الحبشي أن من "آمن بالله ورسوله وأدى الواجبات واجتنب المحرمات فهذا مسلم مؤمن وإيمانه كامل، ومن ترك بعض الواجبات كالصلوات الخمس أو أرتكب بعض المحرمات كأكل الربا وشرب الخمر فهذا مسلم مؤمن وإيمانه ناقص"[٧].

١- **أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي**: الشيخ الإمام، العلامة القدرة الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي المفسر، صاحب التصانيف كشرح السنة يكنى (بأبي محمد)، توفي سنة ٥١٦هـ بمرو الروذ مدينة من مدائن خراسان. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١٣٦/٢-١٣٧، سير الأعلام للذهبي ٤٣٩/١٩-٤٤٣.

٢- شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٢/١.

٣- **أبو بكر الإسماعيلي**: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي، الجرجاني، الشافعي (أبو بكر)، محدث، فقيه، صاحب الصحيح، ولد سنة ٢٧٧هـ، وتوفي سنة ٣٧١هـ؛ من تصانيفه: الصحيح على شرط البخاري، الفرائد، العوالي وغير ذلك. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٤٧/٣-٩٥١، شذرات الذهب لابن عماد ٧٥/٣،٧٢، سير الأعلام للذهبي ٢٩٢/١٦-٢٩٦.

٤- جامع العلوم والحكم لابن رجب ص١٩.

٥- المصدر السابق ص٢٠.

٦- صريح البيان للحبشي ص٨٩-٩٠.

٧- المصدر السابق ص٩١.

والذي يدلل على صحة ما سبق بيانه أن الحبشي في كتابه (المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية) يورد في نهاية الكتاب متن العقيدة النسفية، ويذكر فيها قول الإمام النسفي[1] قوله: "والإسلام واحد"[2]، ولكن عند شرحه يقول: "قال المؤلف -رحمه الله- (والإيمان والإسلام واحد)"[3]، وبهذا يتبين أن الحبشي يعتبر أن الإيمان والإسلام شيئاً واحداً، ويشرح الحبشي القول السابق بقوله: "يعني أن الإيمان والإسلام الذي هو التصديق القلبي والاعتراف باللسان بوحدانية الله وألهيته ورسالة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولا يكون أحد المفهومين مقبولاً معتبراً عند الله إلا باجتماع الأمرين، فإذا اجتمع التصديق القلبي والاعتراف باللسان يصيران معتدّاً بهما وإلا فلا يعتد بأحدهما دون الآخر، وبالنظر إلى هذه الحيثية فهما واحد، أما اعتبار المفهوم اللغوي فهما متغايران"[4].

ويرى الحبشي أن من ينطق بالشهادتين فهو مؤمن مسلم، فيقول في ذلك: "بل يكون الرجل مؤمناً مسلماً بالشهادتين"[5]، وهذه النصوص بمجموعها تبين أن الإيمان والإسلام يأتيان بمعنى واحد من حيث حقيقتهما، وإنما الاختلاف واقع بينهم من حيث الأصل اللغوي.

وهذا الذي ذُكر مخالف لما عليه أئمة أهل السنة والجماعة لأنهم أوجدوا فرقاً وتغايراً بين مسمى الإيمان والإسلام فيقول الإمام القرطبي: "والأصل في مسمى الإيمان والإسلام التغاير لحديث جبريل"[6]، وعلى هذا النهج سار علماء السلف في التفريق بين الإسلام والإيمان، فقد جاء عن الإمام أحمد أنه سُئل: تفرق بين الإيمان والإسلام؟ قال: نعم، وأقول مسلم ولا استثني، فقال السائل: بأي شيء تحتج؟ قال: عامة الأحاديث تدل على هذا. ثم قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن"[7]. وقال الله عز وجل: ﴿**قَالَتْ**

---

[1] - **الإمام النسفي**: عمر بن محمد بن أحمد بن لقمان النسفي الحنفي (أبو حفص)، العلامة، المحدث، الحافظ، ولد سنة ٤٦١هـ، وتوفي سنة ٥٣٧هـ، من مصنفاته: بعث الرغائب لبحث الغرائب، المعتقد، مجمع العلوم وغيرها، انظر: سير الأعلام للذهبي ١٢٦/٢٠-١٢٧، طبقات المفسرين للسيوطي ص٢٧.

[2] - المطالب الوفية للحبشي ص١٦٦ -المتن-.

[3] - المصدر السابق ص١٣١.

[4] - المصدر نفسه ص١٣١.

[5] - المصدر نفسه ص١٣٢، انظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٢٧، بغية الطالب للحبشي ص٨، الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٧، الشرح القويم للحبشي ص٤٢٢.

[6] - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣/٣-٤٤.

[7] - صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب النُّهبى بغير إذن صاحبه، ح٢٤٧٥، ١٤٦/٣، وأيضاً:كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى:(إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ح٥٥٧٨، ٣٠٠/٦-٣٠١، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية، على إرادة نفي كماله، ح٥٧، ٧٦/١.

الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]، فقال السائل: فنذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن؟ فقال الإمام أحمد: نعم، فقال السائل: فإذا كان المرجئة يقولون أن الإسلام هو القول؟ فقال الإمام: هم يصيرون هذا كله واحداً ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على إيمان جبريل ومستكمل الإيمان[١]؛ وبالتالي يظهر شناعة قول الحبشي بجعله الإيمان والإسلام شيئاً واحداً، وينقل الإمام النووي عن أبي عمرو بن الصلاح تعليقه على أركان الإيمان والإسلام قوله: "هذا بيان لأصل الإيمان وهو التصديق الباطن، وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر"[٢]، ويقول ابن الصلاح: "وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً"[٣]، وبهذا يكون قد أوجد الإمام ابن الصلاح الفرق بين الإسلام والإيمان وهذا ما عليه السلف، ويعلق الإمام النووي على ما ذكره ابن الصلاح بقوله: "وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين"[٤].

وعلى المنهج نفسه يسير ابن رجب في التفريق بين الإسلام والإيمان في (جامع العلوم والحكم) حيث يقول: "والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمى الله في كتابه الإسلام ديناً وفي حديث جبريل وسمى النبي -صلى الله عليه وسلم- الإسلام والإيمان والإحسان ديناً"[٥]، وأيضاً عن أبي بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل أنه قال: "قال كثير من أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله، إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعاً، مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم"[٦]، ويتحدث الإمام الخطابي عن العلاقة بين الإسلام والإيمان بقوله: "والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمناً في بعضها؛ والمؤمن مسلم في جميع الأحوال؛ فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلمٍ مؤمناً"[٧].

---

[١]- المسائل والرسائل للأحمدي ١٠٩/١ بتصرف.

[٢]- شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٤/١.

[٣]- المصدر السابق ١٢٤/١.

[٤]- المصدر نفسه ١٢٤/١.

[٥]- جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢٠.

[٦]- المصدر السابق ص١٩.

[٧]- شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٢/١.

ويبين شيخ الإسلام الفرق بين الإيمان والإسلام فيقول: "قد فرق النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل -عليه السلام- بين مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان، ومسمى الإحسان، فقال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"[1]، وقال: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[2] ...، وحديث جبريل يبين أن الإسلام المبني على خمس هو الإسلام نفسه، ليس المبني غير المبني عليه، بل جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- الدين ثلاث درجات أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليه الإسلام، فكل محسن مؤمن،وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسناً، ولا كل مسلم مؤمناً"[3] وفي المعنى السابق الذكر يقول ابن تيمية أيضاً في (مجموعة الفتاوى): "وأما قول من سوى بين الإسلام والإيمان، وقال: إن الله سمى الإيمان بما سمى به الإسلام، وسمى الإسلام بما سمى به الإيمان، فليس كذلك، فإن الله ورسوله قد فسر الإيمان بأنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وبين -أيضاً- أن العمل بما أمر به يدخل في الإيمان، ولم يسم الله الإيمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت إسلاماً، بل إنما سمى الإسلام: الاستسلام له بقلبه وقصده وإخلاص الدين والعمل بما أمر به؛ كالصلاة والزكاة خالصاً لوجهه، فهذا هو الذي سماه الله إسلاماً وجعله ديناً، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ [آل عمران:٨٥]، ولم يدخل فيما خص به الإيمان، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، بل ولا أعمال القلوب، مثل حب الله ورسوله ونحو ذلك، فإن هذه جعلها من الإيمان، والمسلم المؤمن يتصف بها، وليس إذا اتصف بها المسلم المؤمن يلزم أن تكون من الإسلام، بل هي من الإيمان، والإسلام فرض، والإيمان فرض، والإسلام داخل فيه، فمن أتى بالإيمان الذي أمر به، فلا بد أن يكون قد أتى بالإسلام المتناول لجميع الأعمال الواجبة، ومن أتى بما يسمى إسلاماً لم يلزم أن يكون قد أتى بالإيمان إلا بدليل منفصل"[4]؛ وبعد هذا العرض للفرق بين الإيمان والإسلام بالإضافة إلى ما سبق ذكره في تعريف كل من الإيمان والإسلام، يتبين فساد ما ذهب إليه الحبشي وجعل الإيمان والإسلام من حيث الحقيقة بمعنى واحد.

---

[1] - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، ح٨، ٣٦/١، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي -صلى الله عليه وسلم- الإيمان والإسلام، ح٢٦١٠، ٦/٥-٨، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

[2] - التخريج السابق نفسه.

[3] - الإيمان لابن تيمية ص٦، انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٣٣٨-٣٣٩.

[4] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٥٤/٧-٢٥٥.

المطلب الثالث: الإرجاء عند الأحباش:

أولاً: تعريف الإرجاء:

أ- الإرجاء لغةً:

الإرجاء مأخوذ من مادة (رجأ) الراء والجيم والهمزة، وهي بمعنى التأخير كما جاء في معاجم اللغة، ففي (المحيط في اللغة): "الإرجاء: من قولك أرجأتُ الشيء: أي أخرَّته"[1]، وفي (لسان العرب): "أرجأ الأمر: أخرَّه... والإرجاء: التأخير"[2]، وفي (الصحاح): "أرجيت الأمر: أخرته، يهمز ولا يهمز..."[3]، وكما سبق قرأت بغير همزة "(أرجا) الأمر: أخره.. وآخرون مرجئون لأمر الله -بهمزة- حتى يُنزل الله فيهم ما يريد، ومنه سميت المرجئة"[4]؛ وجاءت معاني أخرى مثل: "والرجاء من الأمل ممدود، يقال: رجوت فلاناً رجواً ورجاءً ورجاوة"[5]، وأيضاً: "والرجا مقصور: ناحية البئر وحافتاها. وكل ناحيةٍ ترجا. يقال منه: أرجَيْتُ"[6].

ب- الإرجاء اصطلاحاً:

الإرجاء هو القول بأنه: لا يضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة، وهذا ما عرف به الجرجاني المرجئة[7].

ويفصل القول ابن حجر في تعريف الإرجاء بقوله: "الإرجاء بمعنى التأخير، وهو عندهم على قسمين: منهم من أراد به تأخير القول في الحكم في تصويب إحدى الطائفتين اللذين تقاتلوا بعد عثمان، ومنهم من أراد تأخير القول في الحكم من أتى الكبائر وترك الفرائض بالنار لأن الإيمان عندهم الإقرار والاعتقاد ولا يضر العمل مع ذلك"[8]، والمراد هنا في تعريف الإرجاء القسم الثاني: الذين اعتبروا الإيمان إقرار واعتقاد بدون عمل، حيث إنهم قدّموا القول وأرجئوا العمل.

---

[1] - المحيط في اللغة لابن عباد ١٧٥/٧.

[2] - لسان العرب لابن منظور ١٥٨٣/٢.

[3] - الصحاح للجوهري ٢٣٥٢/٦.

[4] - القاموس المحيط للفيروز آبادي ١٦/١.

[5] - الصحاح للجوهري ٢٣٥٢/٦.

[6] - المصدر السابق ٢٣٥٣/٢.

[7] - انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٣٧.

[8] - فتح الباري لابن حجر -المقدمة- ص٤٥٩.

ثانياً: نصوص للحبشي توهم القول بالإرجاء والرد عليها:

الحبشي عندما عَرّف الإيمان اقتصر في تعريفه على التصديق بالقلب والإقرار باللسان[1] في أحد قوليه، والثاني الاكتفاء بالتصديق[2]، ولم يذكر العمل في تعريفه للإيمان، وهناك العديد من النصوص الواردة في كتاباته توهم القول بالإرجاء؛ فمنها على سبيل المثال:

- تفسير الحبشي لقوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦]، فيقول: "وجاء في تفسير الآية أن الله يأمر المؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهليهم النار التي وقودها الناس والحجارة بتعلّم الأمور وتعليم أهليهم ذلك[3] أي معرفة ما فرض فعله أو اجتنابه أي الواجبات والمحرمات، وذلك كي لا يقع في التشبيه والتمثيل والكفر والضلال"[4]، والملاحظ أن الحبشي في تفسيره للآية اقتصر في تبيين الوقاية من النار بالتعلم والمعرفة فقط، ولم يذكر شيئاً عن العمل للوقاية من النار الذي هو الأصل في الإيمان عند السلف.
- ويقول الحبشي: "أن من عَرَف الله ورسوله ونطق بالشهادة مرة في العمر ورضي بذلك اعتقاداً فهو مسلم ومؤمن"[5].
- ويتحدث الحبشي عن مرتبة الولاية وكيفية الحصول عليها فيقول: "فهذه الولاية ليست بمجرد كثرة الطاعات بل هي بالاستقامة بلزوم الطاعة، ويتضمن ذلك معرفة ما افترض الله على عباده من علم الدين الذي يصحح به العقيدة، وتصحح به الأعمال، وتتجنب به المعاصي الظاهرة والباطنة، وأما مجرد كثرة الصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة، وكثرة الذكر فلا يبلغ بها العبد الالتحاق بهؤلاء الأولياء"[6].

وبهذه النصوص التي تمثل اعتقاد الحبشي في الإيمان الذي يقتصر على الاعتقاد والمعرفة في الحكم على الناس بالإسلام والإيمان، دون التركيز على العمل الذي هو الفيصل بين المؤمنين وغيرهم، لهذا وجه علماء السلف كل اهتمامهم إلى العمل، "وقد أجمعوا على أنه

١- انظر: المطالب الوفية للحبشي ص١٢٩.

٢- انظر: صريح البيان للحبشي ص٨٩.

٣- يسند الحبشي هذا القول للإمام علي -رضي الله عنه-، انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٢٢.

٤- الصراط المستقيم للحبشي ص٢٢.

٥- المصدر السابق ص١٠٧.

٦- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٣٠.

لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عـاص لله ورسـوله ومسـتحق للوعيد"[1]، وابن القيم -رحمه الله- يرى في تعريفه للإيمان أنه لا بد من وجوب العمل بتكاليف الدين، فيقول: "العمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليـه تجديـد متابعـة رسـوله ظـاهراً وباطناً"[2].

والملاحظ -كما سبق- أن الحبشي يجعل جُلَّ اهتمامه في التركيز على المعرفة والـتعلّم وهذا أمر ليس بالهين بل إنه مهم، ولكنه بمفرده ولا يجزئ ولا يخرج المسلم من دائرة عقـاب الله سبحانه وتعالى إن لاقاه على هذه الحال، وعلى مثل هذا يعلق الآجري بقوله: "ثم اعلمـوا: أنه لا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيـه هـذه الثلاث الخصال: كان مؤمناً"[3]، وأيضاً يعلق على قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَـمْ تُؤْمِنُـوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات:١٤]، "فهذا مما يدلك علـى أن علـم القلب بالإيمان، وهو التصديق والمعرفة، ولا ينفع القول به إذا لم يكن القلب مصدقاً بما ينطـق بـه اللسان مع العمل، فاعلموا ذلك"[4]، وفي موضع آخر يقول الآجري: "فالأعمال -رحمكم الله تعالى- بالجوارح: تصديق للإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمـان بعمـل جوارحـه: مثـل الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وأشباه لهـذه، ورضـي مـن نفسـه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمناً، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركـه العمـل تكـذيباً منـه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرنا تصديقاً منه لإيمانه"[5].

وأما ما ذكره في تفسير آية التحريم (٦)، في أن وقاية الأهل من النار تتمثل في تعليمهم لأهليهم ومعرفة ما فرض عليهم[6]... إلخ، فإن اقتصار الحبشي في تفسيره للآية على مجـرد المعرفة والتعلّم مخالف لما عليه السلف، حيث جاء عن ابن عباس في تفسـيره للآيـة قولـه: "اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله، وأؤمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار"[7]، ويقـول أيضاً الطبري في تفسيره للآية الكريمة مبيناً أهمية العمل فيقول: "يقول تعالى ذكره يأيها الذين صدقوا الله ورسوله قوا أنفسكم، يقول علموا بعضكم بعضاً ما تقون به مـن تعلمونـه النـار،

---

[1] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٣٣٣.

[2] - الفوائد لابن القيم ص١٢٩.

[3] - الشريعة للآجري ص١١٩.

[4] - المصدر السابق ص١١٩.

[5] - المصدر نفسه ص١٢٠.

[6] - انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٢٢.

[7] - التفسير العظيم لابن كثير ٣٩١/٤.

وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة، واعملوا بطاعة الله وقوله (وأهليكم ناراً) يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار"[١].

- وأما معرفة الله ورسوله والنطق بالشهادة ولو لمرة واحدة في العمر، ورضاؤه بذلك اعتقاداً لا تجعل الإنسان مسلماً ومؤمناً كما ادعى الحبشي[٢]، لأنه سبق الحديث في هذه الجزئية في التفريق بين الإيمان والإسلام[٣] وأن كليهما لا بد فيه من العمل، والحبشي لم يتطرق في كلامه إلى العمل ولو من بعيد، فكلامه مردود عليه فإن المعرفة وحدها لا تكفي، والكلام وحده بدون العمل لا يكفي، وهذا هو منهج السلف، حيث جاء عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾ [البقرة:١٧٧]، يقول: "تكلموا بكلام الإيمان وحققوه بالعمل"[٤]، وقال الربيع بن أنس: وكان الحسن يقول: "الإيمان كلام، وحقيقته العمل. فإن لم يحقق القول بالعمل، لم ينفعه القول"[٥].

- وأيضاً إدعاء الحبشي بأن الولاية ليست بكثرة الطاعات كلام مردود بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- حيث ثبتت ولاية الله لعبيده وحبه لهم بمدى التقرب بالطاعات من النوافل بعد الفرائض "إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه"[٦]، وأما تفسيره للاستقامة بلزوم الطاعة، وجعلها مبهمة وعند تفسيره لها يوجه عنايته إلى المعرفة دون العمل -وهذا كما سبق- مخالف لما عليه السلف، بل إن في كلامه نوعاً من التثبيط عن العمل حيث قال: "وأما مجرد كثرة الصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة وكثرة الذكر فلا يبلغ بها العبد الالتحاق بهؤلاء الأولياء"[٧]، فما المانع أن يكثر الإنسان من الصلاة والصيام والقيام والذكر وفق ما جاء في الكتاب والسنة؟! أم أن الاستقامة تقتصر في معظمها على المعرفة والعلم فقط دون العمل؟!

١- جامع البيان للطبري ١٠٦/٢٨.

٢- انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٧.

٣- انظر: البحث ص٢٥١-٢٥٤.

٤- الشريعة للآجري ص١٣٠.

٥- المصدر السابق ص١٣٠.

٦- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح٦٥٠٢، ٢٤٣/٧-٢٤٤.

٧- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٢٣٠.

المبحث الثاني: الكفر والردة

أولاً: تعريف الكفر لغةً واصطلاحاً:

أ- **الكفر لغةً**:

مما ورد في معاجم اللغة في معنى الكفر أنه "ضد الإيمان، وقد كفر بالله كفراً. وجمع الكافر كفارٌ وكفرةً"[1]؛ والكفر جاء بمعنى الجحود، فجاء في (لسان العرب): "الكفر: كفر النعمة، وهو نقيض الشكر، والكفر: جحود النعمة وهو ضد الشكر. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ**﴾ [القصص:٤٨]، أي جاحدون، وكفر نعمة الله يكفرها كفوراً وكفراناً، وكفر بها: جحدها وسترها"[2]، وأيضاً من معاني الكفر العصيان والامتناع حيث ورد في (المحيط في اللغة) أن "الكفر: نقيض الإيمان. وهو أيضاً: العصيان والامتناع"[3]، وجاء بمعنى التغطية: "الكَفْرُ بالفتح التغطية. وقد كفرت الشيء أكفره بالكسر كفراً أي: سترته، ورمادٌ مكفورٌ، إذا سفت الريح التراب عليه حتى غطته"[4]، والكفر بمعنى البغض وذلك مأخوذ من "قول العرب: كفرٌ على كفر: أي بغضٌ على بغض"[5]، ومما سبق يتبين أن الكفر ضد الإيمان ، وسمي بذلك لأنه يؤدي بالكافر إلى جحود نعمة الله عليه، وستر وتغطية نعمة الإسلام، من خلال جحودها وسترها وتغطيتها بالأمور الكفرية سواء أكانت قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً.

ب- **الكفر اصطلاحاً**:

أما تعريف الكفر عند الأحباش فلم أجد تعريفاً له مما وقع بين يدي من كتابات في هذه المسألة، وأما تعريفه عند العلماء فقد جاء فيه ما يلي:

- عرفه الإمام الرازي بقوله: "الكفر عدم تصديق الرسول في شيء مما علم بالضرورة مجيئه به"[6].
- وعرفه الإمام القرافي بقوله: "هو انتهاك خاص لحرمة الربوبية، إما بالجهل بوجوده أو صفاته، أو بفعلٍ كرمي المصحف في القاذورات والسجود للصنم... أو جحد ما عُلم من الدين بالضرورة"[7].

---

[1]- الصحاح للجوهري ٨٠٧/٢.

[2]- لسان العرب لابن منظور ٣٨٩٧/٤، انظر: الصحاح للجوهري ٨٠٧/٢.

[3]- المحيط في اللغة لابن عباد ٢٥٠/٦.

[4]- الصحاح للجوهري ٨٠٧/٢، انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ١٣٢/٢.

[5]- المحيط في اللغة لابن عباد ٢٥٠/٦.

[6]- التفسير الكبير للإمام الرازي ٣٧/٢-٣٨.

[7]- الذخيرة لأحمد بن إدريس القرافي ٢٨/١٢، تحقيق: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ١٩٩٤م.

- أما الإمام ابن تيمية عَرّفه بقوله: "الكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم"[١].
- وعَرّفه الشيخ الميداني بقوله: "هو رفض التصديق عن معرفة وإرادة، ولو بشيء مما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ووصل إلينا بطريق يقيني قاطع"[٢].
- وهناك من عَرّفه بتعريف فلسفي كابن يوسف العامري -أحد تلاميذ الكندي- بقوله: "الكفر اعتقاد كاذب غير يقيني، ومحله من النفس هو القوة المتخيّلة"[٣].
- وجاء في تعريف الكفر في القاموس الفقهي بأن الكفر "ورد بمعنى جحد المعلوم من الدين الإسلامي بالضرورة الشرعية"[٤].

ويمكن الخروج بتعريف جامع للمعاني للسابقة وهو: الكفر جحد ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- على وجه اليقين، أو بعضه، أو الشك به، أو فعل شيء، أو التكلم بكلام فيه انتهاك لحرمة شرع الله، عن معرفة وإرادة.

ثانياً: تعريف الردة لغةً واصطلاحاً:

أ- الردة لغةً:

الردة في المعنى اللغوي جاءت بمعنى الرجوع عن الشيء والتحول عنه والانصراف إلى غيره، وجاء في (الصحاح) تحت مادة (ردد) "رده عن وجهه يرُدُّه ردّاً ومَرَداً: صرفه، وقال الله تعالى: ﴿**فَلَا مَرَدَّ لَهُ**﴾ [الرعد:١١]، وردّ عليه الشيء، إذا لم يقبَلْهُ، وكذلك إذا خطأه. وتقول: رَدَّهُ إلى منزله. وردّ إليه جواباً:أي رجع... والارتداد: الرجوع، ومنه المرتدُّ... والرِدَّة بالكسر مصدر قولك ردّهُ يَرُدُّه رَدّاً ورِدَّة، والرِدَّةُ: الاسم من الارتداد"[٥]، وفي المعنى السابق نفسه جاء في (لسان العرب) أن الردة بمعنى التحول "ارتدَّ، وارتد عنه: تحول. وفي التنزيل ﴿**مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ**﴾ [المائدة:٥٤]، والاسم الرِّدَّةُ، ومنه الردة عن الإسلام. أي الرجوع عنه. وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه"[٦].

١- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٥١/٢٠.

٢- العقيدة الإسلامية وأسسها عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص٦١٥، الناشر: دار القلم، دمشق، ط السادسة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣- كتاب الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري ص٨٣، تحقيق ودراسة: د. أحمد عبد الحميد غراب، الناشر: دار الكاتب العربي، القاهرة -بدون رقم طبعة-، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٤- القاموس الفقهي -لغة واصطلاحاً- سعدي أبو حبيب ص٣٢١، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥- الصحاح للجوهري٤٧٣/٢، انظر:القاموس المحيط للفيروز آبادي٣٠٤/١،المحيط في اللغة لابن عباد ٢٥٧/٩.

٦- لسان العرب لابن منظور ١٦٢١/٢.

ب- الردة اصطلاحاً:

جاء في تعريف الردة عند الأحباش بأنها "قطع الإسلام"[١]، ويبين الحبشي المقصود بهذا من خلال قوله: "يجب على كل مسلم حفظ إسلامه، وصونه عما يفسده ويبطله ويقطعه وهو الردة"[٢]، وأوضح الحبشي أن قطع الإسلام والارتداد عنه يكون إما بأفعالٍ أو أقوالٍ أو اعتقادات[٣]؛ وهذا الذي ذكره الحبشي في تعريفه للردة موافق لما عليه علماء أهل السنة والجماعة، ومن النصوص الواردة في هذا الشأن ما يلي:

- ما ذكره الإمام النووي في (المنهاج) بأن الردة "هي قطع الإسلام بنيةٍ، أو قول كفرٍ، أو فعلٍ سواء قاله استهزاءً أو عناداً أو اعتقاداً"[٤]، ويزيد الإمام النووي الأمر وضوحاً في تعريفه للردة حيث جاء في كتابه (روضة الطالبين) بأن الردة "قطع الإسلام، ويحصل ذلك تارة بالقول الذي هو كفر، وتارة بالفعل، والأفعال الموجبة للكفر هي التي تصدر عن تعمد واستهزاء بالدين صريح، كالسجود للصنم أو للشمس، وإلقاء المصحف في القاذورات... وتحصل الردة بالقول الذي هو كفر، سواء صدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء"[٥].

وما قاله الإمام أبو بكر الحسيني في (كفاية الأخيار) في الردة بأنها: "الرجوع عن الإسلام إلى الكفر وقطع الإسلام، ويحصل تارة بالقول، وتارة بالفعل، وتارة بالاعتقاد"[٦].

- أو ما جاء عن الإمام أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي في تعريفه للردة بأنها: "قطع الإسلام بقول أو فعلٍ أو نية"[٧]. ومما سبق ذكره يتبين أن الأحباش لم يخالفوا في تعريف الردة، ويكونون وافقوا علماء أهل السنة والجماعة.

---

[١]- بهجة النظر إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٤٢.

[٢]- مختصر عبدالله الهرري للحبشي ص١٣.

[٣]- انظر: صريح البيان للحبشي ص٩٤.

[٤]- شرح مغني المحتاج للشيخ الشربيني الخطيب مع متن المنهاج للنووي ١٣٣/٤-١٣٤ -المتن-، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م.

[٥]- روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي ٦٤/١٠، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

[٦]- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار لأبي بكر بن محمد الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي ١٢٣/٢، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط الثانية -بدون سنة نشر-.

[٧]- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة لأبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني الشافعي ص٣٥١، -بدون دار نشر أو رقم طبعة-، ط ١٤٠١هـ-١٩٨١م، انظر: شرح فتح الجليل على مختصر العلامة خليل للشيخ محمد عليش، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

المطلب الثاني: العلاقة بين الكفر والردة عند الأحباش:

وعند النظر فيما كتبه الحبشي في الكفر والردة، يُلاحظ أن العلاقة بينهما علاقة تماثل أي أن الكفر والردة شيء واحد والدليل على ذلك ما ذكره الحبشي في تقسيم الكفر تحت عنوان "بيان أقسام الكفر"[١]، ويبين أن "الكفر ثلاثة أنواع: كفر اعتقادي، وكفر فعلي، وكفر لفظي وذلك باتفاق المذاهب الأربعة"[٢]،وفي المقابل عندما يتحدث الحبشي عن الردة وأقسامها يقول: "والردة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أفعال وأقوال واعتقادات، كما اتفق على ذلك أهل المذاهب الأربعة"[٣]، وتحت هذه العناوين في الكفر والردة يذكر الأمثلة نفسها ويكررها، وهذا يدلل على أن الكفر والردة عند الحبشي شيء واحد.

ولكن الحبشي لا يثبت على رأي معين في هذه المسألة من حيث جعله الكفر والردة بمعنى واحد من خلال ذكر التقسيم نفسه تحت كل من الكفر والردة، فأحياناً يجعل الكفر أعم من الردة وهذا يفهم من خلال قوله: "ولا يزول اسم الإيمان والإسلام عن المؤمن إلا بالردة التي هي أفحش أنواع الكفر، ويسمى عندئذٍ كافراً"[٤]، ويظهر من هذا القول للحبشي أن الردة أخص من الكفر وهي داخلة فيه، لأنه اعتبر من يرتد يكون قد ارتكب أفحش أنواع الكفر ويطلق عليه كافراً.

وخلاصة القول فيما سبق ذكره أن للحبشي رأيين في بيان العلاقة بين الكفر والردة، الأول: أن الكفر والردة متماثلان، والثاني: أن الكفر أعم من الردة، أما الرأي الأول فهو مردود، لأن الردة أخص من الكفر وتكون الردة بعد دخول الإنسان في الإسلام والخروج منه، وأما الكفر فيتعلق بكل إنسان لم يشهد الشهادتين وبقي على معتقده سواءً أكان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو أي معتقد يخالف الدين الإسلامي، ويزيد الأمر وضوحاً فيمن تحدث عن الردة فيقول ابن النقيب المصري في بيان المرتد بأنه هو "من ارتد عن الإسلام، وهو بالغ عاقل مختار"[٥]، وأيضاً أبو بكر الحسيني في حديثه عن الردة: "الرجوع عن الإسلام إلى الكفر وقطع الإسلام"[٦]، وغيرها من التعريفات التي سبق ذكرها، تبين أن الردة تحصل بعد الدخول

---

[١]- الصراط المستقيم للحبشي ص٩، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣١.

[٢]- المصدرين السابقين.

[٣]- صريح البيان للحبشي ص٩٤، انظر: مختصر عبدالله الهرري للحبشي ص١٣، بغية الطالب للحبشي ص٣٧، بهجة النظر إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٤١.

[٤]- صريح البيان للحبشي ص٩٣.

[٥]- عمدة السالك وعدة الناسك لأبي العباس أحمد بن النقيب المصري ص٢٣٣، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[٦]- كفاية الأخيار لابن محمد الحسيني ١٢٣/٢.

في الإسلام، ويكون كل مرتدٍ كافراً وليس كل كافرٍ مرتداً؛ أما إذا ادعى الحبشي بأنه يفرق بين كل من الكفر والردة يحتج عليه بما ذكره في تقسيمات كل من الكفر والردة بأنه شيء واحد بل إن الأمثلة نفسها، وإن من ادعى أن هذا دليل لا يقوى للاحتجاج به على أنه جعل الكفر والردة شيئاً واحداً، فهذا مردود عليه لأن الحبشي نفسه يحاسب غيره على كل كلمة يقولها بل إنه يفسق خصومه بناءً على بعض الكلمات بل وأحياناً يكفرهم، مثال ذلك ما ذكره في حق الشهيد سيد قطب، وفي الصفحة نفسها ما ذكره في حق البوطي فيقول: "وكذلك لا يجوز تسمية الله بالقوة كما فعل سيد قطب وكأنه اقتدى بكلام بعض الملاحدة الذين يقولون (إن للعالم قوة مدبرة)... وكذلك تسمية سيد قطب لله بالعقل المدبر لأن العقل صفة من صفات البشر والجن والملائكة، وهذه التسمية تدخل تحت قول الإمام أبي جعفر الطحاوي في كتابه الذي ألفه لبيان ما عليه أهل السنة: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر)، وكذلك ما في كتاب محمد سعيد البوطي من تسمية الله بالعلة الكبرى والسبب الأوّل والواسطة والمصدر والمنبع وذلك مذكور في كتابه كبرى اليقينيات الكونية وذلك نوع من الإلحاد"[1]، وهذا مثال على حساب الحبشي لخصومه على كلمات، وإذا كان الأمر كذلك فلا شك أن كل كلمة يكتبها الحبشي يقصدها ويعرف مدلولاتها ومقاصدها وإلا يكون لا ثقة في علمه ويتوجب الحذر منه

وأما القول الثاني للحبشي في أنه جعل الكفر أعم من الردة فهذا موافق لما عليه العلماء وهذا يظهر من خلال مناقشته في القول الأول.

المطلب الثالث: الكفر وأنواعه:

أولاً: أنواع الكفر عند الأحباش:

ينقسم الكفر عند الأحباش إلى ثلاثة أنواع وهي: الكفر الاعتقادي، والكفر الفعلي، والكفر اللفظي، وهذا ما يوضحه الحبشي بقوله: "الكفر ثلاثة أنواع: كفر اعتقادي، وكفر فعلي، وكفر لفظي"[2]، ويفصل الحبشي القول في هذه الأنواع الثلاثة:

١- "الكفر الاعتقادي: مكانه القلب، كنفي صفةٍ من صفات الله تعالى الواجبة له إجماعاً كوجوده وكونه قادراً سميعاً بصيراً...
٢- الكفر الفعليّ: كإلقاء المصحف في القاذورات...
٣- الكفر القولي: كمن يشتم الله تعالى..."[3].

[1]- الشرح القويم للحبشي ص١٥١.

[2]- الصراط المستقيم للحبشي ص٩، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣١-٤٩، صريح البيان للحبشي ص٩٤-١١٥، بغية الطالب للحبشي ص٣٧-٥٩، مختصر عبدالله الهرري للحبشي ص١٣-١٦.

[3]- الصراط المستقيم للحبشي ص٩.

يحتاج الأمر هنا إلى تفصيل: بحيث إذا أراد الحبشي بهذه الأنواع الثلاثة من الكفر الاعتقادي والفعلي والقولي أنها نتيجة ردة المسلم عن دينه للأمور الثلاثة السالفة الذكر، أي أراد بالكفر هنا الناتج عن الردة فهذا صحيح، حيث ذكر العلماء هذه الأمور تحت عنوان الردة وخاصة في كتب الفقه،حيث جاء في(فتح العلام) أن الردة تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي كالتالي:

"الأول: الاعتقادات: كالشك في وجود الله، وكأن شك في سيدنا محمد هل هو رسول الله أو لا؟ أو في القرآن هل هو من عند الله أو من عند سيدنا محمد؟....

الثاني: الأفعال: كالسجود لصنم أو لشمس أو لقمر أو لمخلوق....

الثالث: الأقوال: وهي كثيرة جداً لا تنحصر كأن يقول لمسلم: يا يهودي، أو يا نصراني، أو عديم الدين..."[1]،والشيخ عبد الرحمن الميداني ذكر هذه الأمور التي تُخرج الإنسان المسلم من دينه تحت مسمى المكفرات على أنها نتيجة للردة التي يقع فيها المسلم،وفصّل في ذلك حيث قال: "إن المكفرات في الأصل أمور ومفردات اعتقادية، تكسر في قلب الإنسان قناة الإيمان الصحيح الذي هو وحده تامة لا تقبل التجزئة مطلقاً، فمن اعتقد بها كلها صحّت عقيدته وكان من المؤمنين، ومن آمن ببعضها وكفر ببعضها عاد الجزء الذي كفر به فنقص الجزء الذي آمن به وكان من الكافرين؛ ولكن لما كانت الأمور الإعتقادية أموراً قلبية، ونحن بالنظر لحدود إمكاناتنا البشرية لا نستطيع أن نستشفها إلا من خلال مظاهر السلوك الإنساني في الأقوال والأفعال، لزمنا أن نعتبر هذه المظاهر أمارات على المعتقدات القلبية، وأن نحكم من خلالها على بعض الناس بالكفر، لأنه ظهر منه قول أو فعل لا يظهر عادة إلا من كافر في عقيدته، ثم نترك لله الحكم على دخائلهم ونياتهم، وإن الإسلام قد جعل لنا بعض أقوال الإنسان وأفعاله أمارات تسمح لنا بان نحكم على من ظهرت منه هذه الأمارات بالكفر؛ وأن نُجري عليه أحكام الكافرين. فالمكفرات إذن معتقدات قلبية وأمارات ظاهرة من أقوال وأعمال تدل عليها.

ولذلك يصح لنا أن نقسم أصول المكفرات إلى ثلاثة أقسام:

الأصل الأول: وهو الأصل الأساسي: المكفرات الإعتقادية.

الأصل الثاني -وهو من باب الأمارات-: المكفرات القولية.

الأصل الثالث -وهو من باب الأمارات أيضاً-: المكفرات العملية"[2]، وبالتالي إن قصد الحبشي بأنواع الكفر المسمى الطبيعي للردة والنتيجة الحتمية لها وهي الكفر فقد وافق العلماء في ذلك كما سبق بيانه.

---

[1] - فتح العلام -بشرح مرشد الأنام- لمحمد عبدالله الجرداني ٥٣٦/٤-٥٣٧، تصحيح وتعليق: محمد النجار، الناشر: دار السلام، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

[2] - العقيدة الإسلامية للميداني ص٧١٨-٧١٩.

وأما إن قصد بأنواع الكفر المسمى العام للكفر الذي يتصف به كل إنسان مخالف لما جاء بـه النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- من يهود ونصارى وغيرهم، فهذا تقسيم مخالف لما عليه السلف في تقسيم الكفر، وهذا ما يوضحه ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين) حيث قسّم الكفر إلى نـوعين: كفر أكبر وكفر أصغر، ويعبر عن ذلك بقوله: "فأما (الكفر) فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر؛ فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار؛ والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلـود"[١]، والكفـر الأكبر يقسمه ابن القيم إلى خمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مـع التصـديق، وكفـر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق؛ ويمثل ابن القيم لكل نوع من أنواع الكفر الأكبر بالتالي:

١- **كفر التكذيب**: وهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل فـي الكفـار، لأن الله سـبحانه وتعالى أيد رسله بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم، فقال الله سـبحانه وتعـالى عـن فرعون وقومه: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ [النمل:١٤]، وقـال الله لرسوله: ﴿**فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [الأنعام:٣٣] [٢].

٢- **كفر الإباء والاستكبار**: وذلك ككفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار؛ ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله ولم يَنْقَدْ له إباءً واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكـى الله كفـر اليهود حيث قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾ [البقرة:٨٩] [٣].

٣- **كفر الإعراض**: وفيه يعرض الكافر بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبـه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة، كما قال أحد مـن بنـي عمـرو بـن عمير[٤] للنبي -صلى الله عليه وسلم-: (والله أقول لك كلمة إن كنت صادقاً، فأنت أجـلّ في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أكلمك)[٥]، وبهذا يتبـين كفـر الإعراض عن دعوة الحق[٦].

---

[١]- مدارج السالكين لابن القيم ٣٣٥/١.

[٢]- المصدر السابق ٣٣٧/١ بتصرف.

[٣]- المصدر نفسه ٣٣٧/١ بتصرف.

[٤]- كما ورد في (سيرة ابن هشام) وليس كما جاء في (مدارج السالكين لابن القيم) أن القائل أحد بني عبد يا ليل، لأن هذا المذكور أحد الثلاثة الذين خاطبهم الرسول -صلى الله عليه وسلم-، انظر: السيرة النبويـة لأبي عبد الملك بن هشام المعافري -المعروفة بسيرة ابن هشام- ٣٠/٢، تحقيق: جمال ثابت ومجموعة، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

[٥]- السيرة النبوية لابن هشام ٣٠/٢.

[٦]- مدارج السالكين لابن القيم ٣٣٨/١ بتصرف.

٤ - **كفر الشــك**: وفيه لا يجزم بصدق الرسول ولا بكذبه، بل يشك في أمره، وهذا لا يســتمر شكُّه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول -صــلى الله عليــه وسلم- جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها، ونظره فيها فإنه لا يبقــى معه شك، لأنها مستلزمة للصدق ولا سيما بمجموعها، فإن دلالتها على الصــدق كدلالــة الشمس على النهار[1]، ويسمى هذا الكفر أيضاً بكفر الظن، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَدَخَـلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا .... وَلَا أُشْـرِكُ بِرَبِّـي أَحَـدًا**﴾ [الكهف:٣٥-٣٨] [2].

٥ - **كفر النفاق**: وهو أن يظهر المنافق بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب، وهذا هو النفاق الأكبر[3]، والنفاق ينقسم إلى نوعين: اعتقادي أو عملي: "فأما الاعتقادي، فهو ســتة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض بعــض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول. وأما العملي: فهو خمسة أنواع، والدليل قوله -صلى الله عليه وسلم-: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان"[4]، وفي حديث آخر "وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر"[5]؛ فهذه الأنواع الخمسة وصاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار"[6].

وهذا التقسيم لم يقتصر عليه ابن القيم فقط بل تعداه إلى علماء آخرين، وإن كــان هنــاك خلاف محدود في عدد أنواع الكفر، حيث ينقل الإمام السيوطي عن الإمام النووي قوله: "الكفر

[1] - مدارج السالكين لابن القيم ٣٣٨/١ بتصرف.

[2] - مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب ص١٠ بتصرف، الناشر: دار إحياء التراث، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[3] - مدارج السالكين لابن القيم ٣٣٨/١ بتصرف.

[4] - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح٣٣، ١٦/١، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بــاب بيان خصال المنافق، ح٥٩، ٧٨/١.

[5] - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح٣٤، ١٧/١، وأيضاً: كتاب المظالم، باب إذا خاصم فجر، ح٢٤٥٩، ١٣٩/٣، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق، ح٢٦٣٢، ١٩/٥-٢٠.

[6] - مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب ص١١.

أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق؛ من أتـــى الله بواحـــد منهـــا لا يغفر له، ولا يخرج من النار"[1].

وهناك نصوص تبين أن الكفر ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر أو كفر يخرج من الملـــة، وكفر لا يخرج من الملة، حيث استدل ابن القيم في كتابه (مـــدارج الســـالكين) بالعديـــد مـــن النصوص منها قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤]، ويورد ابن القيم أقوال السلف فيها: فيقول ابن عباس: "ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعلـــه فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر"[2]، وكذلك قال طاووس، وقال عطاء: "هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق"[3]، ويقول فيها ابن القيم: والصحيح: أن الحكـــم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم. فإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصياناً مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهـــذا كفـــر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبـــر، وإن جهلـــه وأخطـــأه، فهـــو مخطـــئ له حكم المخطئين، والقصد:أن المعاصي كلهـــا مـــن نـــوع الكفر الأصغر[4].

ومن النصوص أيضاً قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[5]، وفي هذا الحديث يتبين أن الكفر نوعان: أصغر وأكبر أي كفر مخـــرج مـــن الملـــة، وكفر غير مخرج من الملة كما في الحديث، ويعلق الإمام النووي عليه بقوله: "وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفراً يخرج به من الملة"[6]، وأيضاً في المعنى الســـابق يقـــول ابن حجر: "ولم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج عن الملة، بل أطلق عليه الكفر جامعة فـــي

---

[1] - الأشباه والنظائر -في قواعد وفروع فقه الشافعية- للإمام جلال الدين عبد الرحمن الســـيوطي ص٤٨٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـــ-١٩٨٣م.

[2] - مدارج السالكين لابن القيم ٣٣٦/١.

[3] - المصدر السابق ٣٣٦/١.

[4] - المصدر نفسه ٣٣٦/١-٣٣٧ بتصرف.

[5] - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ح٤٨، ٢١/١، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- سباب مسلم فسوق وقتاله كفر، ح٦٤، ٨١/١.

[6] - شرح صحيح مسلم للنووي ٢٤١/١.

التحذير، معتمداً على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة"[1]، وبالتالي فإن الكفر الأصغر المراد به كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام لا كفر الجحود[2].

ثانياً: الحالات التي تستثنى من الكفر اللفظي عند الأحباش:

يعدد الحبشي حالات يستثنى منها الكفر اللفظي، بحيث من وقع في مثلها لا يبوء بحكم الكفر، فيعبر عن ذلك بقوله: "يستثنى من الكفر اللفظي:

١- **حالة سبق اللسان**: أي أن يتكلم بشيء من ذلك بغير إرادة، بل جرى على لسانه ولم يقصد أن يقوله بالمرة.

٢- **حالة غيبوبة العقل**: أي عدم صحو العقل.

٣- **حالة الإكراه**: فمن نطق بالكفر بلسانه مكرهاً بالقتل ونحوه، وقلبه مطمئن بالإيمان فلا يكفر، قال تعالى: ﴿**وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ**﴾ [النحل:١٠٦].

٤- **حالة الحكاية لكفر الغير**: فلا يكفر الحاكي كفر غيره على غير وجه الرضى والاستحسان ومستندنا في استثناء مسألة الحكاية قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ**﴾ [التوبة:٣٠]، ﴿**وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ [المائدة:٦٤]، ثم الحكاية المانعة لكفر حاكي الكفر إما أن تكون في أول الكلمة التي يحكيها عمن كفر، أو بعد ذكره الكلمة عقبها، فلو قال: المسيح ابن الله قول النصارى، أو قالته النصارى، فهي حكاية مانعة للكفر عن الحاكي.

٥- **حالة كون الشخص متأولاً باجتهاده في فهم الشرع**: فإنه لا يكفر المتأول كتأول الذين منعوا الزكاة في عهد أبي بكر بأن الزكاة وجبت في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأن صلاته كانت عليهم سَكَناً لهم وطهرةً، وإن ذلك انقطع بموته فإن الصحابة لم يكفروهم بذلك..."[3].

والمتأمل للحالات التي تستثنى من الكفر اللفظي عند الأحباش يلاحظ أن الحبشي وافق السلف في معظمها، ففي حالة سبق اللسان يذكر القاضي عياض رأياً فيمن زل لسانه وسبق فبدل أن يلعن الشيطان لعن بارئه يقتل بكفره ولا يقبل عذره ثم يعلق على ذلك بقوله: "وهذا

---

[1] - فتح الباري لابن حجر ١١٢/١.

[2] - انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٢٤١/١، مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب ص١٠، العقيدة الإسلامية للحكمي ص٢٣.

[3] - الصراط المستقيم للحبشي١٣-١٤،انظر:الشرح القويم للحبشي٤٩-٥٧،صريح البيان للحبشي١١٩-١٢٧.

على القول الآخر من أنه لا تقبل توبته"[1]، أي أن هناك رأياً أولى ومقدماً على هذا الرأي من أن سبق اللسان وزلته تقبل توبته. وفي المقابل يبين القاضي عياض أن "من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه؛ أو تمثل في بعض الأشياء ما عظّم الله من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصدٍ للكفر والاستخفاف ولا عامدٍ للإلحاد فإن تكرر هذا منه، وعُرف به دل على تلاعبه بدينه، واستخفافه بحرمة ربه، وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفرٌ لا مرية فيه"[2].

- وأيضاً حالة غيبوبة العقل تستثنى من الكفر اللفظي بحيث لو تلفظ أحد بكلمة الكفر وهو غائب بعقله فلا عبرة لما قاله، فقد ورد عن الإمام الشافعي قوله: "ولو ارتد مغلوباً على عقله بغير السكر لم يحبسه الوالي ولو مات بتلك الحال لم يمنع ورثته المسلمون ميراثه لأن ردته كانت في حال لا يجري فيها عليه القلم"[3]، ومن المعلوم السكر والجنون يكون فيه ذهاب العقل لهذا فإن: "السكران والمجنون ما عُلم أنهما قالاه في حال لا يميزان فيه فلا عبرة به"[4].
- وأيضاً حالة الإكراه بحيث لو نطق الإنسان بكلمة الكفر وهو مطمئن بالإيمان فلا شيء عليه وهذا معلوم من خلال النصوص الشرعية كقوله تعالى: ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ**﴾ [النحل:١٠٦]، وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[5]، لهذا جاء عن الإمام الشافعي قوله: "لو أن رجلاً أسره العدو فأكرهه على الكفر لم تبن منه امرأته ولم يحكم عليه بشيء من حكم المرتد"[6]، أي هذا دليل على انتفاء حكم الردة عنه، وجاء عن الإمام النووي قوله في حكم المكره: "المؤمن إذا أكره على أن يتكلم بكلمة الكفر فتكلم بها، لا يحكم بردته"[7]، وجاء في

---

[1]- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١٠٩٢/٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: مكتبة الإيمان -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[2]- الشفا للقاضي عياض ١٠٩٣/٢.

[3]- الأم لمحمد بن إدريس الشافعي ١٧١/٦، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

[4]- الذخيرة للقرافي ٣٠/١٢.

[5]- سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، ح٢٠٤٥، ٦٥٩/١، ويقول محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على الحديث: في الزوائد إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع.

[6]- الأم للشافعي ١٧٥/٦.

[7]- روضة الطالبين للنووي ٧٢/١٠.

(الذخيرة) للقرافي أن: "الإكراه مسقط لاعتبار الأسباب كالبيع والطلاق وغيرهما، والردة سبب الإهدار والإسلام سبب العصمة فيسقطان مع الإكراه"[1].

- أما حالة حكاية الكفر عن الغير فهذا لا شيء فيه بحيث لم يرد عن علماء السلف نهيٌ في هذه الأمور، لأنه كثيراً ما يُسأل العلماء عن مسائل ينقل فيها السامع أقوالاً كفريةً ولم يرد عن العلماء نهيٌ في ذلك، ولكن الذي يؤخذ على الحبشي في هذه الجزئية أنه تساهل كثيراً في نقل ألفاظ كفرية بحجة تحذير الناس منها، وهذه الألفاظ يعف القلم عن كتابتها لأنها ألفاظ فاضحة، لا يجوز نقلها كما هي لو كانت في حق العباد لأنها خارجة عن نطاق الأدب، فكيف يجوز نقلها وكتابتها بحجة التحذير منها من خلال عدم قولها في حق الله سبحانه وتعالى، وهذا الذي ذكره الحبشي في نقل مثل هذه الألفاظ مخالف لمنهج علماء السلف، حيث إنهم استعظموا استخدام لفظ الجلالة في بعض العبارات الموهمة، أو حتى التقلل من استخدام لفظ الجلالة في حديثهم من باب التعظيم والإجلال لله سبحانه وتعالى، حيث ورد عن عون بن عبدالله الزاهد الفقيه التابعي الذي توفي في حدود العشرين ومائة أنه قال: "ليعظِّمَ أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول: أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا"[2]، وقال أيضاً: "وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قلَّ ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته. وكان يقول للإنسان: جزيت خيراً. وقل ما يقول: جزاك الله خيراً، إعظاماً لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة"[3]، وبعد هذا يظهر الفرق الشاسع والبون الكبير بين منهج السلف في استخدام الألفاظ في حق الله، وبين منهج الحبشي في استخدام الألفاظ العارية الخادشة للحياء في حق العبيد، فكيف إذا كانت منسوبة لله سبحانه وتعالى ولو كانت من باب التحذير منها، لأنه لا بد من التأدب مع الله سبحانه وتعالى.
- أما كون الشخص متأولاً باجتهاده في فهم الشرع فإنه يستثنى من الكفر حسب قول الحبشي فهذا يحتاج إلى نوع من البيان والتوضيح، بحيث لا بد من معرفة ما يجوز فيه الاجتهاد وما لا يجوز لأن الأحكام الشرعية لا يجوز أن تكون كلها في محل اجتهاد، ويبين هذا الأمر الدكتور عبد الكريم زيدان بقوله: "ليست الأحكام الشرعية كلها تصلح أن تكون محل اجتهاد، ولهذا قال بعض علماء الأصول: "المجتهدون فيه هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي" أي أن الأحكام الشرعية التي فيها أدلة قطعية لا تحتمل الاجتهاد والاختلاف، مثل: وجوب الصلاة، والصيام، وحرمة الزنى ونحو ذلك مما وردت فيه نصوص قطعية،

---

[1] - الذخيرة للقرافي ١٤/١٢.

[2] - الشفا للقاضي عياض ١٠٩٦/٢.

[3] - المصدر السابق ١٠٩٦/٢.

وشاع أمرها، وعرفها الجاهل والعالم على حدٍ سواء ولم يغدر أحد بجهلها"[1]، وفي المعنى السابق جاء عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن: "المخطئ المعذور من أخطأ في المسائل النظرية الاجتهادية لا من أخطأ فيما ثبت بنص صريح، ولا فيما هو معلوم من الدين بالضرورة"[2]، وبالتالي لا بد أن يكون الاجتهاد منصباً على ما هو غير معلوم من الدين بالضرورة، وعلى ما لم يرد بنصوص قطعية الثبوت، ولهذا يتبين أن: "مذهب أهل السنة: لا يُعذر من أدّاه اجتهاده لبدعة، لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يُعذروا، وسمّاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مارقين من الدين"[3].

وأيضاً المثال الذي استدل به الحبشي من عدم تكفير المرتدين الذين منعوا الزكاة بحجة اجتهادهم في تأويلهم حسب فهمهم الشرع[4]، فهذا كلام موهم يحتاج إلى بيان، فقد بيّن القاضي عياض وغيره أن أهل الردة ثلاثة أصناف:

١- صنف عادوا إلى عبادة الأوثان.

٢- وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي، وكانا قد ادعيا النبوة فحاربهم المسلمون وقضوا عليهما وعلى أتباعهما.

٣- وصنف استمروا على الإسلام ولكنهم جحدوا الزكاة وتأولوا بأنها خاصة بزمن النبي -صلى الله عليه وسلم-[5].

ويلاحظ أن البخاري قد ترجم كتاب بقوله (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم)[6]، وقام الإمام البخاري بإدراج الصنف الثالث تحت باب (قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة)[7]، وذكر الإمام البخاري في هذا الباب الأحاديث التي تحدثت عن أهل الردة، فعن أبي هريرة أنه قال: "لما توفي النبي -صلى الله عليه وسلم- واستُخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه

[1] - الوجيز في أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان ص٤٠٦، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

[2] - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدّويش ٣٩/٢، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، ط الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

[3] - الذخيرة للقرافي ٢٣٤/١٣.

[4] - انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص١٤.

[5] - فتح الباري لابن حجر ٢٧٦/١٢ بتصرف.

[6] - صحيح البخاري ٦٤/٨.

[7] - المصدر السابق ٦٤/٨.

وسلم- أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله"[١]، وينقل ابن حجر عن القاضي عياض في تعليقه على الحديث أنه يوجد فيه "نص بقتال من لم يصل ولم يزك، كمن لم يقر بالشهادتين، واحتجاج عمر على أبي بكر، ولو سمعه أبو بكر لرد به على عمر ولم يحتج إلى الاحتجاج بعموم قوله (إلا بحقه)"[٢]، ويعلق ابن حجر على ما سبق بقوله: "إن كان الضمير في قوله (إلا بحقه) للإسلام فمنهما ثبت أنه من حق الإسلام تناوله، ولذلك اتفق الصحابة على قتال من جحد الزكاة[٣]، ومن المعلوم أن الذين منعوا الزكاة نسبوا إلى الردة، وهذا مستفاد من ترجمة البخاري للكتاب وللباب الوارد فيه الحديث السابق، والردة هي الخروج من الإسلام، ولهذا جاء عن أبي بكر قوله: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة من المال، والله لو منعوني عَناقاً كانوا يؤدونها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق"[٤]، ويرى الإمام المازري أن: "ظاهر السياق أن عمر كان موافقاً على قتال من جحد الصلاة فألزمه الصديق بمثله في الزكاة لورودهما في الكتاب والسنة مورداً واحداً في قوله: (إن الزكاة حق المال) يشير إلى دليل منع التفرقة التي ذكرها أن حق النفس الصلاة، وحق المال الزكاة، فمن صلى عصم نفسه، ومن زكى عصم ماله، فإن لم يُصل قوتل على ترك الصلاة، وإن لم يُزك أخذت الزكاة من ماله قهراً"[٥]، وبالتالي فإن الردة "قد تطلق على الامتناع من أداء الحق كمانعي الزكاة في زمن الصديق -رضي الله عنه-"[٦]، وأهل الردة من العرب كفرهم أغلظ من غيرهم، لهذا كان قتالهم أولى من غيرهم من الكفار[٧].

---

[١]- صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، ح٦٩٢٤، ٦٤/٨.

[٢]- فتح الباري لابن حجر ٢٧٧/١٢.

[٣]- المصدر السابق ٢٧٧/١٢.

[٤]- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ح١٤٠٠، ١٣٥/٢، وأيضاً: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، ح٦٩٢٥، ٦٤/٨-٦٥.

[٥]- فتح الباري لابن حجر ٢٧٧/١٢-٢٧٨.

[٦]- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لمحمد بن أبي العباس الرملي المنوفي المصري ٤١٣/٧، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

[٧]- انظر: كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي ٧٦/٢١، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، الناشر، مكتبة الإرشاد، جدة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

وبهذا يتبين عدم صحة استخدام المثال السابق، والذي استدل به الحبشي ضمن حال كون الشخص متأولاً باجتهاده في فهم الشرع بحيث لا يكفر المتأول[1]، وذلك أن المرتدين لم يتأولوا أمراً مبهماً غير معلوم بالنصوص الشرعية قطعية الثبوت، وإنما أنكروا أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، ويتحدث ابن تيمية -رحمه الله- عن استثناءات في تكفير المجتهد فيقول: "ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة"[2]، وأهل الردة أقيمت عليهم الحجة بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة وبهذا يثبت كفرهم؛ ويقرر ابن تيمية -رحمه الله- مذهب أهل السنة والجماعة في عدم تكفير أهل القبلة بذنب إلا في بعض الأمور، كأن "يكفر بعدم اعتقاد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، وعدم تحريم المحرمات الظاهرة المتواترة"[3]، وأي بيان أوضح من نصوص القرآن والسنة في وجوب الزكاة.

ومما سبق بيانه يظهر أن الحبشي فتح باب الاجتهاد على مصراعيه للجميع، وذلك من خلال عدم وضع ضوابط لهذا الاجتهاد بحيث جعله مطلقاً لجميع الناس غير مقيد وهذا مخالف لما عليه السلف، لأن الاجتهاد يقتصر على ما هو غير معلوم من الدين بالضرورة، وفيما لم يثبت قطعيته، بالإضافة إلى ذلك لا بد من توفر شروط في المجتهد تؤهله للاجتهاد: كمعرفة الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، ودقائق اللغة، وألا يكون للأهواء مجال في الاجتهاد إلى غير ذلك مما هو مذكور في كتب الأصول. وأيضاً لم يوفق في عرض المثال والاستدلال به في هذا الموضع، لأن المرتدين الذين منعوا الزكاة في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- ثبت خروجهم من الإسلام بعد فعلهم هذا، فكيف يجعلهم الحبشي متأولين في فهم الشرع وإنما هم منكرون لأمور ثبتت بالنصوص القطعية؛ وشتان بين من ينكر ويجحد، وبين من يجتهد ويتأول؟!.

---

[1] - الصراط المستقيم للحبشي ص١٤ بتصرف.

[2] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٤٧/٣.

[3] - المصدر السابق ٥٣/٢٠.

الفصل الثاني

التصوف عند الأحباش

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مدخل إلى الصوفية .

المبحث الثاني : الحبشي والطرق الصوفية .

المبحث الثالث : من بدع التصوف عند الأحباش .

المبحث الأول: مدخل إلى الصوفية:

المطلب الأول: الإسلام والتصوف:

إن الدين الإسلامي هو دين الفطرة، حيث إن الله سبحانه وتعالى فطر الناس على الإقرار بوحدانيته، وهذا الإقرار من خلال ما شرعه الله سبحانه وتعالى من شرائع بعيدة عن التعقيد، والصعوبة في تطبيقها، وهذا الأمر ظاهر من خلال أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- التي وردت عنه، فقد ورد أن أعرابياً جاء للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال له: "دلّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال -صلى الله عليه وسلم-: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه، فلما ولّى، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من سَرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا"[1].

والأمر الذي سهل على المسلمين تَفّهم هذا الدين والشعور بحيويته وتدفقه في شرايين الحياة، أنه مأخوذ من الكتاب السنة، ولهذا وجه الرسول -صلى الله عليه وسلم- صحابته للتمسك بهما فقال: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله"[2]، والرسول -صلى الله عليه وسلم- "ربّى أصحابه وتلامذته في ظلهما وضوئهما تربية نموذجية لكي يكونوا قدوة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، ومثلاً عليا لمن أراد أن يهتدي بهدى الله جل وعلا وهدى رسوله -صلى الله عليه وسلم- فكانوا صورة حية لتعاليم الرب تبارك وتعالى، وإرشادات رسوله -صلى الله عليه وسلم- متبعين مقتدين، غير مبتدعين محدثين، متقدمين بين يدي الله ورسوله، متبعين مرضاة الله، ومقتفين آثار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مهتدين بهداه، سالكين بمسلكه، منتهجين منهجه، غير باغين ولا عادين، ولا مفرّطين في أمور دينهم ودنياهم ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**﴾ [الأنعام:٩٠] "[3]، وبالتالي فإن كل ما خالف الكتاب والسنة من اعتقاد لا يجوز الأخذ به، بل لا بد من تركه وعدم الالتفات إليه في أي حالٍ

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ح١٣٩٧، ١٣٤/٢.

[2]- الموطأ لمالك بن أنس، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ح٣، ص٨٩٩، تصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر- وصححه الألباني من حديث أبي هريرة، انظر: صحيح الجامع ح٢٩٣٧، ٥٦٦/٢، انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي -صلى الله عليه وسلم- ح١٢١٨،٢/٨٨٦-٨٩٢،حديث مطول وفيه ذكر القرآن دون السنة.

[3]- التصوف المنشأ والمصادر إحسان إلهي ظهير ص١٣، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

من الأحوال، وهذا الذي تم بيانه يذكره الإمام الشاطبي[1] في (الاعتصام) ،و يفصل القول فيه حيث ورد عنه:

١- إن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان، لأن الله تعالى قال فيها: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣]، وفي حديث العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موعظة ذرفت منها الأعين ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ قال: "تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي[2]، وثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يمت حتى بيّن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في أمر دينهم ودنياهم، وهذا لا خلاف فيه بين أهل السنة، فإذا كان الأمر كذلك، فالمبتدع يكون لسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقى منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع ولا استدرك عليها. وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم، قال ابن الماجشون: سمعت مالكاً يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة:٣]، فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً[3].

٢- إن المبتدع معاند للشرع ومخالف له، لأن الشارع قد عين لمطلب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة، وأمر الخلق بها، وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعدِّيها إلى غير ذلك، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول رحمة للعالمين، فالمبتدع راد لهذا كله، فإنه يزعم أن ثمّ طرقاً أُخر، ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عينه بمتعين، كأن الشارع يعلم، ونحن أيضاً نعلم، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع، أنه علم ما لم يعلمه الشارع. وهذا

---

[1]- **الشاطبي**: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، المالكي الشهير بالشاطبي (أبو إسحاق)، محدث، فقيه أصولي، لغوي، مفسر، توفي في شهر شعبان سنة ٧٩٠هـ. انظر: سير الأعلام للذهبي ١٧٦/١١، معجم المؤلفين لكحالة ١١٨/١-١١٩.

[2]- سنن ابن ماجة، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء المهديين، ح٤٢، ١٥/١-١٦، سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ح٢٦٧٦، ٤٤/٥، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

[3]- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، ٤٨/١-٤٩، بتصرف، الناشر: دار المعرفة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

إن كان مقصوداً للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود، فهو ضلال مبين[1].

٣- أيضاً : إن المبتدع قد أنزل نفسه منزلة المضاهي للشارع، لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق بها، وصار هو المنفرد بذلك، وهذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيراً ومضاهياً لله -سبحانه وتعالى- ، حيث شرع مع الشارع، وفتح للاختلاف باباً، ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع، وكفى بذلك قبحاً ومذمةً للمبتدع[2].

المطلب الثاني: أنواع التصوف:

قبل الخوض في بيان أنواع التصوف، لا بد من إيجاد ميزان يقاس عليه التصوف لمعرفة مدى قربه أو بعده من الشريعة الإسلامية، وهذا الميزان بينه (الدكتور غلوش) حيث وضح مصادر التصوف الصحيحة وهي:

١- القرآن الكريم.

٢- السنة النبوية المطهرة.

٣- الأثر الوارد عن السلف الصالح، والدائر في دائرة القرآن الكريم والسنة النبوية.

٤- ما أثر من سلوك وعبادة الصحابة -رضوان الله عليهم-.

٥- ما أثر عن سلوك وعبادة رجال السلف[3].

ويبين الدكتور غلوش أن المصدر الأساسي فيما سبق ذكره هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيقول: "وننبه إلى أن المصدر الأساسي لينبوع التصوف هو (القرآن الكريم- السنة النبوية)، وبقية هذه المصادر إنما هي (موضحة) لطريق العمل والسلوك لهذا المنبع الأصلي نزل بطريق (الوحي)"[4].

وبعد هذا العرض يتبين أن التصوف ينقسم إلى قسمين:

الأول: التصوف الإسلامي الصحيح.

الثاني: التصوف البدعي الدخيل.

---

[1]- الاعتصام للشاطبي ٤٩/١، بتصرف.

[2]- انظر: المصدر السابق ٥٠/١-٥١.

[3]- انظر: التصوف في الميزان د. مصطفى غلوش ص١١٥، الناشر: دار النهضة، مصر، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[4]- المرجع السابق ص١١٦.

أما القسم الأول: التصوف الإسلامي الصحيح، وفيه تكون "منابع التصوف هو القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، كما أوردها السلف وشرحوها، بلا باطن لنص أو ظاهر غير مراد"[١]، ولهذا يعرّف الدكتور غلوش التصوف الإسلامي بقوله هو : "الإحسان وهو الذي جاء به الوحي، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[٢]، وهذا التعريف هو روح الإسلام الذي يسعى الدين لتحقيقه في فكر المسلمين، لذلك فإن غاية التصوف الإسلامي أن يبلغ بالإنسان درجة روحية تقررها العقيدة الإسلامية الصحيحة وتعضدها. فلا معنى للتصوف الذي يتناقض مع القرآن الكريم أو السنة النبوية أو ما اجتمعت عليه الصحابة الكرام في الصدر الأول من الدعوة الإسلامية، ولا معنى للتصوف الذي تتعارض مبادئ معتقده مع مبادئ الإسلام، وما عُلم من الدين بالضرورة. أو التصوف الذي يشتمل على عبارات وكلمات أو عقائد لم ترد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة الكرام أو التابعين الأبرار، بل وأحياناً تكون مخالفة للمعتقدات الإسلامية الصحيحة، وبالتالي تفتح باباً للفتن و الشبهات، ودعاوى الظن والشك وتبتعد عن صفاء الإسلام وبهائه ونصاعة الحق فيه[٣].

وأما القسم الثاني: التصوف البدعي الدخيل، والذي يتضح من هذا العنوان أن التصوف يستمد جذوره من غير النبع الصافي القرآن الكريم والسنة، وهذا التصوف البدعي "لا يعتبر أي نوع آخر من أنواع المعارف الأخرى ولا يلتفت إلى (نبع) لمعرفته سوى (نبع) صادر من (وجدانه) وملهم من (ذاته) هو شخصاً فحسب... فالإشراف الصوفي كما يوضحه مؤيده: لا يخضع لقرآن أو سنة أو منهج إسلامي، وإنما هو تلقين بين العديد من التيارات والعقائد بصورة تدعو إلى الدهشة والانزعاج من دخوله إلى المحيط الإسلامي. فهو لذلك دخيل على العقيدة الإسلامية لم ينبت حول النصوص الإسلامية، أو منهج الوحي"[٤]، وبهذا تتبين ماهية التصوف البدعي الذي ليس له أصل ومنبع سوى الأهواء والنزعات الخاصة لدى معتقديه.

---

[١] - التصوف في الميزان د. غلوش ص٢٦.

[٢] - المرجع السابق ص٤٦.

[٣] - المرجع نفسه ص٢٦ بتصرف.

[٤] - المرجع نفسه ص٨١.

المبحث الثاني: الحبشي والتصوف

المطلب الأول: الحبشي والطريقة الرفاعية:

يعتبر الحبشي من المتصوفة المعاصرين، ومن أتباع الطريقة الرفاعية، ويبين ذلك أحد تلاميذه (فادي علم الدين) بقوله: "فهو عالم عامل، صوفي المشرب، ورفاعي الطريقة والمسلك"[١]، بل إن الحبشي متعمق في الفكر الصوفي حيث حصل على الإجازة في الطريقة الرفاعية، ومما جاء في ترجمته أنه: "أخذ الإجازة بالطريقة الرفاعية من الشيخ عبد الرحمن السبسبي الحموي، والشيخ طاهر الكيالي الحمصي"[٢]، ولهذا يدافع الأحباش وينافحون عن الطرق الصوفية كالرفاعية، والجيلانية، والنقشبندية وغيرها ويعتبرونها من البدع الحسنة[٣].

في البداية لا بد من بيان المقصود بالطريقة الصوفية:و "هي ما يصنعه شيخ من مشايخ الصوفية لمجموعة من المريدين من أوضاع يلتزمونها، ويختصون بها دون غيرهم"[٤]، وبالتالي فإن الطريقة الصوفية تعني أولاً النسبة إلى شيخ يزعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف والوصول إلى رتبة الشيخ المربي، ويدعي هذا الشيخ لنفسه رتبة من رتب الصوفية كالقطب، والغوث، والوتد، والبدل، وبالتالي لا بد أن يكون هذا الشيخ من أهل الكرامات والمكاشفات ولا بد أن يكون له ذكر خاص، ويزعم كل واحد من هؤلاء المشايخ أنه تلقاه من الغيب إما من الله رأساً، أو نزل منه سبحانه مكتوباً، أو من الرسول -صلى الله عليه وسلم- في اليقظة أو في المنام، وهذا الذكر لا بد أن يكون له ميزة خاصة بحيث يكون أفضل من الموجود في القرآن والسنة، وأفضل مما عند الطرق الأخرى والملاحظ أن عامة الذين يؤسسون الطرق الصوفية إن لم يكن جميعهم يصلون نسبهم بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ويجعلون أنفسهم من آل البيت، أو يقوم بهذا الأمر أتباعهم ليعطوا الطريقة أهمية خاصة[٥].

---

[١] - المراقب اليفاعية في المناقب الرفاعية تهذيب فادي علم الدين ص٦، الناشر: دار المشاريع، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

[٢] - إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١١، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٨، صريح البيان للحبشي ص٣٦٤، المطالب الوفية للحبشي ص١٤.

[٣] - المراقب اليفاعية لفادي علم الدين ص٥.

[٤] - الفلاسفة الإسلاميون والصوفية -وموقف أهل السنة منهم- د. عبد الفتاح فؤاد ص٩٤، الناشر: دار الدعوة، القاهرة، ط الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

[٥] - الفكر الصوفي -في ضوء الكتاب والسنة- لعبد الرحمن عبد الخالق ص٥٤٠-٥٤١ بتصرف، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، ط الرابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

وعن تاريخ نشأة الطرق الصوفية يبدوا أن أول من وضع هذا النظام الصوفي الإيراني محمد أحمد الميهمي المتوفى ٤٣٠هـ، والمعروف باسم أبي السعيد حيث أقام في بلدته نظاماً للدراويش، وبنى خاناً بجوار منزله للصوفية، وجعل نظام تسلسل الطريق عن طريق الوراثة، وانتشرت بعد ذلك الطرق الصوفية في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وانتقلت من إيران إلى المشرق العربي فظهرت الرفاعية والقادرية في العراق وكذلك بقية الطرق[١].

وأما عن الطريقة الرفاعية فهي تنسب إلى الإمام أحمد الرفاعي[٢]، وكان رجلاً صالحاً فقيهاً شافعي المذهب كما وصفه ابن خلكان[٣]؛ ويطلق على الرفاعية أيضاً البطائحية نسبة إلى البطائح "وهي عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة ولها شهرة بالعراق"[٤]، والطريقة الرفاعية أو البطائحية يُتوارث المشيخة فيها، والشيخ أحمد ليس له عقب أي ورثة، وإنما النسل لأخيه وذريته يتوارثون المشيخة[٥].

وتعتبر هذه الطريقة الثانية من الطرق الصوفية في الإسلام[٦]، والرفاعية أو البطائحية واسعة الانتشار اليوم في تركيا، وبلاد الشام ومصر وغيرها[٧].

هناك شعائر خاصة للطريقة الرفاعية تميزها عن غيرها من الطرق الصوفية ومن ذلك ما يلي:

١- التتلمذ لكل داخل في الطريقة الرفاعية على يد شيخ الطريقة[٨].

٢- تبنت الطريقة مذهب التفويض في باب الأسماء والصفات مدعية أنه مذهب السلف، ولكن الرفاعيين مع ذلك يخالفون ويؤولون تأويل الأشاعرة ولا يثبتون ما أثبته الله لنفسه[٩].

١- الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ص٥٣٩-٥٤٠ بتصرف.

٢- **أحمد الرفاعي**: الإمام القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي، ثم البطائحي، مولده في أول سنة ٥٠٠هـ، توفي سنة ٥٧٨هـ، انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣١٢/١٢، شذرات الذهب لابن عماد ٢٥٩/٤.

٣- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧٧/١.

٤- المصدر السابق ١٧٢/١، انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٤٤/١١.

٥- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧٢/١.

٦- انظر: الصلة بين التصوف والتشيع د. كامل مصطفى الشيبي ص٤٤٤، الناشر: دار المعارف، مصر، ط الثانية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٧- انظر: الفلاسفة الإسلاميون د. فؤاد ص١٠٠، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص٣٤٨، الناشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٨- انظر: الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ص٥٧٤.

٩- المرجع السابق ص٥٧٤ بتصرف.

٣- يجعل الرفاعيون السماع والمواجيد من الصراخ وغيره مما درج عليه أهل التصوف ديناً، ويكفرون من يقول ببدعة ذلك أو يعيبه[١].

٤- ومن الشعائر الخاصة بالطريقة الرفاعية الخلوة الأسبوعية السنوية، وتبدأ في اليوم الحادي عشر من المحرم كل عام، ولها طقوس خاصة من أوراد وأذكار وأفعال لم ترد عن السلف الصالح[٢].

٥- ومن الشعائر الخاصة للطريقة الرفاعية جواز المحاضرة، وهي ربط الروح بأرواح من شاء استحضار روحه من كافر ومسلم، وأيضاً ما يسمى بالاستفاضة وهي ربط قلب المريد بقلب الشيخ طلباً لإفاضة العلم الباطني إليه[٣].

والمتأمل في هذه الشعائر يجدها طقوساً وأوراداً مبتدعةً ليس لها أصل في الشريعة الإسلامية، ولم ترد عن السلف الصالح بل إن كثيراً من هذه الطقوس مخالفاً لمنهج السلف الصالح كالتأويل للأسماء والصفات، والاستماع البدعي لأوراد مبتدعة، وما يلحقها من آثام يقع فيها فاعلها، وأيضاً ما يعتقدون فيه من ربط الأرواح والاستفاضة؛ وهذه الأمور بمجموعها من المآخذ على الطريقة الرفاعية، بل إن الأمر تعدى ذلك، حيث يلاحظ الصلة الوثيقة بين الطريقة الرفاعية والتشيع الرافضي في أمور متعددة منها:

١- حال أحمد الرفاعي في المنزلة بعد الأئمة الاثني عشرة مباشرة[٤].

٢- إسناد الطريقة الرفاعية عن الإمام الغائب مهدي الشيعة المنتظر[٥].

٣- وحدة الشعار بين الرفاعية والشيعة وهو السواد ولبس العمامة السوداء أيضاً[٦].

٤- الخلوة الأسبوعية لدى الرفاعيين وهي مرة في كل عام؛ ابتداء دخولها في اليوم الثاني من عاشوراء، يعني الحادي عشر من المحرم، وقد جعلوها شرطاً لكل من انتسب إلى هذه الطريقة وطعامها خال من كل ذي روح[٧].

بل إن أتباع الطريقة الرفاعية غلوا في شخصية شيخ الطريقة الرفاعية أحمد الرفاعي وجعلوا منه شخصية أسطورية من قبل مولده وحتى وفاته، فقد جاء في كتاب (قلادة الجواهر)

---

[١]- الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ص٥٧٤ بتصرف.

[٢]- انظر: المرجع السابق ص٥٧٧.

[٣]- المرجع نفسه ص٥٧٨ بتصرف.

[٤]- انظر: المرجع نفسه ص٥٨٩-٥٩٢.

[٥]- انظر: المرجع نفسه ص٥٩٢-٥٩٣.

[٦]- انظر: المرجع نفسه ص٥٩٣.

[٧]- انظر: المرجع نفسه ص٥٩٤.

لأحد الرفاعية وهو محمد الصيادي الرفاعي أن الشيخ أحمد الرفاعي قـال: "وحـق العزيـز سبحانه وتعالى: قبض العزيز جل جلاله من نور وجهه فخلق منها سيدنا المصـطفى -صـلى الله عليه وسلم- فرشحت فخلقني منها"[١]، وجاء في كتاب (الروض النضير) أن الله أمر كـل نبي أن يعطي شيئاً من روحه إلى الشيخ الرفاعي، فتكونت روحه من أرواحهم ومن روح جده المصطفى[٢]، وجاء في هذا الكتاب أيضاً أن الرفاعي كان يخاطب أمه وهو في بطنها فيقـول: "يا أماه: السلام عليكم، فتقول، وعليك السلام يا ولدي، ما اسمك؟ فيقول: اسمي أحمد... ولـئن كانت معجزة عيسى-عليه السلام- الكلام في المهد صبياً، فإن الرفاعي -كما يصوره أتباعه- كان يتكلم قبل المهد وهو جنين في بطن أمه[٣].

ويعقب الدكتور عبد الفتاح فؤاد على ما سبق بقوله: "نكتفي بما قاله الشيخ الآلوسي عـن أحمد الرفاعي: إن حسن الظن بأحمد -رحمه الله- يقتضـي عـدم مخالفتـه للسـنة النبويـة والشريعة المحمدية -على ما يروي الثقات- على خلاف المنتمـين إليـه مـن المبتدعـة"[٤]، وهؤلاء المبتدعة من الرفاعيين لهم أحوال عجيبة وغريبة، ويوضح ذلك ابن خلكـان بقولـه: "ولأتباعه -أحمد الرفاعي- أحوال عجيبة: من أكل الحيات وهي حية، والنزول فـي التنـانير وهي تضرم بالنار فيطفئونها، ويقال: إنهم في بلادهم يركبون الأسود، ومثل هذا وأشـباهه"[٥]، ويبين فيليب حتى في كتابه (تاريخ العرب) أن الطريقة الرفاعية: "أعضاؤها يقومون بأعمـال غريبة كابتلاع الجمر والأفاعي الحية والزجاج أو خرق أجسادهم بالمسلات والسكاكين"[٦].

ومما سبق بيانه يتبين أن الإمام أحمد الرفاعي كما روى العلماء الثقات في كتب التـراجم أنه رجلٌ، زاهدٌ، عابدٌ غير مبتدع في دين الله، وإنما جاءت طائفة من الناس وانتسـبت إليـه وخالفوا ما عليه المسلمون وخرجوا عن حقائق الدين مـن خـلال طقـوس وأوراد مبتدعـة ومعتقدات باطلة في الإمام الرفاعي من حيث وصفه بالإلهية وتشبهوا بمعتقدات الروافض، بل

١- الفلاسفة الإسلاميون د. فؤاد ص١٠١.

٢- المرجع السابق ص١٠١ بتصرف.

٣- المرجع نفسه ص١٠١ بتصرف.

٤- المرجع نفسه ص١٠٢.

٥- وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧٢/١٠، انظر: دائرة المعارف الحديثة أحمد عطية الله ٩٠١/٢، الناشـر: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط الثانية ١٩٧٩م، دائرة المعارف الإسلامية يصدرها أحمد الشـنتناوي وآخرون ١٤٨/١٠-١٤٩، الناشر: دار المعرفة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-، الموسـوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال ٨٧٣/١، الناشر: دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت - بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٦- الصلة بين التصوف والتشيع د. الشيبي، نقلاً عن: تاريخ العرب لحتى ٥٢٥/٢.

تعدوا هذا الأمر حيث تعاملوا بالسحر والشعوذة والخداع، ولَبسّوا على الناس أمـور ديـنهم، وهذا معلوم من حالهم وأفعالهم، وبهذا تظهر حقيقة المتصوفة من الرفاعية.

المطلب الثاني: الحبشي والطريقة القادرية:

أخذ الحبشي الإجازة في الطريقة القادرية بالإضافة إلى إجازته في الطريقـة الرفاعيـة، حيث جاء في ذكر ترجمته الموجودة في مقدمة كتاباته في أنه أخذ "الإجازة بالطريقة القادريـة من الشيخ العربيني، والشيخ الدمشقي وغيرهما"(١).

ولا شك أن هذه الطريقة تعتبر من أول الطرق الصوفية التي تم تأسيسها(٢)، وقد أُنشـئت على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني(٣)؛ والشيخ الجيلاني (الجيلي) كان رجـلاً زاهـداً، آمـراً بالمعروف ناهياً عن المنكر؛ ومن الملاحظ أن المتصوفة يغالون في أشياخ طرقهم، وهذا مـا بينه الإمام ابن كثير في بيان حال الشيخ عبد القادر وأتباعه فيقول: "فكان يتكلم على الناس بها -في المدرسة التي كان يشرف عليها- ويعظهم، وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وكان له سمت حسن وصمت، غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير، ولـه أحـوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً، وأفعالاً، ومكاشفات أكثرها مغالاة، وقد كان صالحاً ورعاً"(٤)، ومن مظاهر هذا الغلو نقل الشعراني(٥) لـه نسـباً علوياً للإمام علي -رضي الله عنه-، ولكن الواسطي(٦) ينكره عليه، ويـرى أن الشـيخ عبـد

١- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص١١، انظر:الشرح القويم للحبشي ص٨، صريح البيان للحبشي ص٣٦٤، المطالب الوفية للحبشي ص١٤.

٢- انظر: الصلة بين التصوف والتشيع د. الشيبي ص٤٤٣.

٣- **عبد القادر الجيلاني**: الشيخ الإمام، الزاهد، العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح عبدالله بن جنكي دوست الجيلي، الحنبلي، (أبو محمد) شيخ بغداد، مولده ٤٧١هـ، وفاته سنة ٥٦١هـ. انظر: سير الأعلام للذهبي ٤٣٩/٢٠-٤٥١، البداية والنهاية لابن كثيـر ٢٥٢/١٢، شذرات الذهب لابن عماد ١٩٨/٤-٢٠٢.

٤- البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٢/١٢، انظر: الموسوعة الميسرة للندوة العالمية ص٣٤٧.

٥- **الشعراني**: عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني، الأنصاري، الشافعي، الشاذلي، المصري (أبو المواهب، أبو عبد الرحمن) فقيه، أصولي، محدث، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ٨٩٨هـ، وتوفي سنة ٩٧٣هـ. انظر: شذرات الذهب لابن عماد ٣٧٢/٨-٣٧٤، معجم المؤلفين لكحالة ٢١٨/٦.

٦- **الواسطي**: عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عمر بن عبد المنعم الواسطي، الرفاعي، الشافعي (تقي الدين أبو الفرج) من الحفاظ المكثرين والأثبات المصنفين، ولد سنة ٥٦٨هـ، وتوفي سنة ٦٥٥هـ. انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٤٠٢/١، معجم المؤلفين لكحالة ١٥٢/٥.

القادر وأولاده ما ادعوا هذه النسبة[1]، وأيضاً يبين ابن تيمية -رحمه الله- بعض مظاهر الغلو في الشيخ الجيلاني، فيقول: "وأما قول القائل: من قرأ آية الكرسي، واستقبل جهة عبد القادر الجيلاني -رضي الله عنه- وسلم عليه، وخطا سبع خطوات، يخطو مع كل تسليمة خطوة إلى قبره قضيت حاجته أو كان في سماع فإنه يطيب ويكثر تواجده"[2]،ويرد ابن تيمية -رحمه الله- على هذه الفرية بقوله: "فهذا أمر القربة فيه شرك برب العالمين، ولا ريب أن الشيخ عبد القادر لم يقل هذا، ولا أمر به، ومن يقل مثل ذلك عنه فقد كذب عليه، وإنما يحدث مثل هذه البدع أهل الغلو والشرك"[3].

وأما عن امتداد هذه الطريقة فقد وجدت في العراق، واليمن، والهند، وتركيا، ومصر[4].

والمتأمل للطريقة القادرية أو الجيلانية والتي نسبت إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، يتبين -كما مر في كتب تراجم الرجال- أنه شيخ زاهد بعيد عن البدع المنسوبة إليه، ولكن الذين وقعوا في هذه البدع أتباع الطريقة القادرية، وغلوا في شيخهم الجيلاني ونسبوا إليه الكثير من الأقوال والأفعال التي لم ترد عنه.

المطلب الثالث: الحبشي والطريقة النقشبندية:

يلاحظ على الحبشي أنه دائم الدأب في التعمق في الطرق الصوفية، فلم يكتفِ بأخذ إجازتين في كبرى الطرق الصوفية: الرفاعية والقادرية، بل اتجه إلى الطريقة النقشبندية وأخذ إجازة فيها بسند متصل، فجاء في ترجمته أنه أخذ الإجازة عن الشيخ عبد الغفور الأفغاني النقشبندي[5]، لهذا لا غرابة أن يدافع الأحباش عن الطريقة النقشبندية كبقية الطرق الصوفية الأخرى، ويعتبروا أتباعها من أولياء الله[6].

أنشئت الطريقة النقشبندية على يد الشيخ خالد النقشبندي[7]، وكان يلقب بـ (بهاء الدين)؛

---

[1] - انظر: الصلة بين التصوف والتشيع د. الشيبي ص٤٤٣-٤٤٤.

[2] - الجامع الفريد -كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية- كتاب الزيارة لابن تيمية ص٤٠٧، الناشر: مطبعة المدينة، الرياض -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[3] - المصدر السابق ص٤٠٧.

[4] - انظر:المذاهب الصوفية ومدارسها عبد الحكيم عبد الغني قاسم ص١٩٩،الناشر:مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١٩٨٩م.

[5] - انظر: الشرح القويم للحبشي ص٦، إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٩، المطالب الوفية للحبشي ص١٢.

[6] - انظر: المراقب اليفاعية لفادي علم الدين ص٥.

[7] - **خالد النقشبندي**: خالد بن أحمد بن حسين الشهرزوري، الكردي، الشافعي، الصوفي (بهاء الدين)، شيخ الطريقة النقشبندية، ولد في قصبة قره طاغ من بلاد شهرزور سنة ١١٩٣هـ، ثم رحل إلى دمشق ومات=

ولهذه الطريقة امتداد في بلاد الشام[1].

وإن النقشبندية لا تختلف عن مثيلاتها من الطرق الصوفية من حيث مخالفتها للسنة النبوية المطهرة، ومن عقائد النقشبنديين: يدّعون أن المؤسس الأول للطريقة أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، وبأنه كان يستعمل طريقة الذكر النقشبندية -بحبس النفس ولا يتنفس إلا في الصباح-، فيُشم رائحة لحم مشوي، فيتساءل الناس عنها، فيخبرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها رائحة احتراق كبد أبي بكر من كثرة ذكر الله[2].

ويعامل النقشبنديون مشايخ الطريقة الأموات معاملة الأحياء في الاستغاثة، بحيث يتلقون فيوضات النور والهدى منهم، وتتم مباعيتهم، وأخذ العلم عنهم وهم في قبورهم، ويعتقدون أن تقوية الصلة بالله تكون بوضع صورة الشيخ في مخيلة المريد، وبين عينيه عند ذكر الله، بل إن النقشبنديين غالوا في حق شيخ الطريقة حيث أوصلوه لمرتبة الألوهية، وذلك من خلال زعمهم أن شيخهم (بهاء الدين النقشبندي) كان يقول للرجل مت فيموت، ثم يقول له قم حياً فيحيا مرة أخرى، ووصل الأمر بهم أنهم جعلوا من الحيوانات شيوخاً للطريقة: كالفرس، والهرة، والفهد وغيرها[3].

وبالتالي يظهر شذوذ الاعتقاد عند النقشبنديين ومخالفتهم لشرع الله، لما يتضمنه من خرافات وأساطير لا يعتقدها إلا الجهال من الناس.

وبعد العرض السابق لكل من الطريقة الرفاعية والقادرية والنقشبندية، لا بد من الإشارة إلى أن الطرق الصوفية بمجموعها تشترك في مجموعة من الأمور:

١- الاحتفال بدخول المريد في الطريق بطقوس دقيقة مرسومة، وقد يتطلب بعض الطرق من المريد قبل الدخول في الطريق أن يمضي وقتاً شاقاً في الاستعداد للدخول.

٢- التزيي بزي خاص، وغالباً ما يرمز إلى الزهد.

٣- اجتياز المريد مرحلة شاقة من الخلوة، والصلاة، والصوم وغير ذلك من الرياضات.

٤- الإكثار من الذكر مع الاستعانة بالموسيقى والحركات البدنية المختلفة التي تساعد على الوجد والجذب.

=بها ١٢٤٢هـ، من مؤلفاته: العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري، الرسالة الخالدية في آداب الطريقة النقشبندية، انظر: معجم المؤلفين لكحالة ٩٥/٤، الأعلام للزركلي ٢٩٤/٢.

[1]- انظر: موسوعة أهل السنة لدمشقية ١٢٦٣/٢، الصلة بين التصوف والتشيع د. الشيبي ص٤٤١.

[2]- انظر: موسوعة أهل السنة لدمشقية ١٢٦٣/٢.

[3]- انظر: المرجع السابق ١٢٦٣/٢-١٢٦٤.

٥- الاعتقاد في القوى الروحية الخارقة للعادة التي يمنحها الله المريدين وأصحاب الوجد وهي القوى التي تمكنهم من أكل جمرات النار، والتأثير في الثعابين والإخبار بالمغيبات...إلخ.

٦- احترام المرشد أو شيخ الطريقة إلى درجة تقرب من التقديس[١]، والمتأمل في هذه الأمور المشتركة بين الطرق الصوفية يجدها أموراً مبتدعةً في دين الله ليس لها دليل تستند إليـــه، ولهذا تكثر البدع عند جماعة الطرق الصوفية عموماً كالذكر الجماعي فـــي صـــفوف أو حلقات بصوت واحد، وذكرهم الله بالاسم المفرد بصوت واحد مثل الله الله، حي حي، قيوم قيوم... وذكرهم بضمير الغائب مثل هو، هو... وذكره بكلمة: آه، وفي نشيدهم شر كثير، مثل الاستعانة بغير الله وطلب المدد من الأموات مثل: البدوي، والشـــاذلي، والجيلانـــي، والرفاعي وغيرهم، وفي كتبهم بدع كثيرة وخاصة النقشبندية وذكرهم الله بلفظ الجلالة في الورد اليومي بحركات قلبية مع نفس تشبه حركة اللسان بـــالكلام دون تحريـــك للســـان، واستحضار المريد شيخه بورده اليومي، مع اعتقاد وساطته في نجاته يوم القيامة، وهـــذه الأمور كلها من البدع المنكرة، لأن تلك الأمور لم يرد منها شيء عن النبـــي -صـــلى الله عليه وسلم- أو فيما أوحي إليه من الكتاب والسنة[٢]، وقد ثبت عنـــه -صـــلى الله عليـــه وسلم- أنه قال: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[٣]، ولهذا فـــإن الانتســـاب إلـــى الطرق الصوفية مثل: القادرية، والرفاعية، والنقشبندية وغيرها من الطرق يعتبـــر أمـــراً مبتدعاً ومحدثاً في دين الله، حيث ورد في حديث العرباض بن سارية قولـــه -صـــلى الله عليه وسلم-: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهـــديين والراشـــدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعـــة، وكـــل بدعة ضلالة"[٤]، فأخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأنه سيقع في أمتـــه اخـــتلاف كثير وتتشعب بهم الطرق والمناهج وتكثر فيهم البدع والمحـــدثات وأمـــر المســـلمين أن يعتصموا بكتاب الله، وأن يتمسكوا بسنته ويعضوا عليها بالنواجذ وحـــذرهم مـــن التفـــرق والاختلاف، واتباع البدع والمحدثات لأنها مضلة ومتاهات تتفرق بمن سلكها عـــن ســـبيل الله فوصاهم بما وصى به عباده في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًـــا**

---

[١] -الصلة بين التصوف والتشيع د.الشيبي ص٤٤٣ -بتصرف-، نقلاً عن كتاب (في التصـــوف الإســـلامي) لنيكلسون ص٦٥.

[٢] - فتاوى اللجنة الدائمة جمع الدويش ٢/٢٢٤-٢٢٥ بتصرف.

[٣] - صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب النجـــش ومن قال: لا يجوز ذلك البيع ٣/٣٣، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ح١٧١٨، ٣/١٣٤٣.

[٤] - سبق تخريجه، انظر: ص٢٧٦.

وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٣]،ولا شك أن منهج أهل السنة والجماعة مصدره الكتاب والسنة، وأما طقوس وأوراد المتصوفة فهي مبتدعة وهي غير مشروعة، بل وإن من الأدعية فيها شرك بالله، أو ما هو ذريعة إليه: كالاستغاثة بغير الله، وذكره بالأسماء المفردة، وذكره بكلمة (آه) وليست من أسمائه سبحانه وتوسلهم بالمشايخ في الدعاء، واعتقاد أنهم جواسيس القلوب يعلمون ما تكنه،وذكرهم الله ذكراً جماعياً بصوت واحد في حلقات مع ترنحات وأناشيد إلى غير ذلك مما لا يعرف في كتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-[١].

وأما من يدعي أن الصوفية دعوة أخلاقية مثالية أو يستشهد لذلك بما يلمحه في كتبهم من دعوة إلى الأخلاق الفاضلة، وبما يفتنه من روعة الجمال في البيان الأدبي عن تلك الدعوة، فيرد الشيخ عبد الرحمن الوكيل على مثل هذه الدعوى بقوله: "فإني أقول: إن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة كمٌ مشترك بين الأديان جميعها سواء ما نزل به وحي من الله، أو ما افترته الأهواء، وأفكته الأساطير، فتش في كتب البوذية[٢]، والبرهمية[٣]، والزرادشتية[٤]، والمانوية[٥]، والغنوصية[٦]، وإخوان الصفا[٧]، بل فتش حتى في كتب اليهود الوضعية وفي كتب أي نِحلة

---

[١] - فتاوى اللجنة الدائمة جمع الدويش ٢/٢٠٠-٢٠١ بتصرف.

[٢] - **البوذية**:هي ديانة ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية في القرن الخامس الميلادي،وتنسب إلى سدهارتا جوناما الملقب ببوذا،وقد غالى أتباعه فيه حتى ألهوه.انظر:الموسوعة الميسرة إعداد الندوة العالمية ص١٠٧-١١١.

[٣] - **البرهمية**: هم جماعة موجودة في الهند، وينسبون إلى رجل يقال له: برهام قد ادعى نفي النبوات، وقرر استحالة ذلك في العقول إلى غير ذلك من المعتقدات الباطلة.انظر:الملل والنحل للشهرستاني٣/٣٣٩-٣٤٦.

[٤] - **الزرادشتية**: وهم أتباع الزرادشت، وهو رجل من أهل أذربيجان ظهر في أيام بشتاسف بن لهراسف، وادعى النبوة، وهم إحدى فرق المجوس. انظر: اعتقادات فرق المشركين والمسلمين للرازي ص١٠٢-١٠٣، الملل والنحل للشهرستاني ٢/٦٥-٧٢.

[٥] - **المانوية**: ترجع في أصلها إلى الثنوية وتنسب إلى ماني بن فتق حيث ظهر قبل الإسلام، وادعى أن للعالم أصلين: نوراً وظلمةً، لاحقة ملك البلاد بهرام وقتله وهرب أتباعه إلى الصين ونشروا مذهبه هناك. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص١٠٤-١٠٥، انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢/٥٤-٦١، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧١-٢٧٢.

[٦] - **الغنوصية**: حركة فلسفية ظهرت في أوربا والشرق الأوسط، وازدهرت بين القرنين الثاني والثامن الميلاديين، حيث تكونت لها فرق من النصارى وغيرهم، ممن كانوا يعتقدون معرفة أسرار الطبيعة والكون. انظر: الموسوعة العربية العالمية إعداد مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع١٧/١٢٣-١٢٤.

[٧] - **إخوان الصفا**: عبارة عن جماعة ذات نزعة فلسفية شيعية متطرفة، عاشت في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وتعتبر هذه الجماعة سرية، حيث كانوا يصدرون نشرات=

ضالة، تجد دعوة تلتهب حماسة إلى التسامي بالخلق، وإلى تحقيق مثله العليا، فليست الصوفية - إن صدقنا زعمها- بِدْعاً في زعومها، وإنما هي كغيرها من الدعوات الباطلة... فليست الدعوة الخلقية هي الفَيْصَل بين دين ودين، أو دعوة ودعوة، فإنها في كل دعوة وفي كل دين، وإنما هي الفيصل بين الأديان والدعوات، وكونها حقاً أو باطلاً خيراً أو شراً هو العقيدة التي تنبعث عنها هذه الدعوة الخُلقية، أو الباعث الذي يكمن وراء السلوك والغاية التي توجهه إلى هدفه، وترْجى منه"[1]، وبالتالي فإن الدعوة الصوفية التي ترتكز على الأخلاق ليس معيار على صحة الاعتقاد الصوفي، لأن الأخلاق ما هي إلا نتيجة، لهذا يقول الشيخ الوكيل:"ليس المهم ما تتخلقّ به، أو تقوله،أو تعمله، بل الأهم قبل كل شيء ما تعتقده"[2].

وفي خاتمة هذا المبحث لا بد من التذكير والحث على الإخلاص واتباع السنة ومخالفة البدعة، فقد جاء عن الإمام الفضيل بن عياض، في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود:٧]، قال: أخلصه، وأصوبه. قيل له: يا أبا علي: ما أخلصه؟ وما أصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ولهذا كان يقول ابن عياض -رحمه الله-: من وقر صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام، ومن زوج كريمته لصاحب بدعة فقد قطع رحمها، ومن انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً[3]، ويعلق ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "وأكثر إشارته وإشارات غيره من المشائخ بالبدعة إنما هي إلى البدع في العبادات والأحوال"[4].

=وكتابات مذيلة (بإخوان الصفا). انظر: القاموس الإسلامي لعطية الله ٤٩/١، دائرة المعارف الإسلامية يصدرها الشنتناوي ٥٢٧/١-٥٢٩.

[1]- هذه هي الصوفية عبد الرحمن الوكيل ص١٦٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

[2]- المرجع السابق ص١٦٦.

[3]- الجامع الفريد -كتاب الزيارة لابن تيمية ص٦٧٧- بتصرف.

[4]- المصدر السابق ص٦٧٧.

المبحث الثالث: من بدع التصوف عند الأحباش

المطلب الأول: الاستغاثة والتوسل البدعي:

يعتقد الحبشي أن التوسل بالأنبياء والأولياء جائز ولا يعتبر شركاً حيث يقول: "اعلم أنه لا دليل حقيقياً يدل على عدم جواز التوسل بالأنبياء والأولياء في حال الغيبة، أو بعد وفاتهم بدعوى أن ذلك عبادة لغير الله، لأنه ليس عبادة لغير الله مجرد النداء لحيّ أو ميت، ولا مجرد التعظيم، ولا مجرد الاستغاثة بغير الله ... ولا مجرد صيغة الاستغاثة بغير الله تعالى، أي ليس ذلك شركاً"[(١)].

ويبين الحبشي المقصود بالتوسل بقوله: "التوسل: هو طلب حصول منفعة أو اندفاع مضرة من الله، بذكر اسم نبي أو ولي إكراماً للمتوسَّل به"[(٢)]، وبالتالي فإن الحبشي يعتقد أن التوسل بالأنبياء والأولياء من الأسباب المعينة في تحقيق المطالب، ويعبر عن ذلك بقوله: "وقد جعل الله سبحانه وتعالى من الأسباب المعينة لنا لتحقيق مطالب لنا التوسل بالأنبياء والأولياء في حال حياتهم وبعد مماتهم، فنقول: اللهم إني أسألك بجاه رسول الله، أو بحرمة رسول الله أن تقضي حاجتي، وتفرج كربي، أو نقول: اللهم بجاه عبد القادر الجيلاني ونحو ذلك، فإن ذلك جائز"[(٣)]، ويرى أيضاً أنه لا مانع من القول: نسألك بحق فلان عليك؛ ويعلق على هذا بقوله: "هو القول الصحيح الراجح"[(٤)].

ولا يألو الحبشي جهداً في إثبات جواز التوسل والاستغاثة بالغائب، ويأتي بمجموعة من النصوص الشرعية أشهرها ما يلي:

- أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- علَّم الأعمى أن يتوسل به فذهب فتوسَّل به في حالة غيبته وعاد إلى مجلس النبي وقد أبصر، وكان مما علمه رسول الله أن يقول: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي (ويسمي حاجته) لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ"[(٥)]، فبهذا الحديث بطل زعمهم أنه لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر، لأن هذا الأعمى لم يكن حاضراً في المجلس حين توسَّلَ برسول الله بدليل أن راوي الحديث عثمان بن حنيف قال لما روى حديث الأعمى: "فوالله

---

[١] -الصراط المستقيم للحبشي ص٩٦،انظر:الشرح القويم للحبشي ص٣٧٧،٣٧٩،صريح البيان للحبشي ١٣٥.

[٢] - الشرح القويم للحبشي ص٣٧٨.

[٣] - المصدر السابق ص٣٧٩.

[٤] - المصدر نفسه ص١٩٤.

[٥] - سنن الترمذي، كتاب الدعوات، ح٣٥٧٨، ٥٦٩/٥، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح؛ المستدرك للحاكم، ح١١٨٠، ٤٥٨/١، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أَبْصَرَ"[1]، فمن قوله: "حتى دخل علينا"، علمنا أن هذا الرجل لم يكن حاضراً في المجلس حين توسَّل برسول الله"[2] -صلى الله عليه وسلم-.

- وأيضاً من أدلة الحبشي في جواز التوسل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- توسل بالعباس عم النبي -صلى الله عليه وسلم-[3]، ويرى الحبشي أن "توسل عمر بالعباس بعد موت النبي -صلى الله عليه وسلم- فليس لأن الرسول قد مات، بل كان لأجل رعاية حق قرابته من النبي -صلى الله عليه وسلم-"[4]، وهذا رد من الحبشي على من ينكر التوسل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته[5]، ويرى الحبشي "أن ترك الشيء لا يدل على منعه كما هو مقرر في كتب الأصول، فترك عمر للتوسل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- لا دلالة فيه أصلاً على منع التوسل إلا بالحي الحاضر، وقد ترك النبي -صلى الله عليه وسلم- كثيراً من المباحات، فهل دل تركه لها على حرمتها؟"[6].

ومما سبق بيانه يتبين أن من مرتكزات الاعتقاد عند الأحباش جواز الاستغاثة والتوسل بالأموات؛ وهذا هو التوسل الممنوع والمذموم عند السلف، وفيه يتقرب العبد بعمل مخالف لكتاب الله، مجانفٍ لسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-[7]، والذي يقابله التوسل المشروع وهو: كل توسل ندبنا الله إليه في كتابه، وحثنا عليه، وبينه لنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو ما كان موافقاً لما شرعه الله من التقرب إليه من الطاعات والأعمال الصالحة التي يحبها سبحانه ويرضاها[8]، ولذلك يجيز الحبشي سؤال الله (بجاه رسوله) أو (بجاه عبد القادر الجيلاني) أو (بحق فلان) ونحو ذلك من الأمور[9]، وهذا الذي يعتقده الأحباش من جواز الاستغاثة والتوسل بالأموات سواء أكانوا أنبياء أو أولياء مخالف لمنهج السلف الصالح، وذلك للتالي:

---

[1]- جزء من الحديث السابق، انظر: ص٢٨٩.

[2]- الشرح القويم للحبشي ص٣٧٩-٣٨٠، انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٩٨-٩٩، صريح البيان للحبشي ص٣٧٠.

[3]- صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ح١٠١٠، ٢/٢٠.

[4]- الصراط المستقيم للحبشي ص٩٩.

[5]- انظر: صريح البيان للحبشي ص١٦٠.

[6]- المصدر السابق ص١٦١، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٩٤.

[7]- انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع لمحمد نسيب الرفاعي ص١٧٦ -بدون ناشر- ط الأولى، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

[8]- التوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي ص١٤ بتصرف.

[9]- انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٩٤،٣٧٩.

أ. أن هذا التوسل والاستغاثة مبتدع في دين الله وليس له أصل، حيث لم يثبت عن صحابته -صلى الله عليه وسلم- أنهم كانوا يفعلونه؛ ويقول ابن أبي العز عند نفيه لهذا التوسل المبتدع وبيان عدم صحته: "فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- لفعلوه بعد موته"[١]، وبالتالي فإنه لم يثبت فعل الصحابة -رضوان الله عليهم- لهذا الأمر فتبين بدعيته، ويصرح بذلك ابن أبي العز بقوله: "وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة -رضي الله عنهم"[٢]، وهذا ما يؤكده شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في تعليقه على مثل قول القائل: اللهم بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان، أو بحرمة فلان، بقوله: "لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين، وسلف الأمة، أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء"[٣].

ب. هذه الأقوال في التوسل والاستغاثة إنما هي من جنس الشرك لأن المتوسِل يعتقد أن المتوسَّل به ينفعه، ويرفع عنه الضر -وإن كان بعض المتصوفة يصرحون أن هذا التوسل للتبرك بالمتوسَّل به-، وفي هذا يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما قول القائل إذا عثر (يا جاه محمد)، (يا للست نفيسة)، أو (يا سيدي الشيخ فلان) أو نحو ذلك مما فيه استغاثته وسؤاله فهو من المحرمات وهو من جنس الشرك، فإن الميت سواء كان نبياً، أو غير نبي لا يُدعى ولا يسأل، ولا يستغاث به عند قبره، ولا مع البعد من قبره، بل هذا من جنس دين النصارى"[٤]، ويقول أيضاً: "وأما الرجل إذا أصابته نائبة، أو خاف شيئاً فاستغاث بشيخه، يطلب تثبت قلبه من ذلك الواقع فهذا من الشرك"[٥]، وهذا ما ذهب إليه الصنعاني في حديثه عمن يستغيث بالجيلاني والرفاعي وغيرهم فيقول: "وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم، ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر؛ وهذا هو بعينه فعل المشركين في الأصنام"[٦].

ج. استخدام مثل هذه الألفاظ في الدعاء إنما هو من باب الأعتداء فيه، فمثلاً: أن يقول الداعي (بحق فلان) وكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي، وهذا

---

[١]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٣٧.

[٢]- المصدر السابق ص٢٣٧.

[٣]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١/٥٠.

[٤]- الجامع الفريد -كتاب الزيارة- لابن تيمية ص٤٢٠.

[٥]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١/٥٢.

[٦]- تطهير الاعتقاد -عن أدران الألحاد- لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ص٢٠، الناشر: مؤسسة النور، الرياض، ط الثانية ١٣٨٩هـ.

هو الأعتداء بعينه، وقد قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] [1].

د. وأيضاً دعاء الله والتوسل إليه بمثل هذه الألفاظ محذور، لأن الداعي يقسم على الله بأحد مخلوقاته، وهذا محذور من وجهين: "أحدهما: أنه أقسم بغير الله. والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقاً. ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]"[2].

ه. طلب المعونة من الأموات سواء كانوا أنبياء أو أولياء فيه تجاوز للشرع، وذلك أن الأموات لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ويعبر عن هذا المعنى الأمير الصنعاني بقوله: "والكلام في طلب القبوريين من الأموات، أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، أن يشفوا مرضاهم ويردوا غائبهم، وينفسوا عن حبلاهم، وأن يسقوا زرعهم...، ونحو ذلك عن المطالب التي لا يقدر عليها أحد إلا الله، هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف:١٩٤]"[3].

و. ويشنع في هذه الأقوال لأنها تدخل في باب العبادة والاستعانة بغير الله، حيث إن "العبادة والاستعانة لله وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٤]، ...والدعاء لله وحده، سواء كان دعاء العبادة، أو دعاء المسألة والاستعانة كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨-٢٠]"[4].

ويوضح الأمير الصنعاني المقصود بالعبادة من خلال رده على من يظن أن معنى العبادة يقتصر على الصلاة والصيام والحج، ويبين أن هؤلاء يجهلون معنى العبادة، لأنها ليست منحصرة في تلك الشعائر، بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل

---

[1] - انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٣٧.

[2] - المصدر السابق ص٢٣٦.

[3] - تطهير الاعتقاد للصنعاني ص٢٥.

[4] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٥٤/١.

في قلوب أولئك القوم معتقدات لا يستغنون عنها في طقوسهم، حيث يظهر ذلك جلياً في دعائهم، وندائهم، والتوسل بالأموات والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك[1].

ز. يظهر بوضوح لدى الحبشي أن التوسل لديه إنما يكون بالذوات، فيقول في تعليقه على حديث الضرير: "فبهذا الحديث بطل زعمهم أنه لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر، لأن هذا الأعمى لم يكن حاضراً في المجلس حين توسل برسول الله"[2]، وهذا فهم خاطئ لأن توسل الصحابة إنما كان بالدعاء وليس بالذوات، وهذا ما يوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته -مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء، أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم- فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين"[3] ولا يعرفه أحد من السلف الصالح وبهذا يتبين فساد ما ذهب إليه الحبشي.

وقبل مناقشة الأدلة التي استند إليها الحبشي في إجازة التوسل والاستغاثة بالأموات، لا بد من بيان أنواع التوسل المشروع وهي:

أولاً: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا، ودليل مشروعية هذا التوسل قوله عز وجل: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ..."[4]، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تبين إجازة التوسل بأسماء الله وصفاته[5].

ثانياً: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي، وهذا التوسل قد شرعه الله تعالى وارتضاه، ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:١٦]، وقوله: ﴿**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران:٥٣]، وأيضاً ما رواه ابن عمر -رضي الله عنهما- في قصة أصحاب الغار، والذي فيه أن ثلاثة آووا إلى غار للمبيت فيه، فإذا بصخرة قد انطبقت عليهم فتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة الخالصة، وكل واحد منهم يقول بعد ذكره لعمله الصالح: "اللهم إن

---

[1] - انظر: تطهير الاعتقاد للصنعاني ص٢٩.

[2] - الشرح القويم للحبشي ص٣٨٠.

[3] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٢٢/١.

[4] - سبق تخريجه، انظر: ص١١٧.

[5] - انظر: التوسل أنواعه وأحكامه لمحمد ناصر الدين الألباني ص٣٢-٣٥، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة"[١]، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون، ويعلق على ذلك شارح الطحاوية بقوله: "فهؤلاء دعوا الله بصالح الأعمال، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله ويتوجه إليه ويسأله به، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله"[٢].

ثالثاً: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، وذلك أن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى، فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله، فيذهب إلى رجل يتميز بالصلاح والتقوى ليدعو له الله، وهذا من التوسل المشروع، ومن الأدلة على مشروعيته الحديث الذي رواه أنس بن مالك حيث قال: "أصاب الناس سَنة على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، فبينما النبي -صلى الله عليه وسلم- يخطب في يوم جمعة،قام أعرابي فقال:يا رسول الله:هلك المال وجاع العيال،فادعُ الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته-صلى الله عليه وسلم- ..."[٣]، وأيضاً الحديث الذي رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا -صلى الله عليه وسلم- وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" قال: فيسقون[٤]. أي: كنا نقصد نبينا -صلى الله عليه وسلم- ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله بدعائه والآن قد انتقل -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس، ونطلب منه أن يدعو لنا[٥].

وأما أدلة الحبشي التي استند إليها ليؤكد ما ذهب إليه من صحة الاستعانة والاستغاثة بالأموات، فتحتاج إلى مناقشة، فمثلاً:

١- حديث الضرير الوارد عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: "إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرّت ذاك

---

[١]- صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فترك أجره...، ح٢٢٧٢، ٣/٦٩-٧٠، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ح٢٧٤٣، ٤/٢٠٩٩-٢١٠٠.

[٢]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٣٨، انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢١٧/١، التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص٣٥-٤١.

[٣]- صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، ح٩٣٣، ٢٥٢/١-٢٥٣، صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، ح٨٩٧، ٦١٢/٢-٦١٣.

[٤]- سبق تخريجه، انظر: ص٢٩٠.

[٥]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢١٧/١، شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٣٧-٢٨٢، التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص٤١-٤٦.

فهو خير"، فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، فيصلي ركعتين، ويدعو بهــذا الدعاء: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بــك إلى ربي في حاجتي هذه، فتقضى لي، اللهم فشفّعه فيَّ". قال: ففعل الرجل فبرئ[١]. وهــذا الحديث ليس بحجة لمن يقول بالتوسل بالذات كالأحباش، بل يعتبر حجة عليهم، لأن هــذا التوسل إنما كان بدعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وليس بذاته، ومن الأدلة على ذلك:

أ- أن الأعمى إنما جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ليدعو له، وهذا ظاهر من قوله: (ادع الله أن يعافيني)، أي: أراد هذا الرجل الأعمى أن يتوسل إلى الله بدعاء الرســول ولو أراد أن يتوسل إلى الله بذات الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما جاء إليــه، بــل مكــث في بيتــه ودعا الله بجاه النبي ومنزلته وعلو قدره -صلى الله عليه وسلم- عند الله أن يشفيه، ولكنه لم يفعــل ذلك، فتأكد إنما قصد التوسل بدعاء النبــي -صــلى الله عليه وسلم-[٢].

ب- الظاهر من نص الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وعده بالدعاء مع نصحه لــه ببيان ما هو الأفضل، وهو قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (إن شئت دعــوت لــك وإن شئت أخرت ذلك فهو خير)، واختار الرجل الدعاء[٣].

ج- إصرار الأعمى على دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- له حيث قال: (فادع)، وهــذا يبين أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- دعا له، والنبي -صلى الله عليه وسلم- خيــر من وفى بوعده، وأيضاً: وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- الرجل الأعمى إلى أحــد أنوع التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح، وذلك ليحوز هذا الرجــل الخيــر بأشكاله المختلفة[٤].

د- إن في الدعاء الذي علمه الرسول -صلى الله عليه وسلم- للرجل الأعمى أن يقول: (اللهم فشفعه فيّ)، وهذا يستحيل حمله على ذاته، أو جاهه، أو حقه، وإن المعنى: اقبــل دعــاءه فيّ أن ترد عليّ بصري، وبهذا يبطل ادعاء الحبشي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- علم الأعمى أن يتوسل بذاته[٥]. ومن المعلوم أن الشفاعة ثابتة له -صــلى الله عليــه وســلم-

---

[١]- سبق تخريجه، انظر: ص٢٩٠ .

[٢]- انظر: التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص٧٦-٧٧.

[٣]- انظر: المصدر السابق ص٧٧.

[٤]- انظر: المصدر نفسه ص٧٧-٧٨.

[٥]- انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٧٩-٣٨٠.

ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء، ولهذا يمكن أن يفهم من كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- غير الدعاء[1].

هـ- هذا الحديث صنفه العلماء ضمن معجزاته -صلى الله عليه وسلم- ودعائه المستجاب، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه بدعائه -صلى الله عليه وسلم- لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره، ولهذا رواه البيهقي (في دلائل النبوة) ضمن هذا الباب[2]،وهذا ما يؤكد أن التوسل كان بدعائه وليس بذاته-صلى الله عليه وسلم-[3].

و- ويرى الألباني أنه: "لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته -صلى الله عليه وسلم- فيكون حكماً خاصاً به -صلى الله عليه وسلم- لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين، وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح، لأنه -صلى الله عليه وسلم- سيدهم وأفضلهم جميعاً، فيمكن أن يكون هذا مما خصَّه الله به عليهم ككثير مما صح به الخير، وباب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات، فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته لله، فعليه أن يقف عنده، ولا يزيد عليه"[4].

ز- يرى الحبشي أن هذا الحديث دليل على جواز التوسل بالأموات من خلال أن الرجل الأعمى توسل بالرسول -صلى الله عليه وسلم- في حالة غيبته عن مجلس الرسول -صلى الله عليه وسلم-، حيث إنه عاد إلى المجلس وقد أبصر[5]، وهذا أمر مردود لأن الرجل توسل بدعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- كما سبق بيانه، وفعل هذا الأمر من خلال توجيهات النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- بين أظهر الصحابة حياً يرزق، بخلاف معتقد الأحباش جواز دعاء الأموات في قبورهم والتوسل والاستغاثة بهم، وهذا مما لا فائدة منه ولا طائل وخاصة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ ينتفع به، أو صالح يدعو له"[6]، وهذه إشارة إلى أن الميت يكون بحاجة لمن يزيد له في حسناته، بسبب انقطاع العمل، فكيف يكون الميت عوناً لغيره من الأحياء؟؟!،

---

[1]- انظر: التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص٧٩-٨٠.

[2]- انظر: دلائل النبوة -ومعرفة أحوال صاحب الشريعة- لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ١٦٦/٦-١٦٨ تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

[3]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٩١/١-١٩٢، التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص٨١.

[4]- التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص٨٣.

[5]- انظر: الشرح القويم للحبشي ص٣٧٩.

[6]- صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ح١٦٣١، ١٢٥٥/٣.

وينفي ابن تيمية -رحمه الله- مشروعية هذا الفعل بقوله: "ولم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة، ولا التابعين، ولا تابعي التابعين يتحرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم، ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم... ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب... ويستغيث به عند المصائب يقول: يا سيد فلان، كأنه يطلب منه إزالة ضرة أو جلب نفعه، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم؛ ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه، ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك"[١].

ح- وفي الحديث أن الأعمى سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعو له، وأنه -صلى الله عليه وسلم- علم الأعمى أن يدعو وأمره في الدعاء أن يقول: (اللهم فشفعه فيّ)، وإنما يدعى بهذا الدعاء إذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- داعياً شافعاً له، بخلاف من لم يكن كذلك، فهذا يناسب شفاعته ودعاءه في حياته ويوم القيامة إذا شفع للناس، أما بعد موته فغير جائز[٢].

٢- حديث استسقاء عمر بالعباس عم النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا من الأحاديث التي استند عليها مجيزو التوسل بالذات -ومنهم الأحباش- وفي الحديث: "أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون"[٣]، وهذا الحديث الذي استند إليه الأحباش حجة عليهم لا لهم وذلك للتالي:

أ- التوسل الوارد في الحديث هو التوسل المشروع أي التوسل بدعاء الرجل الصالح، ويعلق ابن الآلوسي على من يستدل بهذا الحديث من مجيزي التوسل بقوله: "وأما ما ذكروه من الاستدلال بتوسل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب -رضي الله عنهما- فالمراد بذلك أن يدعو لهم يدل على ثبوت دعائه لهم بطلب السقيا"[٤].

ب- لو فهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- والصحابة الكرام ما فهمه مجيزو التوسل اليوم، لما عدل عن أكرم الخلق محمد -صلى الله عليه وسلم- وتوسل بغيره -عمه العباس-[٥].

---

[١]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٤٩/٢٧.

[٢]- انظر: المصدر السابق ١٩٦/١.

[٣]- سبق تخريجه، انظر: ص٢٩٠.

[٤]- جلاء العينين لابن الآلوسي ص٤٥٦-٤٥٧.

[٥]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٢٧/١، التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص٦٠-٦٢.

ج- ومما يؤكد عدم جواز الاستغاثة بالأموات، أن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- كانوا يختلفون في مسائل كثيرة بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- لم يثبت أن أحداً من صحابته ذهب إلى قبره، وشاوره في ذلك، وسأله عن الصواب منها، لأن الصحابة الكرام يعلمون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- انقطع عن الحياة الدنيا، ولم تعد تنطبق عليه أحوالها ونواميسها[١].

د- وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح دعاء العباس -رضي الله عنه- استجابة لطلب عمر -رضي الله عنه- حيث قال: "قد بين الزبير بن بكار في (الأنساب) صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث) قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس"[٢]، وهذه الرواية الصحيحة -كما وصفها الألباني-[٣] تبين أن توسل عمر بالعباس إنما كان بدعائه.

وأما تلبيس الحبشي على السامع بأن ترك عمر للتوسل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- لا دلالة فيه على منع التوسل إلا بالحاضر، وأيضاً: يستدل الحبشي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ترك كثيراً من المباحات ليس دليلاً على حرمتها[٤]، ولا شك أن هذا الادعاء من قبل الحبشي مردود، لأن عمر بن الخطاب الغيور على دين الله، المقتدي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن ليترك التوسل بالنبي بعد موته إن كان جائزاً وخاصة أن المسلمين في أمس الحاجة لما ينفس عنهم كرباتهم، ولو كان جائزاً ولم يفعله عمر بن الخطاب لوقف الصحابة وعارضوا عمر -رضي الله عنه- في ذلك، ولم يثبت أن الصحابة عارضوا عمر في ذلك فيتبين ضعف ما ذهب إليه الحبشي.

وأما ادعاء الحبشي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ترك الكثير من المباحات، ليدلل على جواز الاستغاثة والتوسل بالأموات فمردود على الحبشي، لأن هذا الترك كان في أمور الدنيا ودليلاً على زهده -صلى الله عليه وسلم- وورعه، وليس هذا الترك في أمور العبادة لأنها توقيفية من عند الله سبحانه وتعالى، ولم يثبت عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو صحابته،

١- التوسل أحكامه وأنواعه للألباني ص٦٥ بتصرف.

٢- فتح الباري لابن حجر ٤٩٧/٢.

٣- انظر: التوسل أحكامه وأنواعه للألباني ص٦٨.

٤- انظر: صريح البيان للحبشي ص١٦١، الشرح القويم للحبشي ص٣٩٤.

أو أصحاب القرون الثلاثة الأولى أنهم توسلوا بالأموات أو بذواتهم، وإنما الذي ثبت التوسل بدعاء الأحياء فقط.

وأيضاً لا بد من تذكير الحبشي بأن هناك فرقاً بين ترك الرسول -صلى الله عليه وسلم- لبعض الأمور، وترك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يتلقى الوحي من الله أما عمر بن الخطاب فإنما هو مقتدٍ بالرسول -صلى الله عليه وسلم، والشاهد الذي ذكره الحبشي وهي قصة استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس، ليس له صلة بالرسول -صلى الله عليه وسلم-، وإنما هو من باب الاستدلال في غير موضعه.

وهذه الأدلة التي سبق ذكرها تعتبر من أقوى الأدلة لدى المجيزين، وقد تبين خطأ الاستدلال بها، وأما غير ذلك من الأدلة، فيكون الاستدلال فيها في غير موضعها، أو أحاديث لا تخلو عن ضعف، أو كذب راوٍ، أو غير ذلك مما يمنع العمل بموجبه، وإن نُظر إليها وجد آثار الوضع لائحة عليها، وأحوال الصحابة تدل على أنهم غير معترضين بما فيها[1].

المطلب الثاني: التبرك بالقبور:

ومن بدع التصوف التي ظهر أثرها في تفكير الأحباش، دعوتهم لزيارة قبور الرسل والأولياء للتبرك بها[2]، ويستدل الحبشي على ذلك بما رواه مالك الدار، وكان خازن عمر -رضي الله عنه- فقال: أصاب الناس قحط في زمان عمر -رضي الله عنه- فجاء رجل إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتى الرجل في المنام فقيل له: أقرئ عمر السلام وأخبره أنهم يسقون، وقل له عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر، فأخبره فبكى عمر وقال: يا رب ما آلو إلا ما عَجِزْت[3].

"وقد جاء في تفسير هذا الرجل أنه بلال بن الحارث المزني الصحابي فهذا الصحابي قد قصد قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- للتبرك فلم ينكر عليه عمر ولا غيره فبطل دعوى ابن تيمية أن هذه الزيارة شركية"[4].

وللرد على الحبشي في إجازته زيارة قبور الرسل والأولياء للتبرك بها، لا بد من معرفة أن الزيارة تنقسم إلى قسمين:

- **القسم الأول: الزيارة الشرعية**: وهي الزيارة التي لم يرد في منعها نص شرعي سواء من الكتاب أو السنة كالسلام على الميت والدعاء له سواء كان نبياً أو غير نبي؛ لهذا كان

---

[1] - انظر: جلاء العينين لابن الآلوسي ص٤٥٨.

[2] - انظر: الصراط المستقيم للحبشي ص٩٦-٩٧.

[3] - فتح الباري ٤٩٥/٢، يقول ابن حجر: روى ابن شيبة بإسناد صحيح -الحديث-.

[4] - الصراط المستقيم للحبشي ص٩٧،انظر: تفنيد مزاعم المدعى إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٤٠-٤١.

الصحابة إذا زاروا النبي -صلى الله عليه وسلم- يسلمون عليه، ويدعون له ثم ينصرفون، ولم يكن أحد منهم يقف عند قبره ليدعو لنفسه من باب التبرك[١].

- **القسم الثاني: الزيارة البدعية**: وهي الزيارة التي يقوم فاعلها بأمور منهي عنها، كأن يقوم الزائر بالتمسح بالقبر، والصلاة عنده، أو الدعاء عند القبر أو بصاحب القبر حتى يستجاب دعاؤه، أو أن يدعو الميت ويستغيث به ويطلب منه العون، أو يقسم به على الله في طلب حاجاته وتفريج كرباته[٢].

والحاصل أن الزيارة التي يدعو لها الحبشي الزيارة البدعية التي ليس لها أصل في شرع الله، لهذا يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "ويجب الفرق بين الزيارة الشرعية التي سنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين الزيارة البدعية التي لم يشرعها بل نهى عنها، مثل اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، والصلاة إلى القبر، واتخاذه وثناً"[٣].

وخلاصة القول في زيارة القبور فإنها على وجهين:

- **الوجه الأول**: وجه نهى عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واتفق العلماء على عدم مشروعيتها، وذلك للبدع الحاصل فيها من اتخاذ القبور مساجد وأوثاناً تعبد من دون الله من خلال التوسل والاستغاثة بالأموات، وجعل الاجتماع إليها عيداً حيث يجتمع الناس إليها في وقت معين[٤].

- **الوجه الثاني**: وجه مستحب لدى أكثر علماء المسلمين وهي الزيارة الشرعية من السلام على الميت والدعاء له، ثم الانصراف وعدم الإتيان بأي بدعة من البدع المحرمة[٥].

ولا بد من التنبيه من أن "السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين لم يكن موجوداً في الإسلام في زمن مالك، وإنما حدث هذا بعد القرون الثلاثة، قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم. فأما هذه القرون التي أثنى عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يكن هذا ظاهراً فيها، ولكن بعدها ظهر الإفك والشرك"[٦]، وفي المعنى نفسه يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر بها

[١] - انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢١/٢٧.
[٢] - انظر: المصدر السابق ٢٢/٢٧.
[٣] - انظر: المصدر نفسه ١٧٧/٢٧.
[٤] - انظر: المصدر نفسه ٢٠٢/٢٧.
[٥] - انظر: المصدر نفسه ٢٠٢/٢٧.
[٦] - المصدر نفسه ٢٠٤/٢٧.

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله، فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة"[1].

وبالتالي يمكن الخروج بمقصود الزيارة للقبور من قبل الناس، حيث تنقسم إلى قسمين: زيارة موحدين، وزيارة مشركين.

أما زيارة الموحدين: فمقصودها ثلاثة أشياء:

١- تذكر الآخرة والعبرة والعظة.

٢- الإحسان إلى الميت وذلك من خلال عدم هجرانه ونسيانه، لأن الحي إذا ترك زيارته مدة من قِبل صاحبه تناساه، فإذا زاره فرح بذلك وسر، والميت أولى بذلك؛ لأن الحي إذا زار الميت أهدى إليه هدية: من دعاء، أو صدقة، أو أهدى قربة، ازداد بذلك سروره وفرحه كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي إليه. ولهذا شرع النبي -صلى الله عليه وسلم- للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية فقط، ولم يشرع للأحياء أن يدعوا الأموات، ولا أن يدعوا بهم، ولا يصلي عندهم.

٣- إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيحسن إلى نفسه وإلى المزور[2].

وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام.

حيث تعتقد تلك الفئة من الناس أن الميت المعظم لديهم يكون لروحه قرب، ومنزلة، ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيه الألطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات -كالرفاعي والجيلاني وغيرهم من أعلام الصوفية-، فإذا علق الزائر روحه به، وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها[3]. وبالتالي فإنه يشفع له، ويعطيه ما يريد ولا شك أن هذا من خبط المتصوفة وبدعهم السيئة التي لا يُعرف لها أصل في الشرع، بحيث لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه ولو كان محمد -صلى الله عليه وسلم- يقول تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة:٢٥٥].

ويعلق ابن باز -رحمه الله- على هذا الأمر في حاشية الفتح بقوله: "هذا الأثر -على فرض صحته كما قال الشارح-ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي-صلى الله عليه وسلم-

---

[1]- الجامع الفريد -كتاب الزيارة- لابن تيمية ص٣٩٥.

[2]- انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية ج٢٤٦/١، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[3]- انظر: المصدر السابق ٢٤٦/١.

بعد وفاته، لأن السائل مجهول، ولأن عمل الصحابة -رضي الله عنهم- على خلافه وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأتِ أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها...، وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك. وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكورة(بلال بن الحارث)ففي صحة ذلك نظر، ولم يذكر سند سيف في ذلك،وعلى تقدير صحته عنه لا حجة فيه،لأن عمل كبار الصحابة يخالفه،وهم أعلم بالرسول-صلى الله عليه وسلم-وشريعته من غيرهم"[1]، وبهذا يتبين فساد ما ذهب إليه الحبشي من جواز زيارة قبور الأنبياء والأولياء للتبرك بها،وخاصة ما هو معلوم من حال القوم الذي ينادون بمثل هذه الزيارات لقبور الأولياء وما يحدث فيها من فتن ومعاصٍ من قِبل أولئك الزائرين،فكيف تكون هذه الأفعال قربى إلى الله،وهي من المعاصي التي لا تخفى على أحد.

المطلب الثالث: خروج الولي من قبره:

يعتقد الأحباش بأن الإمام أحمد الرفاعي عندما زار قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخرج الرسول -صلى الله عليه وسلم- يده للرفاعي، وقد قام الآخر بتقبيلها، ويقول (فادي علم الدين) أحد تلاميذ الحبشي في ذلك: "وإثبات مديد المصطفى -صلى الله عليه وسلم- له (للرفاعي) وتقبيلها أمام خلق عظيم"[2]، وجاء في أحد كتب الأحباش المسمى (تفنيد مزاعم المفترى) في تأكيد ما ذهب إليه (فادي علم الدين) حيث ذُكر فيه التالي: "ما المانع شرعاً أو عقلاً على أن يخرج الأولياء من قبورهم"[3].

وهذا الذي عليه الأحباش من أن الولي الصالح قد يخرج من قبره كرامةً له ومثلوا لذلك -حسب زعمهم- بأن الإمام الرفاعي زار قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- فأخرج الرسول -صلى الله عليه وسلم- يده وصافح الإمام الرفاعي على مشهد عظيم من الناس[4]، وهذا من أشنع الاعتقادات وأبشعها؛ فمن المعلوم أن علماء السلف في أمور أكثر واقعية في الشرع من ذلك، مالوا إلى المنع فيها فمثلاً: اختلف العلماء اختلافاً كثيراً في رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته يقظة أهي ممكنة أم لا؟ أوقعت لأحدٍ أم لا؟ -ولم يكن الخلاف في مصافحة يد الرسول -صلى الله عليه وسلم- من أحد الصالحين بعد موته كما يعتقد الأحباش-، فقد ألف الحافظ السيوطي تأليفاً في ذلك سماه (تنوير الحلك في رؤية النبي والملك)

---

[1]- فتح الباري لابن حجر ٤٩٥/٢ -الحاشية-.

[2]- المراقب اليفاعية لفادي علم الدين ص٤، وانظر: المصدر نفسه ص١٦.

[3]- تفنيد مزاعم المدعى إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٤٥.

[4]- انظر: المراقب اليفاعية في المناقب الرفاعية لفادي علم الدين ص٤، ١٤-٢٠، تفنيد مزاعم المدعى لقسم الأبحاث والدراسات ص٤٥.

ولم يرد في ذلك المؤلَف حديثاً صحيحاً، ولا ضعيفاً، ولا موقوفاً، ولا مرسلاً ولا غير ذلــك، مع سعة حفظه وطول باعه في الحديث وشدة انتصاره لذلك، وهذا يُؤيس من أن يكــون فــي رؤيته -صلى الله عليه وسلم- بعد موته يقظة حديث، لأن السيوطي له من الإطلاع والحفظ ما لو كان في رؤيته -صلى الله عليه وسلم- حديث لأورده مستدلاً به، أو لو وقعت لأحــد مــن الصحابة والتابعين أو تابعيهم لذكره[1]، وهذا الاختلاف في رؤية الرسول -صــلى الله عليــه وسلم-يقظة لا في ملامسته ومصافحة يده، ومن المعلوم أن الإمام الرفاعي توفي سنة ٥٧٠هــ والإمام السيوطي توفي سنة ٩١١هــ، والفرق بين وفاة الإمامين فترة ليست بالقليلة، فلو صح ما يرويه الأحباش في هذه المسألة، لأورده العلماء وخاصة الإمام السيوطي لما له مــن ســعة حفظ واطلاع، وهذه القصة تعتبر من الأهمية بمكان، فلم يرد في كتب العلماء الموثوقــة التــي تتحدث عن كرامات الأولياء قديماً وحديثاً لها أثر، وكذلك كتب تراجم الرجال المشــهورة لــم تذكر مثل هذه القصة في حق الإمام الرفاعي، مع ذكرهم كرامات أخــرى للإمــام الرفــاعي، بخلاف كتب المتصوفة وخاصة أتباع الطريقة الرفاعية.

والملاحظ أن أكثر ما اعتمد عليه الأحباش في هذه المسألة روايات عن المتصــوفة فــي إثبات هذه القصة، ولا يعتبر هذا دليل لكثرة الأقوال المنسوبة من قِبل المتصــوفة إلــى أئمــة الطرق الصوفية، وكثيراً ما يتقول أتباع الطرق على أئمتهم أقوالاً لــم تــرد عــنهم نهائيــاً، وينسبون إليهم كرامات وخوارق لم تثبت عنهم، وهذا معلوم من حال القوم.

ويرد على من يدعي جواز خروج الولي من قبره كرامة لأحد الصالحين بأن فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند موته اشتد حزنها حتى ماتت حزناً عليــه -صــلى الله عليه وسلم-، فلم يُنقل أنه -صلى الله عليه وسلم- ظهر لفاطمة وخفف عنها مــا تحملــه مــن حزن على فراقه -صلى الله عليه وسلم-، وفي هذا المعنى يقول الإمام السخاوي: "لــم يصــل إلينا ذلك عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم، وقد اشتد حزن فاطمة عليه -صلى الله عليــه وسلم- حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر على الصحيح، وبيتها مجاور لضريحه الشريف، ولــم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه"[2]، فضلاً على ملامسة يده ومصافحتها كما يعتقد بذلك الأحباش الرفاعيون؛ ويعقب الشيخ الشنقيطي على ذلك بقوله: "بل الظاهر أن عدم وقوع ذلك لفاطمة -رضي الله عنها- دليل قطعي، لأنه لو كان يُرى لرأته، إذ لا أحــد أولــى منهــا بذلك، ولو وقع لها ولغيرها لنقل متواتراً لما له من الدواعي التي توجب نقله متواتراً، كما وقع

[1]- منتهى الخارف الجاني -في رد زلقات التجاني الجاني- للشيخ محمد الخضر الجكني الشــنقيطي ص٩١ بتصرف، الناشر: دار البشير، الأردن، ط الأولى ١٤٠٥هــ-١٩٨٥م.

[2]- منتهى الخارف الجاني للشنقيطي ص٩١، نقلاً عن: المواهب اللدنية للسيوطي.

في حديث رؤيته مناماً، وهذا أولى منه بذلك"[1]، فمن باب أولى عدم ملامسة يد الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد موته ومصافحتها. وأيضاً الإمام الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) يعقب على قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، بعد أن يذكر حكايات عن الصالحين يرى: "أن ما نسب إلى بعض الكاملين من أرباب الأحوال من رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته وسؤاله والأخذ عنه، لم نعلم وقوع مثله في الصدر الأول، وقد وقع اختلاف بين الصحابة -رضي الله عنهم- من حين توفي عليه الصلاة والسلام إلى ما شاء الله تعالى في مسائل دينية وأمور دنيوية، وفيهم أبو بكر وعلي -رضي الله عنهما- وإليهما ينتهي أغلب سلاسل الصوفية الذين تنسب إليهم تلك الرؤية، ولم يبلغنا أن أحداً منهم رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في اليقظة وأخذ عنه ما أخذ، وكذلك لم يبلغنا أنه -صلى الله عليه وسلم- ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال حيرته، ...وقد بلغك ما عرى فاطمة البتول -رضي الله تعالى عنها- من الحزن العظيم بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- وما جرى في أمر فدك، فهل بلغك أنه -صلى الله عليه وسلم- ظهر لها كما ظهر للصوفية فبل لوعتها وهون حزنها وبين لها الحال، وقد سمعت بذهاب عائشة -رضي الله عنها- إلى البصرة، وما كان من وقعة الجمل، فهل سمعت تعرضه -صلى الله عليه وسلم- لها قبل الذهاب وصده إياها عن ذلك لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى كثرة، والحاصل أنه لم يبلغنا ظهوره عليه الصلاة والسلام لأحد من أصحابه وأهل بيته وهم مع احتياجهم الشديد لذلك، وظهوره عند باب قُباء كما يحكيه بعض الشيعة افتراء محض وبهت بحت، وبالجملة عدم ظهوره لأولئك الكرام وظهوره لمن بعدهم مما يحتاج إلى توجيه يقنع به ذوو الأفهام"[2]، وبهذا يظهر فساد قول من يدعي أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخرج يده من قبره ليصافح الإمام الرفاعي.

المطلب الرابع: استعمال الدف قربةً لله:

إن الأحباش أجازوا استعمال الدف في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، لذلك أنكروا على من أنكر عليهم استخدام الدف بحجة القربى إلى الله، وجاءوا بالأحاديث الكثيرة لدعم ما ذهبوا إليه، ومن هذه الأحاديث الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها- أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله عليه الصلاة والسلام: "يا عائشة،

---

[1] - منتهى الخارف الجاني للشنقيطي ص٩٢.

[2] - روح المعاني للآلوسي ٣٨/٢٢-٣٩.

ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو"[١]، وفي جامع الترمذي عن عائشة -رضـــي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "أعلنوا هذا النكـــاح واجعلـــوه فـــي المســـاجد، واضربوا عليه بالدفوف"[٢]، وفي سنن أبي داود عن امرأةٍ أتت النبي -صلى الله عليه وســـلم- فقالت: يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، قال: "أوفي بنذرك"[٣]، وعلـــى هذه الأحاديث يستند الأحباش في إباحة استخدام الدف بحجة التقرب إلى الله[٤].

من المعلوم أن إباحة استعمال الدف في القربى إلى الله من البدع الصوفية التي تميز بهـــا الأحباش، ومعلوم ما في هذا الفعل من المفسدة والتعدي على شرع الله بأن يتقرب إليه بما لـــم يشرعه، ولم يأمر به، لذلك نهى العلماء عن استخدام الدف بهذه الحجة الواهية لعدم وجود سند شرعي يستند عليه في ذلك، وأما الأحاديث التي يستند إليها الأحباش لإجازة استخدام الدف في طقوسهم الصوفية، فقد استدل بها في غير موضعها، حيث إن الإباحة والرخصة فيها للنســـاء في مناسبات خاصة كالزواج، وهذا ما يؤكده ابن حجر بقوله: "والأحاديث القوية فيها الإذن في ذلك للنساء فلا يلتحق بهن الرجال لعموم النهي عن التشبه بهـــن"[٥]، وأمـــا الاســـتدلال بهـــذه الأحاديث فإنما هو خطأ في التأويل في إجازة استخدام الدف، فيقول أبو عبيد القاسم بن سلام: "من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ في التأويل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر في الناس"[٦]،أو في حالات خاصة كتلك المرأة التي نذرت بأن تضرب بالدف عند رأس رسول الله -صلى الله عليـــه وســـلم- وذلـــك تعبيراً عن فرحتها لعود الرسول الأحمد إلى المدينة، ولم تقصد المرأة بذلك التقـــرب إلـــى الله كعبادة كما هو واضح من الحديث بل تعبيراً عن سرورها وفرحتها، وهذا لا يقاس عليه لأنهـــا حادثة خاصة، وفي هذا المعنى يقول الخطابي: "ضرب الدف ليس مما يعد في باب الطاعـــات التي يتعلق بها النذور وأحسن حاله أن يكون من باب المباح، غير أنه لما اتصل بإظهار الفرح لسلامة مقدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين قدم من بعض غزواته، وكانت فيه مساءة

---

[١]- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب النسوة اللاتي يُهدين المرأة إلى زوجها، ح٥١٦٢، ١٧١/٦.

[٢]- سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح، ح١٠٨٩، ٣٨٩/٣-٣٩٠، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب حسن.

[٣]- سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، ح٣٣١٢، ٣٣٧/٣-٣٣٨.

[٤]- انظر: تفنيد مزاعم المدعى لقسم الأبحاث والدراسات ص٣١-٣٢.

[٥]- فتح الباري لابن حجر ٢٢٦/٩.

[٦]- تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٤٨.

الكفار وإرغام المنافقين صار فعله كبعض القرب"[١]، ومن جهة أخرى هناك من العلماء مـــن ضعف هذا الحديث كابن القطان بسبب علي بن حسين بن رائد، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال العقيلي: كان مرجياً (مرجئاً)[٢]، ومن جهــة أخــرى لم يكـــن يعــرف عن الصحابة ولا التابعين فضلاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنهم كانوا يتقربون إلـــى الله باستخـــدام الدف، بـــل كانوا يتقربون إلى الله بما شرع مـــن العبـــادة، ويبيـــن ابن الجـــوزي -رحمـــه الله - أنـــه كـــانت "جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا -فكيف لو رأوا هذه- وكان الحسن البصـــري يقول: ليس الدف من سنة المرسلين في شيء"[٣]. ويعلق ابـــن تيمية -رحمه الله- على من يـــدعي مثل ذلك بقوله: "وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الإسلام، أن النبـــي -صـــلى الله عليـــه وسلم- لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنـــة، مع ضرب بالأكف أو ضرب بالقضيب أو الدف، كما لم يبح لأحد أن يخـــرج عـــن متابعتـــه واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة، لا في باطن الأمر ولا في ظاهره لا لعامٍ ولا لخـــاصٍ، ولكن رخص النبي -صلى الله عليه وسلم- في أنواع من اللهو في العرس ونحوه، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح، وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكفٍ، ...ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء، ولما كـــان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء، كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثاً، ويســـمون الرجال المغنين مخانيث"[٤]، ويرد ابن تيمية على من يستخدم الدف: بأن عبادة المســـلمين الركـــوع والسجود، والدف والرقص لم يأمر الله به، ولا رسوله، ولا أحد من سلف الأمة، بل أمروا بالقرآن في الصلاة والسكينة[٥]، ثم يبين ابن تيمية أن من يفعل ذلك مبتدع فيقول: "فهذه الأحوال الفاسدة مـــن كان فيها صادقاً فهو مبتدع، ضال، من جنس خضراء العدو، وأعوان الظلمة، مـــن ذوي الأحـــوال الفاسدة الذين ضارعوا عبّاد النصارى، والمشركين، والصابئين"[٦]، ولا غرابة في هذا التشنيع لمـــن يستخدم الدف بحجة التقرب إلى الله، لأن الصوفية تمادوا في استخدام أدوات اللهو في طقوسهم حتى صار ألهى من الجواري وهذا ما يبينه الإمام المقبلي بقوله:"ونحن في وقتنا هذا لما اضمحلت العلـــوم فـــي كـــل فـــن وصـــار النـــاس عكوفـــاً علـــى رسوم مخصوصة،من لم يقف عندها كان مدعياً،

١- عون المعبود -شرح سنن أبي داود- لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي المجلـــد ٥، ٩/١٠٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢- انظر: عون المعبود للآبادي م٥، ٩/١٠٠.

٣- تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٤٨.

٤- مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٢/٣١، بدون ناشر أو رقم طبعة أو تاريخ نشر.

٥- انظر: الجامع الفريد -كتاب الزيارة- لابن تيمية ص٦٧٦.

٦- المصدر السابق ص٦٧٧.

صار الواجب في الصوفية العكوف في الرباطات والبناءات التي وضعوها على المنابر المسماة بالشاهد، على السماع المقرون بكلمات يقرن بها اللهو الذي اقر أهله أنه ألهى من الجواري والسوقة"[١]، وهذا من جنس ما يقوم به الأحباش في بعض المواسم والأعياد لدى المسلمين بحيث تذهب فرقة الإنشاد لديهم إلى المقابر وتبدأ بالنشيد والغناء هناك[٢]، ومعلوم ما في هذا الأمر من المفسدة والمضيعة لحدود الله.

وبهذا يظهر فساد هذا المسلك الذي يسير عليه الأحباش وسوء المعتقد، لأنه أمر مبتدع في دين الله، لا يعرف له أصل عند علماء المسلمين من السلف الصالح، وإنما ابتدع على يد المتصوفة.

---

[١] - العلم الشامخ للمقبلي ص٤٦٦.

[٢] - انظر: مجلة منار الهدى العدد ٩- محرم ١٤١٤هـ، ص٦٩، حيث تأتي المجلة بخبر مصور مفاده: فريق الإنشاد يواسي زوار المدافن في أقربائهم وذلك في عيد الأضحى.

الباب الثالث

موقف الأحباش من الصحابة والعلماء عرض ونقد

ويحتوي على فصلين :

الفصل الأول : موقف الأحباش من الصحابة رضي الله عنهم.

الفصل الثاني : موقفهم من العلماء.

الفصل الأول

موقف الأحباش من الصحابة

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقفهم من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

المبحث الثاني : موقفهم من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

المبحث الثالث : موقفهم من أم المؤمنـــين عائشة رضي الله عنها .

المبحث الأول: موقفهم من الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم-:

يرى الحبشي وجوب الإيمان بأحقية خلافة الخلفاء الراشدين حسب ترتيبهم، فيقول: "يجب الإيمان بأحقية خلافة الأربعة على حسب ترتيبهم في الخلافة، لأن الصحابة بمن فيهم علي -رضي الله عنه- رضوا بذلك"[1]، ولا مانع عند الحبشي من إضافة صفة الخلافة الراشدة إلى غير الخلفاء الأربعة، فيصف الحسن بن علي -رضي الله عنهما- بالخليفة الراشد، وكذلك عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-، فيعبر عن ذلك بقوله: "ولا نعني بهذا أنه لا خليفة راشداً في الأمة سوى الأربعة، بل الحسن بن علي الذي بايعه المسلمون خليفة راشد، وكذلك عمر بن عبد العزيز لكنهما أقل مرتبة من الأربعة"[2]، ويؤكد الحبشي هذا المعنى عندما يعتبر الخلفاء ستة، فيقول: "فقد مضى مجتهدون في السلف مع كونهم حاكمين كالخلفاء الستة أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن بن علي، وعمر بن عبد العزيز"[3].

وكذلك يرى الحبشي: "أن من أنكر صحبة سيدنا أبي بكر بالقلب أي اعتقد أن أبا بكر ليس صاحباً لرسول الله فقد كفر، أما من أنكر صحبة عمر، أو صحبة عثمان، أو صحبة علي فلا يكفر وذلك لأن الله ما نصَّ في القرآن على صحبة عمر، أو علي، أو عثمان، أما أبو بكر فقد نص الله على صحبته في القرآن، فقال تعالى:﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة:٤٠]"[4]، وفي هذا يظهر القول بتفضيل أبي بكر على سائر الصحابة، ويصرح الحبشي بهذا المعنى فيقول: "يجب تفضيل أبي بكر -رضي الله عنه- على سائر أصحاب رسول الله، وذلك لأن الصحابة أجمعوا على إمامته، وبايعوه، وإجماعهم كآية من كتاب الله حجة موجبة للعلم قطعاً"[5].

وأما قول الحبشي بوجوب الإيمان بأحقية الخلافة للخلفاء الراشدين الأربعة على حسب ترتيبهم[6]، فهذا موافق لما عليه علماء أهل السنة والجماعة فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي: "ونثبت الخلافة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أولاً لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- تفضيلاً وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، ثم لعثمان -رضي الله عنه-، ثم لعلي -رضي الله عنه-، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون"[7]،

---

[1] - إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣٠٣.
[2] - المصدر السابق ص٣٠٣.
[3] - الصراط المستقيم للحبشي ص١٠٤-١٠٥، انظر: الشرح القويم للحبشي ص٤١.
[4] - بغية الطالب للحبشي ص٤٧.
[5] - إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣٠١.
[6] - انظر: المصدر السابق ص٣٠٣.
[7] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٧١-٤٨٤ -المتن-.

ويعلق شارح الطحاوية على ما سبق من المتون بقوله: "وترتيب الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- أجمعين في الفضل كترتيبهم في الخلافة"[1]، وكذا يقول ابن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى: "أما تفضيل أبي بكر، ثم عمر على عثمان وعلي، فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين، من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم"[2]، وفي المعنى السابق نفسه يقول الإمام السفاريني: "فقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة والناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي"[3]، وهذا الذي سبق أكده الإمام النووي بقوله: "أفضلهم على الإطلاق أبو بكر، ثم عمر -رضي الله عنهما- بإجماع أهل السنة، ثم عثمان، ثم علي، هذا قول جمهور أهل السنة"[4].

وأما إضافة الحبشي صفة الخلافة الراشدة إلى غير الخلفاء الأربعة، وجعلها غير مقتصرة عليهم، بل وجعل الخلفاء ستة من خلال إضافة الحسن بن علي -رضي الله عنه-، وعمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-، فهذا أمرٌ فيه نظر وذلك إذا أراد الحبشي بوصف مَنْ حكم وفق الكتاب والسنة من أئمة المسلمين بأن خلافته راشدة، تشبه بذلك خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، فهذا أمر لا شيء فيه، وذلك من باب التشبه بالكرام والتأسي بأفعالهم وأقوالهم النابعة من الكتاب والسنة؛ وأما إذا أراد بها بإطلاق وصف الخلافة الراشدة على حكام المسلمين بشكلٍ عام، وجعلها غير مقصورة على الخلفاء الأربعة، فهذا أمر لم يرد عن علماء أهل السنة والجماعة، حيث أجمعوا على أن الخلافة الراشدة التي ورد ذكرها في حديث العرباض بن سارية -رضي الله عنه- عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- والذي فيه: "أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها"[5]، والخلفاء الراشدون المهديون الذين ورد ذكرهم في الحديث السابق هم الخلفاء الأربعة، فيقول الإمام ابن أبي العز في تعليقه على الحديث: "وترتيب الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- أجمعين في الفضل كترتيبهم في الخلافة"[6]، وما بينه أبو منصور البغدادي أن أصحابه مجمعون على أن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة[7]، ويلاحظ أن الإمام البغدادي حدد عدد الخلفاء الراشدين بالأربعة، وهذا ما

---

[1]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٨٥.

[2]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٥٨/٤.

[3]- لوامع الأنوار للسفاريني ٣١٢/٢.

[4]- تدريب الراوي للسيوطي ٢٢٢/٢-٢٢٣ -المتن-.

[5]- سبق تخريجه، انظر: ص٢٧٦.

[6]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٨٥.

[7]- انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣٥٢.

ذهب إليه الإمام الأشعري -رحمه الله- في الإبانة عندما يتحدث عن إمامة الخلفاء الراشـــدين، ثم يعقب بقوله: "هؤلاء الأئمة الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم"[١]، وممـــا يؤكد أن الخلافة الراشدة التي على منهاج النبوة تقتصر على الخلفاء الأربعة، الحديث الذي استدل به الأشعري في الإبانة عن سفينة[٢] (مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) قال: قال رســـول الله -صلى الله عليه وسلم- "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك"[٣]، ثم قال سفينة لمحدثه -سعيد بن جمهان-: "أمسك خلافة أبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم قال: أمسك خلافة علي بن أبي طالب، قال -سعيد-: فوجدتها ثلاثين سنة"[٤]، ويعلق الإمام الأشعري على ذلك بقوله: "فــدل علـــى إمامة الأئمة الأربعة -رضي الله عنهم-"[٥]، ويقول ابن قدامة المقدسي -رحمــه الله-: "وهــؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (عليكم بسنتي وســـنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ)[٦]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: (الخلافة من بعدي ثلاثون سنة)[٧] فكان آخرها خلافة علي -رضي الله عنه-"[٨]، ويعلق ابن تيميــة -رحمه الله- على الحديث النبوي الذي يأمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين بقوله: "وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- آخر الخلفاء الراشدين المهديين"[٩]، وبهذا يتبين أن إطلاق الخلافة الراشدة -كما ورد في الحديث- إنما يقتصر على الخلفـــاء الراشـــدين الأربعة -رضي الله عنهم-.

---

[١] - الإبانة للأشعري ص٦٩.

[٢] - **سفينة**: مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اسمه: أبو عبد الرحمن واسمه مهران، وقيل رومـــان، كان عبداً لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه خدمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما عاش. توفي ســـنة ٧٠هـــ. انظر: سير الأعلام للذهبي ١٧٢/٣-١٧٣، تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢٥/٤.

[٣] - سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، ح٢٢٢٥، ٥٠٢/٤، قال أبو عيسى: وهــذا حــديث صحيح قد روي من غير وجهٍ عن ابن عمر، وقال الألباني في الصحيحة عن الحديث: وجملة القــول أن الحديث حسن من طريق سعيد بن جمهان، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة -وشيء من فقهها وفوائدها-، محمد ناصر الدين الألباني ح٤٥٩ م١، القسم الثاني/٨٢٣، الناشر: مكتبة المعـــارف للنشـــر والتوزيـــع، الرياض، -بدون رقم طبعة-، سنة النشر ١٤١٥هـــ-١٩٩٥م، ويقول الألباني في صحيح الجـــامع عـــن الحديث: صحيح، ح٣٣٤١، ٦٣٠/١.

[٤] - الإبانة للأشعري ص٦٩.

[٥] - المصدر السابق ص٦٩.

[٦] - سبق تخريجه، انظر: ص٢٧٦ .

[٧] - سبق تخريجه، انظر: الصفحة نفسها (بنحوه).

[٨] - الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص٦٢.

[٩] - الوصية الكبرى لابن تيمية ص٤١، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة -بدون رقم طبعة- ١٤١٠هـــ-١٩٩٠م.

وأيضاً وافق الحبشي سلف الأمة عندما قال بتفضيل أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- على سائر صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقد قال الإمام النووي -رحمه الله- في حق الصحابة الكرام: "أفضلهم على الإطلاق أبو بكر"[١]، وكذا جاء عن الإمام أبي الحسن الأشعري: "وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجب أنه أفضل المسلمين -رضي الله عنه-"[٢]، وجاء عن ابن تيمية -رحمه الله- في ذلك قوله: "وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء، والعباد، والأمراء، والأجناد، على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي -رضي الله عنهم-"[٣]، وهذا ما يؤكده الإمام ابن قدامة المقدسي في (الاعتقاد) بقوله: "وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى"[٤]، وهذا الذي سبق بيانه يؤكده ابن عمر -رضي الله عنهما- بقوله: "كنا نقول والنبي -صلى الله عليه وسلم- حي: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، فيبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا ينكره"[٥]، وكذلك يبين الإمام الطحاوي فضل أبي بكر على غيره من أمة النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "ونثبت الخلافة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أولاً لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة"[٦]، وبهذه النصوص الصريحة عن السلف في إثبات الأفضلية لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- على بقية الصحابة الكرام، ومستند السلف في ذلك ما جاء في الكتاب والسنة وإجماع الصحابة على هذه الإمامة لأبي بكر الصديق وتقديمه على غيره، أما ما يستأنس به من القرآن في هذه المسألة قول الله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ [النور:٥٥]، وما أثنى الله على أهل بيعة الرضوان فقال: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح:١٨]، قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وسموه خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل.

---

[١]- تدريب الراوي للسيوطي ٢٢٣/٢ -المتن-.

[٢]- الإبانة للأشعري ص٦٨.

[٣]- الوصية الكبرى لابن تيمية ص٤١.

[٤]- الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص٦٠.

[٥]- سنن الترمذي،كتاب المناقب،باب في مناقب عثمان بن عفان-رضي الله عنه-،ح٣٧٠٧،٥/٦٣٠ (بنحوه)،قال أبو عيسى:حديث حسن صحيح غريب،ولكن يقتصر هذا الحديث عند ذكر عثمان فقط،وجاء في المسند للإمام أحمد١٤/٢،ويقول محقق كتاب الاعتقاد لابن قدامة المقدسي:حديث صحيح،انظر: ص٦٠.

[٦]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٧١ -المتن-.

وأما من الأحاديث التي تظهر فضل أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فهي كثيرة منها:

الحديث الوارد عن عائشة -رضي الله عنها- وعن أبيها: قالت: دخل عليّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في اليوم الذي بُدئ فيه، فقال: "ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر"[1]، وأحاديث تقديم أبي بكر في الصلاة، فيقول -صلى الله عليه وسلم-: "مروا أبا بكر فليصلّ بالناس"[2]، والحديث المروي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذَنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غَرْباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أرَ عبقرياً يَفري فَرِيَّه[3]، حتى ضَرب الناسُ بعَطن[4]"[5].

وأما تكفير الحبشي لمن ينكر بقلبه صحبة الصديق للرسول -صلى الله عليه وسلم- بخلاف لو أنكر صحبة عمر أو عثمان أو علي بحجة عدم وجود نص قرآني في ذلك[6]، وهذا الذي ذكره الحبشي لم يرد عن علماء السلف نص يُعتد به على ما قاله، بل إن الذي قاله الحبشي فيه انتقاص من حق الخلفاء الراشدين سوى أبا بكر -رضي الله عنه- لأنه ورد في فضلهم، وذكر شمائلهم، الأحاديث الصحيحة المتواترة والمستفيضة في ذلك، بل في كلام الحبشي تشجيع للبعض في أن يتجرءوا على الصحابة الكرام، وذلك بحجة عدم وجود نص قرآني يدلل على صحبتهم وبالتالي لا ينسحب حكم الكفر على من أنكر صحبتهم بخلاف أبي بكر الصديق -رضي الله عنهم- أجمعين.

وهذا الكلام باطل، لأن الإجماع الذي انعقد على أن المقصود بالصاحب هنا أبو بكر، قد انعقد أيضاً أن عمر وعثمان وسعد بن معاذ وغيرهم داخلون في معنى قوله تعالى:﴿**مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ**﴾ [التوبة:١٠٠].

---

[1] - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح٢٣٨٧، ١٨٥٧/٤، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ح٧٢١٧، ١٥٩/٨-١٦٠.

[2] - صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب حَدَّ المريض أن يشهد الجماعة، ح٦٦٤، ١٨٣/١، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس ...، ح٤١٨، ٣١٣/١-٣١٤.

[3] - **يفري فريه**: أي يعمل عمله ويقطع قطْعه. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٤٢/٣.

[4] - **العطن**: مبرك الإبل حول الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٥٨/٣.

[5] - صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب فضل أبي بكر بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-، ح٣٦٦٤، ٢٣٣/٤، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر -رضي الله عنه-، ح٢٣٩٣، ١٨٦٢/٤.

[6] - انظر: بغية الطالب للحبشي ص٤٧.

المبحث الثاني:موقف الأحباش من معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-:

القارئ لكتابات الأحباش يتبين له أن موقفهم من هذا الصحابي الجليل موقف عداء وبغض، بحيث يصفه الأحباش بالباغي، فيظهر ذلك من خلال قول الحبشي في كتابه (صريح البيان): "بيان حكم القتال الذي حصل بين علي ومعاوية، وأن معاوية ومن معه بغوا"[1]، ومما قاله الحبشي تحت هذا العنوان: "قتال معاوية لعلي هو خروج عن طاعة الإمام ... فيكون بذلك مرتكباً للكبيرة"[2]، وأيضاً يقول: "ثم إن وصف النبي لمعاوية وفئته الذين قاتلوا علياً بالبغي صريح في أنهم آثمون"[3]، ويعلل الحبشي هذا الهجوم على الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان بأن: "معاوية كان قصده من هذا القتال الدنيا، فلقد كان به الطمع في الملك، وفرط الغرام في الرئاسة، فلما وصل إلى الخلافة كف عن المطالبة بدم عثمان، وهو ما أتخذه حجة للخروج على عليّ وقتاله"[4]، بل إن الحبشي يرى إنه لم يصح في فضائل معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- شيء، فيقول: "وما يروى في معاوية من الفضائل فإنه لم يصح منه شيء"[5]، بل يصل تحامل الحبشي على معاوية بن أبي سفيان أنه يرفض التماس الأعذار له من قِبل علماء السلف فيقول معلقاً على مثل أولئك العلماء "وهذا تحسين ظنّ في غير محله"[6].

والحبشي يشجع أتباعه على الخوض فيما شجر بين الصحابة، وإطلاق الحكم عليهم دون مراعاة أدب التعامل مع صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيقول: "وليس من سب الصحابة القول إن مقاتلي علي منهم بغاة، لأن هذا مما صرح به الحديث بالنسبة لبعضهم وهم أهل صفين"[7].

وهنا يظهر الاعتداء الصارخ من قِبل الحبشي على صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتطاوله على أحدهم وهو معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-، وذلك من خلال اعتباره لمعاوية -رضي الله عنه- من البغاة الذين بغوا على الإمام علي -رضي الله عنه-[8]، واتهامه -رضي الله عنه- بأنه من الذين عشعشت الدنيا في قلوبهم وتربعت عليها، من حيث

---

[1] - صريح البيان للحبشي ص١٩٦.

[2] - المصدر السابق ص٢١١.

[3] - المصدر نفسه ص٢١٣.

[4] - المصدر نفسه ص٢٢٠.

[5] - المصدر نفسه ص٢٢٩.

[6] - المصدر نفسه ص٢٣٤.

[7] - بغية الطالب للحبشي ص٣٧٦.

[8] - انظر: صريح البيان للحبشي ص١٩٦.

وصفه بأنه تمرد على الخليفة علي -رضي الله عنه- بسبب الطمع في الملك، وفـرط الغـرام بالرئاسة[1]، وبالتالي يكون الحبشي وافق المعتزلة في اتهامه لمعاوية -رضي الله عنه- حيـث اعتبرت الصحابة عدولاً "إلا من قاتل علياً"[2]، ويقصدون بذلك صاحب رسول الله -صلى الله عليـه وسلم- معاوية -رضي الله عنه-، وأيضاً وافق الرافضة في ذلك[3].

ألم يعلم الحبشي أن معاوية -رضي الله عنه- أحد صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذين اصطفاهم الله -سبحانه وتعالى- لصحبة نبيه -صلى الله عليه وسلم-؛ قال جلا جلاله مخبـراً عن أولئك السابقين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار ومن تـبعهم بإحسـان إلـى يـوم الـدين **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَـنْهُمْ وَرَضُـوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُـونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال:٧٤]، وقال تعالى: **﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِـيِّ وَالْمُهَـاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** [التوبة:١١٧]، وأيضاً من فضائل معاوية بن أبي سفيان الظاهرة أنه شهد مع النبي -صلى الله عليه وسلم- غزوة حنين ودخل تحت قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا وَذَلِـكَ جَـزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾** [التوبة:٢٦]، وكذلك كان من الذين حضروا غزوة الطائف، ومـن الـذين شـهدوا النصارى بالشام، وأنزل الله فيها سورة براءة، وهي غزوة العسرة[4]؛ وهذه الآيـات القرآنيـة بمجموعها تبين دون أي شك فضل الصحابي الجليل معاوية بـن أبـي سـفيان -رضـي الله عنهما-، لعدم استثناءها أي صحابي من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا مـا يوضحه علماء السلف حيث أجمعوا على تعديل الصحابة الكرام دون استثناء، فيقـول ابـن الصلاح -رحمه الله- في ذلك: "للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحدٍ منهم، بل ذلك أمرٌ مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدّلين بنصوص الكتاب والسنة وإجمـاع مـن يُعتد به فـي الإجماع من الأمة"[5]، ويقول الإمام القرطبـي -رحمـه الله- فـي حـق الصحابة: "فالصـحابة كلهـم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه

---

[1]- انظر: صريح البيان للحبشي ص٢٢٠.

[2]- تدريب الراوي للسيوطي ٢/٢١٤.

[3]- انظر: منهاج السنة لابن تيمية ٤/٣٦٦-٣٦٧، ٣٧٨-٣٧٩، ٤٢٧-٤٣١.

[4]- المصدر السابق ٤/٢٨٠-٢٨١.

[5]- علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٩٤.

ورسله. هذا مذهب أهـل السنـة والذي عليـه الجماعة من أئمة هـذه الأمـة"[1]، ويقـول الإمام الصنعاني -رحمه الله-: "الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم عدول، سواء فـي ذلـك من لابس الفتن ومن لم يلابسها، وذلك مما لا يشتبه فيه أحد من علماء المسلمين الذين انتهـت إليهم زعامة العلم وعنهم تصدر الآراء والحجج"[2].

ومن الأحاديث النبوية الصحيحة التي تبين بعض فضائل معاوية -رضي الله عنه- ما ذكره الإمام البخاري في صحيحه: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نام في بيت أم حـرام بنـت ملحان ثم استيقظ -صلى الله عليه وسلم- وهو يضحك، قالت أم حرام: ما يضحك رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثـبج هـذا البحر ملوكاً على الأسرة، ومثل الملوك على الأسرة ... قالت فقلت: يا رسـول الله: ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت: وما يضحكك يا رسول الله قال: ناسٌ من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله كما قـال في الأول، قالت، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: أنت من الأوّلين"، فركبت -أم حرام- البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان؛ ويعلق ابن كثير -رحمه الله- على هذا الحـديث بقوله: "يعني جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة ٢٧هـ أيام عثمان بن عفان"[3] وذلـك بقيادة معاوية -رضي الله عنه- عقب إنشاء الأسطول في العهد الإسلامي الأول.

وكفى فخراً وعزاً لمعاوية -رضي الله عنه- ولمبغضيه قهراً وذلاً أن النبي -صـلى الله عليه وسلم- دعا له فقال: "اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به"[4]، وأيضاً مما يبين فضله -رضي الله عنه- أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- استعمله في ولايته، ومعلـوم أن "عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من أعظم الناس فراسة وأخبرهم بالرجال، وأقـومهم بالحق، وأعلمهم به، حتى قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كنا نتحـدث أن السـكينة تنطق على لسان عمر، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله ضرب الحق على لسـان عمر وقلبه"[5]، وقال: "لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر"[1]، وقال ابن عمر: ما سمعت عمـر

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٩/١٦.

[2]- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ٤٢٨/٢، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[3]- البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٩/٨ -ط دار ابن كثير، بيروت-.

[4]- سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب لمعاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-، ح٣٨٤٢، ٦٨٧/٥، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب؛ ويقول الألباني في مشكاة المصابيح: سـنده صـحيح، انظـر: ح٦٢٤٤،٣/١٧٥٨.

[5]- مسند الإمام أحمد ١٤٥/٥،سنن الترمذي،كتاب المناقب،باب في مناقب عمر بن الخطاب-رضي الله عنه، ح٣٦٨٢، ٦١٧/٥، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب؛ وبدل لفظة (ضرب) لفظة (جعل).

يقول في الشيء إني لأراه كذا وكذا إلا كان كما رآه. وقد قال له النبي -صلى الله عليه وسلم: "وما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك"[2]، ولا استعمل عمر قط، بل ولا أبو بكر على المسلمين منافقاً، ولا من أقاربهما، ولا كان تأخذهما في الله لومة لائم"[3]، وهذا ما يؤكده القاضي أبو بكر في كتاب (العواصم من القواصم) حيث يقول: "ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال: وهي أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها لما رأى من حسن سيرته، وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق"[4]، ويبين القاضي أبو بكر فضل معاوية -رضي الله عنه- من خلال ما هو مكتوب على أبواب المساجد في دار خلافة بني العباس فيقول: "وهذه مدينة السلام دار خلافة بني العباس-وبينهم وبين بني أمية ما لا يخفى على الناس-مكتوب على أبواب مساجدها:"خير الناس بعد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أبو بكر، ثم عمر، ثم علي، ثم معاوية خال المؤمنين -رضي الله عنهم-"[5]، ولو كان يتخوف من معاوية -رضي الله عنه- النفاق لما وُلي من أمر المسلمين شيئاً، والصحابة الكرام لم يكونوا ليسكتوا على معصية أو خطأ موجود "وقد اتفق المسلمون على أن إسلام معاوية خير من إسلام أبيه أبي سفيان، فكيف يكون هؤلاء منافقين والنبي -صلى الله عليه وسلم- يأتمنهم على أحوال المسلمين في العلم والعمل؟!"[6].

ويضاف إلى ما سبق من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تبين فضل معاوية -رضي الله عنه- ، ما جاء من أقوال أهل العلم والفضل من الصحابة والتابعين وأئمة السلف، أن الإمام البخاري -رحمه الله- أورد في كتاب فضائل الصحابة ضمن الصحيح، اسم الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- حيث يذكر من الآثار ما يمدح به معاوية -رضي الله عنه-، فعن ابن أبي

---

[1]- سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، ح٣٦٨٦، ٦١٩/٥ (بنحوه)، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

[2]- صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب فضل أبي بكر بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-، ح٣٦٨٣، ٢٤٠/٤، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر -رضي الله عنه-، ح٢٣٩٦، ١٨٦٣/٤-١٨٦٤.

[3]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٤١/٣٥-٤٢.

[4]- العواصم من القواصم-في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم-للقاضي أبي بكر بن العربي،ص٢٠٢-٢٠٥،تحقيق:محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، ط الخامسة ١٣٩٩هـ.

[5]- المصدر السابق ص٢١٣.

[6]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٤٢/٣٥.

مليكة قال: "أوتر معاوية بعد العشاء بركعةٍ وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس، فقال: دعه فإنه قد صحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"[١].

ومن مواقف علماء السلف من الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- فهو موقف مدح وتفضيل،لا ذم وتقبيح -كما فعل الحبشي- فيقول الإمام النووي -رحمه الله-: "وأما معاوية -رضي الله عنه- فهو من العدول الفضلاء، والصحابة النجباء -رضي الله عنه-"[٢]، وهذا الإمام ابن كثير -رحمه الله- يذكر مجموعة من النقول عن علماء السلف يبين فيها فضل معاوية -رضي الله عنه- ويمهد بقول الإمام أحمد -رحمه الله-: "إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام"[٣]، وما قاله ابن المبارك عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة قال: "ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية فإنه ضربه أسواطاً"[٤].

ويبين الإمام ابن قدامة المقدسي فضل معاوية -رضي الله عنه- بقوله: "ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، وأحد خلفاء المسلمين"[٥]، وأيضاً ذكر أبو بكر الخلال في السنة أنه وُجهت رقعة إلى أبي عبدالله -أحمد بن حنبل- فيها: "ما تقول -رحمك الله- فيمن قال: لا أقول أن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول أنه خال المؤمنين[٦]، فإنه أخذها بالسيف غصباً، قال أبو عبدالله: هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس"[٧]، ومما يؤكد فضل معاوية -رضي الله عنه- صلة المصاهرة التي تربطه بالرسول -صلى الله عليه وسلم- من خلال أخته أم حبيبة -رضي الله عنها- زوج النبي -صلى الله عليه وسلم-، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول في بيان فضل نسبه: "ينقطع كل نسب إلا نسبي، وسببي، وصهري"[٨]، وأيضاً مما جاء في بيان فضل معاوية -رضي الله عنه- أن أبا بكر المروذي

١- صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب ذكر معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-، ح٣٧٦٤، ٢٦٣/٤-٢٦٤.

٢- شرح صحيح مسلم للنووي ١٤٩/١٥، ط دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ.

٣- البداية والنهاية لابن كثير ١٣٩/٨ -ط دار ابن كثير، بيروت-.

٤- المصدر السابق ١٣٩/٨.

٥- الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص٧٠.

٦- وتسمية معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- بخال المؤمنين، وذلك نسبة إلى صلة القرابة بينه وبين أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان -رضي الله عنها- حيث يصل إليها بصلة الأخوة.

٧- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، ح٦٥٩، ص٤٣٤، دراسة وتحقيق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٨- السنة للخلال ح٦٥٦، ص٤٣٣، قال المحقق: إسناده حسن، وانظر: المسند لأحمد بن حنبل ٣٢٣/٤.

قال: "قلت لأبي عبدالله أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز، فقال: معاوية أفضل، لسنا نقيس أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحداً"[1]، وهذا مجاهد -رحمه الله- يقول في حق معاوية: "لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي"[2]، ويقول ابن سيرين -رحمه الله- أحد علماء الحديث: "كان معاوية لا يتهم في الحديث"[3].

وقد ورد عن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قوله: دخلت مع أبي على النبي -صلى الله عليه وسلم- فسمعته يقول: "لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، ثم تكلم النبي -صلى الله عليه وسلم- بكلمة خفيت علي، فسألت أبي ماذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "كلهم من قريش"[4]، ويعلق شارح الطحاوية على هذا الحديث بقوله: "والاثنا عشر، الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال"[5].

وأيضاً من فضل معاوية -رضي الله عنه- أنه: "اتفق العلماء على أن معاوية أفضل من ملوك هذه الأمة فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، وكان ملكه ملكاً ورحمة، كما جاء في الحديث (يكون الملك نبوة ورحمة، ثم تكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملك ورحمة، ثم ملك وجبرية، ثم ملك عضوض[6])[7]، وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم أنه كان خيراً من ملك غيره"[8].

ثم بعد هذا العرض لفضائل معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- يأتي الحبشي ويقول أنه لم يصح في فضائل معاوية -رضي الله عنه- شيء[9]، وهذا الادعاء من قِبل الحبشي مردود بما سبق بيانه، ويظهر بطلانه وفساده.

---

[1]- المصدر السابق ح٦٦٠، ص٤٣٤.

[2]- السنة للخلال ص٤٣٨.

[3]- المصدر السابق ص٤٤٠.

[4]- صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ح٧٢٢٢، ٧٢٢٣، ١٦١/٨، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تتبع لقريش والخلافة في قريش، ح١٨٢١، ١٤٥٢/٣.

[5]- شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٨٩.

[6]- **عضوض**: أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٥٣/٣.

[7]- مسند الإمام أحمد ٢٧٣/٤ (بنحوه)، سنن الدارمي للإمام عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، ح٢١٠١، ٨٥٥/٢، تحقيق وتخريج نصوصه: فؤاد زمزلي، خالد العلمي، الناشر: دار الريان للتراث، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، وجاء فيه: "أول دينكم نبوة ورحمة، ثم ملك ورحمة".

[8]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٩٢/٤.

[9]- انظر: صريح البيان للحبشي ص٢٢٩.

وأما الذي وقع بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- فإنه كان من باب الاجتهاد، فيوضح ذلك أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- بقوله: "وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- كان على تأويل واجتهاد وكل الصحابة أئمة مأمونين غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم وتعبدنا بتوقيرهم، وتعظيمهم، وموالاتهم، والتبري من كل من ينقص أحداً منهم -رضي الله عن جميعهم-"[1]، وبالمنهجية نفسها يتحدث الإمام النووي على ما شجر بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- بقوله: "وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول -رضي الله عنهم- ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون ... فكلهم معذورون -رضي الله عنهم- ولهذا اتفق أهل الحق، ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم، ورواياتهم، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين"[2]، ويتحدث ابن تيمية عما حصل بين الصحابيين الجليلين بقوله: "ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب، وهم كانوا مجتهدين إما مصيبين لهم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح المغفور لهم خطؤهم، وما كان من السيئات وقد سبق لهم من الله الحسنى، فإن الله يغفرها إما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك"[3]، ويؤكد ابن حجر -رحمه الله- أن الذي وقع بين الصحابة إنما كان اجتهاداً منهم فيقول: "واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ... -والصحابة- لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجر أجرين"[4]، ويبين الإمام القرطبي أن الذي وقع بين الصحابة الكرام لا يسقط من مرتبتهم ولا يقلل من قدرهم لأنه كان من باب الاجتهاد فيقول: "فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى:﴿**مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب:٣٥]، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك. وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب"[5]؛ وبهذا يتبين ما عليه علماء أهل السنة والجماعة مما شجر بين الصحابة علي ومعاوية -رضي الله

---

[1]- الإبانة للأشعري ص٦٩.

[2]- شرح صحيح مسلم للنووي ١٤٩/١٥ -دار الريان للتراث-.

[3]- الوصية الكبرى لابن تيمية ص٤١.

[4]- فتح الباري لابن حجر ٣٤/١٣.

[5]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٩/١٦.

عنهما-، مع اعتقادهم "أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وممن قاتله لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق"[1]، وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق، وأن علياً -رضي الله عنه- أقرب إلى الحق"[2].

وأما ادعاء الحبشي أن معاوية -رضي الله عنه- قاتل من أجل الملك فمردود عليه بما عليه أئمة أهل السنة والجماعة، حيث يبين ابن حجر ذلك بأن الذين طلبوا الدنيا هم الذين جاءوا من بعد، وأن الصحابة كانوا متأولين فيما حصل بينهم فيقول: "ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عدداً من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا"[3]، وبهذا يبطل ادعاء الحبشي المغلوط في حق الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-.

وأما عن وصف الحبشي لمعاوية -رضي الله عنه- بالباغي فهذا تجاوز للأدب مع صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويرد على مثل هذا الادعاء بالتالي:

١- لو لم يكن لمعاوية -رضي الله عنه- حسنة سوى أنه صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لكفته ولرجحت بمبغضيه جميعاً؛ وثبت في الصحيح أن حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى المشركين يخبرهم بمسير النبي -صلى الله عليه وسلم- إليهم، وبعدما علم الصحابة بذلك قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنه شهد بدراً، وما يدريك أن الله قال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم"[4]، ويعلق ابن تيمية -رحمه الله- على ذلك بقوله: "وهذا مما يستدل به على أن ما جرى بين علي وطلحة والزبير ونحوهم، فإنه إما أن يكون اجتهاداً لا ذنب فيه، فلا كلام. فقد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله

---

[1] - صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح١٠٦٥، ٧٤٥/٢-٧٤٦.

[2] - الوصية الكبرى لابن تيمية ص٤٢، انظر: منهاج السنة لابن تيمية ٣٨٥/٤، ٤٤٨.

[3] - فتح الباري لابن حجر ٣٤/١٣.

[4] - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الممتحنة، ح٤٨٩٠، ٧١/٦-٧٢، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم: وقصة حاطب بن أبي بلتعة، ح٢٤٩٤، ١٩٤١/٤-١٩٤٢.

أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر"[١]، وإن كان هناك ذنب فقد ثبت أن هؤلاء -رضي الله عنهم- وغفر لهم ما فعلوه؛ ... وأما من بعد هؤلاء السابقين الأولين، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، فهؤلاء دخلوا في قوله تعالى: ﴿**وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾ [الحديد:١٠]"[٢].

٢- ويقال للحبشي أن "الباغي قد يكون متأولاً معتقداً أنه على حق، وقد يكون متعمداً يعلم أنه باغٍ، وقد يكون بغيه مركباً من شبهة وشهوة وهو الغالب. وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة، فإنهم لا ينزهون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلاً عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد، بل يقولون: إن الذنوب لها أسباب تُدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة وغير ذلك، وهذا أمر يعم الصحابة وغيرهم"[٣]، وعند سلف الأمة يعتبر معاوية -رضي الله عنه- متأولاً ومعتقداً أنه على حق، وبالتالي لا يجوز وصفه بالباغي المتعدي لحدود الله، والمفتري على أوليائه.

٣- وأيضاً: "فقتال البغاة المذكورين في القرآن[٤] فنوع ثالث غير هذا وهذا، فإن الله تعالى لم يأمر بقتال البغاة ابتداءً، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين بالإصلاح بينهما، وليس هذا حكم المرتدين ولا حكم الخوارج، والقتال يوم الجمل وصفين فيه نزاع. هل هو من باب قتال البغاة المأمور به في القرآن؟ أو هو قتال فتنة القاعد فيه خير من القائم، فالقاعدون من الصحابة وجمهور أهل الحديث والسنة وأئمة الفقهاء بعدهم يقولون: هو قتال فتنة، ليس هو قتال البغاة المأمور به في القرآن، فإن الله لم يأمر بقتال المؤمنين البغاة ابتداءً لمجرد بغيهم، بل إنما أمر إذا اقتتل المؤمنون بالإصلاح بينهم"[٥]، وبالتالي لا يمكن وصف معاوية -رضي الله عنه- بالباغي لترجيح جمهور أهل الحديث والسنة وأئمة الفقهاء بأن القتال قتال فتنة لا قتال بغي، بل إن علماء السلف يرون أن شرط الفئة الباغية لم تتوفر في معاوية، فيقول ابن تيمية -رحمه الله- في ذلك: "وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم -كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم- لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية، فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداءً، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يصلح بينهما، ثم إن بغت إحداهما

١- صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل -أو الحاكم-، ح٧٣٥٢، ١٩٨/٨، صحيح مسلم، كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ح١٧١٦، ١٣٤٣/٣ (بنحوه).

٢- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٨٢/٤.

٣- منهاج السنة لابن تيمية ٣٨٥/٤.

٤- وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات:٩].

٥- منهاج السنة لابن تيمية ٥٠٢/٤.

على الأخرى قوتلت التي تبغي، وهؤلاء قوتلوا ابتداءً قبل أن يبدءوا القتال"[1] أي جيش معاوية، ومع ذلك فإن علماء السلف يرون الأصوب ألا يكون قتال؛ وعلي -رضي الله عنه- أقرب من معاوية -رضي الله عنه- إلى الحق، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "وكان ترك القتال خيراً للطائفتين، فليس في الاقتتال صواب، ولكن علياً كان أقرب إلى الحق من معاوية، والقتال فتنة ليس بواجب ولا مستحب وكان ترك القتال خيراً للطائفتين، مع أن علياً كان أولى بالحق، هذا هو قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء وهو قول أكابر الصحابة والتابعين"[2]، ويقول ابن تيمية -رحمه الله- في موضع آخر: "ولم يسترب أئمة السنة، وعلماء الحديث: أن علياً أولى بالحق وأقرب إليه، كما دل عليه النص، وإن استرابوا في وصف الطائفة الأخرى بظلم أو بغي، ومن وصفها بالظلم والبغي .. جعل المجتهد في ذلك من أهل التأويل"[3].

٤- ولو كان معاوية باغياً -كما يدعي الحبشي- لما تأخر الصحابة الكرام عن قتاله، ومن المعلوم أن الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- لا يسكتون عن قول الحق ولو كان على أنفسهم، فيوضح شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ذلك بقوله: "فالله تعالى أمر بقتال الطائفة الباغية، فيكون قتالها كان واجباً مع علي، والذين قعدوا عن القتال هم جملة أعيان كسعد، وزيد، وابن عمر، وأسامة، ومحمد بن مسلمة، وأبي بَكْرة، وهم يروون النصوص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في القعود عن القتال في الفتنة، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: (القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، والساعي فيها خير من الموضع)[4]، وقوله: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف[5] الجبال، ومواقع القطر: يفر بدينه من الفتن)[6]"[7].

ويرد على الحبشي بأن النص الذي استدل فيه على وصف معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- بالبغي وهو قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "إن عماراً تقتله الفئة

[1] - المصدر السابق ٣٩١/٤.

[2] - منهاج السنة لابن تيمية ٤٤٨/٤، انظر: المصدر السابق ٣٨٩/٤.

[3] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٦٩/٤.

[4] - صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ح٧٠٨١، ١١٨/٨، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، ح٢٨٨٦، ٢٢١١/٤-٢٢١٢.

[5] - **شعف**: يريد به رأس جبلٍ من الجبال. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٨١/٢.

[6] - صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب التعرب في الفتنة، ح٧٠٨٨، ١٢١/٨.

[7] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٢٦٩/٤.

الباغية"[1]، وعلماء السلف وضحوا المقصود بهذا النص النبوي، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا النص: "ليس نصاً في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه، بل يمكن أنه أريد به تلك العصابة التي حملت عليه حتى قتلته، وهي طائفة من العسكر، ومن رضى بقتل عمار كان حكمه حكمها. ومن المعلوم أنه كان في المعسكر من لم يرض بقتل عمار، كعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيره، بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار حتى معاوية، وعمرو"[2]، وبهذا يسقط الاستدلال بهذا النص في أن معاوية باغٍ.

وبعد هذا العرض لما وقع بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- لا بد أن يُعلم أن الأمة تقع فيها أمور بالتأويل سواء في دمائها وأموالها وأعراضها[3]، وما حصل بين الصحابيين الجليلين من جنس ذلك، وبالتالي لا يجوز للحبشي وأمثاله من مبغضي الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان أن يصمه بالبغي والتعدي على حرمات الله وحدوده، بل كان ينبغي على الحبشي أن يكون موقفه مما حصل بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- كموقف السلف الصالح الذي يمثله قول الإمام عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- حينما سُئل عن حقيقة تلك الفتنة، ومن المحق فيها ومن المخطئ فقال مستهجناً على السائل سؤاله: "تلك دم كَفّ الله عنها يدي، أريد أن ألطخ بها لساني؟!"[4]، وكأن لسان حاله -رحمه الله- يقول: تلك فتنة طهر الله منها سيوفنا وأيدينا، فالأولى أن نطهر منها ألسنتنا.

وأما عن حكم سب الصحابة عند علماء أهل السنة والجماعة فيوضحه الإمام النووي بقوله: "واعلم أن سب الصحابة -رضي الله عنهم- حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون"[5]، ويدخل ضمن سب الصحابة القدح فيهم وفي عدالتهم ووصفهم بصفات لا ينبغي أن يوصف بها أمثالهم كما صرح بذلك الحبشي ووصف معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- بالباغي، وهذا ما يؤكده النووي عندما ختم كلامه بقوله: "سواء من لابس الفتن منهم وغيره، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون"[6].

وأيضاً يبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حكم من يسب صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين، فيقول: "من لعن أحداً من

---

[1]- صحيح البخاري،كتاب الجهاد والسير،باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله،ح٢٨١٢، ٢٧٢/٣-٢٧٣.

[2]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٤٨/٣٥.

[3]- انظر: منهاج السنة لابن تيمية ٤٥٢/٤.

[4]- صون المنطوق للسيوطي ص١٣٤.

[5]- شرح صحيح مسلم للنووي ٩٣/١٦ -ط دار الريان للتراث-.

[6]- المصدر السابق ٩٣/١٦ -ط دار الريان للتراث-.

أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كمعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص ونحوهما، أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة، والزبير، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، أو أبي بكر الصديق، وعمر، أو عائشة أم المؤمنين وغير هؤلاء من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فإنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين"[1]، والإمام الطحاوي يذهب أبعد من ذلك حيث يرى أن مجرد بغض صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كفر ونفاق وطغيان فيقول: "ونحب أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا نفرط في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين، وإيمان، وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق، وطغيان"[2]، ولهذا فإن اعتقاد علماء أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه: "يجب لهم من المحبة والتبجيل والترضي والتفضيل على سائر الأمة، وتقبيح من آذاهم ... والكف عما جرى بينهم مما لعله لم يصح عنهم، وما صح فله تأويلات سائغة، وإذا كان لأحد منهم هنات تقع مكفرة مستهلكة في عظيم حسناتهم وجسيم مجاهداتهم"[3]، لا أن يسبوا ويقللوا من شأنهم ويصفوهم بأبشع وأشنع الصفات التي لا تُقبل في حق العلماء فضلاً عن حق الصحابة الكرام.

---

[1] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٣٨/٣٥.

[2] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٦٧ -المتن-.

[3] - لوامع الأنوار للسفاريني ٣٧٦/٢-٣٧٧.

المبحث الثالث: موقف الأحباش من عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-:

يذكر الحبشي تحت عنوان "الخارجون على عليّ بغاة"[١]، وتحت هذا العنوان يبين الحبشي أن الذين قاتلوا الإمام علياً خرجوا عن طاعته، ثم يعلق في الهامش على خروج عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- ضمن الذين خرجوا في المطالبة بدم عثمان -رضي الله عنه-، وأنها -رضي الله عنها- أرادت الرجوع فأصَرّ القوم على الذهاب معهم، فذهبت للإصلاح ولم تذهب للقتال[٢]، ثم يتجرأ الحبشي بالقول على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ووصمها بارتكاب المعصية فيقول: "وكان معصيتها وقوفها في معسكر الذين تمردوا على عليّ الخليفة الراشد"[٣]، ويؤكد الحبشي هذا المعنى الذي قال به عندما يتحدث عن ندم عائشة -رضي الله عنها- فيقول: "وثبت أيضاً ندم عائشة -رضي الله عنها- على ما فعلت، وهو أنها مكثت في المعسكر الذي كان ضد عليّ مع كونها لم تخرج بنية قتاله ولم تقاتله"[٤]، ومن المعلوم أن الندم في حق المؤمنين يكون بعد ارتكاب ما لا يرضي الله -سبحانه وتعالى-، والتعدي على الآخرين.

والذي يظهر من كلام الحبشي تجرؤه على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كما فعلت الرافضة[٥] من قبل، وهذا كله لأن عائشة -رضي الله عنها- وقفت في صف الذين طالبوا بدم عثمان -رضي الله عنه- والذين اعتبرهم الحبشي بأنهم تمردوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-[٦]، وهذا أيضاً ما ذهب إليه المعتزلة، فيقول ابن تيمية -رحمه الله- تحت عنوان "أهل الأهواء في قتال علي ومن حاربه على أقوال:

... والثاني: تفسيق من قاتله إلا من تاب، ويقولون: إن طلحة، والزبير، وعائشة تابوا، وهذا مقتضى ما حكى عن جمهورهم كأبي الهذيل وأصحابه، وأبي الحسين وغيرهم"[٧]، وهذا موافق لكلام الحبشي عندما وصف أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بالندم عما فعلت[٨]، وبهذا يظهر مشاركة الحبشي لأهل الأهواء من معتزلة ورافضة وغيرهم في موقفهم من كرام الصحابة ومن ضمنهم أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وكان الأولى بالحبشي بدل أن

---

[١] - صريح البيان للحبشي ص١٩٧.

[٢] - انظر: المصدر السابق ص٩٧-١٩٨ (الهامش).

[٣] - المصدر نفسه ص١٩٨ (الهامش).

[٤] - المصدر نفسه ص٢٠٣-٢٠٤.

[٥] - انظر: منهاج السنة لابن تيمية ٣٠١/٤، ٣٠٨-٣٠٩، ٣٢٩، ٣٦٦.

[٦] - انظر: صريح البيان للحبشي ١٩٨ (الهامش).

[٧] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٣٣/٣٥.

[٨] - انظر: صريح البيان للحبشي ص٢٠٣-٢٠٤.

يترك العنان للسانه للخوض في عرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإيذائه فيه أن يكف عن ذلك، وهذا منهج السلف الصالح في التعامل مع مثل هذه الأحداث، فقد جاء عن ابن تيمية -رحمه الله- قوله: "وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم"[١] أي بين صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والواجب احترام نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية في حق نساء النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وجوب احترامهن، فهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم"[٢]، وهذا المنهج في التعامل مع الأحداث التي حصلت بين صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليس بغريب ولا بمبتدع بين علماء أهل السنة والجماعة، فمثلاً يتحدث ابن حجر -رحمه الله- عما بدر من عائشة -رضي الله عنها- في الخروج لموقعة صفين والجمل، فيتحدث بكل أدب رفيع لئلا يخدش هيبة أهل البيت الكرام -رضي الله عنهم- لدى المسلمين فيقول: "والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير، وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلة عثمان -رضي الله عنهم أجمعين-"[٣]، وبعد هذا العرض يظهر لكل ذي لب البون الشاسع بين عرض المسألة من قِبل الحبشي، وبين عرض الإمام ابن حجر وتأدبه مع أهل بيت النبوة من حيث حسن اختيار الألفاظ.

وأيضاً إلصاق وصف المعصية في حق زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بسبب وقوفها في صف الذين طالبوا بدم عثمان -رضي الله عنه-، فيه تجني عليها ومجانبة للصواب!!، فلماذا لا يعتبر الحبشي أن هذا اجتهادٌ منها -رضي الله عنها-؟ فإن أصابت فلها أجران، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن أخطأت فلها أجرٌ واحد، وهو أجر الاجتهاد؛ فكان الأولى بالحبشي أن ينحى في هذه المسألة هذا المنحى.

ولا يقصد مما سبق أن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها معصومة من الخطأ، فكل ابن آدم خطّاء، ولكن المقصود وجوب التأدب عند عرض هذه المسألة الحرجة، وعدم إيذاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- في زوجه عائشة -رضي الله عنها-، وهي التي ورد في فضلها الكثير من الأحاديث، والتي منها: ما قاله أبو سلمة إن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً: "يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام"، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته[٤].

---

[١]- الوصية الكبرى لابن تيمية ص٤٢.

[٢]- منهاج السنة لابن تيمية ٣٦٩/٤.

[٣]- فتح الباري لابن حجر ١٠٨/٧.

[٤]- صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب فضل عائشة -رضي الله عنها-، ح٣٧٦٨، ٢٦٤/٤.

ومدحها الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[١]، ولمكانة عائشة عنده -صلى الله عليه وسلم- يرفض أن تؤذيه إحدى زوجاته في الكلام عنها -رضي الله عنها- فيقول -صلى الله عليه وسلم- لأم سلمة: "يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها"[٢]، فكيف بالذي يتجرأ على الكلام في حقها ووصفها بفعل المعاصي، من غير دليل صحيح على صلى الله عليه وسلم!.

والذي عليه العلماء في أن عائشة -رضي الله عنها- من "أفضل نسائه -صلى الله عليه وسلم- في العلم النافع،والفقه الناصع، فلها من الفضل في ذلك ما ليس لغيرها من سائر أزواجه -صلى الله عليه وسلم-حتى كان الأكابر من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورضي عنهم إذا أشكل عليهم أمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عندها"[٣]،وبهذا يظهر فضل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- وتتكشف عنها الشبهات التي قال بها الحبشي .

وفي خاتمة هذا الفصل لا بد من بيان موقف أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة الكرام،يوضحه الشيخ الحكمي بقوله:"أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة الكرام - رضي الله عنهم-بعد قتل عثمان-رضي الله عنه-والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة،والاستغفار للقتلى من الطرفين،والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة،والاعتراف لهم بسوابقهم،ونشر مناقبهم عملاً بقول الله عز وجل:﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾ [الحشر:١٠]، واعتقاد أن كلاً منهم مجتهد إن أصاب فله أجران:أجر على اجتهاده،وأجر على إصابته،وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور،ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك. وما روي من الأحاديث في مساويهم الكثير منها مكذوب،ومنه ما قد زيد فيه أو انقضى منه وغيرّ عن وجهه،والصحيح منه هم فيه معذورون"[٤]،وأما من يقول بخلاف ذلك فهو:إما إنسان جاهل لا يعرف من أمر الدين شيئاً، وإما إنسان موتور صاحب حقد دفين لا بد من النظر في أمره،ويكون بذلك مخالفاً ما عليه علماء السلف.

١- صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب فضل عائشة -رضي الله عنها-، ح٣٧٦٩، ٢٦٤/٤.

٢- صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب فضل عائشة -رضي الله عنها-، ح٣٧٧٥، ٢٦٥/٤-٢٦٦.

٣- لوامع الأنوار للسفاريني ٣٧٣/٢.

٤- معارج القبول للحكمي ٤٨٥/٢.

الفصل الثاني

موقف الأحباش من العلماء

ويحتوي على ستة مباحث :

المبحث الأول : موقفهم من شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - .

المبحث الثاني : موقفهم من الإمام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- .

المبحث الثالث : موقفهم من الأستاذ الشهيد سيد قطب - رحمه الله-.

المبحث الرابع : موقفهم من الشيخ الأعلى المودودي - رحمه الله -.

المبحث الخامس : موقفهم من الشيخ الألباني - رحمه الله - .

المبحث السادس : موقفهم من الدكتور يوسف القرضاوي.

المبحث الأول: موقف الأحباش من شيخ الإسلام ابن تيمية[1]:

لقد امتلأت كتب الحبشي في التهجم على شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ووصفه بأقذع الصفات وأبشعها، من خلال التقول على الرجل ما لم يقله، أو تفسير عباراته بغير مقصودها، وذلك يرجع إلى مناقشات شيخ الإسلام وردوده على مثل معتقدات الحبشي المخالفة لما عليه أئمة أهل السنة والجماعة، فأدت هذه الردود إلى إبطال هذه المعتقدات وكشف زيفها؛ ويُجمل الحبشي سبب تحامله وتهجمه على شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة كتابه (المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية) بقوله: "اعلم أن سبب تأليف هذه الرسالة أن كثيراً من الناس ظنوا أن القول بأن نوع العالم أزلي ليس مخلوقاً لله، وإثبات الحد، والجسمية، وتحريم التوسل بالأنبياء والأولياء بعد موتهم، والتبرك بزيارة قبورهم هو عقيدة السلف وما كانوا عليه عملاً. فلما كان الأمر كذلك دعت الضرورة إلى بيان أن الأمر على خلاف هذا، أي أن السلف كانوا على تنزيه الله تعالى عن الحدّ في علم الله، ولا فيما وصل إليه علم الخلق؛ وأن التوسل بالأنبياء والأولياء بعد موتهم، والتبرك بزيارة قبورهم رجاء إجابة الدعاء عند قبورهم، هذا الأمر الذي كان عليه السلف، وبيان أن الإمام أحمد كان على خلاف ما أحدثه ابن تيمية وأتباعه"[2]، وهذا الذي ذكره الحبشي يظهر فيه التجني على الإمام ابن تيمية -رحمه الله- كادعائه أن الإمام أثبت الحد والجسمية لله، وقال بحوادث لا أوّل لها لم تزل مع الله، وأما أن يدعي الحبشي أن الإمام ابن تيمية -رحمه الله- منع ما أثبته وأجازه علماء السلف من التوسل بالأموات؛ وهذه الاتهامات والشبه يكيلها الحبشي ويوجهها إلى شيخ الإسلام ابن تيمية في معظم كتاباته، وبالتالي يلصق بشيخ الإسلام أحمد بن تيمية -رحمه الله- أوصاف لا ينبغي أن يوصف بمثلها، كوصفه بالزيغ والابتداع في دين الله فيقول: "ولقد زاغ أحمد بن تيمية ...، وهو في الحقيقة مبتدع في الاعتقاد وفي الأحكام"[3]، ويتهم الحبشي الإمام ابن تيمية بالإشراك

---

[1] - **ابن تيمية**: هو شيخ الإسلام، وحافظ الأنام، المجتهد في الأحكام: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية، الحراني، الحنبلي (أبو العباس)، ولد بحرّان في العراق، سنة ٦٦١هـ، المتوفى سنة ٧٢٨هـ؛ وقد ألف في التفسير، والفقه، والأصول والحديث، والكلام والردود على الفرق الضالة والمبتدعة. ومن تصنيفاته التي تبلغ ثلثمائة تصنيف: تعارض العقل والنقل، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، الرد على المنطقيين، إثبات المعاد، النبوات، رفع الملام عن الأئمة الأعلام إلى غير ذلك من المؤلفات والتصانيف. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٤٩٦-١٤٩٨، جلاء العينين لابن الآلوسي ص٥-٧.

[2] - المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية لعبدالله الهرري -الحبشي- ص٩، الناشر: دار المشاريع، بيروت، ط الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م. وانظر: المطالب الوفية للحبشي ص٤٩.

[3] - الشرح القويم للحبشي ص٩١، وانظر: إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣١٣، ٣٢٥.

بالله وذلك من خلال الحديث عمن قال بأزلية أعيان العالم، ثم يدعي أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال بذلك، فيقول: "وهذا ظاهر في الإشراك بالله، وابن تيمية نص على ما نقلناه عنه"[١]، ويزيد الأمر تفصيلاً بقوله: "فمن ادعى الأزلية لشيء غير الله فقال العالم أزلي بنوعه أي بجنسه وأشخاصه فهو كافر، ومن قال العالم أزلي بجنسه لا بأفراده المعينة فإنها مخلوقة حادثة فهو كافر أيضاً وهو رأي الفلاسفة المحدثين وابن تيمية"[٢]، أي القول بأزلية العالم؛ وأحياناً يصفه بالجهل فيقول: "أم نزل به الجهل بهذه المسألة إلى هذا الحضيض"[٣]، ومرة أخرى يصفه بالافتراء حيث يقول: "بيان افتراء ابن تيمية على الإمام أحمد ..."[٤]، بل إن الحبشي يرى أن تسمية ابن تيمية بشيخ الإسلام "وضع للكلمة في غير محلها"[٥]، حتى إن الحبشي يصف علم شيخ الإسلام بالسخافة، فيقول: "في بيان سخافة ابن تيمية"[٦]؛ وتلاميذ الحبشي ساروا على منهج شيخهم نفسه بالتهجم والتطاول على شيخ الإسلام ابن تيمية فيصفونه بأنه فيلسوف مجسم بقولهم: "الفيلسوف المجسم ابن تيمية الذي قال مؤيداً لعقيدة متأخري الفلاسفة أن الله لم يخلق نوع العالم، وهذا كفر بإجماع المسلمين"[٧]، ويقول محمد الولي (أحد تلاميذ الحبشي) في حق شيخ الإسلام ابن تيمية: "وبهذا عرفت حقيقة ابن تيمية أنه من الدهرية الكفار"[٨]، وبهذا يظهر التكفير البواح لابن تيمية -رحمه الله-.

ويعتمد الأحباش في تهجمهم وتطاولهم على شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على تجريح بعض العلماء له: كالسبكي فجاء في كتابهم (تفنيد مزاعم المدعى) قولهم: "وأما ابن تيمية فقد جَرّحه من هو أعلم منا، وأورع وهو الحافظ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي"[٩]، وبعد هذا العرض يظهر موقف الأحباش من شيخ الإسلام أحمد بن تيمية -رحمه الله- دون أي غبش.

ومما سبق بيانه يتبين مدى الغبن والظلم الذي وقع على ابن تيمية -رحمه الله- من مبغضيه، ويظهر فيه التجني عليه -رحمه الله- دون أي وجه حق، ودون أي مستند شرعي يقفون عليه في تهجمهم عليه.

١- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٥٤.

٢- شرح الصفات الثلاث عشرة للحبشي ص١٥.

٣- المصدر السابق ص٢٤٤.

٤- المصدر نفسه ص٣٦٦.

٥- صريح البيان للحبشي ص٣٧١.

٦- المصدر السابق ص٣٩٨.

٧- غاية البيان إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٢٢.

٨- رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري، مراجعة: محمد الولي ص٤٢ -الهامش-.

٩- تفنيد مزاعم المدعى إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٤٧.

أما ادعاء الأحباش أن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- قال بقدم العالم فكلام مـردود وباطل وذلك للتالي:

أولاً: أن ابن تيمية -رحمه الله- رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وحكم عليهم بالإلحاد والخروج عن الدين، فيقول: "القول بقدم العالم قول الدهريين، وهو كفر ظاهر معلوم فساده بالعقل والشرع، إذ لو كان العالم قديماً لوجب أن يكون مع الله قديماً آخر، وهذا من أبطل الباطل، وأن من قال بذلك فليس معه إلا الجهل"[1]، ويقول أيضاً: "وأما القائلون بقدم هذا العالم فهم أبعد عن المعقول والمنقول من جميع الطوائف"[2].

ثانياً: أن ابن تيمية -رحمه الله- قال بحدوث العالم، وأن كل ما فيه مخلوق حادث، وأن الله وحده هو القديم الأزلي، وهذا يوضحه بقوله: "كل ما سوى الله مخلوق حادث، كائن بعد أن لم يكن، وأن الله وحده هو القديم الأزلي، ليس معه شيء قديم تقدمه"[3]، ومن الأدلة التي ساقها ابن تيمية -رحمه الله- على حدوث العالم:

أ- أن الرسل مجمعون على أن كل ما سوى الله محدث مخلوق، كائن بعد أن لم يكن، وليس مع الله شيء قديم بقدمه، وأنه سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام كما أخبر بذلك القرآن الكريم[4].

ب- العقول الصريحة تقر بأن الحوادث لا بد لها من محدث، فلو لم تكن إلا العلة القديمة الأزلية المستلزمة لمعلولها، لم يكن في العالم شيء من الحوادث، فإن حدوث ذلك الحادث عن علة قديمة أزلية مستلزمة لمعلولها ممتنع، فإنه إذا كان معلولها لازماً لها كان قديماً معها لم يتأخر عنها، فلا يكون لشيء من الحوادث سبب يقتضي حدوثه، فتكون الحوادث كلها حدثت بلا محدث، وهذا باطل معلوم الفساد[5].

ج- لا بد من العلم أن المؤثر التام يستلزم وقوع أثره عقب تأثره التام، لا يقترن به، ولا يتراخى، مثلاً: إذا طَلّقتُ المرأة فطلقت، وأعتقتُ العبد فعتق، فوقوع الطلاق والعتق ليس مقارناً لنفس التطليق والإعتاق بحيث يكون معه، ولا هو أيضاً متراخٍ عنه، بل يكون عقبه متصلاً به، وقد يقال: هو معه ومفارق له، باعتبار أنه يكون عقبه متصل به، كما يقال: هو بعده، متأخر عنه، باعتبار أنه إنما يكون عقب التأثير التام؛ ولهذا قال الله تعالى:﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس:٨٢]، فهو سبحانه

[1]- منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٠١/١.

[2]- مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٣٣/١٨.

[3]- درء التعارض لابن تيمية ١٢٥/١.

[4]- انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٥٠/٩.

[5]- المصدر السابق ١٥٠/٩ بتصرف.

يكوّن ما يشاء تكوينه، فإذا كونه كان عقب تكوينه متصلاً به، لا يكون مع تكوينه في الزمان، ولا يكون متراخياً عن تكوينه، بينهما فصلٌ في الزمان، بل يكون متصلاً بتكوينه كاتصال أجزاء الحركة والزمان بعضها ببعض[1].

ثالثاً: وأما قول ابن تيمية -رحمه الله- بقدم نوع الحوادث، وحدوث آحادها، كان رداً على الفلاسفة الذين قالوا بقدم آحادها؛ ويعتبر هذا القول هو عين التسلسل الباطل الممتنع، حيث لم يفرق الفلاسفة بين الآحاد والنوع من المفعولات، بخلاف ما عليه السلف -ومنهم ابن تيمية- حيث قالوا بقدم النوع، لأن الله لم يزل مريداً، خلاقاً، فاعلاً، متكلماً إذا شاء ومتى شاء، ويتضح هذا القول لابن تيمية -رحمه الله- من خلال رده على الفلاسفة بقوله: "إنهم لم يعرفوا حقيقة السمع والعقل، فلم يعرفوا ما دل عليه الكتاب والسنة، ولم يميزوا في المعقولات بين المشتبهات؛ وذلك أن العقل يفرق بين كون المتكلم متكلماً بشيء بعد شيء دائماً، وكون الفاعل يفعل شيئاً بعد شيء دائماً، وبين آحاد الفعل والكلام، فيقول: كل واحد من أفعاله لا بد أن يكون مسبوقاً بالفاعل وأن يكون مسبوقاً بالعدم، ويمتنع كون الفعل المعين مع الفاعل أزلاً وأبداً[2]، وأما كون الفاعل لم يزل يفعل فعلاً بعد فعل فهذا من كمال الفاعل، فإذا كان الفاعل حياً، وقيل: إن الحياة مستلزمة الفعل والحركة كما قال ذلك أئمة أهل الحديث، كالبخاري والدارمي، وغيرهما، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء وبما شاء، ونحو ذلك، كما قاله ابن المبارك وأحمد، وغيرهما من أئمة أهل الحديث والسنة -كان كونه متكلماً أو فاعلاً من لوازم حياته، وحياته لازمة له، فلم يزل متكلماً فعالاً، مع العلم أن الحي يتكلم ويفعل بمشيئته وقدرته، وأن ذلك يوجب وجود كلام بعد كلام وفعل بعد فعل، فالفاعل يتقدم على كل فعل من أفعاله، وذلك يوجب أن كل ما سواه محدث مخلوق، ولا تقول: إنه كان في وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق له قدرة والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولكن نقول: لم يزل الله عالماً قادراً مالكاً لا شبه له ولا كيف؛ فليس مع الله شيء من مفعولاته قديم معه، لا بل هو خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق له، وكل مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن، وإن قدر أنه لم يزل خالقاً فعالاً"[3].

وبعد هذا العرض لموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بقدم العالم يتبين أنه لا يوجد لأحد من مبغضيه حجة عليه، لأنه -رحمه الله- يناقش ويرد على من يقول بقدم العالم، ويبين فساد هذا المسلك وضعفه ومخالفته لما عليه أئمة أهل السنة والجماعة، والذي يظهر من كلام

---

[1] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٩/١٥٠-١٥١ بتصرف.

[2] - كما قالت بذلك الفلاسفة.

[3] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٨/١٢٩-١٣٠.

الحبشي أنه استند إلى أقوال مقطوعة من كلام ابن تيمية -رحمه الله- لم يكتمل معناها، واستدل بها الحبشي في غير موضعها.

وأما ادعاء الحبشي بأن ابن تيمية -رحمه الله- قام بإثبات الحد والجسمية لله[1] فهذا كلام يحتاج إلى نظر، لأن مقصد الحبشي أن الإمام ابن تيمية -رحمه الله- أثبت ما أثبته الله لنفسه على الحقيقة، وهذا عند الحبشي يعتبر من باب التجسيم لله سبحانه وتعالى، لأن إثبات صفات الذات على حقيقتها مثل إثبات صفة العين واليد والوجه وغيرها من الصفات، يعتبر الحبشي من يثبتها مجسماً، لأنه في اعتقاده بأن ذلك من باب تشبيه الخالق بالمخلوق، وكذلك إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى والاستواء على العرش، يعتبره الحبشي من باب الإحاطة بالله وتحديد مكانه، وهذه الأمور تم مناقشة الحبشي فيها، وثبت ضعفها بل فسادها مع الأدلة القوية لأئمة السلف الصالح في هذه المسألة[2].

ويدافع ابن الآلوسي في (جلاء العينين) عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ويبرئه من هذا الاتهام الباطل، ويبين أن ابن تيمية -رحمه الله- إنما هو "عن ذلك بمعزل، وبعيد عنه بألف ألف منزل، فتأليفاته وعباراته التي سمعتها قاضية بكذب ما عزى إليه"[3]، ثم ينقل ابن الآلوسي -رحمه الله- أقوالاً للعلماء تنفي شبهة التجسيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فيقول: "وكذلك شهادات العلماء حاكمة باختلاف ما زور عليه، فمن ذلك ما قاله الشيخ إبراهيم الكوراني الشافعي في حاشيته المسماة (بمجلي المعاني على شرح عقائد الدواني) ما نصه: قوله: قيل ولعل وجه قول ابن تيمية بالتسلسل على سبيل التعاقب في العرش أنه من المجسمة إلخ. أقوال: ابن تيمية ليس قائلاً بالتجسيم؛ فقد صرح بأن الله تعالى ليس جسماً في رسالة تكلم فيها على حديث النزول كل ليلة إلى السماء الدنيا، وقال في رسالة أخرى: من قال: إن الله تعالى مثل بدن الإنسان، أو أن الله تعالى يماثل شيئاً من المخلوقات فهو مفتر على الله سبحانه؛ بل هو على مذهب السلف من الإيمان بالمتشابهات مع التنزيه بليس كمثله شيء. ولكنه قائل بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة مع نفي اللوازم؛ ونقل عليه إجماع السلف"[4]، وأيضاً ينقل ابن الآلوسي عن والده ما رآه بخط يده في حق ابن تيمية -رحمه الله-: "حاشا لله تعالى أن يكون من المجسمة! بل هو أبرأ الناس منهم، نعم، ... وهو بمعزل

---

[1]- انظر: المقالات السنية للحبشي ص٩، الشرح القويم للحبشي ص٩١.

[2]- انظر: البحث ص١٢٨-١٧١.

[3]- جلاء العينين لابن الآلوسي ص٣٣٩.

[4]- المصدر السابق ص٣٣٩-٣٤٠.

عن التجسيم"[1]، بل إن ابن تيمية -رحمه الله- حكم بالكفر على من يقول بما يوهم التجسيم فقال: "فمن قال علم الله كعلمي، أو قدرته كقدرتي، أو كلامه مثل كلامي، أو إرادته ومحبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي ومحبتي ورضائي وغضبي، أو استوائه على العرش كاستوائي، أو نزوله كنزولي، أو إتيانه كإتياني ونحو ذلك، فهذا قد شبه الله ومثله بخلقه تعالى عما يقولون، وهو ضال خبيث مبطل، بل كافر"[2].

وأما ادعاء الحبشي بأن ابن تيمية -رحمه الله- حَرّم التوسل بالأنبياء والأولياء بعد موتهم وخاصة عند القبور[3]، وهذا الذي استنكره الحبشي على شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- واعتبره بهذا الكلام السالف الذكر مبتدعاً في دين الله، إنما هو ما عليه أهل السنة والجماعة من عدم جواز التوسل بالأموات وخاصة عند القبور، لأن هذا شرك بالله سبحانه وتعالى، وهذا ما اجمع أئمة السلف على حرمته، وعدم جوازه -قد سبق بيان ذلك في الرسالة-[4].

وأما وصف الحبشي وتلاميذه لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بأقذع الصفات وأبشعها: كالشرك بالله، والجهل، والافتراء، والفيلسوف المجسم، وأنه من الدهرية الكفار، بل يرفض الحبشي تسمية ابن تيمية -رحمه الله- بشيخ الإسلام ويرى أنها كلمة في غير موضعها[5]، ولا شك أن هذا تعدٍ صارخ في التعامل مع السلف، وتجاوز لحدود أدب الخصومة، والوصول إلى درجة الفجور، ومن المعلوم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قبح الفجور في التخاصم فقال: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن، كانت فيه خلة من نفاقٍ حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر"[6]؛ وهذا الذي ذكره الحبشي وتلاميذه في حق الإمام ابن تيمية مردود عليهم بثناء أئمة السلف عليه -رحمه الله-، ومن هذه الشهادات الواردة في بيان فضل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ما يلي:

---

[1] - جلاء العينين لابن الآلوسي ص٣٤٠.

[2] - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ٤٨٢/١١ (نشر دار الإفتاء -الرياض- ط الأولى ١٣٩٨هـ).

[3] - المقالات السنية للحبشي ص٩، صريح البيان للحبشي ص١٣٥-١٦٤.

[4] - انظر: البحث ص٢٨٩-٣٠٢.

[5] - انظر: الشرح القويم للحبشي ص٩١، إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٥٤، ٢٤٤، ٣١٣، ٣٢٥، ٣٦٦، صريح البيان للحبشي ص٣٧١، ٣٩٨، غاية البيان إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٢٢، تفنيد مزاعم المدعى إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٤٧، رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري مراجعة محمد الولي ص٤٢ -الهامش-.

[6] - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ح٥٨، ٧٨/١.

١- ما ذكره الإمام ابن سيد الناس[1] في حقه -رحمه الله-: "فألفيته -ابن تيمية- من أدرك من العلوم حظاً، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظاً. إن تكلم في التفسير، فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه، فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث، فهو صاحب علمه، وذو روايته، أو حاضر بالملل والنِّحل، لم يُرَ أوسع من نِحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته. برز في كل فنٍ على أبناء جنسه، ولم تَرَ عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه"[2].

٢- وقول الإمام ابن دقيق العيد[3] عندما سُئل عن ابن تيمية: هو رجل حُفَظَة، فقيل له: هلا تكلمت معه؟ فقال: هو رجل يحب الكلام، وأنا أحب السكوت. وقال أيضاً: لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد[4].

٣- ويقول الإمام ابن الورْدي[5] في ابن تيمية -رحمه الله-: "وتركت التعصُّب والحمية، وحضرت مجالس ابن تيمية فإذا هو بيت القصيدة، وأول الخَريدة، علماء زمانه فلك، هو قطبه. وجسم هو قلبه، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر؛ بحيث جلست بين يديه يوماً، فأصبت المعنى. فكفاني، وقبّل بين عيني اليمنى، فقلت: إن ابن تيمية في كل العلوم واحد، أحييت دين أحمد وشرعه يا أحمد"[6].

---

[1] - **ابن سيد الناس**: الإمام الحافظ، الفقيه، العالم، الأديب، البارع، فتح الدين، أبو الفتح، محمد بن الحافظ أبي عمرو محمد بن الحافظ العلامة الخطيب، محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن أبي القاسم، بن سيد الناس، (أبو الفتح) اليعمري، الأندلسي الإشبيلي، ثم المصري، الشافعي. ولد بالقاهرة سنة ٦٧١هـ، توفي في شعبان سنة ٧٣٤هـ. انظر: شذرات الذهب لابن عماد ١٠٨/٦-١٠٩، الدرر الكامنة لابن حجر ٢١/٤.

[2] - الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ص٢٦-٢٧، تحقيق وتعليق: نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: دار الفرقان، عمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

[3] - **ابن دقيق العيد**: هو الشيخ العلامة الإمام، أحد شيوخ الإسلام، قاضي قضاة المسلمين، عمدة الفقهاء والمحدثين. تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع (أبو الفتح) المنفلوطي، المالكي، الشافعي، توفي سنة ٧٠٢هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٩١/٤-٩٦، شذرات الذهب لابن عماد ٥/٦، البدر الطالع للشوكاني ٢٢٩/٢-٢٣٢.

[4] - الشهادة الزكية للكرمي ص٢٩ بتصرف.

[5] - **ابن الوردي**: زين الدين عمر بن مظفر بن عمر، أبي الفوارس المعري، الحلبي، الشافعي، كان علامة متفنناً في العلوم، ماهراً في المنثور والمنظوم، وله الأشعار الرائقة والمقاطيع الفائقة، وكان باهراً في العربية، دَرَّس وأعاد وأفتى، توفي في حلب سنة ٧٤٩هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ١٩٥/٣، شذرات الذهب لابن عماد ١٦١/٦-١٦٢.

[6] - الشهادة الزكية للكرمي ص٣.

٤- وما قاله أبو حيان النحوي[١]: "ما رأت عيناي مثل ابن تيمية"[٢].

٥- وما ذكره الإمام ابن قيم الجوزية في شيخه ابن تيمية -رحمهما الله-"شيخ الإسلام والمسلمين،القائم ببيان الحق، ونصرة الدين، الداعي إلى الله ورسوله، المجاهد في سبيله، الذي أضحك الله به مِنَ الدين ما كان عابساً، وأحيا من السنة ما كان دارساً، والنور الذي أطلعه الله في ليل الشبهات، فكشف به غياهب الظلمات. وفتح به من القلوب مقفلها، وأزاح به عن النفوس عللها فقمع به زيغ الزائغين، وشَكَّ الشاكين، وانتحال المبطلين"[٣].

٦- وما ورد عن الشيخ ابن الزملكاني[٤] في بيان فضل ابن تيمية -رحمه الله- مع أنه تولى مناظرته أكثر من مرة، فقد سُئل عن ابن تيمية فقال: لم يُرَ من خمسمائة سنة أحفظ منه[٥]، وقال أيضاً: "لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارات والترتيب، والتقسيم والتبيين. وقد ألان الله له العلوم، كما ألان الحديد لداود، كان إذا سئل عن فن من العلم ظنَّ الرائي والسامع: أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذهبهم منه، ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك. ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع، أم من غيرها إلا فاق منه أهله والمنتسبين إليه"[٦].

٧- وما ذكره الحافظ الذهبي[٧] في حق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- "هذا خط شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، فرد الزمان، بحر العلوم، تقي الدين، قرأ القرآن والفقه، وناظر

١- **أبو حيان النحوي**: هو الشيخ الإمام العلامة، علم القراء، أستاذ النحاة والأدباء، جمال المفسرين، أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (أبو حيان) الأندلسي، الجياني، الغرناطي، ثم المصري، الظاهري، ولد سنة ٦٥٤هـ، توفي سنة ٧٤٥هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٣٠٢/٤-٣١٠، النجوم الزاهرة لابن تغري ٩١/١٠-٩٣.

٢- الشهادة الزكية للكرمي ص٣١.

٣- المصدر السابق ص٣٤.

٤- **ابن الزملكاني**: هو الشيخ الإمام العلامة، قاضي القضاة، جمال المناظرين، كمال الدين، محمد بن أبي الحسن، علي بن عبد الواحد بن خطيب زملكاه (أبو المعالي)، الأنصاري، الشافعي. انتهت إليه رئاسة المذهب في زمانه، ولد سنة ست أو سبع وستين وستمائة، توفي سنة ٧٢٧هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٧٤/٤-٧٦، النجوم الزاهرة لابن تغري ١٩٥/٩-١٩٦.

٥- الشهادة الزكية للكرمي ص٣٦.

٦- المصدر السابق ص٣٦-٣٧.

٧- **الحافظ الذهبي**: هو الشيخ الإمام، الحافظ الهمام، مفيد الشام، ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، وإمام المعتدلين والمجرحين، إمام أهل التعديل والجرح، والمعتمد عليه في المدح والقدح، شمس الدين محمد بن=

واستدلَّ، وهو دون البلوغ. برع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس، وله نحو العشـــرين، وصنف التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصـــنفات الكبـــار، التي سارت بها الركبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون: أربعة آلاف كراس وأكثر. وفسرَّ كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره في أيام الجُمع، وكان يتوقد ذكاءً، وســـماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفســـير إليهـــا المنتهـــى، وحفظه للحديث، ورجاله، وصحته، وسقمه، فيما يُلحق فيه. وأما نقله للفقـــه، ومـــذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة، فليس له فيه نظير. وأما معرفته بالملـــل والنحل، والأصول والكلام، فلا أعلم له فيه نظيراً. ويَدْري كل جملة صالحة من اللغـــة، وعربيته قوية جداً، ومعرفته بالتاريخ والسِّيرَ فعجب عجيب. وأمـــا شـــجاعته وجهـــاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف، ويفوق النعت وهو أحد الأجواد الأسخياء، الذين يُضـــرب بهم المثل. وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والمشرب"[١].

٨- وأورد الإمام المِزِّي[٢] قوله عن ابن تيمية -رحمه الله- "ابن تيمية لـــم يُـــرَ مثلـــه منـــذ أربعمائة سنة"[٣]، وقد جاء أن الإمام المزي لم يكتب بخطه لفظـــة (شـــيخ الإســـلام) إلا لثلاثة ومن ضمنهم الإمام ابن تيمية -رحمه الله-[٤].

٩- ومن الذين أثنوا على ابن تيمية -رحمه الله- الحافظ البرزالي[٥] حيـــث يـــذكره ضـــمن شيوخه فيقول: "الإمام المجمع على فضله ونُبله ودينه. قرأ القرآن وبرع فيه، والعربيـــة، والأصول، ومَهَرَ في علمي التفسير والحديث؛ وكان إماماً لا يُلْحَق غباره في كل شيء،

=أحمد بن عثمان (أبو عبدالله) التركماني، الفارقي الأصل ثم الدمشقي، ولد سنة ٦٧٣هـــ، وتوفي بدمشق سنة ٧٤٨هـــ، ومشيخته بالسماع والإجازة نحو ألف شيخ وثلاثمائة. أنظر: النجوم الزاهرة لابـــن تغـــري ١٠/١٤٤-١٤٥، البدر الطالع للشوكاني ٢/١١٠-١١٢، شذرات الذهب لابن عماد ٦/١٥٣-١٥٧.

١- الشهادة الزكية للكرمي ص٤٠.

٢- **الإمام المزي**: الشيخ الإمام، حافظ الإسلام، محدث الأعلام، الخيرْ النبيل، أستاذ أئمة الجرح والتعـــديل، شيخ المحدثين، جمال الدين، يوسف ابن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي (أبو الحجاج) الكلبـــي، الحلبي، الدمشقي، ثم المِزِّيِّ، الشافعي، ولد بظاهر حلب سنة ٦٥٤هـــ، وتوفي سنة ٧٤٢هـــ، ودفن بجوار ابن تيمية. انظر:تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٤٩٨-١٥٠٠، شذرات الذهب لابن عماد ٦/١٣٦-١٣٧.

٣- الشهادة الزكية للكرمي ص٤٥.

٤- انظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٠/١٩٥.

٥- **الحافظ البرزالي**: الشيخ الإمام الحافظ، الثقة الحجَّة، مؤرخ الشام، وأحد محدثي الإسلام، مفيد المحدثين، علم الدين، القاسم بن محمد بن يوسف، البِرْزالي (أبو محمد) الإشبيلي الأصل، الدَّمشقي؛ ولد سنة ٦٦٥هـــ بدمشق، وتوفي سنة ٧٣٨هـــ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٣/٢٣٧-٢٣٩، ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص١٨-٢٠.

وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين؛ وكان إذا ذكر التفسير ابهت الناس من كثرة محفوظه، وحسن إيراده، وإعطائه كل قولٍ ما يستحقه من الترجيح والتضـــعيف والإبطال، وخوضه في كل علم. وكان الحاضرون يقفون منه العجب، هذا مع انقطاعـــه إلى الزهد والعبادة، والاشتغال بالله تعالى، والتجرد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلـــى الله تعالى. وكان يجلس في صبيحة كل جمعة، يقرأ على الناس تفسير القـــرآن العظـــيم، فانتفع بمجلسه، وبركة دعائه وطهارة أنفاسه، وصدق نيته، وصـــفاء ظـــاهره وباطنـــه، وموافقته قوله لعمله، وأناب إلى الله تعالى خلق كثير، وجرى على طريقة واحـــدة مـــن اختيار الفقر، والتقلل من الدنيا، ورد ما يفتح به الله عليه"[١].

١٠- وقال ابن رجب البغدادي الحنبلي في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمـــه الله- بعـــد ذكر اسمه يصفه بقوله: "الإمام، الفقيه، المجتهد، المحدِّث، الحافظ، المفســـر، الأصـــولي، الزاهد، تقي الدين، أبو العباس، شيخ الإسلام، وعَلَم الأعلام وشهرته تغني عن الإطنـــاب في ذكره، والإسهاب في أمره"[٢].

١١- وممن أثنى على شيخ الإسلام ابن تيمية الحافظ ابن عبد الهادي[٣] حيث قال فيـــه: "هـــو الشيخ، الإمام، العالم، العامل، الرباني؛ إمام الأئمة، وعلامة الأمة، ومفتي الفِرق، وبحـــر العلوم، سيد الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصـــر، ووحيـــد الـــدهر، شـــيخ الإسلام، بركة الأنام، علامة الزمان، وتَرْجُمان القرآن، وعلم الزمان، وأوحـــد العبـــاد، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين، تقي الدين، أبو العباس، ... وصاحب التصانيف التـــي لم يُسبق إلى مثلها، ولا يلحق في شَكْلها توحيداً أو تفسيراً، وإخلاصاً، وفقهـــاً، وحـــديثاً، ولغةً، ونحواً. كُتُبُهُ طافحةٌ بذلك. وانتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة، والكرم، والتواضع، والحلم، والإنابة، والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والأمانة، والعِفَّةِ والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله، وكثرة الخوف منه، والمراقبة له، وشدة التمســـك

١- الشهادة الزكية للكرمي ص٤٨.

٢- المصدر السابق ص٥٠-٥١.

٣- **ابن عبد الهادي**: هو الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، ذو الفنون، عمدة المحدثين، متقن المحررين، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن قدامة بن مقدام بن نصـــر، المقدسي، الصالحي، الحنبلي؛ ولد سنة أربعٍ -أو خمس- وستمائة، وتوفي سنة ٧٤٤هـــ بدمشـــق، قـــرأ القرآن بالروايات، وسمع ما لا يحصى من المرويات، وعني بالحديث وأنواعه، ومعرفة رجالـــه وعللـــه، وتفقه، وأفتى، ودرَّس، وجمع، وألف، وكتب الكثير، وصنَّف، وتصدى للإفادة. انظر: بغاة الوعاة للسيوطي ٢٩/١-٣٠، شذرات الذهب لابن عماد ١٤١/٦-١٤٢، الدرر الكامنة لابن حجر ٣٣١/٣-٣٣٢.

بالأثر، والدعاء إلى الله، وحسن الأخلاق، ونفع الخلق، والإحسان إليهم، والصبر على مَنْ آذاه، والصفح عنه، والدعاء له، وسائر أنواع الخير؛ وكان -رحمه الله- سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشَجّاً في حُلُوق أهل الأهواء مِنَ المبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحقّ، ونصرة الدين"[1].

١٢- وكذلك قول الإمام ابن فضل الله العمري[2] في ابن تيمية -رحمه الله- "هو البحر من أي النواحي جئتَهُ، والبدر من أي الضواحي رأيته، رضعَ ثدي العلم منذ فطم، وطلع وَجه الصَّباح ليحاكيه فَلَطَم. وقطع الليل والنهار رداءين، واتخذ العلم والعمل صاحبين، إلى أن أنسى السلف بهُداه، وأنأى الخلف عن بلوغ مداه ...، أخمل من القرناء كل عظيم، وأخمد من أهل البدع كل حديث وقديم"[3].

١٣- ما ورد عن الإمام بهاء الدين السبكي[4] في مدحه لابن تيمية -رحمه الله- عندما جاء إليه جماعة من المتصوفة يسألونه، فأمر لهم بشيء، وبعد انصرافهم قال: "رحم الله ابن تيمية كان يكره هؤلاء الطوائف على بدعهم -فذُكر له كلام في ابن تيمية- فقال: ... ما يبغض ابن تيمية إلا جاهلٌ أو صاحب هوى، فالجاهل: لا يدري ما يقول؛ وصاحب الهوى: يصدُّهُ هواه عن الحقّ بعد معرفته به"[5].

١٤- ويتحدث الإمام مرعي الحنبلي[6] عن شيخ الإسلام بقوله: "الشيخ تقي الدين، هو الإمام، الحافظ، الحجة، العلم، المجتهد، الضابط، المتقن، المفسر، أعجوبة

---

[1]- الشهادة الزكية للكرمي ص٥٢-٥٣.

[2]- **ابن فضل الله العمري**: هو القاضي، الفاضل، البارع، النبيل، العالم، الأصيل، أحمد ابن القاضي الإمام، يمين مملكة الإسلام يحيى بن فضل الله (أبو العباس)، العدوي، العمري، الشافعي، ولد سنة ٦٩٧هـ، توفي سنة ٧٤٩هـ. انظر: شذرات الذهب لابن عماد ١٦٠/٦، الدرر الكامنة لابن حجر ٣٣١/١٠-٣٣٣، النجوم الزاهرة لابن تغري ١٨٥/١٠.

[3]- الشهادة الزكية للكرمي ص٥٥.

[4]- **بهاء الدين السبكي**: هو الشيخ الإمام، العلامة، قاضي القضاة، علم المناظرين، أحد المتبحرين، بهاء الدين محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام، الأنصاري، الخزرجي، السبكي، الشافعي، ولد سنة ٧٠٧هـ، توفي سنة ٧٧٧هـ. انظر: بغية الوعاة للسيوطي ١٥٢/١-١٥٣، الدرر الكامنة لابن حجر ٤٩٠/٣-٤٩١.

[5]- الشهادة الزكية للكرمي ص٥٨.

[6]- **مرعي الحنبلي**: هو الشيخ الإمام مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي، ثم المقدسي الحنبلي؛ ولد في طور كرم بفلسطين، وانتقل إلى القدس، ثم إلى القاهرة، وهو من كبار علماء الحنابلة بمصر، وهو إماماً محدثاً فقيهاً، ذا اطلاع واسع على نقول الفقه، ودقائق الحديث، ومعرفة تامة بالعلوم =

الزمـــان، ترجمـــان القـــرآن. ســـيد المحققـــين، وســـند المـــدققين، وشـــيخ الإســـلام والمسلمين. والمعـــراج الأعلـــى فـــي العـــارف، والمنهـــاج الأســـني فـــي الحقـــائق والعوارف ...، فإن كنت تعرف الحقَّ عرفت أهلـــه، أو تـــدري مـــا الفضـــل أدركـــت فضله؛ إلا أن تكون ذا عصبية وحَمية، فتجحد بالهوى فضـــائل ابـــن تيميـــة، وتعمـــى عن لمعان أنواره البهية"[1].

١٥- وما جاء في كتاب الإمام عماد الدين ابن شيخ الحزاميين[2]، في ثنائه على ابن تيميـــة -رحمه الله- بقوله: "شيخنا الإمام الأمة الهمام، محيي الســـنة، وقـــاطع البدعـــة، ناصـــر الحديث، مفتي الفرق، الفائق عن الحقائق، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الـــذائق، الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يقضي بالحق ظاهراً وقلبه في العلى قـــاطن. أنمـــوذج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين غابت عن القلوب سيرهم ونسيت الأمة حذوهم وسبلهم، فذكرهم بها الشيخ، فكان في دارس نهجهم ســـالكاً، ولمـــوات حـــذوهم محييـــاً، ولأعنة قواعدهم مالكاً: الشيخ الإمام تقي الدين أبو العبـــاس ..."[3]، وفـــي بدايـــة هـــذه الشهادات السالفة الذكر من العلماء الأجلاء تبين زيف وفساد طعون الحبشي فـــي شـــيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

وأما مستند الأحباش في طعنهم في ابن تيمية -رحمه الله- على قول ما قاله (تقـــي الدين علي بن عبد الكافي السبكي) في التشنيع على ابن تيمية[4] مردود عليهم بالتالي:

أولاً: أن الإمام الســـبكي مـــن المعاصـــرين لابـــن تيميـــة -رحمهمـــا الله- ومـــن قواعـــد المحدثين في الجرح والتعديل أنه لا يؤخـــذ بجـــرح الأقـــران لبعضـــهم الـــبعض وخاصـــة من ظهر ورعه وتقواه وكثر مزكوه، فيذكر الإمام تاج الـــدين الســـبكي فـــي طبقاتـــه تحـــت عنوان (قاعدة فـــي الجـــرح والتعـــديل) قولـــه: "الصـــواب عنـــدنا أن مـــن ثبتـــت إمامتـــه وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه، وندر جارحه، وكانـــت هنـــاك قرينـــة دالـــة علـــى ســـبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره، فإنا لا نلتفت إلى الجـــرح فيـــه، ونعمـــل فيـــه بالعدالـــة

=المتداولة، توفي سنة ١٠٣٣هـ. انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمُحبّي ٣٥٨/٤-٣٦١، الناشر: دار صادر، بيروت -بدون تاريخ نشر أو رقم طبعة-.

[1] - الشهادة الزكية للكرمي ص٨٧.

[2] - **عماد الدين ابن شيخ الحزاميين**: الشيخ الإمام القدوة الزاهد العارف عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي(أبو العباس)المعروف بابن شيخ الحزاميين،توفي سنة ٧١١هـ،وكان رجلاً صالحاً ورعاً، كبير الشأن، منقطعاً إلى الله، متوفراً على العبادة والسلوك. انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص١٩٣.

[3] - العقود الدرية لابن عبد الهادي ص١٩٥.

[4] - انظر: تفنيد مزاعم المدعى إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص٤٧.

وإلا لو فتحنا هذا الباب، أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون"[1]؛ وفي المعنى نفسه يتحدث الإمام ابن عبد البر في جامع العلوم تحت باب عقده بعنوان (حكم العلماء بعضهم في بعض) فيقول: "قد غلط فيه كثير من الناس، وضلت فيه نابتة جاهلة لا تدري ما عليها في ذلك، والصحيح في هذا الباب أن من صحَّت عدالته وثبتت في العلم إمامته، وبانت ثقته وبالعلم عنايته، لم يلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة يصح فيها جرحته على طريق الشهادات، والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب تصديقه فيما قاله لبراءته من الغل والحسد والعداوة والمنافسة، وسلامته من ذلك كله فذلك كله يوجب قبول قوله من جهة الفقه والنظر"[2]، وهذا ما يؤكده الإمام اللكنوي "بأن كلمات المعاصر في حق المعاصر غير مقبولة وهو كما أشرنا إليه مقيدٌ بما إذا كانت بغير برهان ولا حجة، وكانت مبنية على التعصب والمنافرة، فإن لم يكن هذا ولا هذا فهي مقبولة بلا شبهة[3]، وينقل ابن الآلوسي أقوالاً للعلماء في جرح الأقران لبعضهم البعض، ومن هذه الأقوال ما قاله "الذهبي والعسقلاني: إن قول الأقران بعضهم في بعض غير مقبول، لا سيما إذا لاح أنه لعداوة أو لمذهب، إذ الحسد لا ينجو منه إلا من عصمه الله تعالى"[4]، ويقول ابن الآلوسي أيضاً: "وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: إذا بلغك أن أحداً من الأئمة شَدّد النكير على أحد من أقرانه فإنما ذلك خوف على أحد أن يفهم من كلامه خلاف مراده، لا سيما علم العقائد فإن الكلام في ذلك أشد"[5]، وبهذا يتبين أن الاستئناس بقول الأقران في بعضهم البعض في الجرح لا يؤخذ به، وخاصة في حق الأتقياء منهم.

ثانياً: وأما تخطئة الإمام السبكي لابن تيمية وتشنيعه عليه، لا يعتبر حجة على فساد معتقد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، فهناك من العلماء الأجلاء من انتصب للرد على السبكي -رحمه الله- كالإمام (ابن عبد الهادي) في مجلد كبير سماه (الصارم المنكي في الرد على

---

[1] - طبقات الشافعية للسبكي ٩/٢.

[2] - جامع بيان العلم لابن عبد البر ١٠٩٣/٢-١٠٩٤.

[3] - الرفع والتكميل في الجرح والتعديل لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ص٢٧٦، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

[4] - جلاء العينين لابن الآلوسي ص٥٢.

[5] - المصدر السابق ص٥٣.

السبكي)[1] وفند كلام السبكي، ورد عليه فيه. وأيضاً قال العلامة المقبلي في (العلـم الشـامخ) بخطأ السبكي في هجومه على ابن تيمية، وتشنيعه عليه حيث يقول: "زعـم السـبكي أن ابـن تيمية خالف الإجماع"[2].

وبعد هذا العرض يظهر خطأ ما ذهب إليه الحبشي من وصف شيخ الإسلام ابـن تيميـة بأبشع الصفات وأشنعها بناءً على فهمٍ خاطئ لأقوال الشيخ، أو بسبب حقـد نتيجـة التعصـب المذهبي لديه، وأفضل ما يقال للحبشي في هذا، ما قاله ابن عبد البر لمن خاض فـي العلمـاء "ومن لم يحفظ من أخبارهم إلا ما ندر من بعضهم فـي بعـض علـى الحسـد، والهفـوات، والغضب، والشهوات دون أن يعنى بفضائلهم، ويروي مناقبهم حُرم التوفيق، ودخل في الغيبة، وحاد عن الطريق"[3]، ويوجه الحارث بن أسد المحاسبي نصيحة لمن خاض فيما حصل بـين العلماء يبدؤها بقوله: "وينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمـة الماضـين، وألا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض، إلا إذا أتى ببرهانٍ واضح. ثم إن قدرت على التأويـل وتحسين الظن فدونك، وإلا فاضرب صَفْحاً عما جرى بينهم، فإنك لم تُخْلَق لهذا، فاشتغل بمـا يعنيك، ودع ما لا يعنيك ولا يزال طالب العلم عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين، ويقضي لبعضهم على بعض. فإياك ثم إياك أن تصغي إلى ما اتفق بين أبي حنيفـة وسفيان الثوري، أو بين مالك وابن أبي ذيب، أو بين أحمد بن صـالح والنسـائي ...، فـإن اشتغلت بذلك خشيتُ عليك الهلاك فالقوم أئمة أعلام، ولأقوالهم محامل، ربما يُفهـم بعضـها، فليس لنا إلا الترضي عنهم والسكوت عما جرى بينهم، كما يفعل فيما جـرى بـين الصـحابة الكرام -رضي الله عنهم-"[4].

ولا بد من معرفة أن شيخ الإسلام ابن تيمية من أشد الناس تمسكاً بالكتاب والسنة، وهـذا ما يوضحه الإمام البزار[5] بقوله: "وإذا نظر المنصف إليه بعين العدل يراه واقفاً مـع الكتـاب والسنة لا يميله عنهما قول أحد كائناً من كان، ولا يراقب في الأخذ بمعلومها أحداً، ولا يخاف في ذلك أميراً ولا سلطاناً ولا سوطاً ولا سيفاً، ولا يرجع عنها لقول أحد وهو متمسك بالعروة

---

[1]- انظر: الشهادة الزكية للكرمي ص٩٠.

[2]- العلم الشامخ للإمام المقبلي ص٤٩٩.

[3]- جامع بيان العلم لابن عبد البر ١١١٨/٢.

[4]- طبقات الشافعية للسبكي ٢٧٨/٢.

[5]- **الإمام البزار**: الإمام عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي، الأرجي، الحنبلي، البزار (سراج الدين، أبو حفص) محدث، مؤرخ فقيه، ولد تقريباً سنة ٦٨٨هـ، وأقام بدمشق، وتوفي بمنزلة حاجر قبل الوصول إلى الميقات في ٢١ ذي القعدة ٧٤٩هـ، له تصانيف عديدة منها: الأعلام العلية في مناقب الإمـام ابـن تيمية. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ١٨٠/٣، شذرات الذهب لابن عماد ١٦٣/٦-١٦٤.

الوثقى، واليد الطولى، وعامل بقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [النساء:٥٩]، وبقوله تعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾ [الشورى:١٠]، وما سمعنا أنه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل ما اشتهر عنه من كثرة المتابعة للكتاب والسنة، والإمعان في تتبع معانيها، والعمل بمقتضاها، ولهذا لا يرى في مسألة أقوال للعلماء، إلا وقد أفتى بأبلغها موافقة للكتاب والسنة، وتحرى الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول"[1]، ولهذا قلّ من يسلم من أهل الفضل والدين في هذه الدنيا بلا امتحانات وابتلاءات تُظهر صدق عقيدته، ومدى اتباعه لمنهج السلف، وعدم الحياد عنه مهما يقع عليه من خصومة، ويبقى صامداً ثابتاً مصابراً لا يُداهن أحداً على حساب دينه، وهذا ما حصل مع ابن تيمية -رحمه الله-، حيث إنه "أُمتحن بمحن، وخاض فيه أقوام ونسبوه إلى البدع والتجسيم، وهو من ذلك بريء. فأول محنته -كما نقل الثقات- في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة، بسبب عقيدته الحموية الكبرى، وهي جواب سؤال ورد من حماة، فوضعها ما بين الظهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدي، فجرى له بسبب تأليفها أمور ومحن، رجّح مذهب السلف على مذهب المتكلمين، وشنع عليهم"[2]، ودخل السجن بسببها، ولم يتراجع عما كتبه فيها لأنها تمثل عقيدة السلف الصالح.

وأختم هذا المبحث بما قاله الإمام الكرمي تحت عنوان (نصيحة وموعظة)، وذلك بعد أن ذكر ثناء الأئمة على الشيخ ابن تيمية -رحمه الله- وعَدّد مناقبه، إلى غير ذلك، فيقول: "قد علمت -أيدك الله- مما مر من سيرة الشيخ، ومناقبه، وغزارة علمه، وقوة جهاده، واتصافه بكل فعل جميل، بشهادة الأئمة له، وثنائهم عليه نثراً ونظماً، حياً وميتاً.

إنه من كبار الأئمة المحققين،وعلماء الأمة العاملين الراسخين،وأكابر الأولياء العارفين، بشهادة الإمامين الجليلين:أبي حنيفة والشافعي،حيث قالا:(إذا لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله وليّ).

لا سيما وقد شهد له بذلك غير واحد من الأئمة، مع ما أعطاه الله من العلم بالعمل، والزهادة والعبادة، ووقوفه مع الكتاب والسنة، لا يميله عنهما أحد كائناً من كان ....

هذا وقد تكلم فيه، وبغى عليه من لا يخاف الله، واستحلّ الوقوع في عرضه، ونسبه لقبائح هو منها بريء.

---

[1] - الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية للإمام مرعي بن يوسف الكرمي ص١٠٠-١٠١، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

[2] - المصدر السابق ص١٠٢-١٠٣.

وترى كثيراً من الجهلة المهتوكين ينسبونه -بغير علمٍ- لما لا يحل لهم أن ينسبو إليه أعظم الجاهلين. فكيف بمن هو من العلماء الراسخين وأئمة الدين، والذابِّ عن شريعة سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم-.

أترى هذا المفتري لم يسمع قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في خطبته في (حجة الوداع) "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ، كحرمةِ يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت"[1] ..، وروى أيضاً (مسلم) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه، وعرضه، وماله"[2]، أو ما درى هذا المهتوك بلسانه قول الحافظ (ابن عساكر): "لحوم العلماء مسمومة، وهتك أستار منتقصهم معلومة"، وقوله -أيضاً-: "لحوم العلماء سمٌ من شمها مرِضَ، ومن ذاقها مات". أو ما بلغ هذا المتجرّئ أنه قد جاء النهي عن ذكر مساوئ الأموات .... فعن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اذكروا محاسن موتاكم وكفُّوا عن مساويهم"[3]...، وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا"[4]...، فلا يجوز لمن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يَثْلِمَ عرض أحد من المسلمين بما لا يليق؛ فكيف بأئمة المسلمين وورثة الأنبياء!! فكيف بالأموات منهم!!"[5]؛ ولهذا لا بد للحبشي وأتباعه من الانتهاء عن سب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ووصفه بأقذع الصفات.

---

[1] - صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ح١٧٣٩، ٢٣١/٢، صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ح١٦٧٩، ١٣٠٥/٣-١٣٠٦.

[2] - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، ح٢٥٦٤، ١٩٦٦/٤.

[3] - سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب (٣٤)، ح١٠١٩، ٣٣٠/٣، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الموتى، ح٤٩٠٠، ٢٧٥/٤.

[4] - صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يُنهى من سب الأموات، ح١٣٩٣، ١٣١/٢، وأيضاً: كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ح٦٥١٦، ٢٤٧/٧.

[5] - الكواكب الدرية للكرمي ص٢٣٣-٢٣٥.

المبحث الثاني: موقف الأحباش من الإمام محمد بن عبد الوهاب[1]:

يشن الحبشي هجوماً شديداً في كتاباته على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فيرى أن تسمية الشيخ محمد بن عبد الوهاب بشيخ الإسلام هو "وضع للكلمة في غير محلها"[2]، ويظهر تحامل الحبشي وحقده على الشيخ ابن عبد الوهاب من خلال قوله: "هو من أهل القرن الثاني عشر الهجري، ظهر بدعوة ممزوجة بأفكار منه، زعم أنها من الكتاب والسنة، وأخذ ببعض بدع تقي الدين أحمد بن تيمية فأحياها، وهي: تحريم التوسل بالنبي، وتحريم السفر لزيارة قبر الرسول وغيره من الأنبياء والصالحين بقصد الدعاء هناك رجاء الإجابة من الله، وتكفير من ينادي بهذا اللفظ: يا رسول الله، ويا محمد، أو يا علي، أو يا عبد القادر أغثني إلا للحي الحاضر ...، وعقيدة التجسيم في الله والتحيز في جهة"[3]، بل إن الحبشي يزيد في هجومه وتشنيعه على الشيخ ابن عبد الوهاب حين يصفه بسفك "الدماء ونهب الأموال والتجرؤ على قتل النفوس ولو بالاغتيال، وإكفار الأمة المحمدية في جميع الأقطار"[4]، وبهذا يظهر موقف العداء من قِبل الحبشي للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وينسحب هذا الموقف العدائي على تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فيرى الحبشي أن "مشبهة العصر الوهابية"[5]، ومن عباراته التي تبين هذا العداء قوله: "وليحذر من تمويه الوهابية وتلبيسهم"[6]، وقوله: "لو فرضت مناظرة بين

---

[1]- **محمد بن عبد الوهاب**: هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ديس بن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي النجدي صاحب الدعوة المشهورة، ولد في بلدة (العيينة) في نجد سنة ١١١٥هـ، توفي سنة ١٢٠٦هـ، وهو داعية إسلامي من زعماء الإصلاح في العصر الحديث فقد تعلم على يد والده القرآن والحديث، وسافر في رحلات متعددة إلى العراق والمدينة ومكة، ألمّ خلالها بكثير من العلوم الشرعية، ونادى الشيخ بإقامة السنة الصحيحة وتعاليم الإسلام في صفائها الأول، وبقى مجاهداً في نصرة الدين الإسلامي حتى توفي، ومن أشهر مصنفاته: كتاب التوحيد، كشف الشبهات، أصول الإيمان، الكبائر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: الموسوعة العربية العالمية إعداد مؤسسة أعمال الموسوعة ٣٦٦/٢٢، تاريخ نجد للسيد محمود شكري الآلوسي ص١٠٦، تحقيق: محمد بهجة الأثري، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة - بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر -، منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة على ضوء الكتاب والسنة، جمع وترتيب: محمد بن جميل زينو ص٤٠-٤٢، الناشر: لجنة التضامن الخيري، الكويت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر -.

[2]- صريح البيان للحبشي ص٣٧١.

[3]- المقالات السنية للحبشي ص٤٣.

[4]- المصدر السابق ص٤٨.

[5]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٥٨، انظر: المطالب الوفية للحبشي ص٤٩.

[6]- صريح البيان للحبشي ص٣٩٦.

المجسم كالوهابي ..."[1]، وقوله: "وتبين أن انتسابكم أيها الوهابية إلى السلف دعوى كاذبة"[2]، وهذه الاتهامات من الحبشي للشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه بسبب مخالفة الشيخ وتلاميذه لمعتقدات الحبشي، وموافقة السلف في اعتقادهم، واثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقين، ويدعي الحبشي أن ذلك من "تجسيم الباري، أي إثبات الحد لله تعالى، وإثبات الأعضاء، والحركة، والسكون وكل ذلك عند العقلاء المنزهين تشبيه للخالق بالمخلوق"[3].

ويلاحظ على الحبشي أن الاتهامات التي يكيلها للشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه هي نفسها التي وجهها لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وخاصة أن الحبشي يعتبر أن الشيخ ابن عبد الوهاب هو الذي أحيا فكر ابن تيمية[4]، ظناً من الحبشي أن عقيدة ابن تيمية -رحمه الله- والتي تمثل عقيدة السلف الصالح قد اندثرت وانتهت وهذا كلام معلوم الفساد. وقد تم مناقشة الحبشي في اتهاماته لابن تيمية، وتبين وجه الفساد فيها[5]، وهي الاتهامات نفسها التي يوجهها الحبشي إلى الشيخ ابن عبد الوهاب وأشهرها إنكاره استغاثة الناس بالنبي -صلى الله عليه وسلم- عند قبره أو عند قبور الصالحين، وإنكاره عليه إثبات الصفات التي توهم التجسيم -حسب اعتقاد الحبشي- كصفة اليد، وصفة العين، وصفة الوجه إلى غير ذلك من الصفات الذاتية لله التي أثبتها سبحانه لنفسه، وهي من صفات الكمال لله تليق بجلاله سبحانه.

والحبشي يرفض أن يُسمى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بشيخ الإسلام ويراها كلمة تقال في غير موضعها[6]، ولهذا لا بد من النظر في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكيف كانت نشأته، فمن المعلوم أن الشيخ داعية إسلامي من زعماء الإصلاح في العصر الحديث، وقد نشأ هذا الشيخ وترعرع تحت رعاية أبٍ فياض في العلم، فكان أبوه هو المعلم الأول حيث حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه العاشرة على يد والده، ثم قرأ مبادئ الصرف والنحو، وقواعد اللغة العربية، وبعض كتب الفقه والحديث على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وبعض كتب التفسير، واستمر في تعلم العلم الشرعي من منبعه الأصلي الكتاب والسنة، وقام برحلات علمية إلى كل من العراق ، والمدينة، ومكة. وما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى ظهرت عليه علامة النجابة بأبهى وأوضح صورها، وتوسعت مداركه، وارتقى تفكيره، وتوقد ذهنه، واشتد ذكاؤه.

---

[1]- صريح البيان للحبشي ص٣٩٧.
[2]- المصدر السابق ص٣٧١.
[3]- المصدر نفسه ص٣٧١.
[4]- انظر: المقالات السنية للحبشي ص٤٣.
[5]- انظر: البحث ص٣٣١-٣٤٦.
[6]- انظر: صريح البيان للحبشي ص٣٧١.

فأدرك ما كان عليه قومه من الضلال وتفشي البدع، وما كانت عليه بلاده من حالات الفوضى والانحلال، فلم تعجبه الطريقة التي كان يسير عليها علماء نجد من هدوء وسكون على هذه الضلالات والبدع المنتشرة، فعقد العزم على انتهاج منهج السلف الصالح بالدعوة لنبذ البدع، وتطهير ما علق بالإسلام من الأوهام، والخرافات، وإنقاذ المسلمين من الضلال[١]، فجعل الكتاب والسنة مستنده في تلك الدعوة ضد البدع المنتشرة والتي منها ما كان يفعله كثير من الناس في ذلك الوقت، حيث كانوا يحجون إلى القبور، وينسبونها إلى الصحابة الكرام، ويطلبون منها حاجاتهم، ويستغيثون بها لدفع كروبهم -وهذا ما ينادي به الحبشي-، فقد كانوا في (الجُبيلة) يؤمّون قبر زيد بن الخطاب، يتضرعون لديه، ويسألونه حاجاتهم، وأغرب من ذلك توسلهم في بلد (المنفوحة) بفحل النخل، واعتقادهم أن من تؤمّه من العوانس تتزوج، فكانت من تقصده تقول: (يا فحل الفحول، أريد زوجاً قبل الحول)، وفي (الدرعية) كان غار يقصدونه، بزعم أنه كان ملجأ لإحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة[٢]، وكانت تُؤتى تلك الأماكن ويذبح لها، ويُنذر عندها، حيث أصبح اعتقاد الناس في تلك القبور، والأحجار، والأشجار بأنها تنفع وتضر، فهالت هذه البدع والخرافات الشيخ محمد بن عبد الوهاب فبدأ ينادي بإقامة السنة الصحيحة وتعاليم الإسلام كما جاءت عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ومناهضة كل ما كان مخالفاً للكتاب والسنة، وأعلن من أجل ذلك جهاداً دينياً لحمل مخالفيه على اتباع الدين الصحيح؛ وقضى بذلك الشيخ حياته مجاهداً في نصرة الدين الإسلامي حتى توفاه الله[٣].

وأما عن علم الشيخ وصفاته فقد كان علماً من الأعلام، ناصراً للسنة وقامعاً للبدعة خبيراً مطلعاً، إماماً في التفسير، والحديث، والفقه وأصوله، وعلوم الآلة كالنحو والصرف والبيان، عارفاً بأصول عقائد الإسلام وفروعها، فصيح اللسان، قوي الحجة، لديه مقدرة على إبراز الأدلة لمخالفيه، وواضح البراهين بأبلغ عبارة وأبينها، تظهر عليه علامات الصلاح وحسن السيرة، وصفاء السيرة، يحب العبّاد ويغدق عليهم من كرمه ويصلهم ببره وإحسانه،

---

[١]- انظر: الموسوعة العربية العالمية إعداد مؤسسة الموسوعة ٣٦٦/٢٢، تاريخ الجزيرة العربية -في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب- لحسين خلف الشيخ خزعل ص٥٥-٥٦، الناشر: دار مكتبة الهلال، بيروت، ط الأولى ١٩٨٦م، تاريخ نجد للآلوسي ص١٠٦-١٠٧، منهاج الفرقة الناجية لزينو ص٤٠.

[٢]- انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب -عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه- للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي آل بن علي ص١٨-١٩، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط ١٣٩٥هـ، منهاج الفرقة الناجية لزينو ص٤٠.

[٣]- انظر: الموسوعة العربية العالمية إعداد مؤسسة الموسوعة ٣٦٦/٢٢، الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر لآل أبو طامي ص٢١.

ويخلص لله في النصح والإرشاد، كثير الاشتغال بالذكر والعبادة، كان صبوراً عاقلاً، حليماً، لا يستفزه الغضب إلا أن تنتهك حرمة الدين أو تهان شعائر المسلمين، فحينئذ يناضل بسيفه ولسانه، معظماً للعلماء، منوهاً بما لهم من الفضائل، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، غير صبور على البدع، ينكر على فاعليها بلين ورفق، متجنباً الشدة والغضب والعنف، إلا أن تدعو إليه الحاجة[1].

ومما سبق بيانه يتبين مدى علم الرجل وجهاده من أجل نصرة مذهب السلف الصالح، ومحاربته لأهل البدع والزيغ، ومدى تأثير حركته الإصلاحية في نقاء العقيدة لدى الناس، وبهذا يظهر فضل الرجل ومكانته وأنه من العلماء العاملين -رحمه الله-.

وأما زعم الحبشي بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ظهر بدعوة ممزوجة بأفكار من عنده وهي ليست نابعة من الكتاب والسنة، وأن انتماءه للسلف دعوى كاذبة[2]، كلام مردود على الحبشي، لأن عقيدة الشيخ ابن عبد الوهاب "كعقيدة السلف الصالح، على ما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، والتابعون، والأئمة المهتدون: كأبي حنيفة ومالك والشافعي، وأحمد، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وابن المبارك، والبخاري، ومسلم، وأبي داود وسائر أهل السنن وأمثالهم ممن تبعهم من أهل الفقه والأثر كالأشعري، وابن خزيمة، وتقي الدين بن تيمية، وابن القيم، والذهبي -رحمهم الله-.

- يعتقد أن الله واحد أحد، فرد صمد، لا شريك له ولا مثيل، ولا وزير له ولا مشير؛ لم يتخذ صاحبة ولا ولداً؛ عالم بكل شيء ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، بل هو الفعال لما يريد، ويثبت جميع صفات الله العليا، وأسماءه الحسنى، كما نطق الكتاب، وجاءت به السنة الصحيحة، يؤمن بها، ويُمرُّها كما جاءت من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه.
- توحيد العبادة والربوبية -حيث- يعتقد بأن الله هو الحي القادر الخالق، الرازق، المحيي، المميت؛ يؤمن بأن يفرد ربنا بالعبادة، ولا يشرك به أحد لا مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل.
  ويبرأ من عبادة ما سواه كائناً ما كان، وهذا هي الحكمة التي خلق الله لأجلها الجن، والإنس، وأرسلت لها الرسل الرسل، وأنزلت بها الكتب، ويعتقد أن من يخالف في ذلك قد وقع في الشرك، والضلال، والكفر بالله.
- الإيمان بالرسل والأنبياء، والملائكة، والكتب، واليوم الآخر -حيث- يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، لا يفرق بين أحد منهم، ويعتقد أن محمداً أفضلهم، أرسله الله بالآيات الباهرة،

---

[1]- انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر آل أبو طامي ص٢٨-٢٩، تاريخ الجزيرة العربية لخزعل ص٣٣٣-٣٣٧.

[2]- انظر: المقالات السنية للحبشي ص٤٣، صريح البيان للحبشي ص٣٧١.

والمعجزات الظاهرة، وكرمه بطهارة الأعراق، وحباه محاسن الأخلاق، فمن اتبعه صار من المفلحين، ومن عصاه صار من الأشقياء الخاسرين.

ويؤمن باليوم الآخر، وبالبعث بعد الموت، وحساب الله للعباد، وبالميزان، والصراط، والجنة والنار ....

- يؤمن بالقدر خيره وشره، ويبرأ مما قالته القدرية النفاة، والمجبرة والمرجئة ويوالي جميع أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأهل بيته الطاهرين، ويكف عما شجر بينهم؛ ويعتقد بأفضلية أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم[١].

وهذا المعتقد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ظهر جلياً في مصنفاته،ومن النقول التي تدلل على اتباع الشيخ لمذهب السلف وعدم تجاوزه لغيره،ما ذكره الشيخ في(كشف الشبهات)قوله: "اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة،وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده"[٢]،ويبين مقصود التوحيد الذي دعت إليه الرسل من خلال بيان معنى التوحيد عند المشركين فيقول:"وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام،وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى الإقرار به المشركون،وهذا التوحيد هو معنى قولك:لا إله إلا الله فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً،أو نبياً،أو ولياً،أو شجرة،أو قبراً،أو جنيّاً.لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده ...، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد فأتاهم النبي-صلى الله عليه وسلم-يدعوهم إلى كلمة التوحيد(لا إله إلا الله)والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ..."[٣].

ويبين الشيخ ابن عبد الوهاب ما يجب تعلمه من مسائل الاعتقاد، فيقول: "يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث المسائل والعمل بهن (الأولى) أن الله خلقنا، ورزقنا، ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار ... (الثانية) أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، ولا ملك مقرب، ولا نبي مرسل ... (الثالثة) أن من أطاع الرسول، ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب"[٤].

---

[١]- انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر آل أبو طامي ص٣١-٣٣.

[٢]- كشف الشبهات في التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٤، بدون ناشر أو رقم طبعة أو تاريخ نشر.

[٣]- المصدر السابق ص٦.

[٤]- الأصول الثلاثة وأدلتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٦-٧، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، بدون رقم طبعة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

ويبين الشيخ ابن عبد الوهاب من عادات المشركين في الجاهلية "أنهم يتعبدون بإشـراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته، ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الـذي يحبـه الله"[1]، وبهذا الكلام يُعَرْض بمن يستغيث بالأموات، أو ما شابهها من بدع انتشرت في عصره.

وتحت عنوان (الغلو في الصالحين) يقول الشيخ: "حتى نرى غالب الناس اليوم معرضين عن الله، وعن دينه الذي ارتضاه، متوغلين في البدع، تائهين في أوديـة الضـلال، معـادين للكتاب والسنة ومن قام بهما"[2]، وهذه النقول تبطل دعوى الحبشي مخالفة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمذهب السلف، وأنه جاء بأفكار ممزوجة من عنده.

وأما ادعاء الحبشي بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يسفك الـدماء، وينهـب الأمـوال، ويكفر الأمة[3]، يُرد عليه بما ذكره حسين خزعل في كتابه (تاريخ الجزيرة العربيـة) ببيـان الأوضاع التي تغيرت عند وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى (الدرعية) حيـث أبطـل الأسلوب العشائري في حل المنازعات وأبدله بنظام مدني على أساس القرآن، وأبطـل جبايـة الأموال من الناس وقام بإرجاعها إلى الطريقة الشرعية، وأبطل أسـلوب القـوة فـي حسـم الخلافات التي تقوم بين الناس، ويعبر عن ذلك بقوله: "تغيرت الأوضاع في نجد بعـد هجـرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية تغييراً كاملاً وأهمها ما يأتي:

أولاً: أبطل الأسلوب العشائري الذي كان يحكم به الناس، وحلَّ محلـه حكـم نظـامي مـدني دستوره القرآن وقانونه الشريعة المحمدية؛ وقد أحل الجهاد الديني محل الغـارات العشـائرية القديمة التي كان يقصد منها مجرد السلب والنهب والعدوان.

وكانت تبعث السرايا للجهاد، ويتم تجهيزها وتدريبها على استعمال الأسلحة الناريـة الحديثـة بإشراف الشيخ نفسه.

ثانياً: أبطل جباية الأموال من الناس عن غير الطرق الشرعية كالإخاة (القـانون) والمكـس، وكان الناس يسمون رجال الأمراء الذين يأخذون منهم الأموال: مكاساً وعشاراً. ووضع محلها الزكاة، والغنائم ونحوها من المواد التي أحلها الله فصار الأمراء يرسلون الجباة لقبض الزكـاة وخرص الثمار.

ثالثاً: أبطل أسلوب القوة في حسم الخلافات التي تقوم بين الناس، وكان القـول فيهـا دائمـاً للقوي، يأخذ ما أراد، وأما الضعيف فلا يجد من يشكو إليه ليرد حقه، وأحل محله حكماً عـادلاً

---

[1] - مسائل الجاهلية -التي خالف فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أهل الجاهلية للشيخ محمد بن عبـد الوهاب ص٤-٥، الناشر: مؤسسة مكة للطباعة والنشر، السعودية، بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر.

[2] - مسائل الجاهلية لابن عبد الوهاب ص٢٦.

[3] - انظر: المقالات السنية للحبشي ص٤٨.

يتولاه قضاة مشهورون بالعدل والتمسك بالدين، يفصلون الخصومات التي تقع بين الناس، فعمّت الجمهور نعمة الأمن والعدل والاستقرار"[1].

وعن دعوى الحبشي أن ابن عبد الوهاب -رحمه الله- يقوم بتكفير الأمة المحمدية، أمر غير صحيح، حيث يرد على هذا الادعاء أحد حفدة الشيخ ابن عبد الوهاب ويبين أن مثل هذا الادعاء من قبل خصومهم كذب وبهتان؛ فيرد الشيخ (عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب) على سؤالٍ لشيخٍ عراقي اسمه (داود بن سليمان جرجيس) ومفاده بأن أهل نجد يكفرون المسلمين وعباد الله الصالحين واعتقاد ضلالهم، وبالتالي إباحة قتالهم، فيقول الشيخ النجدي: "أيها العراقي ليس الأمر كما علمت أنت وأمثالك، بل أنتم في لبس مما نحن عليه ... فأقول: أركان الإسلام خمسة: أولها الشهادتان. ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقرّ بها أحد وتركها تهاوناً فنحن -وإن قاتلناه على فعلها- فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود. ولا نقاتل إلا على ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان. وأيضاً نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر، فنقول أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهره للناس، وأقر أيضاً أن هذه الاعتقادات في حجر أو شجر الذي هو دين غالب الناس، أنه الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ينهى عنه، ويقاتل أهله ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه، ولا دخل فيه، لا ترك الشرك؛ فهذا كافر نقاتله بكفره لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه وعرف دين الشرك فلم يتركه مع أنه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

النوع الثاني: من عرف ذلك كله ولكنه تبين في سب دين الرسول مع ادعائه أنه عامل به، وتبين في مدح من عبد غير الله وغالى في أوليائه وفضلهم على من وحد الله وترك الشرك؛ فهذا أعظم من الأول وفيه قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٨٩]، وهو ممن قال الله فيه: ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ**﴾ [التوبة:١٢].

النوع الثالث: من عرف التوحيد واتبعه وعرف الشرك وتركه ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويحب من بقى على الشرك فهذا أيضاً كافر فيه قول الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد:٩].

---

[1] - تاريخ الجزيرة العربية لخزعل ص٣٣٨-٣٣٩.

النوع الرابع: من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده مصرحون بعداوة التوحيد، واتباع أهل الشرك وساعون في قتالهم ويتعذر عليه ترك وطنه ويشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله ونفسه فهذا أيضاً كافر، فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان: ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل، ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ترك إلا بمخالفتهم فعل ....

هؤلاء الذين نكفرهم لا غير! وأما القول بأنا نكفر الناس عموماً، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وأنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد القبور من العوام لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذ لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل، سبحانك هذا بهتان عظيم"[1] وبهذا الكلام يظهر بطلان إدعاء الحبشي.

واتهامات الحبشي للشيخ محمد بن عبد الوهاب قديمة حديثة، حيث أشاعها أعداؤه عليه وعلى دعوته التي نادى بها، فما كان من ابنه عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب إلا أن كتب رسالة بعد دخول الإمام سعود -رحمه الله- مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ، بيّن فيها لمن سأله عما يعتقدونه ويدينون الله به، فمما جاء في هذه الرسالة: "... ومما نحن عليه، أنا لا نرى سَبْيَ العرب، ولن نفعله، ولم نقاتل غيرهم، ولا نرى قتل النساء والصبيان.

وأما ما يكذب علينا ستراً للحق، وتلبيساً على الخلق، بأنا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق أفهامنا، من دون مراجعة شرح، ولا معوّل على شيخ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- بقولنا: "النبي رمة في القبر، وعصا أحدنا أنفع له منه، وليس له شفاعة، وأن زيارته غير مندوبة، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله، حتى نزل عليه ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [محمد:١٩]، مع كون الآية مدنية، وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء، فنتلف مؤلفات أهل المذاهب، لكونها فيها الحق والباطل، وأنا مجسمة، وأنا نكفّر الناس على الإطلاق أهل زماننا ومن بعد الستمائة، إلا من هو على ما نحن عليه. ومن فروع ذلك أن لا نقبل بيعة أحد إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركاً، وأن أبويه ماتا على الشرك بالله. وأنا ننهى عن الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً، وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون ... فلا وجه لذلك.

فجميع هذه الخرافات وأشباهها، لما استفهمنا عنها من ذكر أولاً: كان جوابنا في كل مسألة من ذلك: ﴿**سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾ [النور:١٦]، فمن عنى شيئاً من ذلك أو نسبه

---

[1]- تاريخ نجد للآلوسي ص٥٠-٥٢؛ انظر : الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر آل أبو طامي ص٦٠-٦٣.

إلينا فقد كذب علينا وافترى. ومن شاهد حالنا، وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا، علم قطعاً، أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه، أعداء الدين، وإخوان الشياطين، تنفيراً للناس من الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة، وترك أنواع الشرك الذي نص عليه بأن الله لا يغفره ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]"[١].

وأما ما يطلقه الحبشي من لفظ (الوهابيين) على تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فيرى تلاميذ الشيخ أن ذلك من باب التنابز بالألقاب المنهي عنه، وأن هذا اللقب من دعايات الأتراك والأشراف في ذلك الوقت لتنفير الناس من دعوة الشيخ، وجعل هذا اللقب على هذه الفرقة كعنوان لخروج هذه الفرقة عن المذاهب، وعدم اتباعها النبي والصالحين[٢].

ومن جهة أخرى يرى تلاميذ الشيخ ابن عبد الوهاب، أن أعداء التوحيد أطلقوا هذا اللفظ على الموحد نسبة إلى (محمد بن عبد الوهاب) وهذه نسبة خاطئة وهي على غير القياس العربي، والصحيح أن يقال (المحمدية) إذ أن اسم صاحب هذه الدعوة والقائم بها هو الشيخ محمد، لا أبوه عبد الوهاب، ومع ذلك فإن لفظة (وهابي) نسبة إلى (الوهاب) أو هو اسم من أسماء الله، فهي كقول القائل: (رباني) نسبة إلى الرب[٣].

وفي خاتمة هذا المبحث أختم بثناء العلماء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الداعية الإسلامي الذي سخر نفسه لخدمة هذا الدين، وبيان زيف المعتقدات التي انتشرت في عصره وظهور البدع والخرافات حتى ظنها كثيرٌ من الناس في ذلك الوقت أنها دين الله، فجلى الحقيقة وبينها، ورفع راية التوحيد، وجعل شعاره الكتاب والسنة؛ ومما قاله فيه العلماء:

١- قال الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني قصيدة، عندما بلغته دعوة الشيخ وثورته على البدع والخرافات، وقيامه بالدين الصحيح، والسنة المطهرة وإرشاد الناس إلى أن يتمسكوا بالكتاب والسنة؛ ومن هذه الأبيات:

سلامي على نجد ومن حل في نجد	**وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي**
وقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا	**رباها وحياها بقهقهة الرعد**
سرت أسير بنشد الريح إن سرت	**ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد**
قفي واسألي عن عالم حل سوحها	**به يهتدي من ضل عن منهج الرشد**
محمد الهادي لسنة أحمد	**فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي**[٤]

[١]- الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر آل أبو طامي ص٥٧-٥٨.

[٢]- انظر: المصدر السابق ص٥٠.

[٣]- انظر: منهاج الفرقة الناجية لزينو ص٣٩، الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر آل أبو طامي ص٥٠، تاريخ نجد للآلوسي ص١٠٦.

[٤]- الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر آل أبو طامي ص٨٠-٨١.

٢- وقد رثى الشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني مؤلف (نيل الأوطار) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومما قاله فيه:

لقد مات طود العلم قطب رحى العلا	**ومركز أدوار الفحول الأفاضل**
وماتت علوم الدين طراً بموته	**وغيب وجه الحق تحت الجنادل**
إمام الهدى ماحي الردى قامع العدا	**ومروى للصدى من فيض علم ونائل**
إمام الورى علامة العصر قدوتي	**وشيخ الشيوخ الجد فرد الفضائل**
(محمد) ذو المجد الذي عز دركه	**وجل مقاماً عن لحوق المطاول**
إلى عابد الوهاب يعزى وإنه	**سلالة إنجاب زكى الخصائل**
عليه من الرحمن أعظم رحمة	**تبل ثراه بالضحى والأصائل**
لقد أشرقت نجد بنور ضيائه	**وقام مقامات الهدى بالدلائل**
ومن شأنه قمع الضلال ونصره	**لمن كان مظلوماً وليس بخاذل**
وكم كان في الدين الحنيف مجاهداً	**بماضي سنان دامغ للأباطل**
وكم ذب عن سامي حماه وذاد من	**مضل وبدعيِّ ومعفو نائل**
ففيم استباح أهل الضلال لعرضه	**وكم نكست أعلامه الأراذل**
فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزاً	**ولا اشتد للإسلام ركن المعاقل**[١]

٣- وقال العلامة السيد محمود شكري الآلوسي في حق الإمام محمد بن عبد الوهاب: "دعا الناس إلى ترك ما كانوا عليه من البدع والأهواء، ونصر السنة، وأمر باتباعها"[٢].

٤- ويتحدث الشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار الحسنة المحمدية من علماء الأزهر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه بقوله: "وإنهم الحنابلة متعصبون لمذهب الإمام أحمد في فروعه ككل أتباع المذاهب الأخرى، فهم لا يدّعون، لا بالقول، ولا بالكتابة أن الشيخ ابن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد، ولا أخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح، وإنما كان عمله وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح، وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد الإلهية والعبادة لله وحده ذلاً، وخضوعاً، ودعاءً، ونذراً وحلناً، وتوكلاً، وطاعة لشرائعه.

وفي توحيد الأسماء والصفات، فيؤمن بآياتها كما وردت، لا يحرف، ولا يؤول، ولا يشبه، ولا يمثل، على ما ورد في لفظ القرآن العربي المبين، وما جاء عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وما كان عليه الصحابة وتابعوهم والأئمة المهتدون، من السلف والخلف رضوان الله عليهم ،وفي كل ذلك وأن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

١- المصدر السابق ص٨٣-٨٤.

٢- تاريخ نجد للآلوسي ص١٠٦.

لا يتم على وجهه الصحيح"[1].

٥- ويظهر رأي الأستاذ الإمام محمد عبده في الشيخ ابن عبد الوهاب من خلال ما ينقله الشيخ حافظ وهبة في كتابه (٥٠ عاماً في جزيرة العرب) وهو يتحدث عن طلبة العلم في الأزهر أنه سمع الأستاذ محمد عبده يثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويطلق عليه لقب (المصلح العظيم)، ويبين الأستاذ الإمام سبب وقف الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الأتراك وعلى محمد علي الألباني ومن دار في فلكهم من علماء أيدوا البدع والخرافات ومجافاة حقائق الإسلام[2].

٦- ويبين الشيخ محمد رشيد رضا فضل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقوله: "لم يخل قرن من القرون التي كثر فيها البدع من علماء ربانيين، يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة والتعليم وحسن القدوة، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، كما ورد في الأحاديث؛ ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، من هؤلاء العدول المجددين قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين -صلى الله عليه وسلم- وترك البدع والمعاصي وإقامة شعائر الإسلام المتروكة وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة"[3].

٧- ويتحدث الزركلي في الأعلام عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقوله: انتقل إلى العيينة، ناهجاً منهج السلف الصالح، وداعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع، وتحطيم ما عَلق بالإسلام من الأوهام، وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله تأثر بها رجال الإصلاح في الهند، ومصر، والعراق، والشام وغيرها[4].

٨- ويذكر ستودارد الأمريكي مؤلف (حاضر العالم الإسلامي) الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقوله: "وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته، ومدلج في ظلمته، إذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة مهد الإسلام، يوقظ المؤمنين. ويدعوهم إلى الإصلاح، والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم. فكان الصارخ في هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي أشعل نار الوهابية، فاشتعلت واتقدت، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي، ثم أخذ هذا الداعي

---

[1]- الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر آل أبو طامي ص٩٠.

[2]- انظر: المصدر السابق ص١١٨.

[3]- المصدر نفسه ص٩٢.

[4]- الأعلام للزركلي ٢٥٧/٦ بتصرف.

يحـــض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم،والعز التليد؛ تبدت تباشير صبح الإصلاح، ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام"[١].

٩- وقال الدكتور داك برت المؤرخ الألماني في كتابه(عبد العزيز)وقد صدر في ألمانيا ســنة ١٩٥٣م،ونقله إلى العربية الدكتور أمين رويحة عن الشيخ ابن عبد الوهاب:"ورأى الشــيخ أن سبب الإنقاذ هو الرجوع إلى تعاليم الدين المشروعة،إلى تعاليم الرســول الصــحيحة، فراح يبشر بوحي من ضميره وعقيدته بمحاربة البدع التي أدخلت علــى الإســلام عبــر العصور الغابرة،والضال المضل من تقارير علماء الدين غير مقيم وزناً إلا لما نص عليه القرآن صراحة أو لما يمكن نسبته بصورة قاطعة للنبي محمد -صــلى الله عليــه وســلم- وراح يحارب بكل قواه المستمدة من عقيدته الصلبة تقديس الأولياء، وجعلهم واسطة بــين الله وبين الناس،وينادي بهدم الأضرحة، ومزارات الأولياء، وإزالة معالمها، إقتــداءً بالنبي الكريم، الــذي حارب بدعــة تقديس الهياكل، وعبادة الأصنام الموروثة من الجاهلية"[٢].

١٠- ويذكر العلامة سنت جون فيلبي صاحب كتاب (تاريخ نجد) بعض الصفات التي تخلق بها الشيخ ابن عبد الوهاب فيقول: "ولا بد أنه كان شخصية فذة"[٣]، ثم يتحدث عن شجاعة الشيخ في ثورته على البدع والخرافات التي كانت منتشرة في وقته فيقول: "ولكن محمد بن عبد الوهاب، لم يكن ليعتقد بهذا .. لقد أخجله ما عرفه في معاصريه من مخازي واستهتار أحدثا في نفسه أعمق الجروح، ومتحلياً بالشجاعة التي توارثها عن أسلافه، كان على استعداد تام لأن يثور على عالمه في سبيل قضية عظمى في نظره، متجاوزاً في سبيلها جميع الاعتبارات الأخرى: كالسلام، والرفاهية، والشعبية، وما أشبه ذلك"[٤].

وبعد هذا العرض يتبين فساد ما ذهب إليه الحبشي في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإنما الذي جعل الحبشي ينحى هذا المنحى هو التعصب المذهبي ومخالفة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمعتقدات الحبشي ومسايرته لمذهب السلف الصالح وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

---

[١]- الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر آل أبو طامي ص١٠٥.

[٢]- المصدر السابق ص١١٦.

[٣]- تاريخ نجد -ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- تأليف: سنت جون فيلبــي ص٥٢، تعريــب: عمــر الديسراوي، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط الأولى ١٤١٤هـــ-١٩٩٤م.

[٤]- المرجع السابق ص٥٤.

المبحث الثالث: موقفهم من الأستاذ الشهيد: سيد قطب[1]:

يوجه الحبشي مجموعة من الاتهامات للأستاذ الشهيد سيد قطب -رحمه الله-، ومنها أنه يقتدي بكلام بعض الملاحدة ثم يرميه بعد ذلك بالكفر بطريق غير مباشر، حيث يقول: "وكذلك لا يجوز تسميته سبحانه بالقوة كما فعل سيد، وكأنه اقتدى بكلام بعض الملاحدة الذين يقولون: (إن للعالم قوة مدبرة)، ويعنون أن الله هو هذه القوة، ولعلّ هذا مما اكتسبه منهم حين كان مع الشيوعية إحدى عشرة سنة ... وكذلك تسمية قطب لله بالعقل المدبر، لأن العقل صفة من صفات البشر، والجن، والملائكة، وهذه التسمية تدخل تحت قول الإمام أبي جعفر الطحاوي في كتابه الذي ألفه لبيان ما عليه أهل السنة: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر)"[2]، وفي المعنى نفسه يقول الحبشي في المطالب الوفية: "فإطلاق سيد قطب (الريشة المبدعة) و (القوة الخالقة) على الله ممنوع بالاتفاق لأنه ليس وصفاً، فالريشة اسم من أسماء الأعيان، والقوة صفة وليست لفظاً من ألفاظ الوصف"[3].

والأحباش لا يكتفون بتكفير الأستاذ الشهيد سيد قطب -رحمه الله- بل يقومون بالتحذير من كتاباته، واعتباره من المتطرفين، فيقول عدنان طرابلسي -أحد تلاميذ الحبشي- في بيان خطر كتابات سيد قطب -رحمه الله- ليْحذَر الناس منها: "مثل كتب سيد قطب، وابن تيمية

---

[1]- **سيد قطب**: هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، أديب، ومفكر إسلامي مصري، وناقد، ومربٍ، ولد في قرية (موشة) وهي إحدى قرى محافظة أسيوط في صعيد مصر سنة ١٩٠٦م، والتحق سيد قطب رحمه الله بكلية دار العلوم عام ١٩٢٩م، ودرس فيها أربع سنوات، وتخرج فيها عام ١٩٣٣م حاملاً شهادة الإجازة العالية -الليسانس- في اللغة العربية وآدابها؛ انتظم في شبابه مع حزب الوفد حتى عام ١٩٤٢م، ثم انتظم في (جماعة الإخوان المسلمين) فعلياً عام ١٩٥٣م، وأمضى بقية عمره فيها، أعتقل عدة مرات وكان آخرها عام ١٩٦٥م بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم، وكان يعتبر في تلك الفترة الموجه الحركي للجماعة؛ وحكم عليه بالإعدام، ونفذ يوم الاثنين ١٩٦٦/٨/٢٩م، ترك مصنفات عديدة أشهرها: تفسير في ظلال القرآن، معالم في الطريق، التصوير الفني في القرآن وغيرها. انظر:الموسوعة العربية العالمية إعداد مؤسسة الموسوعة٣٧٠/١٣،مجلة هدى الإسلام ص٥٥-٥٨،العدد الرابع،السنة الحادية عشرة،رجب-شعبان ١٤١٣هـ،سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد د.صلاح عبد الفتاح الخالدي ص١٥-١٧،الناشر:دار القلم،دمشق،الدار الشامية،بيروت،ط الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م،سيد قطب من الأديب الناقد،والداعية المجاهد،والمفكر المفسر الرائد-لصلاح عبد الفتاح الخالدي ص٤٩-٦٤،الناشر:دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الأعلام للزركلي ١٤٧/٣-١٤٨.

[2]- الشرح القويم للحبشي ص١٥١.

[3]- المطالب الوفية للحبشي ص٤٢.

وغيرهما من المتطرفين، وعلى هذا ساهمت هذه الكتب مع اللقاءات، والندوات في تكريس أعمال العنف"[1].

ويعتبر الأحباش أن الأستاذ الشهيد سيد قطب -رحمه الله- من رموز الإرهاب والتطرف في هذا العصر، فيقولون: "سيد قطب وأمثاله هم رموز التطرف والإرهاب في هذا العصر"[2].

وتتمحور اتهامات الحبشي للأستاذ الشهيد سيد قطب في أنه قلد الفلاسفة واستخدم ألفاظاً في حق الله لم ترد في الشرع كتسمية الله بالقوة، وبالعقل الفعال، والريشة المبدعة، وهذه المعاني تطلق على المخلوقات، وبالتالي من يصف الله بمعنى من معاني المخلوقات فهو كافر[3]، والنتيجة تكفير سيد قطب -رحمه الله-.

ولا شك أن هذا تسرع في إطلاق الأحكام على دعاة المسلمين وعلمائهم، والبحث عن سقطات العلماء -إن وجدت أصلاً- وإطلاق ألفاظ التكفير، وذلك من خلال الاستدلال بنصوص علماء السلف في غير موضعها حيث إن الحبشي يستند فيما سبق إلى قول الإمام الطحاوي: في أن من يصف الله بمعنى من معاني البشر فإنه يكفر[4]، وهذا الاستدلال من قِبل الحبشي في غير موضعه وذلك للتالي:

١- أن الإمام الطحاوي قال ذلك القول تعقيباً على من شبه كلام الله بكلام البشر فيقول: "وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية؛ فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ..."[5].

٢- الألفاظ التي أوردها الحبشي والتي من خلالها كَفّر الأستاذ سيد قطب بمعانٍ متوهمة من عنده؛ لم يثبت عن الأستاذ الشهيد اعتقاده فيها، بل إن اعتقاده قد استقاه من النبع الصافي الكتاب والسنة، وإليه يدعو المسلمين؛ ومن خلال استقراء مصدر القوة لدى الجيل القرآني الفريد أي الصحابة الكرام فيقول: "إن قرآن هذه الدعوة بين أيدينا، وحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهديه العملي، وسيرته الكريمة، كلها بين أيدينا كذلك، كما كانت بين أيدي ذلك الجيل الأول، الذي لم يتكرر في التاريخ"[6]، ويُجلى القول في حقيقة مصدر فكره من خلال بيان معنى العبودية فيقول: "العبودية لله وحده هي شطر الركن الأول في

---

[1] - مجلة منار الهدى ص١٤، العدد ٩، محرم ١٤١٤هـ.

[2] - نصيحة لعامة المسلمين -القرضاوي في ميزان الشريعة- شبكة المعلومات (www.aicp.de)

[3] - انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٥١، المطالب الوفية للحبشي ص٤٢.

[4] - انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٥١.

[5] - شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٦٨ -المتن-.

[6] - معالم في الطريق لسيد قطب ص١١، الناشر: دار الشروق، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

العقيدة الإسلامية المتمثل في شهادة: أن لا إله إلا الله، والتلقي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كيفية العبودية- هو شطرها الثاني، المتمثل في شهادة أن محمداً رسول الله"[1]، ومن كان هذا شأنه كيف يمكن أن يقول بألفاظ مخالفة لمنهج الله!.

٣- يُسأل الحبشي عن مدى صحة هذه الألفاظ مع معانيها الفاسدة التي نسبها للأستاذ الشهيد سيد قطب، فلا يجوز أن يقتطع كلمة من نص متكامل، ثم يفسره حسب مراده، فعلى سبيل المثال: ينسب الحبشي لسيد قطب -رحمه الله- أنه قال في حق الله (الريشة المبدعة) و (القوة الخالقة)[2]، وهذا مخالف لما قاله سيد قطب -رحمه الله- والحبشي حَرّف كلامه، فيقول سيد -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا**﴾ [آل عمران:١٠٣]: "وهكذا: ﴿**وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ**﴾ [آل عمران:١٠٣]، موشكين على الوقوع تكاد أقدامكم تزل فتهوون.

وليس المهم لدينا في هذا المجال دقة التشبيه وصدقه. إنما المهم أولاً هو هذه الصورة القلقة المتحركة الموشكة في الخيال على الزوال. ولو استطاعت ريشة مصور بالألوان أن تبرز هذه الحركة المتخيلة في صورة صامتة لكانت براعة تحسب في عالم التصوير، والمصور يملك الريشة واللوحة والألوان، وهنا ألفاظ فحسب يصور بها القرآن"[3]، وقال في موضع آخر: "ونحن نستعرض هنا بعض هذه النماذج استعراضاً سريعاً على طريقة عرضها في القرآن، وقد أسلفنا بعضاً منها في فصل التصوير الفني، ومكانها كان في الواقع هناك فما هي إلا لمسات الريشة الخالقة في التصوير، ولكنها لا تمت إلى النماذج القصصية بسبب"[4]، وهذه النصوص الواردة التي فيها لفظ (الريشة) وليس فيها ما يدل على أن سيد قطب -رحمه الله- سمى الله بها، ولكنه أديب يظهر أسلوبه الأدبي البياني في كتاباته، ومن لمحاته الأدبية ما ذكره هنا وبالتالي "فإن ما أشاعه الحبشي على سيد قطب -رحمه الله- بأنه وصف الله تعالى بالريشة دعوى مكذوبة باطلة لا نصيب لها من الصحة، إن سيد قطب بحسه المرهف، وأسلوبه البليغ يرسم بخاطره الأدبي، وذوقه الفني، وحسه القرآني عظمة التصوير القرآني الذي يرسم حالة العرب قبل الإسلام، وكيف أنقذهم الله تعالى من الهلاك والضياع، فكأن حالهم حال قوم على شفا حفرة من النار موشكين على الوقوع فيها، ولو استطاعت ريشة مصور فنان مبدع يستعمل الألوان أن تبرز هذه الحركة المتخيلة في صورة صامتة لكانت براعة تحسب في عالم التصوير.

١- معالم في الطريق لسيد قطب ص٨٣.

٢- انظر: المطالب الوفية للحبشي ص٤٢.

٣- التصوير الفني في القرآن سيد قطب ص٣٧ -بدون ناشر أو رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٤- المصدر السابق ص١٦٥.

لكن القرآن الكريم يستعمل الألفاظ (لا الألوان) التي يفوق تصويرها تصـوير أي فنـان مهما بلغت إجادته وبراعته. إن أي طالب علم يملك قدراً من علوم البلاغة والذوق الأدبـي لا يفهم البتة مما قاله سيد قطب أن الله تعالى موصوف بالريشة في هذا الكلام، ومع كل هذا فإن أئمة الدين يقولون: لا يجوز لنا أن نحكم على مسلم بكلمة قالهـا، أو نقلـت عنـه، أو كتبهـا أوجدت شبهة، إلا بعد الرجوع إليه لمعرفة مقصده فيما قال.

فكيف حكم الحبشي على سيد قطب بالكفر، مع أن الكلام لا يحتمل شبهة يعتمد عليها في التكفير؟"[١]، وفي المعنى نفسه يتحدث الشيخ أبو طلال القاسمي عن هذا الادعـاء للحبشـي، يقول: "إن الشيخ سيد قطب رحمه الله قال: (الريشة المبدعة) وهو رحمه الله كان أديباً، وقـد اقتبس هذه اللفظة من قوله تعالى: ﴿**وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٤]"[٢]، وهذا نفسـه ينسحب على ادعاء الحبشي بأن سيد قطب -رحمه الله- سمى الله بالقوة، أو العقل المـدبر[٣]، حيث إن صح أنه أطلق هذه المسميات على الله يُسأل هل أردت بهـا إطلاقـات الفلاسـفة؟ والإجابة دون ريب بالسلب، لأن الأستاذ الشهيد سيد قطب أوعى من أن ينزلق في مثل هـذا المزلق العقائدي، مع عدم ادعاء العصمة له فيما يقوله؛ ويعبر الدكتور الخالـدي عـن هـذا المعنى بقوله: "يقرأ أحد هؤلاء عبارة لسيد قطب، ولا يكلف نفسه أن يجمع معهـا مثيلاتهـا، وإنما يحّملها ما ليس فيها، ويستخرج منها ما لم يقل سيد فيها، وينسب لسيد رأيـاً لـم يقلـه، ويُلزمه بأشياء لم تلزمه، وذلك بسبب تطبيق (مفهوم المخالفة) على تلك العبارة"[٤].

٤- ويعلل الحبشي هجومه على الشهيد سيد قطب بأنه سمى الله بأسماء لم ترد في الشرع، فيقال للحبشي:هذا الأمر الذي هاجمت غيرك من أجله قد وقعت فيه،وذلك عندما أجزت أن يطلـق على الله اسم الطاهر مع اعترافك الضمني أنه لم يرد في الشرع فيقول الحبشي:"أما إذا قلنا يا طاهر على الله فيجوز،لأن معناه المنزه عن النقائص"[٥]،وبالتالي يظهر أن الحبشي لا توجـد لديه منهجية ثابتة سوى اتباع الهوى في إطلاق أحكامه المتسرعة ضد خصومه.

وأما عن غمز الحبشي للشهيد سيد قطب -رحمه الله- بانتمائه للشيوعية إحـدى عشـرة سنة، فيقال له: أن الأعمال بخواتيمها كما جاء عن الرسول -صلى الله عليه وسـلم- قولـه:

١- المقالات السنية في كشف ضلالات الفرقة الحبشية لعبد العزيز بن صهيب ص٢١٧-٢١٨.

٢- إقامـة الحجـة علـى الحبشـي لأبـي طـلال القاسـمي ص٢٢، الناشـر: شـبكة المعلومـات (asunnah.com/gr/ahbash1.html)

٣- انظر: الشرح القويم للحبشي ص١٥٢.

٤- سيد قطب الناقد د. الخالدي ص٥٨٣.

٥- المرجع السابق ص١٥٠.

"إنما الأعمال بخواتيمها"[1]، والأستاذ سيد -رحمه الله- لقي الله شهيداً من أجل كلمة لا إله إلا الله حيث أُعدم من أجل قول كلمة الحق، مفضلاً لقاء الله سبحانه وتعالى، على البقاء في هذه الدنيا صامتاً لا يحرك ساكناً في وجه الظلم.

بل إن الشهيد سيد قطب -رحمه الله- رويت عنه كلمات تدل على استعلائه على الضغوط وقوة إيمانه، فلما سمع الحكم عليه بالإعدام، قال: "الحمد لله؛ لقد عملت خمسة عشر عاماً لنيل الشهادة"[2].

ومن المساومات التي واجهها سيد قطب -رحمه الله- مقابل التراجع عن إعدامه، أرسلت إليه الطغمة الحاكمة أخته (حميدة) لتقنعه بالاعتذار عما كتبه وقاله، مقابل إطلاق سراحه، قال: "لن أعتذر عن العمل مع الله"[3]، ويتجلى هذا الاستعلاء بأوضح أشكاله ضد قوى الظلم والتكبر المتمثلة في السلطة الحاكمة عندما طُلب منه كتابة كلمات يسترحم عبد الناصر فقال: "إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة، ليرفض أن يكتب حرفاً يقرُّ به حكم طاغية"[4]، وقال رداً على ذلك الطلب: "لماذا أسترحم؟ إن سجنتُ بحق فأنا أقبلُ حكمَ الحق! وإن سجنتُ بباطل فأنا أكبر من أسترحم الباطل!!!"[5]، وبعد هذا هل يتبقى مكان للغمز على الشهيد سيد قطب -رحمه الله-؟!!.

وأما عن تحذير الأحباش للمسلمين من كتابات سيد قطب -رحمه الله-، واعتباره رمزاً من رموز التطرف في هذا العصر[6]، لا بد من استقصاء كتب سيد قطب الإسلامية، حيث يمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام:

- **القسم الأول**:كتبه القرآنية الجمالية، التي حلل فيها -رحمه الله- التعبير القرآني تحليلاً فنياً بيانياً جمالياً،ويمثل هذا الفن كتابه(التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن).
- **القسم الثاني**: كتبه الفكرية الإسلامية التي ألفها قبل خوضه مرحلة الاعتقال عام ١٩٥٤م والتي بدأها بكتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام). وهي أربعة كتب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، ومعركة الإسلام والرأسمالية، والسلام العالمي والإسلام، ودراسات إسلامية.

[1]- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يُخاف منها، ح٦٤٩٣، ٢٤٠/٧.

[2]- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد د. الخالدي ص٤٧٣.

[3]- المرجع السابق ص٤٧٤.

[4]- المرجع نفسه ص٤٧٤.

[5]- المرجع نفسه ص٤٧٤.

[6]- انظر: مجلة منار الهدى ص١٤، عدد ٩ محرم ١٤١٤هـ، نصيحة لعامة المسلمين شبكة المعلومات (www.aicp.de)

- **القسم الثالث**: الكتب الفكرية التي ألفها الشهيد -رحمه الله- في سجنه، وتعتبر تحولاً كبيراً في فهمه للإسلام، والقرآن، والدعوة، والمواجهة، والجهاد، وهي أربعة كتب: هذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، والإسلام، ومشكلات الحضارة، وخصائص التصور الإسلامي.
- **القسم الرابع**: الكتب القرآنية الدعوية الحركية، وفيها فسر القرآن تفسيراً حركياً تربوياً، وهما كتابان: في ظلال القرآن، ومعالم في الطريق.
- **القسم الخامس**: كتابه الذي ختم به تصانيفه، وهو الذي ألفه بعد سجنه الثاني عام ١٩٦٥م وقبيل استشهاده وهو كتاب (مقومات التصور الإسلامي)، والذي طبع بعد استشهاد صاحبه بعشرين سنة[١].

وأي ناقد منصف لهذه الكتب بمجموعها دون استثناء يعلم أنها من أجمل وأروع ما كتب في الفكر الإسلامي المعاصر، من حيث طريقة الكتابة، وأسلوب العرض الشائق، والأفكار الصحيحة الخالية من أي انزلاق عقائدي أو فكري؛ بل يضاف إلى الكم المعرفي الغزير لدى الشهيد -رحمه الله- ما فتح الله عليه من فنٍ جديد في كتاباته وهو فن التصوير الجمالي لألفاظ القرآن الكريم؛ حيث إن الله منحه قدرة للتعبير عن مكنونات الألفاظ القرآنية واكتشاف الكنوز القرآنية الجمالية البيانية وهو ما وضعه في كتابه (التصوير الفني في القرآن)[٢].

فهذا يظهر أن كتابات الأستاذ الشهيد تدور ما بين إظهار الجانب الإعجازي البلاغي البياني للقرآن، وما بين العمل على إصلاح الفرد والمجتمع للعود الأحمد إلى النبع الصافي الكتاب والسنة، لتحكيم شرعة الله على هذه البسيطة، فيكون تحذير الأحباش من كتاباته في غير موضعها، لأنه لا يعتمد على منهجية علمية، بل يعتمد على الأمزجة والأهواء لديهم.

وأما أن يكون التحذير من كتابات الأستاذ الشهيد بسبب انحرافه في المعتقدات، وهذا أمر معلوم الفساد، لأن سيد قطب -رحمه الله- صاحب منهج سلفي في العقيدة، وتظهر عقيدة الأستاذ سيد قطب في كتابه (مقومات التصور الإسلامي)، وفيه يتحدث عن حقيقة الألوهية وأنها الحقيقة الأولى الكبرى الأساسية، والحقيقة الفاعلة العميقة، في التصور الإسلامي. وفي ظل عرض حقيقة الألوهية يرى سيد قطب -رحمه الله- أن الإنسان لا يمكن أن يكون شيئاً في واقع الأرض إلا إذا امتلأ كيانه كله بحقيقة الألوهية، عند ذلك يقوم بواجبه في خلافة الأرض، والصبر على عقبات الطريق، ومواجهة أعداء الله، وإنشاء الواقع الإسلامي الذي يريده الله[٣].

---

[١]- انظر: سيد قطب الأديب الناقد د. الخالدي ص٣٦١-٣٦٢.

[٢]- انظر: المرجع السابق ص٣٦٢.

[٣]- انظر: مقومات التصور الإسلامي سيد قطب ص١٨٧-١٨٨، الناشر: دار الشروق، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

ويبين سيد قطب -رحمه الله- حقيقة التوحيد بقولـه: "إن معرفـة الله -سبحانه- في التصور الإسلامي تبدأ من نبذ كل الصور التي انبثقت ابتداء من تصورات البشر، وأوهامهم عن ذات الله -سبحانه- وصفاته، لتستقى مباشرة من تعريف الله لعباده بذاته وصفاته، وخصائصه وأفعاله، وكيفيات أفعاله، وهي تُتلقى من هذا المصدر وحده، ولا تتلقى من مصدر آخر غيره ... والله سبحانه ليس كمثله شيء مما خلق على الإطلاق، ولا يملك الخيال البشري -مهما اجتهد- أن يعثر على شبيه له في صورة أو حال ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]، ﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى**﴾ [النحل:٦٠]، ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ**﴾ [النحل:٧٤]، ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ [الأعراف:١٨٠]، وبتحكيم هذه النصوص الجازمة تسقط كل التصورات التي جاءت بها الوثنيات"[١].

ويتحدث في موضع آخر عن حقيقة التوحيد من خلال المنهج القرآني فيقول: "التركيز في المنهج القرآني ابتداء على التوحيد لأعلى الوجود .. توحيد الذات الإلهية .. فالله سبحانه ذات واحدة لا تتعدد، ولا تتبعض، ولا تندمج معها ذوات أخرى، ولا تتلبس بها في صورة من صور الاندماج أو التلبس .. هذه الذات الواحدة متصفة بصفات تتفرد بها كذلك فلا يشاركها فيها أحد .. ومن وحدانية الذات وتفردها بهذه الصفات تتضح وحدانية الفاعلية والتأثير والتدبير، ووحدانية الهيمنة والسلطان في الدنيا وفي الآخرة سواء ... ويبلغ المنهج القرآني في التعريف بحقيقة الألوهية على هذا النحو، وشمول هذا التعريف ودقته ووضوحه ما لا يبلغه منهج آخر على الإطلاق .. أن الله سبحانه ذات واحدة متفردة الصفات لا نظير لها ولا شبيه"[٢].

وبعد عرض هذه النماذج التي تظهر معتقد الرجل -رحمه الله- يتبين مما لا خلاف فيه أن الشهيد سيد قطب -رحمه الله- سلفي المنهج والاعتقاد، والتحذير منه ومن كتاباته إنما هو تحذير من منهج السلف الصالح، لأنه -رحمه الله- لا يمثل نفسه فيما يكتب إنما يصول ويجول بقلمه في التراث الإسلامي وفق ما سار عليه السلف الصالح، وبهذا تسقط الاتهامات التي وجهت للأستاذ الشهيد -رحمه الله- من الحبشي وتلاميذه.

---

[١]- مقومات التصور الإسلامي سيد قطب ص١٩٧.

[٢]- المصدر السابق ص٢٣٩.

المبحث الرابع: موقفهم من الشيخ أبي الأعلى المودودي[1]:

الأحباش لم يوفروا جهداً في التشنيع على العلماء العاملين في العصر الحالي، وذلك من خلال التقليل من شأنهم، أو تصيد الأخطاء لهم، أو إثارة الشبهات حولهم، ليحذر الناس منهم وبالتالي من دعوتهم ويبتعدوا عنهم؛ فالأحباش يعتبرون الشيخ أبا الأعلى المودودي رمزاً للتطرف والإرهاب، وذلك يظهر من خلال تشنيعهم على الدكتور يوسف القرضاوي حيث يرون أن من مثالبه مدحه للعلماء أمثال أبي الأعلى المودودي فيقولون: "نرى في أغلب كتب القرضاوي مدحه لزعماء التطرف والإرهاب أمثال ... أبي الأعلى المودودي"[2].

وللرد على الأحباش في مزاعمهم ضد الشيخ أبي الأعلى المودودي لا بد من معرفة التربية التي تلقاها منذ صغره حيث إن الشيخ المودودي نشأ في بيئة دينية محافظة، كان لها الأثر العظيم في نشأته، وتكوين شخصيته، فاشتهر منذ صغره بالذكاء وقوة الملاحظة، وسرعة البديهة والفهم.

وكان والده من العلماء الصالحين الذين امتهنوا مهنة المحاماة والدفاع عن المظلومين، فعني بتربية ولده وتثقيفه، فبدأ بتعليمه القرآن الكريم واللغتين العربية والفارسية، والفقه والحديث، ولم تمض سنوات حتى كان أبو الأعلى المودودي الفتى الصغير قد حصل من العلوم في خمس سنوات ما لم يحصله نظراؤه من الأطفال، واستمر معه والده على النهج نفسه في تعليمه وتوجيهه حتى استوى يافعاً، فألحقه بالمدرسة الثانوية حتى أنهى التعليم

---

[1]- **أبو الأعلى المودودي**: ولد المودودي في الثالث من شهر رجب عام ١٣٢١هـ، الموافق الخامس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩٠٣م، في مدينة (أورنك آباد) إحدى مدن ولاية حيدر آباد، ولقد نشأ المودودي في أسرة متدينة، مستورة الحال من الناحية المادية، وتوفي أبوه وهو في السادسة عشرة، فعمل في الصحافة لضيق الحال، ولكنه استمر في طلب العلم، وتأثر بما حوله من أحداث حتى مَنّ الله عليه بتأسيس الجماعة الإسلامية، ومن خلال هذه الجماعة عمل من أجل رفعة دينه، ونال من الابتلاءات والمحن ما ينال الدعاة الصادقين، واستمر على هذه الحال، حتى توفاه الله في يوم السبت أول ذي القعدة سنة ١٣٩٩هـ، ومن أشهر مصنفاته: الجهاد في سبيل الله، الإسلام والجاهلية وغيرها الكثير من الكتب. انظر: مجلة الجامعة الإسلامية ص٢٢٩-٢٣٢، العدد الأول من السنة الثانية عشرة من رمضان ١٣٩٩هـ مقال بعنوان (أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية)، مجلة الأزهر تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ص١٣١٧-١٣١٩، الجزء ٩ رمضان ١٤٠٢هـ- يوليو ١٩٨٢م، علماء ومفكرون عرفتهم محمد المجذوب ٥/٢-١٨، الناشر: دار الاعتصام، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[2]- نصيحة لعامة المسلمين -القرضاوي في ميزان الشريعة- (www.aicp.de)

الثانوي. وبهذا تم للمودودي ما أراده والده من قوة إيمانه وثباته على الدين، وتمسكه بالأخلاق الحميدة والشمائل الكريمة[1].

وعن التزام أبي الأعلى المودودي بتعاليم الدين يظهر من خلال أقواله، فيعبر عن ذلك بقوله: "يمكن لآرائي أن تتغير طبقاً للأدلة العلمية والعقلية، إلا أن إيماني وضميري ليس بالشيء القابل للبيع"[2].

وعندما اختير أميراً للجماعة الإسلامية بالإجماع ألقى فيهم الخطاب التالي: "أنا لست أكثركم علماً، ولا أكثركم تقوى، ولست بأفضلكم من أي ناحية من النواحي، وعلى كل حال حين اخترتموني لهذا العمل العظيم، وأظهرتم اعتمادكم عليّ، فإنني لا أملك إلا أن أتوجه بالدعاء إلى الله عز وجل أن يعطيني القوة للاطلاع بهذه المسئولية ...، ولي عليكم حق وهو أن تتبعوني طالما كنت أسير على طريق الصواب، ولن أحيد أبداً -إن شاء الله- عن طريق كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وطريق الخلفاء الراشدين"[3].

إن الفترة التي كان يعيش فيها الإمام المودودي فترة تموج بأحداث خطيرة بعد الحرب العالمية الأولى، وما تلاها من أحداث جسام في العالم الإسلامي، حيث كان الإنجليز يحكمون الهند حكماً استعمارياً غاشماً، وكان يعاني المسلمون من هذا الاحتلال الإنجليزي الذي كان يقابله دعم وتأييد للطائفة الهندوسية في الهند من قبلهم، وسقوط الخلافة الإسلامية سنة ١٣٤٢هـ، ودعوة رؤساء الهندوس المسلمين للانضواء تحت لواء القومية الهندوسية المدعومة من الإنجليز، وإثارة الشبهات حول الخلافة الإسلامية، فأدى ذلك إلى دفع الإمام المودودي للرد على هذه الافتراءات والشبهات، فألف كتاباً سماه (الجهاد في سبيل الله)، ولم يتجاوز المودودي الخامسة والعشرين، ثم توجه إلى العمل في الصحافة من خلال إصداره مجلة (ترجمان القرآن) وجعلها منبراً إسلامياً خالصاً يدافع عن الإسلام، ويرد على شبهات الحاقدين ويفندها ويبين هزالها وعدم صحتها، وأشترك في مجلة (تاج)، وشارك أيضاً في

---

[1] - انظر: علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٦/٢-٨، أبو الأعلى المودودي ومنهاجه في الإصلاح والدعوة إعداد صالح حسين الرقب ص٨٧-٨٨ (مخطوط) سنة ١٤٠٢هـ-١٤٠٣هـ، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص٢٢٩، العدد الأول من السنة الثانية عشرة رمضان ١٣٩٩هـ.

[2] - أبو الأعلى المودودي فكرته ودعوته أسعد جيلاني ص١١٢-١١٣، ترجمة: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر: مطبعة المكتبة العلمية، لاهور، سنة ١٣٩٨هـ.

[3] - المرجع السابق ص٤٦.

جريدة (مسلم)[1]؛ وهذا العمل الذي كان يقوم به الإمام المودودي يمثل جانباً من جهاده وبلائه ضد أعداء هذا الدين.

ولكن الجهاد بالقلم لم يشبع رغبة الإمام المودودي، ولم يكن على المستوى المطلوب أمام التحديات التي كان يحياها، فانتقل من جهاده باللسان والقلم إلى جهاده العملي الحقيقي فقام بتكوين جماعة إسلامية، لتقوم بتطبيق ما دعا إليه من آراء نظرية في مجال التشريع الإسلامي[2]، وكان يهدف من وراء ذلك إلى الوصول إلى تطبيق شرع الله -سبحانه وتعالى-، وبالتالي فإن هناك مراحل خاضها الإمام المودودي -رحمه الله- من أجل تطبيق شرع الله:

أولاً: إعداد الدستور الإسلامي:

قام المودودي بإعداد الخطوط العريضة للدستور الإسلامي الذي يجب على الدولة المسلمة أن تسير عليه، وقد أعلن المودودي عن هذا الدستور أمام أعضاء الجماعة الإسلامية أثناء إحدى الحملات الانتخابية.

وأرادت الحكومة الباكستانية أن تعرقل قضية الدستور فدعت العلماء من مختلفي النزعات من سنة وشيعة وغيرهم، لوضع الدستور وهي تعلم أن اجتماع كلمة العلماء على رأي في هذا الأمر بعيد المنال، فأرادت أن تظهر بمظهر المؤيد للإسلام في حين أنها تعلم أن ذلك لا يتم، ولكنها تريد أن تحمل مسئولية تعطيل الدستور للعلماء، ولكن الله خيب ظن الحكومة حين اجتمع مجموعة من العلماء لمواجهة تحدي الحكومة، ووضع المبادئ الأساسية للدولة الإسلامية، ولقد شارك المودودي بجهد مبارك في هذا الاجتماع، إذ قدم للعلماء مجموعة من المبادئ العامة للدستور الإسلامي، فوافقوا عليها بالإجماع بعد أن أدخلوا عليها بعض التعديلات البسيطة[3].

ثانياً: تصدي الإمام المودودي للحكومات التي تعرقل الدستور الإسلامي:

بعد خروج المودودي -رحمه الله- من السجن في مايو ١٩٥٠م، قام بعقد المؤتمرات والاجتماعات الشعبية، ثم قاد المودودي حركة شعبية واسعة للضغط على الحكومة وإجبارها

---

[1] - انظر: مجلة الجامعة الإسلامية ص٢٢٩-٢٣٠، العدد الأول رمضان ١٣٩٩هـ، مقال بعنوان (أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية للشيخ: محمد شريف الزئبق)، علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٢/٨-٩.

[2] - انظر: مجلة الأزهر ص١٣١٨، الجزء ٩ رمضان ١٤٠٢هـ- يوليو ١٩٨٢م، مقال بعنوان (أبو الأعلى المودودي)، علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٢/١٤-١٦.

[3] - أبو الأعلى المودودي للرقب ص١٣٣-١٣٤ بتصرف (مخطوط).

على وضع الدستور. ونتيجة لجهود الإمام المودودي أوعزت الحكومة لمجلسها التشـــريعي أن يقدم توصياته بشأن الدستور وذلك في سبتمبر ١٩٥٠م، ولما كانت التوصـــيات التـــي قـــدمها المجلس التشريعي منافية في كثير من بنودها للشريعة الإسلامية، قام المودودي بانتقادها وبيان عيوبها في اجتماع شعبي، مما اضطر الحكومة إلى سحب التوصيات[١].

ثالثاً: المطالبة بالدستور الإسلامي:

من المعلوم أن دولة باكستان قد قامت باسم الإسلام، وأن المسلمين قد بـــذلوا أرواحهـــم، ودماءهم من أجل ذلك. ولكن لما قامت دولة باكستان بدأ الحكام والقادة يتنكرون للشعب المسلم في باكستان، وأرادوا أن تكون الدولة علمانية، وفطن الإمـــام المـــودودي لسياســـة الحكومـــة وأعمالها، وقام بنشاط واسع شمل أنحاء البلاد من أجل المطالبة بإقامة شرع الله وتنفيـــذه فـــي واقع الحياة، فعقد الندوات وألقى المحاضرات؛ وشمل نشاط المـــودودي -رحمـــه الله- الفئـــة المثقفة، وخاصة الذين لديهم صلة بدراسة القوانين الوضعية والنظم مـــن المحـــامين والقضـــاة وأساتذة وطلاب كلية الحقوق بلاهور، حيث اجتمع مع هؤلاء، وأخـــذ يشـــرح لهـــم النظـــام الإسلامي وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان[٢].

وبعد هذا العرض الموجز لمعالم حياة الإمام المودودي، يمكن إجمال أهم أعماله فيما يلي:

١- "مجابهة الجاهلية، وبيان آثارها الفاسدة في المجتمع الإسلامي المعاصر، فأوضح مضارها على الجانب الفكري والجانب الاجتماعي، والجانب الخلقي، وانتقد المتعصـــبين للمـــذاهب الفقهية، وانتقد دعاة الاجتهاد المطلق، ودعاة التحرر من الدين، ومنكـــري حجيـــة الســـنة، وآثار بكتاباته وخطبه همّ العلماء الواقفين عند التراث القديم.

٢- بيان العقيدة الإسلامية من مصادرها الأساسية: الكتاب والسنة، فشرح مبادئ العقيدة، وبين التصور الإسلامي الصحيح للكون والإنسان والحياة، وشرح العبادات الإسلامية، وشـــرح جوانب الإسلام الخلقية والسلوكية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٣- قام ببيان دور الإسلام في حل مشكلات الحياة الإنسانية قديماً وحـــديثاً، وبيـــان مميـــزات الحضارة الإسلامية وفضلها على الإنسانية، وانتقد الحضارة الغربية وما تشتمل عليه مـــن نظريات وفلسفات باطلة، وأفكار زائفة من شأنها تقويض الإيمان فـــي نفـــوس المســـلمين المتأثرين بها. وعَرّف المودودي المسلمين على الطريق المناسب لإقامـــة ديـــن الله علـــى

١- أبو الأعلى المودودي للرقب ص١٣٤-١٣٥ بتصرف.

٢- المرجع السابق ص١٣٦ بتصرف.

منهج السلف. وبين لهم المحاولات التي بذلت من قبل لإقامته في واقع الناس، وأخيراً دعا المودودي الناس إلى تطبيق الإسلام في حياتهم، وطالبهم أن ينقضوا على أنفسهم الجاهلية التي سيطرت على حياتهم أمداً ليس بالقصير"[1]. وبالتالي من قام بمثل هذه الأعمال، وضحى من أجل رفعة دين الله، وتحمل الابتلاءات، لا يجوز أن يلقب بالمتطرف والإرهابي، كما يفعل أعداء الله من يهود ونصارى ومن ولاهم يُسمون الدعاة بالمتطرفين، وذلك لصد الناس عن دعوتهم وإبعادهم عن طريق الله؛ وخاصة أن منهج الإمام المودودي منهج سلمي أخذ به وجماعته، وعندما واجه القوى الشريرة حيث واجههم بالتظاهرات السلمية[2].

وبالتالي فإن كل من يحط من شأن الإمام المودودي لا بد أن يعلم أن مكانة الإمام المودودي إنما بناها إخلاصه للحق، وما فتح الله عليه من العلم الذي قدم به الحلول لمشكلات الإنسان في هذا العصر؛ والإمام المودودي من المتضامنين من أجل إعلاء كلمة الله بشتى السبل حتى أن المملكة العربية السعودية منحته جائزة الملك فيصل، فقام بتحويل الجائزة بأسرها إلى حساب الجماعة الإسلامية لتنفقها في خدمة الدعوة إلى حقائق الإسلام[3].

---

[1] - أبو الأعلى المودودي للرقب ص٢٧٧-٢٧٨.

[2] - انظر: علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ١٨/٢.

[3] - انظر: المرجع السابق ٣٣/٢.

المبحث الخامس: موقفهم من الشيخ الألباني[1]:

يتهم الحبشي الشيخ الألباني بمخالفة العلماء والشذوذ عنهم، فيقول في تعليقه على قصة توسل الأعمى بالرسول -صلى الله عليه وسلم-: "وهذا من الألباني خروج على أهل الحديث كعادته"[2]، وعلى هذا النهج سار تلاميذ الحبشي فقد جاء في أحد كتبهم (تبيين ضلالات الألباني) حيث مُلئ هذا الكتاب باتهامات واستخفاف بالشيخ الألباني -رحمه الله-، فمما جاء فيه قولهم: "فقد كثر المبطلون والمفترون وأدعياء العلم الذين يغشون الناس في دينهم ويبيعون الآخرة رجاء دراهم قليلة، فصاروا يتصدون للتدريس والتأليف والفتوى، ويتكلمون في الدين برأيهم وهواهم ويضعون القرآن في غير محله لنصرة مذهبهم الفاسد الذي حول عقيدة التشبيه والتجسيم ومخالفة السلف والخلف، ويتهجمون على حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيُضعفون ما يخالف عقيدتهم، ويخرقون إجماع الأمة المحمدية، ويتطاولون على صحابة رسول الله، والسلف الصالح، وعلماء الأمة الأجلاء من أشاعرة وماتريدية شافعية كانوا أو حنفية أو مالكية أو من فضلاء الحنابلة، فهذا لا شك طبع الجاهل، وسلاح المفلس العاجز. ومن هؤلاء رجل نسب نفسه للعلم والعلماء والحديث والمحدثين زوراً وبهتاناً، فأطلق لسانه وقلمه فيما ذكرنا وعمد من خلال فتاويه إلى زرع الفتنة والفرقة، وبث الحقد والعداوة والبغضاء بين المسلمين، إنه الساعاتي المدعو (ناصر الدين الألباني)"[3].

ويصفه الأحباش بالوقاحة فيقولوا: "فما هذه الجرأة والوقاحة التي يتحلى بها هذا الرجل"[4]، بل ويرى الأحباش أن من معايب الألباني: "لمزه لمن يخالفه بالابتداع فهو ومن كان معه على زعمه سني يستحق الجنة، ومن خالفه فهو مبتدع يستحق النار، وقصده بهذا

---

[1]- **الشيخ الألباني**: هو محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح نجاتي أبو عبد الرحمن الألباني، أحد أبرز علماء العصر الذين سلكوا طريقاً يلتمسون فيه العلم وخدمة المتعلمين والمتفقهين في هذا الدين، وتمييز الحديث الشريف وتنقيحه، وتخريج الأحاديث التي اختلطت، وجمعها، وتدوينها، ولد في مدينة أشقودرة الألبانية سنة ١٩١٤م، توفي يوم السبت في الثاني من تشرين أول لسنة ١٩٩٩م، الموافق ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ وله الكثير من المصنفات أشهرها: سلسلة الأحاديث الصحيحة، وقد خرّج فيه ثلاثة آلاف حديث، سلسلة الأحاديث الضعيفة وخرّج فيه ألفين وخمسمائة حديث، التعليقات والتخريجات لكتاب التوحيد، مختصر صحيح مسلم،ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل،حجاب المرأة في الكتاب والسنة.انظر:علماء ومفكرون عرفتهم محمد المجذوب ٢٨٧/١-٢٩٩،مجلة المنبر ص٥٥-٥٨،العدد الحادي والعشرين، شعبان ١٤٢٠هـ- نوفمبر ١٩٩٩م، مقال بعنوان (تأملات في حياة محدث العصر العلامة ناصر الدين الألباني).

[2]- إظهار العقيدة السنية للحبشي ص٣٣٧.

[3]- تبيين ضلالات الألباني جمع بعض تلاميذ عبدالله الهرري (الحبشي) ص٤، الناشر: دار الاعتصام، بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

[4]- المصدر السابق ص٦.

الشهرة، ومراده أنه أوحد عصره، وأنه سبق معاصريه، وتفــوق علـــى متقدميـــه، وبالجملـــة فللألباني في فتاويه واستنباطاته بلايا وطامات، وسقطات عظيمة"[1].

بعد هذا العرض لموقف الأحباش من الشيخ الألبـــاني -رحمـــه الله-، تظهـــر العـــداوة واضحة وجلية من خلال الألفاظ المستخدمة في حق الشيخ بأنه من أدعياء العلم، ومـــن الـــذين يغشون الناس في دينهم، وأنه من الذين زرعوا الفتنة والحقد والعداوة والبغضاء بين المسلمين، ووصفه بالوقاحة، بل يتعدى الأمر هذه الألفاظ القاسية في حق الشيخ إلـــى وصـــف عقيدتـــه بالعقيدة الكفرية[2]؛ وهذه الاتهامات يلقيها الأحباش دون أي معيار علمي يســـتندوا إليـــه، بـــل بسبب التعصب المذهبي، لأن الشيخ الألباني من مخالفيهم في مذهبهم العقدي.

فاتهام الأحباش للشيخ الألباني أنه من أدعياء العلم، ومن الذين يغشون الناس في أمـــور دينهم، وأنه من الذين يتهجمون على حديث رسول الله -صلى الله عليـــه وســـلم- فهـــذا أمـــر مردود عليهم بما له من تصانيف علمية ذات منهج معتمد، تشهد للرجـــل بعلمـــه ومـــن هـــذه التصانيف: سلسلة الأحاديث الصحيحة، سلسلة الأحاديث الضعيفة، صفة صلاة النبي -صـــلى الله عليه وسلم-، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، حجة النبي -صلى الله عليه وســـلم-، حجاب المرأة المسلمة، نصب المجانيق في قصة الغرانيق، منزلة السنة في الإســـلام، وجـــوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة، فهرس المخطوطات بالمكتبة الظاهرية.

من التصانيف المعد للطبع: الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، مختصـــر صـــحيح البخاري، قاموس البدع، حجة الوداع، مختصر العلو للذهبي، الرد على ابن حزم فـــي حـــديث المعازف، الروض النضير في ترتيب معجم الطبراني الصغير.

وبعض المطبوع من تحقيقاته: تحقيق الجامع الصغير وزياداته -صحيح الجـــامع-، ضـــعيف الجامع الصغير، مشكاة المصابيح، شرح الطحاوية في العقيدة، مختصر كتاب الإيمان لابـــن تيميـــة، مختصر صحيح مسلم للمنذري، كتاب العلم لأبي خيثمة، اقتصاد العلم العمل للخطيب، رســـالة فـــي الصيام لابن تيمية، المسح على الجور بين للقاسمي، صحيح ابن خزيمة -مع الأعظمي-.

وبعض المخطوطات التي حققها: التعليقات الجياد على زاد المعاد، تخريج أحاديث ســـنن أبي داود، الترغيب والترهيب للمنذري، الحج المبرور لعلوشي، الأحكام لعبد الحق الإشـــبيلي، السنة لابن أبي عاصم، ضعيف أبي داود[3].

---

[1]- الرد على الألباني إعداد قسم الأبحاث والدراسات ص١٦ (جزء من الرسائل الغماريـــة)، الناشـــر: دار المشاريع، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـــ-١٩٩٦م.

[2]- انظر: تبيين ضلالات الألباني لبعض تلاميذ الحبشي ص٤، ٢١.

[3]- انظر: علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ١/٣٠٧-٣٠٨.

وهذه التصانيف التي تم ذكرها من الكتب المعتمدة لدى أهل العلم، ويستأنس فيهـا فـي التأليف والتصنيف من قِبل طلاب العلم، حتى خصومه يستندون إليها؛ ويوافـق هـذا المعنـى الشيخ دمشقية فيقول: "ولا يزال الموافق والمخالف للألباني يستفيد من تخريجاته للحديث، وقد قام بعملية متميزة في فرز الصحيح من الضعيف وتربية أجيال تدعو إلـى التجـرد للحـديث، واتباع السنة، ونبذ التقليد الأعمى؛ بخلاف ذاك الذي يصحح الموضوع من الحديث ويطعن في الصحيح محاولة منه للتوفيق بين دين الإسلام ومخلفات أهـل الجـدل والكـلام والسفسـطة. والحاقدون عليه غاضبون لأنه ميز كتب السنن، وفصل الصحيح عن الضعيف، هكذا يغارون على الحديث الضعيف!"[١]، ومع هذا لا يعني أن الشيخ الألباني معصوم من الخطأ، أو الوقوع في الزلل، فيبقى الشيخ إنساناً معرضاً لهذا وذاك، ولكن ليس مجرد الخلاف مع شـخصٍ مـا يؤدي إلى هذا الحقد والضغينة لأن المسلم خيرّ بطبعه، يغفر زلات غيره، ويتغاضـى عنهـا، ويعمل على نصحه وإرشاده بأسلوب ليّن مقبول، بعيد عن الجرح، والسب، والقدح، وإظهـار المثالب، ونسيان الفضائل؛ وهذا يعني أن الاختلاف مع الآخرين، وخاصة ذوي الهيئات مـن أصحاب العلم، كالشيخ الألباني، لا بد من اختيار الألفاظ في التحاور معهـم، وعـدم التجـرؤ عليهم بفحش القول وبذيئه، والالتزام بآداب المحاورة والمناظرة.

وأما اتهام الأحباش للشيخ الألباني بأنه يتهجم على علماء الأمة، فهذا أمر فيه نظر حيـث إن الشيخ من الذين يعلمون فضل العلم وأهله، ولكنه بطبعه حاد، وأحياناً عنيف في مناقشـاته مع بعض العلماء، ولكنه لا يصل لدرجة التقليل من شأن العلماء، ووصفهم بألفاظ لا تليق بهم، ويقول الشيخ المجذوب موضحاً هذا المعنى: "ومع أن السمة الأساسية في أخلاق العلماء هـي الأناة، وطول النفس مع المخالفين، وفي الشيخ منها الكثير ولله الحمد، إلا أن في طبيعته إلـى ذلك لوناً من الشدة قد تبلغ أحياناً حد العنف حتى مع محبيه فضلاً عن مخالفيه .. وما لذلك من تعليل سوى شدة الثقة بنفسه، وبما توافر له من رؤية لما يعتقد أنه الحق. ومـن هنـا كانـت جرأته في النقد لكل اجتهاد يخالف ما ثبت لديه حتى ولو كان ذلك الاجتهاد صـادراً ممـن لا يكتم أثرهم وفضلهم"[٢].

ومع هذا فإن الشيخ نزال للحق يعود إليه عندما يعلم صحته، وهذا ما ظهر فـي بعـض كتاباته، فمثلاً: يقول في كتابه (صفة صلاة النبي -صلى الله عليـه وسـلم-): وهـو يحـاور العلامة التويجري في بعض تعقيباته على الكتاب يقول: وأرى مـن تمـام الشـكر -للشـيخ التويجري- أن أعترف بإصابته الحق فيها، وأني رجعت إلى رأيه في:

---

[١]- موسوعة أهل السنة لدمشقية ١١٨٦/٢.

[٢]- علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٢٩٧/١.

١- تفسير المأثم والمغرم.
٢- قوله في الصلاة إنها اعظم ركن من أركان الإسلام.
٣- تفسير جملة (والشر ليس إليك)[١].

وفي الكتاب نفسه يقول: "تبين لي أن الحديث ضعيف، وكنت اتبعت المناوي في تصحيح الإسناد، ثم تيسر لي الوقوف عليه"[٢]، وفي هذا يظهر منهج الشيخ -رحمه الله- أنه منهج علمي موضوعي، بعيد عن العصبية العمياء، وإن كان فيها نوع من الحدة غير المرغوب فيها بحق أصحاب الهيئات من رجال العلم.

وأما من الأمور العجيبة للأحباش في حق الشيخ الألباني -رحمه الله- أنهم يقللون من شأنه بقدر المستطاع، ومن الألفاظ التي استخدموها لهذا الشأن وصفه بالساعاتي، أي أنه امتهن تصليح الساعات، وهذا الأمر ليس بالعيب أو الأمر المستهجن في حق رجال العلم، فهذا الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- كان يمتهن التجارة والبيع في الأسواق[٣]، وهذا الإمام أحمد بن حنبل يتعلم عند أحد النساجين ويعاونه، ليكسب بعض الدراهم ليعتاش منها[٤]، وهذا الأمر لم يقلل من شأن أولئك الرجال، بل كانوا يمدحون من أجل ذلك بحيث إنهم لم يكونوا عالة على غيرهم، ويضاف إلى ذلك أن الشيخ اعتبر تعلم مهنة تصليح الساعات نعمة من الله عليه، يشكر الله عليها فيقول: "إن نعم الله عليّ كثيرة لا أحصي لها عداً، لعل من أهمها اثنتين: هجرة والدي إلى الشام ثم تعليمه إياي مهنته في إصلاح الساعات. ... وأما الثانية: فقد قيضت لي فراغاً من الوقت أملؤه بطلب العلم، وأتاحت لي فرص التردد على المكتبة الظاهرية و غيرها ساعات من كل يوم. ولو أني لزمت صناعة النجارة -التي حاولت التدرب عليها أولاً- لالتهمت وقتي كله، وبالتالي لسدت بوجهي سبل العلم، الذي لا بد لطالبه من التفرغ"[٥]، وبهذا يظهر فضل هذه المهنة عليه في تعلمه -رحمه الله-.

وأما عن اتهامه للشيخ الألباني بأن مذهبه فاسد حيث حوى على عقيدة التشبيه والتجسيم ومخالفة السلف، ومن المآخذ على عقيدته -رحمه الله- أنه يعتقد أن الله في جهة -أي في

---

[١]- انظر: صفة صلاة النبي -صلى الله عليه وسلم- من التكبير إلى التسليم كأنك تراه محمد ناصر الدين الألباني ص٥-٦، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

[٢]- صفة صلاة النبي للألباني ص١٠ -الهامش-.

[٣]- انظر: أئمة الفقه التسعة لعبد الرحمن الشرقاوي ص٥٩، الناشر: العصر الحديث، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

[٤]- انظر: المرجع السابق ص١٩٤-١٩٥.

[٥]- علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٢٩٢/١-٢٩٣.

السماء- ويعترض على من يقول أن الله يُرى لا في جهة[1]، واعتقاده بأن الله متكلم بحرف وصوت، فيقولون في ذلك: "هاهو الألباني يصرح باعتقاد ليس له سلف فيه إلا الكرامية والمشبهة، وهما فرقتان من الفرق الضالة الذين انحرفوا عن عقيدة أهل السنة والجماعة، فيقول في كتابه المسمى (مختصر العلو) بأن الله متكلم بصوت وحرف، وما هذا الكلام إلا امتداد لعقيدة التشبيه التي يحملها وينسبها زوراً وبهتاناً إلى أئمة الحديث وإلى أهل السنة والجماعة، وهم بريئون منه، ومن عقيدته الكفرية، شأنه في ذلك شأن متبوعه إمام الضلالة أحمد بن تيمية الحراني"[2]، ويعترضون عليه لأنه ينفي التأويل الذي قال به الخلف، وحمل آيات القرآن والحديث على غير ظاهرها[3]، إلى غير ذلك من المسائل التي خالفوا فيها السلف، والتي تم مناقشتهم فيها في أثناء البحث، وهذه المسائل التي اعترضوا فيها على الشيخ الألباني واعتبروه من أصحاب العقائد الكفرية، هي نفسها التي شنعوا فيها على شيخ الإسلام، والإمام محمد بن عبد الوهاب، وتم مناقشتهم فيها، وبيان فساد قولهم وضعفه، حيث إن الله سبحانه وتعالى في السماء فوق العرش كما قال بذلك علماء السلف، وأن التوهمات التي يقول بها الأحباش ليس لها أصل وإنما هي من تهيؤاتهم، وأيضاً: أثبت علماء السلف أن الله تعالى متكلم بحرف وصوت، ولكن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين فإن الله سبحانه وتعالى ليس له شبيه، ولا مثيل في صفاته وأسمائه وأفعاله، وإن كان هناك تشابه في الألفاظ بين مسميات صفات الخالق، ومسميات صفات المخلوقين، وأيضاً ثبت فساد التأويل الذي ذهب إليه الخلف من صرف النصوص عن ظواهرها بحجة تنزيه الله -سبحانه وتعالى- عن المخلوقين.

وأما عن عقيدة الشيخ الألباني فهي عقيدة السلف الصالح، حيث يعمل على تنشئة جيل يستمد عقيدته من الكتاب والسنة وأن يُسلم لحكم الله ورسوله فيقول: "وأريد بالتربية تنشئة الجيل على العقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة، وأخص بالذكر تربية الصغار على العبادة ... ولا أنسى هنا تدريس التشريع الإسلامي، فالذي أراه أن يكون تدريس هذه المادة على أساس التسليم التام لأمر الله والثقة بحكمته، دون الاهتمام الكثير ببيان فوائدها المادية ... وفي ذلك تزويد لنفس الطالب بالمناعة من كل دس وتسميم. وأذكر هذه المناسبة بصلح الحديبية، وأهمية التسليم لحكم الله ورسوله"[4].

وفي كتابه (صفة صلاة النبي) على سبيل المثال، يبين الشيخ الألباني منهجه وهو التمسك بالسنة الصحيحة، وأن ذلك الأمر سوف لا يرضي بعض الطوائف والمذاهب لما فيه

---

[1]- انظر: تبيين ضلالات الألباني لبعض تلاميذ الحبشي ص١٠.

[2]- المصدر السابق ص٢١.

[3]- انظر: المصدر نفسه ص٢٦.

[4]- علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٣١١/١.

من تضعيف لمعتقداتهم، وبالتالي سيوجه إليه الكثير من ألسنة الطعن، وأقلام اللـوم، ويـذكر الشيخ أن هذا الطريق هو الذي أمر الله تعالى به، وبينه النبي محمد -صلى الله عليه وسـلم-، وسلكه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وفيهم الأئمة الأربعة الذين ينتمـي إليهم مذاهب جمهور المسلمين[1].

وبعد هذا العرض يتبين دون أدنى شك تسرع الأحباش في إطلاق الاتهامات فـي حـق الشيخ الألباني -رحمه الله-، وهذه الاتهامات مبنية على أصل الخلاف المذهبي والاعتقـادي للشيخ الألباني، وهذا أمر مخالف للمنهجية العلمية الموضوعية في النقاش، وإن كـان هنـاك خلاف يتم مناقشته بالحجج لا بالسباب وإطلاق الأحكام الكفرية في حق الخصـم، ولا يصـل الأمر إلى التكفير والإخراج من الملة وخاصة أن هناك نصوصاً لعلماء السلف اسـتند إليهـا الشيخ الألباني في المسائل الخلافية مع الأحباش، ومع ذلـك لا يوصـف الشـيخ الألبـاني بالعصمة من الخطأ، بل يعتبر أحد رجال العلم في العصر الحالي، يؤخذ منه، ويـرد عليـه، ولكن من خلال التعامل بأدب الحوار والمناظرة.

---

[1] - انظر: صفة صلاة النبي للألباني ص١٢-١٣.

المبحث السادس: موقفهم من الدكتور يوسف القرضاوي[1]:

يظهر موقف الأحباش من الدكتور القرضاوي من خلال كتاباتهم التي ينشرونها تحت مسميات مختلفة مثل: (النقض الكاوي لدعوى يوسف القرضاوي)، (نصيحة لعامة المسلمين - القرضاوي في ميزان الشريعة)، والذي يظهر من هذه العناوين أن الأحباش يشنون هجمات عنيفة على الدكتور يوسف القرضاوي، ويصفونه بأبشع الصفات حيث يجعلونه مُحرِّفاً، وصاحب أخطاء وهفوات كثيرة، فيقول خليل دربان -أحد تلاميذ الحبشي-: "وكأن صاحب الفتوى -أي الدكتور يوسف القرضاوي- قد غرّه سكوت أهل العلم عن فضح أخطائه وهفواته ... وغير ذلك من ضلالات في الأصول والفروع يندى لها الجبين"[2]، ويتحدث (دربان) بكل تهكم واستخفاف في حق الدكتور يوسف القرضاوي فيقول: "ولسنا أول من يردّ على أمثال هذا (الدكتور)"[3].

ويرى الأحباش أن الدكتور يوسف القرضاوي من الذين أفسدوا في الأرض وفتنوا العباد وأنه تميز بالوقاحة وقلة الحياء من الله، فيقولون: "ومن هؤلاء رجل أفسد في البلاد، وفتن العباد وهو الشيخ يوسف القرضاوي الذي دفعته وقاحته وقلة حيائه من الله، إلى الظهور على شاشات التلفزة الفضائية ليفتي بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان"[4].

ومن مآخذ الأحباش على الدكتور القرضاوي أنه مدح في معظم كتبه زعماء التطرف والإرهاب أمثال سيد قطب، وأبي الأعلى المودودي وابن عبد الوهاب وغيرهم من العلماء العاملين[5]، ويعلقون على ذلك بقولهم: "وهذا يشهد بفكر القرضاوي المتطرف مع كونه يدعي

---

[1] - **يوسف القرضاوي**: يوسف عبدالله القرضاوي (أبو محمد)، ولد عام ١٩٢٦م في قرية (صفط تراب) من توابع المحلة الكبرى في مصر، وحفظ القرآن في العاشرة، والتحق بالأزهر في كلية أصول الدين، ونال عدة شهادات، ثم التحق بقسم التفسير والحديث من كلية أصول الدين (الدراسات العليا) عام ١٩٦٠م ثم شرع في إعداد أطروحة الدكتوراه عن (الزكاة في الإسلام) حيث كان مقرراً أن ينتهي منها خلال سنتين إلا أنه اعتقل في السجون المصرية، فأخرت موعد إجازته حتى صيف ١٩٧٣م، ويعتبر الشيخ القرضاوي من أشهر الدعاة المعاصرين، وحالياً يقطن في دولة قطر، ويعمل أستاذاً في جامعتها، بالإضافة إلى ذلك يرأس مجموعة من النشاطات الدعوية والعلمية، ومن مصنفاته: العبادة في الإسلام، الحلال والحرام في الإسلام، الناس والحق وغيرها. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٤٦١/١-٤٦٥.

[2] - النقض الكاوي لدربان ص٤-٥.

[3] - المصدر السابق ص٤٧.

[4] - نصيحة لعامة المسلمين شبكة المعلومات www.aicp.de .

[5] - المصدر السابق www.aicp.de .

أنه داعية للوسطية والاعتدال بين الجماعات وميوله إلى هؤلاء واضح وصريح تكاد كتبه تنطق بذلك"[1].

وبهذا يظهر تحامل الأحباش على الدكتور القرضاوي، وحقدهم عليه، وموقفهم منه.

والملاحظ أن الأحباش يسيرون على منهجية واحدة في التعامل مع خصومهم وذلك من خلال توجيه الاتهامات إلى معتقداتهم، ووصفهم بأقذع الصفات وأبشعها، بالإضافة إلى التهكم والسخرية بالخصم والاستهزاء به وبعلمه، وهذا ما حصل مع الشيخ القرضاوي، حيث وصفه الأحباش بأنه مُحرِّف، وصاحب أخطاء وهفوات كثيرة، وأنه قد أصابه الغرور لسكوت العلماء عليه، وبالتالي فإن له ضلالات في الأصول والفروع، وهذا كله أدى به إلى الفساد في الأرض، وفتنة العباد، بل تعدى الأمر إلى شتمه ووصفه بالوقاحة وعدم الحياء من الله[2]، ولا شك أن هذه الاتهامات تدل على عدم الموضوعية في النقاش من جهة، ومن جهة تدل على الفجور في الخصومة، وأن ذلك بعيد عن روح التسامح والتماس الأعذار للغير، وليس فيه إنصاف للخصم من حيث إبراز محاسنه ولو كان الطرف الثاني هو الخصم.

فيقال للأحباش ما الدليل على أن الشيخ القرضاوي مُحرِّف؟؟ وما الأخطاء والهفوات الكثيرة التي جعلتكم توجهون له هذه الاتهامات دون ضابط؟؟ وما ضلالات الشيخ القرضاوي في الأصول؟؟ هل يقصد بذلك أنه وصف الله بما وصف به نفسه دون تحريف، أو تشبيه، أو تعطيل، أو تكييف فهذا هو منهج السلف، أم أنه انتقد الزيارة البدعية للقبور من توسل بالأموات والاستغاثة بهم، وأيضاً هذا هو طريق السلف؛ ومع هذا فإن السلف يثبتون العصمة للأنبياء من البشر دون غيرهم، فإن أخطأ الدكتور القرضاوي في مسألة ما -وهذا جائز في حقه- يُناقش في ذلك ويُراجع، وخاصة لأن العلم عبارة عن رحم موصول بين أهله لا يقطع لمجرد خطأ أو زلل وقع فيه الإنسان دون قصد، أو حتى بقصد دون الإصرار عليه.

بل إن الشيخ القرضاوي بين وجهة نظره في مسألة التساهل أي تسهيل أمر الدين على الناس ويكون ذلك في الفروع لا في الأصول فيقول: "والتساهل الذي أعنيه هو التساهل في الفروع والوسائل، لا في الأصول والأهداف"[3].

وأما وصف القرضاوي بأنه يفسد في الأرض، ويفتن العباد فهذا قول مردود بما على أرض الواقع، حيث إن الشيخ القرضاوي من الدعاة العاملين الذين يعملون على توحيد الصف

---

[1]- نصيحة لعامة المسلمين شبكة المعلومات www.aicp.de .

[2]- انظر: النقض الكاوي لدريان ص٤-٥، ٤٧، نصيحة لعامة المسلمين -شبكة المعلومات- www.aicp.de .

[3]- علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٤٨٧/١.

الإسلامي، ويدعو إلى وضع المسائل الخلافية جانباً، لئلا تؤدي إلى إضعاف الصف الإسلامي في مرحلة تجمعت قوى الكفر كلها من يهودية ماكرة، وصليبية حاقدة، وأفكار كفرية ضالة ضد الإسلام وأهله، فهل هذا الفعل من الإفساد في الأرض، ونشر الفتنة بين العباد؟؟!.

وأيضاً ما يلقاه الدكتور القرضاوي من ثقة ومحبة من المسلمين لتؤكد على صحة منهجه وعدم فساده،وإن كان لكل إنسان أخطاء، فتندرج تحت الخطأ البشري غير المعصوم أحد منه.

وأما وصف الدكتور القرضاوي بالوقاحة وقلة الحياء مع الله، فهذا التعدي ليس من الأدب في شيء، فإنه لا يصح بأي حالٍ من الأحوال التعامل مع الخصم من خلال الجرح والقدح في شخصه، بل إن الشرع نفى أن يكون المسلم بالطعان أو اللعان أو الفاحش أو البذيء، فلهذا لا بد من الاعتدال عند التحاور، وعدم الانجرار وراء العاطفة، والخروج عن المنهجية العلمية في النقاش؟!.

وأما عن ذم الأحباش للدكتور القرضاوي بسبب مدحه للعلماء العاملين، الذين يسميهم الأحباش زعماء التطرف والإرهاب، أمثال: الشهيد سيد قطب -رحمه الله-، وأبو الأعلى المودودي -رحمه الله-، والإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وغيرهم[1]، وهذا تجنٍ على الشيخ القرضاوي وعلى العلماء العاملين -رحمهم الله-، فهذه الاتهامات لهم بأنهم زعماء التطرف والإرهاب، إنما صدرت من أعداء هذا الدين، وذلك ليصدوا الناس عن دعوتهم، وليضعوا الحواجز والعقبات أمامهم ليبتعد الناس عنهم، وعندما فعل ذلك أعداء الدين كان لهم هدف واضح هو الصد عن سبيل الله، ولكن يقال للأحباش أنكم تقولون عن أنفسكم أنكم دعاة إلى الله!! فكيف يمكن التوفيق بين كونكم دعاة إلى الله، وبين إطلاقكم هذه الاتهامات الشنيعة في حق علماء المسلمين -رحمهم الله-؟!.

ولبيان تهافت الادعاءات في حق الدكتور القرضاوي لابد من الاطلاع على بعض جوانب شخصيته، وما يتصل بها من أحداث أثرت فيه:

- لا بد من معرفة أن هناك مجموعة من المؤثرات أثرت في شخصيته وصقلته، وجعلته قوي الشكيمة، يستطيع أن يتحمل أعباء الحياة بمشيئة الله سبحانه وتعالى، حيث كانت بداية نشأته العلمية على مائدة القرآن حيث حفظ كتاب الله سبحانه وتعالى، وتربى ببيت متمسكٍ بدينه فساعده على الالتزام بالدين منذ صغره، وتأثر فيما بعد بالإمام الشهيد حسن البنا: حيث يقول القرضاوي: "إن أعظم الشخصيات أثراً في حياتي الفكرية والروحية هي شخصية الشهيد العظيم حسن البنا، مؤسس كبرى الحركات الإسلامية الحديثة .."[2].

---

[1]- انظر: نصيحة لعامة المسلمين -شبكة المعلومات- www.aicp.de .

[2]- علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٤٦٦/١.

- أما عن ثقافته وعلمه فيقول: "وأنا الآن أقرأ في كل العلوم الإسلامية تفسيراً، وحديثاً، وفقهاً، وأصولاً، وتوحيداً، وتاريخاً، وتصوفاً، وأخلاقاً، وقد ظن بعض الناس -لاشتغالي بالنواحي الفقهية والأصولية- أنني خريج كلية الشريعة، والواقع أنني ابن أصول الدين، ولكن نزعة التحرر من التقليد والعصبية جعلتني أهتم بفقه الكتاب والسنة، وأعنى بالموازنة بين الأقوال والمذاهب، وأرجع إلى أصول الأدلة، وبخاصة أني اشتغلت بالفتوى من زمن غير قليل تحريراً ومشافهةً"[1]، وهذه الثقافة لدى الشيخ يوسف القرضاوي دفعته إلى التأليف والتصنيف ومن أشهر ما كتبه:

الحلال والحرام في الإسلام، العبادة في الإسلام، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، الناس والحق، الإيمان والحياة، فقه الزكاة، عالم وطاغية، درس النكبة الثانية، شريعة الإسلام، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، الخصائص العامة للإسلام، قضية التكفير بين الغلو والتقصير، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، شبهات المرتابين والمشككين في الحل الإسلامي، أعداء الحل الإسلامي، الصبر في القرآن، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، إلى غير ذلك من التصانيف للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي[2].

والشيخ القرضاوي يعتبر من العلماء العاملين حيث لاقى من الابتلاءات والمحن ما لاقى حيث اعتقل عدة مرات بسبب نشاطه من أجل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، فيقول عن ذلك: "وقد أدى انتمائي إلى دعوة الإخوان المسلمين إلى اعتقالي عدة مرات. أولها: اعتقالي سنة ١٩٤٩م نحو عشرة أشهر في عهد الملك فاروق، وقد كنت طالباً في السنة الخامسة الثانوية ...، ثم كان اعتقالي في ٢ يناير ١٩٥٤م لمدة شهرين ونصف في عهد الثورة، ثم في نوفمبر ١٩٥٤م لمدة عشرين شهراً تقريباً، ثم في يونيو ١٩٦٢م نحو خمسين يوماً قضيتها في سجن انفرادي في مبنى مخابرات الثورة"[3]، ويبين الدكتور القرضاوي الأحداث الرهيبة التي عاشها في فترة اعتقاله وخاصة الأيام التي قضاها في السجن الحربي خلال محنة ١٩٥٤م، فسطر قصيدة أسماها (النونية) والتي قال في خواتيمها متحدياً جبروت الطغاة:

ضع في يدي القيد، ألهب أضلعي	**بالسوط، ضع عنقي على السكين**
لن تستطيع حصار فكري ساعة	**أو نزع إيماني ونور يقيني**
فالنور في قلبي، وقلبي في يَدَيْ	**ربي، وربي ناصري ومعيني**
سأعيش معتصماً بحبل عقيدتي	**وأموت مبتسماً، ليحيا ديني**[4]

[1]- علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٤٧٠/١.

[2]- انظر: المرجع السابق ٤٧٦/١-٤٧٧.

[3]- المرجع نفسه ٤٧٢/١-٤٧٣.

[4]- انظر: المرجع نفسه ٤٨٢/١.

ولمعرفة طبيعة معتقد الشيخ القرضاوي، وفكره الدعوي ويوجد ذلك في وصاياه للعلماء المعاصرين التي يجب أن يأخذوا بها، ليعود الإسلام إلى الحياة منها:

١- أن يكون ولاؤهم لله سبحانه، ولدينه وحده، لا لقومية، ولا لوطنية، ولا لأنظمة، ولا لأحزاب، ولا لأشخاص إلا بمقدار اتصالها بالإسلام وقربها منه.
٢- أن يجعلوا مستندهم في كل قضية الرجوع إلى كتاب الله، وما صح من سنة رسول الله، مهتدين بهدي السلف الصالح لهذه الأمة في فهمهم لروح الإسلام، واتباعهم لمناهجه، عاملين على تحرير الإسلام مما شابه وابتدع فيه -على مر القرون- من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.
٣- أن يجهروا بكلمة الحق في وجوه الطغاة والمتألهين، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا سطوة ظالم.
٤- أن يعرفوا عصرهم، وعدوهم، ومعركة وقتهم .. فلا يشغلوا أنفسهم وطلابهم وجمهورهم بمعارك جانبية، أو فرعية، أو تاريخية، غافلين عن معركة الوقت ومعركة المصير.
٥- أن يتخذوا من قاعدة المنار الذهبية شعاراً لهم ودستوراً يتعاملون به فيما بينهم: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.
٦- أن يقفوا إلى جانب كل حركة إسلامية سليمة الاتجاه، تعمل على العودة بالإسلام إلى قيادة الحياة من جديد، وصبغ المجتمع بصبغة إسلامية[١].

وبعد هذا العرض السريع لأهم جوانب شخصية الدكتور القرضاوي وأهم المؤثرات في حياته، لا بد من ذكر بعض أوجه النشاط في خدمة الدعوة الإسلامية، فيقدم الدكتور القرضاوي بعض الصور من ذلك النشاط بقوله:

أ- "في المجال الجامعي: حيث أعمل أستاذاً ورئيساً لقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية في قطر، وذلك بعد أن عملت اثنتي عشرة سنة مديراً لمعهد قطر الديني الثانوي ....
ب- في الميدان الشعبي: عن طريق الخطابة، والوعظ، وإلقاء الدروس بالمساجد.
ج- في المجال الإعلامي: عن طريق البرامج التي أقدمها في الإذاعة والتليفزيون، ومنها برنامج أسبوعي لمدة نصف ساعة في إذاعة قطر للرد على رسائل المواطنين واستفتاءاتهم، ومثله في التليفزيون، وذلك بعد إنشاء الإذاعة والتليفزيون القطريين. هذا عدا برامج توجيهية أخرى أقدمها بين حين وآخر، وبخاصة في شهر رمضان.
د- المحاضرات التي أُدعى لإلقائها بتكليف من الجامعات والجمعيات والأندية والمؤسسات الثقافية وغيرها في بلاد العرب والإسلام، وأحياناً خارج الوطن الإسلامي.

١- انظر: علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٤٨٦/١-٤٨٩.

ه- المشاركة في المؤتمرات والندوات الإسلامية العلمية في البلاد الإسلامية وغيرها، مثــل ندوة التشريع الإسلامي في ليبيا، والمؤتمر التاريخي الأول فـــي بيـــروت، والمهرجـــان التعليمي لندوة العلماء بالهند، والمؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي بمكة المكرمة، ومؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض، ومؤتمر الدعوة والدعاة بالمدينة المنـــورة، ومـــؤتمر اتحاد الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وغيرها.

و- كتابة المقالات والبحوث في المجلات الإسلامية، التي تصدر في أنحاء شتى من وطننـــا الإسلامي.

ز- تأليف الكتب في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية"[1]، وأخيراً إن كانت هناك كلمة فيقال أن الدكتور "القرضاوي ليس أول ضحاياهم .. ولا آخرها!"[2].

ومما سبق بيانه في هذا الفصل، يتبين أن الأحباش حادوا عن جادة الصواب في التعامل مع علماء الأمة القدامى منهم، والمعاصرين أمثال: الإمام ابن تيمية، والشيخ محمد بـــن عبـــد الوهاب، والأستاذ الشهيد سيد قطب، والشيخ أبي الأعلى المودودي، والشيخ الألباني، والدكتور يوسف القرضاوي -رحمهم الله- حيث إنهم كفروهم، ووصفوهم بأبشع الصـــفات، وتهكمـــوا عليهم، وسخروا منهم، وهذا كله مخالف لما عليه أئمة أهل الســـنة والجماعـــة الـــذين قـــدّروا العلماء واحترموهم وإن كانوا مخالفين لهم في المذهب، لأنهم يعلمون أن أولئـــك القـــوم إنمـــا يمثلون الإسلام بعلمهم وما قالوه إلا تعظيماً وإجلالاً لهذا الـــدين، وإن أخطـــأ بعضـــهم فـــي الاجتهاد، وحاد عن الصواب، لأنهم فقهوا نصوص القرآن التي تحض علـــى احتـــرام العلـــم والعلماء والتي منها قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّـــذِينَ يَعْلَمُـــونَ وَالَّـــذِينَ لَـــا يَعْلَمُـــونَ**﴾ [الزمر:٩]، وقوله تعالى: ﴿**يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِـــنْكُمْ وَالَّـــذِينَ أُوتُـــوا الْعِلْـــمَ دَرَجَـــاتٍ**﴾ [المجادلة:١١]، وتخصيص الله العلماء لخشيته في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِـــنْ عِبَـــادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر:٢٨].

وأما الأحاديث التي تبين فضل العلم والعلماء كثيرة منها: ما رواه معاويـــة -رضـــي الله عنه- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من يرد الله بـــه خيـــراً يفقهـــه فـــي الدين"[3]، وما رواه عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال النبـــي -صـــلى الله عليـــه وسلم-: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتـــاه الله

---

[1]- علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ٤٧٤/١-٤٧٥.

[2]- مجلة الأسرة ص٣٦، العدد ٧٧ -شعبان ١٤٢٠هـ-.

[3]- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ح٧١، ٣/١، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ح١٠٣٧، ٧١٨/٢.

الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"[1]، ودعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس: "اللهم علمه الكتاب"[2]، وأي خيرٍ أفضل من العلم؟؟، ولهذا حرص علماء السلف على عدم جرح أو قدح أي عالم من العلماء المعاصرين لهم أو القدامى لمكانتهم، وحتى لا يكون ذلك سبباً في خوض عوام الناس في أعراض علماء الأمة الذين هم الحصون المانعة والواقية لهذا الدين، ومن أفضل ما قيل في الابتعاد عن ذلك ما ورد عن الإمام الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال: "وينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين، وألا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض، إلا إذا أتى ببرهانٍ واضح؛ ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك، وإلا فاضرب صَفْحاً عما جرى بينهم، فإنك لم تُخلَق لهذا، فاشتغل بما يعنيك، ودع ما لا يعنيك، ولا يزال طالب العلم عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين، ويقضي لبعضهم على بعض، فإياك ثم إياك أن تصغي إلى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري ... فإن اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك فالقوم أئمة أعلام ولأقوالهم محامل، ربما يُفهم بعضها، فليس لنا إلا الترضي عنهم"[3]، ولذلك الحذر من الخوض في أعراض العلماء، فقد قال الإمام ابن عساكر محذراً من ذلك: "لحوم العلماء مسمومة، وهتك أستار منتقصهم معلومة. -وقوله أيضاً-: لحوم العلماء سمٌ من شمَّها مرِض، ومن ذاقها مات"[4]، ولما سبق بيانه يتوجب على الأحباش أن يكفوا وينتهوا عن الخوض في أعراض العلماء، ويتقوا الله فيهم.

---

[1] - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ح٧٣، ١/٣٠-٣١، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، ح٨١٥، ١/٥٥٨.

[2] - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- اللهم علمه الكتاب، ح٧٥، ١/٣١.

[3] - طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٧٨.

[4] - الكواكب الدرية للكرمي ص٢٣٥.

الخـــاتـــمة

بعد أن وفقني الله -سبحانه وتعالى- إلى الانتهاء من هذا العمل، والذي إن أحسنت فمن الله وحده، وإن أسأت فمن نفسي ومن الشيطان، أختم هذا البحث بعرض خلاصة ما توصلت إليه من النتائج أُجملها فيما يلي:

١- يعتمد الأحباش على التأويل المخالف لما عليه أهل السنة والجماعة والذي يعني صرف النص عن معناه الظاهر إلى معنىً محتمل، وذلك لتأويل صفات الله العليّ بحجة تنزيه الله عن التشبيه بالخلق، ويعتبر الحبشي آيات الصفات من المتشابه الذي يتوجب تأويله وصرفه عن الظاهر، مخافة الوقوع في التجسيم، وهذا مخالف لما عليه السلف الصالح.

٢- قام الأحباش برد خبر الآحاد، وعدم اعتماده في الأمور العقدية، وذلك تمهيداً لتأويل صفات الله -سبحانه وتعالى-.

٣- التردد الواضح لدى الأحباش في موضوع التقليد والاجتهاد، فتارةً يكونوا من أشد الدعاة إلى التقليد وعدم جواز المخالفة، وذلك عندما يدعون لاتباع منهج الأشاعرة، ويرون عدم جواز مخالفته؛ وأخرى يكونوا من دعاة الاجتهاد وذلك عندما يجتهدون في مسألة ما، فيقولوا بجواز الاجتهاد.

٤- يعتبر الأحباش من أشد الناس تمسكاً بعلم الكلام؛ ويرون وجوب دراسته وتعلمه، وذلك لميل منهجهم في الاعتقاد إلى المسائل الكلامية، غاضين الطرف عن الويلات التي جاء بها هذا العلم على المسلمين بشكل عام، وعلى المشتغلين به بشكل خاص.

٥- اعتماد الأحباش بصورة كبيرة على الأدلة العقلية في إثبات وجود الله، وهذه الأدلة انتقدها السلف وبينوا عدم صحة الاستدلال بها لما تحويه من مآخذ، وأيضاً خالفوا السلف عندما جعلوا أول واجب على المكلف معرفة الله؛ والصحيح هو النطق بالشهادتين.

٦- استخدم الأحباش ألفاظاً مبتدعةً بعيدة عن منهج أهل السنة والجماعة، والتي تعود في أصلها إلى المتكلمين والفلاسفة مثل: التركيب، والجسم، والتأليف، والجهة، والتحيز وأشباه ذلك من ألفاظ.

٧- يؤخذ على الأحباش أنهم جعلوا التوحيد، والواحد، والأحد بمعنى الواحد، وهذا كلام معلوم الفساد.

٨- استخدام الأحباش للأدلة العقلية في إثبات وحدانية الله، والتي منها دليل التمانع، وهو دليل صحيح لا شيء فيه من حيث التركيب، ولكن الخطأ الذي وقعوا فيه استخدامهم آية الأنبياء في غير موضعها، حيث استدلوا بها على توحيد الربوبية، وهي قصد بها توحيد الألوهية؛ مع العلم أن الألوهية أشمل من الربوبية.

٩- قسّم الأحباش التوحيد بصورة مخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة، وهذا التقسيم يحتمل أوجهاً عديدة من القصور والنقص.

١٠- وافق الأحباش السلف عندما قالوا بأن أسماء الله الحسنى أكثر من تسعة وتسعين اسماً، ولكنهم خالفوا عندما جعلوا الاسم هو الصفة نفسها.

١١- خالف الأحباش السلف عندما قاموا بتأويل صفات الله عن ظاهرها، وأيضاً عندما اقتصروا على وجوب معرفة ثلاث عشرة صفة وهي: الوجود، القدم، البقاء، السمع، البصر، الإرادة، القدرة، العلم، الحياة، الوحدانية، القيام بالنفس، المخالفة للحوادث، الكلام، ومع ذلك أوّلوا هذه الصفات عن ظاهرها، وأخرجوها عن حقيقتها.

١٢- اعتقاد الأحباش في النبوات موافق لما عليه السلف من حيث إن إرسالهم إنما هو تفضل من الله على عباده، وفي ذكر الصفات الواجب توفرها في الرسل؛ وصحة اعتقادهم في سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولكن الحبشي قصَّر عندما جعل دليل النبوة يقتصر على المعجزة فقط، بل هذا يعتبر دليلاً واحداً من مجموعة أدلة، وليست هي وحدها فقط الدليل على صدق النبوة.

١٣- يؤمن الأحباش بالأمور الغيبية، ويوافقون السلف في ذلك، حيث إنهم يؤمنون بعذاب القبر ونعيمه، ولكنهم يخالفون عندما جعلوا عذاب آل فرعون قبل قيام الساعة الذي أخبر الله به إنما يقتصر على إدخال الرعب في قلوبهم، دون تعذيبهم بالنار، وأيضاً وافق الأحباش السلف في إثبات الحشر يوم القيامة للعباد.

١٤- خالف الأحباش السلف في مسألة الشفاعة، حيث أثبتوا شفاعة واحدة للرسول -صلى الله عليه وسلم- وهي لأهل الكبائر، وأحياناً يثبتون شفاعة أخرى للرسول -صلى الله عليه وسلم- وهي تخليص الناس من حر الشمس يوم القيامة، وهذا بخلاف الشفاعات الثماني التي أثبتها علماء السلف -رحمهم الله- للرسول -صلى الله عليه وسلم-.

١٥- وافق الأحباش السلف في مجموعة من الأمور الأخروية مثل: محاسبة الله للعباد، والجنة والنار والميزان، وبالثواب والعقاب للعبيد، وبالإيمان بالصراط، ولكنهم خالفوا بوصف الصراط بأنه جسر عريض خلاف ما قال السلف بأنه أدق من الشعر وأحدّ من السيف.

١٦- سار الأحباش في تعريفهم للقضاء والقدر على منهج السلف، وبالإيمان بالقدر خيره وشره، ولهم نصوص توهم القول بالجبر، وذلك من خلال القول بمقالة الأشاعرة في الكسب والتي حقيقتها لا تأثير لقدرة العبد في الكسب.

١٧- يرى الأحباش أن الإيمان بمعنى التصديق بالقلب والإقرار باللسان دون ذكر العمل، وهذا خلاف ما عليه السلف الصالح في تعريفهم للإيمان، وأيضاً يؤخذ عليهم أنهم جعلوا الإيمان والإسلام بمعنى واحد، والسلف -رحمهم الله- أوجدوا فرقاً وتغايراً بين مسمى الإيمان والإسلام.

١٨- وافق الأحباش المرجئة عندما جعلوا الإيمان مقتصراً على الإيمان بالقلب والإقرار باللسان دون إدخال العمل فيه.

١٩- تقسيم الأحباش للكفر بأقسامه الثلاثة: الكفر الاعتقادي، الكفر الفعلي، الكفر القولي، فإن قصدوا بذلك المسمى الطبيعي للردة، فهذا صحيح، وإن أرادوا بذلك المسمى العام للكفر الذي يتصف به كل مخالف لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذا خلاف ما عليه السلف، لأنهم جعلوا الكفر نوعين: أصغر وأكبر، والكفر الأكبر ينقسم إلى خمسة أقسام: تكذيب، وإباء، وإعراض، وشك، ونفاق، وأيضاً فإن الأحباش تميزوا بإطلاق عبارات الكفر دون ضابط ضد مخالفيهم.

٢٠- وافق الأحباش السلف في معظم مستثنيات الكفر، ولكنهم حادوا عن قول السلف عندما التمسوا العذر لمانعي الزكاة بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وجعلهم معذورين في اجتهادهم الخاطئ.

٢١- يعتبر الأحباش من أتباع الطرق الصوفية، ومع شيخهم إجازات في طرق منها كالقادرية، والرفاعية، والنقشبندية، وفي هذه الطرق من البدع ما يعلمه الله سبحانه وتعالى، والتي من أشهرها: الاستغاثة والتوسل بالأموات، وزيارة قبور الرسل والأولياء للتبرك بها بحجة التقرب إلى الله، الاعتقاد بأن الولي الصالح قد يخرج من قبره كرامةً له، واستعمال الدف بحجة التقرب إلى الله.

٢٢- وعن موقف الأحباش من الخلفاء الراشدين فيوافقوا السلف بتفضيل الصديق -رضي الله عنه- على سائر الصحابة، ولكنهم يذكرون شيئاً غريباً هو أن من ينكر صحبة أبي بكر الصديق بقلبه يكفر بخلاف إنكار صحبة الخلفاء الراشدين الثلاثة سوى أبي بكر -رضي الله عنه-، وهذا كلام لم يرد عن سلف هذه الأمة، وإنما هذا من شواذ الفكر لدى الأحباش.

٢٣- افترت الأحباش على الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان، وأطالوا عليه لسانهم عندما وصفوه بالباغي، ولم يتأدبوا بأدب السلف الصالح، وخاضوا فيما شجر بين الصحابة، حتى أنهم تجرءوا على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بوصفها بالوقوع في المعصية.

٢٤- افترت الأحباش على كثير من العلماء الكرام أمثال: شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام محمد بن عبد الوهاب، والأستاذ الشهيد سيد قطب، والشيخ أبي الأعلى المودودي، والشيخ الألباني، والدكتور يوسف القرضاوي، بحيث كفّروهم، ووصفوهم بالزنادقة والجهال، والزائغين، وبالسخفاء، وبالإرهابيين، وبالمتطرفين وغير ذلك من الألفاظ البشعة، التي ليس من الأدب وصف عوام الناس بها، ويعتبر ذلك من الفجور بالخصومة، فكيف يكون ذلك في حق العلماء العاملين.

٢٥- تدعو هذه الفرقة إلى الاعتزاز بالقومية العربية أكثر من الاعتزاز بالانتساب إلى الدين الإسلامي.

ومما سبق بيانه يظهر بدون أي ريب أن الأحباش ضلوا عن منهج السلف الصالح، وذلك بارتكابهم الكثير من المحظورات الاعتقادية، والتي تم بيانها بين طيات البحث.

التوصيات:

إن كان لا بد من توصيات أوصي بها في نهاية هذا البحث، فأوصي بما يلي:

١- الرجوع إلى الكتاب والسنة كمصدر أساسي في استقاء العقيدة الصحيحة، وعدم اعتماد المناهج الكلامية كطريقة في بناء العقيدة لدى الفرد المسلم.

٢- السكوت عما شجر بين الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-، وعدم البحث عن زلات العلماء -إن وجدت- لأنهم الستر الواقي لهذا الدين الحنيف.

٣- دراسة الجانب الفقهي لدى الأحباش، ومناقشتهم في الأقوال الشاذة التي يعتمدون عليها في فتاويهم، وذلك من خلال دراسة علمية من قِبل أحد طلبة كلية الشريعة.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل،

وصلى الله على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهـــــــارس

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة	(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)	٤	١٠٧،٢٩٢
الفاتحة	(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	١	١٠١،١١٣
الفاتحة	(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)	٢	١١٣
الفاتحة	(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)	٣	١١٣
البقرة	(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)	٢٧٧	٢٤٠
البقرة	(أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا)	١٧٧	٢٥٨
البقرة	(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)	٣	١٩٩
البقرة	(اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)	١٥	١٣٢
البقرة	(الم)	١	١٤١
البقرة	(فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ)	٨٩	٢٦٥،٣٥٣
البقرة	(كُنْ فَيَكُونُ)	١١٧	١٤٩
البقرة	(لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)	٢٨٦	٢٣٨
البقرة	(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ...)	٢٥٥	١٧١،٣٠١
البقرة	(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ الْغَمَامِ...)	٢١٠	١٥٩
البقرة	(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى...)	٢٩	١٤٣
البقرة	(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ...)	١٢٧-١٢٩	١٨٩
البقرة	(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)	٤٣	١٣٧
البقرة	(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)	١٦٣	١٠٣
البقرة	(وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)	٢٤٧	١٠١
البقرة	(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي ...)	١١٦	١٤٩
البقرة	(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)	١١٥	١٤٧
آل عمران	(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)	١٩	٢٥٠
آل عمران	(إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)	٥٥	١٧٠
آل عمران	(بِيَدِكَ الْخَيْرُ)	٢٦	٢٣٤
آل عمران	(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ)	١٧٣	١٥٣

اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
آل عمران	(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا...)	١٦	٢٩٣
آل عمران	(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ...)	٥٣	٢٩٣
آل عمران	(عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)	١١٩	١٢٢
آل عمران	(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)	٣١	١٨٣
آل عمران	(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ...)	٧	١٥،٣٦،٣٨
آل عمران	(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ...)	٨١	١٨٩
آل عمران	(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...)	١٠٣	٢٨٧،٣٦١
آل عمران	(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)	٨٥	٢٥٤
النساء	(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)	٤٨	٢٠٥،٣٥٥
النساء	(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)	٣١	٢٠٥
النساء	(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ...)	١٦٣-١٦٤	١٧٦
النساء	(بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)	١٥٨	١٤٦،١٧٠
النساء	(ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)	٣٥	١٧
النساء	(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ...)	٥٩	٣٤٥
النساء	(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...)	٧٩	٢٣٣
النساء	(وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ)	١١	١٠٣
النساء	(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)	٣٦	١٩٢،٢٩٢
النساء	(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ)	١٢٥	٢٥٠
النساء	(يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...)	١	١٠٤
المائدة	(إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)	٢٢	٢٣٦
المائدة	(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)	٦٤	١٥١
المائدة	(بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)	٦٧	١٣٩
المائدة	(مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ)	٥٤	٢٦٠
المائدة	(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ)	٦٤	٢٦٨
المائدة	(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)	٤٤	٢٦٧
المائدة	(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...)	٣	٢٧٦
الأنعام	(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)	٩٠	٢٧٥

اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأنعام	(الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)	٨٢	٥٩
الأنعام	(فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)	٣٣	٢٦٥
الأنعام	(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ...)	٦٥	٢٠
الأنعام	(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...)	١٥٣	٢٨٧،أ
الأنعام	(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا...)	١١٤	١٣٩
الأنعام	(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)	١٨، ٦١	١٦٣،١٧٠
الأعراف	(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ)	١٩٤	٢٩٢
الأعراف	(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)	٥٥	٢٩٢
الأعراف	(المص)	١	١٤١
الأعراف	(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ...)	٥٣	١٧
الأعراف	(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ...)	١٧٢	٩٣
الأعراف	(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا)	٢٠٤	١٣٥
الأعراف	(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا...)	١٩٧	٢٩٢
الأعراف	(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ...)	١٨٠	٢٩٣،٣٦٥
الأنفال	(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...)	٢-٤	١١٨
الأنفال	(وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)	١	١٢٢
الأنفال	(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)	٢٤	٢٣٠
الأنفال	(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)	٧٤	٣١٦
الأنفال	(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)	٣٠	١٣١
التوبة	(إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)	٤٠	٣١٠
التوبة	(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)	٣١	٥٩
التوبة	(ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ...)	٢٦	٣١٦
التوبة	(فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ)	١٢٢	٤٧
التوبة	(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ)	١١٧	٣١٦
التوبة	(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ...)	٣٣	٤٨
التوبة	(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى...)	٦	١٣٥،١٤٠
التوبة	(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ...)	١٢	٣٥٣
التوبة	(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ...)	١٠٠	٥٦،٣١٤

اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
التوبة	(وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى...)	٣٠	٢٦٨
التوبة	(وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ)	١٠٥	٢٤٠
يونس	(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)	٣٩	١٨
يونس	(فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ)	٨٣	٢٤٧
يونس	(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)	٢٦	١٥٠
هود	(لِيَبْلُوكَمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)	٧	٢٨٨
هود	(يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ)	٨١	١٨٠
يوسف	(تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ)	٩٥	١٣٠
يوسف	(فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ)	١٠، ١٥	١٩٨
يوسف	(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ...)	٣٧	١٩
يوسف	(قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ)	٤٤	١٩
يوسف	(نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ)	٣٦	١٨
يوسف	(هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ)	١٠٠	١٩
يوسف	(وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)	١٠١	١٩
يوسف	(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ...)	٤٥	١٩
يوسف	(وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)	٢١	١٨
يوسف	(وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا)	١٧	٢٤٣
يوسف	(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)	١٠٦	١١٥
يوسف	(وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)	٦	١٨
الرعد	(أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ)	١٦	١١٠
الرعد	(فَلَا مَرَدَّ لَهُ)	١١	٢٦٠
إبراهيم	(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ)	١٠	٩٠،٩٢
إبراهيم	(يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ...)	٤٨	٢١٠
الحجر	(فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ...)	٩٢-٩٣	٢١٨
النحل	(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ)	١٧	٣٥٥،٣٥٧
النحل	(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ)	٩٨	١٣٨
النحل	(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)	٤٣	٦٢،١٧٧
النحل	(فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ)	٧٤	٣٦٥

اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
النحل	(نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ)	١٠٢	١٣٨
النحل	(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ)	١٠١	١٣٨
النحل	(وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ)	١٠٦	٢٦٨،٢٧٩
النحل	(وَلِلَّه الْمَثَلُ الْأَعْلَى)	٦٠	٣٦٥
النحل	(يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ)	٥٠	١٦١،١٦٣
الإسراء	(كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا)	٣٨	٢٣٥
الإسراء	(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ...)	٢٩	١٥٢
الإسراء	(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا)	٣٢	١٣٧
الكهف	(ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)	٨٢	١٩
الكهف	(سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)	٧٨	١٩
الكهف	(فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)	١٠٥	٢٢٢
الكهف	(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...)	١١٠	١٧٩،٢٤٦
الكهف	(وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا)	٤٧	٢١٠
الكهف	(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِه...)	٣٥-٣٨	٢٦٦
الكهف	(وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ...)	٤٩	١٠٤،٢١٨
مريم	(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ...)	٩٣-٩٥	٢١٠
مريم	(كهيعص)	١	١٤١
مريم	(هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)	٦٥	٣٦،١٥٢
مريم	(وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا)	٥٢	١٣٣
مريم	(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا)	٨٥	٢١٢
طه	(الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)	٥	٣٦،١٤١
طه	(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)	١١٠	٧٢
طه	(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...)	١١٢	٢٢٤
طه	(يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ)	١١-١٢	١٣٣
الأنبياء	(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)	١٠٤	١٦٦،٢١١
الأنبياء	(لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)	٢٢	١٠٥،١٠٦
الأنبياء	(مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ...)	٥٢-٥٣	٦٠
الأنبياء	(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى)	٢٨	٢١٣

اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأنبياء	(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ)	٧	١٧٨
الأنبياء	(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)	٤٧	٢١٩
الحج	(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ)	٧٥	١٨٠
الحج	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ)	٥٢	١٧٥
المؤمنون	(فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ...)	١٠٢-١٠٣	٢٢٠
المؤمنون	(قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ)	٨٤-٨٩	١١٥
المؤمنون	(وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ...)	٩١	١١٠
النور	(سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)	١٦	٣٥٥
النور	(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا...)	٥٥	٣١٣
النور	(وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)	٤٠	٢٢٦
الفرقان	(وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ...)	٢٥-٢٦	١٥٩
الشعراء	(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)	١٩٥	٢٧
الشعراء	(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ...)	١٩٣-١٩٤	١٢٧
النمل	(أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ)	٥	٢١٨
النمل	(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)	١٤	٢٦٥
النمل	(وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ)	٤٠	ج
القصص	(إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ)	٤٨	٢٥٩
القصص	(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)	٨٨	٢٨،١٤٧
القصص	(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى)	١٤	١٤٣
العنكبوت	(بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)	٤٩	١٤١
العنكبوت	(فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ)	٢٦	٢٤٧
العنكبوت	(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ)	٦١	١١٥
الروم	(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)	٤٧	٢٩٢
لقمان	(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)	١٣	٥٩
السجدة	(جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)	١٧	٢٤٠
الأحزاب	(إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا)	٦٧	٦٠
الأحزاب	(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)	٢١	١٨٣

اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأحزاب	(مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)	٣٥	٣٢١
الأحزاب	(وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)	٤٠	١٧٩،٣٠٤
سبأ	(إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)	٣٤	٥٩
سبأ	(حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا...)	٢٣	١٣٤
فاطر	(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)	١٠	١٤٦،١٧٠
فاطر	(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)	٢٨	٣٨٢
يس	(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)	٨٢	٣٣٣
يس	(حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)	٣٩	١٢٤،١٣٠
الصافات	(فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)	٢٣	٢٢٧
الصافات	(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)	٩٦	٢٣٣
ص	(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)	٧٥	١٥١
الزمر	(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)	١	١٣٩
الزمر	(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ...)	١٨	أ
الزمر	(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا ...)	٩	٣٨٢
الزمر	(وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)	٦٧	١٦٦
غافر	(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا...)	٤٦	٢٠٠
غافر	(حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)	١-٢	١٣٩
غافر	(وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)	٤٥	٢٠٢
غافر	(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)	٦٤	٣٦٥
غافر	(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ...)	٣٤	١٧٦
غافر	(يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ...)	٣٦-٣٧	١٧١
فصلت	(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)	٤٠	٢٤٠
فصلت	(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)	٤٦	٢٣٢
الشورى	(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)	١١	٣٢،٣٦،٧٢
الشورى	(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...)	٣٠	٢٢٤،٢٣٣
الشورى	(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ)	١٠	٣٤٥
الزخرف	(إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ)	٢٢	٦٢

اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الزخرف	(لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ)	١٣	١٤٣
الزخرف	(وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ...)	٢٣-٢٤	٥٩
الدخان	(حم)	١	١٤١
الأحقاف	(تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)	٢٥	٢٨، ٣٣
محمد	(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ...)	٩	٣٥٤
محمد	(سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ)	٥	٢٢٧
محمد	(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)	١٩	٣٥٤
الفتح	(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ...)	١٨	٥٦،٣١٣
الفتح	(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)	١٠	١٥١
الحجرات	(قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا)	١٤	٢٤٣،٢٤٦
الحجرات	(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ...)	٩	٣٢٣الحاشية
الحجرات	(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)	٧	٢٤٦
الحجرات	(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)	٦	٤٧
الذاريات	(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا...)	٥٢	١٧٤الحاشية
الذاريات	(وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)	٢١	٩١
الذاريات	(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)	٥٦	٩٣
النجم	(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ)	٣٢	٢٠٥
القمر	(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)	٤٩	٢٣٢
القمر	(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)	١٤	١٤٩
القمر	(وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ...)	١٣-١٤	٣٤
الرحمن	(وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ)	٢٧	١٣١،١٣٢
الحديد	(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ...)	٣	٩٠،١٣٠
الحديد	(وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى)	١٠	٣٢٣
المجادلة	(كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ)	٢٢	٢٤٦
المجادلة	(يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا ...)	١١	٣٨٢
الحشر	(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا...)	١٠	٣٢٩
الممتحنة	(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...)	٤	١١٤
الصف	(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ...)	٦	١٩٠

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً : فهرس تراجم الأعـــــلام

الرقم	العـلـــــم	الصفحة
٥٧.	علي بن خلف بن بطال (ابن بطال).	٢٤٤
٥٨.	علي بن عبد الكافي بن علي (تقي الدين السبكي).	٧٩
٥٩.	علي بن عبد الله بن جعفر (ابن المديني).	٣٢
٦٠.	علي بن عقيل بن محمد (أبو الوفاء).	٨١
٦١.	عمر بن علي بن موسى (الإمام البزار).	٣٤٤
٦٢.	عمر بن محمد بن أحمد (النسفي).	٢٥٢
٦٣.	عمر بن مظفر بن عمر (ابن الوردي).	٣٣٧
٦٤.	عمرو بن عبيد (أبو عثمان البصري).	٦٨
٦٥.	عياض بن موسى بن عياض (أبو الفضل).	١٨٥
٦٦.	القاسم بن محمد بن يوسف (الحافظ البرزالي).	٣٣٩
٦٧.	قتادة بن دعامة السدوسي.	١٧
٦٨.	الليث بن سعد بن عبد الرحمن (أبو الحارث).	٣١
٦٩.	مجاهد بن جبر (أبو الحجاج).	١٧
٧٠.	محمد بن أحمد بن أبي بكر (أبو عبدالله القرطبي).	٢٠٥
٧١.	محمد بن أحمد بن الأزهري (أبو منصور).	١٣
٧٢.	محمد بن أحمد بن سالم (السفاريني).	١٨٣
٧٣.	محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ابن عبد الهادي).	٣٤٠
٧٤.	محمد بن أحمد بن عثمان (الحافظ الذهبي).	٣٣٨
٧٥.	محمد بن أحمد بن محمد (ابن رشد).	١٠٦
٧٦.	محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الآجري (أبو بكر).	١٥٧
٧٧.	محمد بن الخطيب بن محمد (الباقلاني).	٢٥
٧٨.	محمد بن بهادر بن عبدالله (الزركشي).	٧٩
٧٩.	محمد بن جابر بن حماد (المروزي).	٣٥
٨٠.	محمد بن جرير بن يزيد (الطبري).	١٥
٨١.	محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام.	٤١
٨٢.	محمد بن داود بن علي (داود الظاهري).	٤٥
٨٣.	محمد بن عبد البر بن يحيى (بهاء الدين السبكي).	٣٤١
٨٤.	محمد بن عبد الرحيم بن محمد (صفي الدين الهندي).	٦٨
٨٥.	محمد بن عبد السلام بن سعيد (ابن سحنون).	٢٧

رابعاً : المراجع والمصادر

القرآن الكريم

١. أئمة الفقه التسعة لعبد الرحمن الشرقاوي، الناشر: العصر الحديث، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٢. أبو الأعلى المودودي فكرته ودعوته أسعد جيلاني، ترجمة: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر: مطبعة المكتبة العلمية، لاهور، سنة ١٣٩٨هـ.

٣. أبو الأعلى المودودي ومنهاجه في الإصلاح والدعوة إعداد صالح حسين الرقب (مخطوط) سنة ١٤٠٢هـ-١٤٠٣هـ (رسالة ماجستير).

٤. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير مرتضى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ -١٩٨٩م.

٥. الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن الآمدي، الناشر: دار الحديث، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٦. الإحكام في الأحكام لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٧. أخبار القضاة لمحمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع، الناشر: عالم الكتب، بيروت -بدون تاريخ نشر ورقم طبعة-.

٨. الإرشاد -إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد -لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق: أسعد تميم، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٩. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

١٠. أساس التقديس في علم الكلام لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١١. الأسماء والصفات لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٢. الأشباه والنظائر -في قواعد وفروع فقه الشافعية- للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ-١٩٨٣م.

١٣. أصل الاعتقاد د. عمر سليمان الأشقر، الناشر: الدار السلفية، ط الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٤. الأصول الثلاثة وأدلتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، بدون رقم طبعة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

١٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة –بدون رقم طبعة- ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٦. إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية الشيخ عبد الله الهرري، الناشر: دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٧. الإعجاز العلمي في القرآن د. عبد السلام اللوح، الناشر: آفاق -غزة، ط الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الثالثة ١٤١٧هـ –١٩٩٧م.
١٩. الأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الخامسة ١٩٨٠م.
٢٠. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
٢١. الأم لمحمد بن إدريس الشافعي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، وطبعة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط الأولى ١٩٦١م.
٢٢. الإيمان لابن تيمية، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢٣. الاتفاق في علوم القرآن جلال الدين السيوطي، الناشر: دار المعرفة، بيروت –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٢٤. الاجتهاد ـ الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ـ لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية -بدون رقم طبعة- ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٥. الاستذكار -الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار- لابن عبد البر، مراجعة وتدقيق وترقيم: د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: مؤسسة الرسالة، دمشق، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢٦. الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، الناشر: دار المعرفة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
٢٧. الاعتقاد للإمام ابن قداحة المقدسي، تحقيق: عادل عبد المنعم أبو العباس، الناشر: مكتبة القرآن، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٢٨. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين فخر الدين الرازي، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٩. اقتضاء الصراط المستقيم -في مخالفة أصحاب الجحيم- لابن تيمية، الناشر: مطابع المجد التجارية -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٣٠. البداية والنهاية لأبي الفداء ابن كثير، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، ط الأولى ١٩٦٦م.
٣١. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٣٢. البدور السافرة في أمور الآخرة لجلال الدين السيوطي، تحقيق: مصطفى عاشور، الناشر: مكتبة القرآن، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٣٣. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار التراث، القاهرة –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٣٤. بصائر ذوي التمييز -في لطائف الكتاب العزيز- لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة ط ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
٣٥. بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب لعبد الله الهرري (الحبشي)، الناشر: دار المشاريع الخيرية، لبنان، ط الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٣٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت –بدون رقم طبعة أو تاريخ-.
٣٧. بهجة النظر -في ما يزيد على أربعمائة سؤال في متن المختصر- إعداد قسم الأبحاث والدراسات، الناشر: دار المشاريع للطباعة والنشر، بيروت، ط الحادية عشرة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٨. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية لأحمد بن تيمية، الناشر: مؤسسة قرطبة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٣٩. البيان والتعريف إبراهيم بن محمد الحسيني، تحقيق: سيف الدين الكاتب، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ط ١٤٠١ هـ.
٤٠. تأويل مختلف الحديث للإمام ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٤١. تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الناشر: دار التراث، القاهرة، ط الثانية ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.
٤٢. تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
٤٣. تاريخ الجزيرة العربية -في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب- لحسين خلف الشيخ خزعل، الناشر: دار مكتبة الهلال، بيروت، ط الأولى ١٩٨٦م.
٤٤. تاريخ المذاهب الإسلامية (في تاريخ المذاهب الفقهية) محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٤٥. تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي،الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، أو دار الفكر –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر–.

٤٦. تاريخ نجد للسيد محمود شكري الآلوسي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٤٧. تاريخ نجد -ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- تأليف: سنت جون فيلبي، تعريب: عمر الديسراوي، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٤٨. تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تأليف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط الثانية ١٣٩٩هـ.

٤٩. تبيين ضلالات الألباني جمع بعض تلاميذ عبدالله الهرري (الحبشي)، الناشر: دار الاعتصام، بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥٠. تجريد التوحيد المفيد للإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، الناشر: مركز شئون الدعوة - الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة ط ١٤١٢هـ.

٥١. التحصيل في المحصول محمود بن أبي بكر الأرموي، دراسة وتحقيق: د. عبد الحميد علي أبو زنيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥٢. التحف في مذاهب السلف لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: مطبعة الإمام، مصر – بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر -.

٥٣. تدريب الراوي في شرح تقريب النووي لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الناشر: دار التراث، القاهرة، ط الثانية ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٥٤. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن نوح الأنصاري القرطبي، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٥٥. ترجمة التوراة السامرية لأبي الحسن الصوري، إعداد الكاهن: عبد المعين صدقه السامري، الناشر:مطبعة النصر -نابلس- ط ١٩٧٨م (مخطوط).

٥٦. تسلية أهل المصائب لأبي عبدالله محمد بن محمد المنجي الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، ط الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٥٧. التصوف المنشأ والمصادر إحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٥٨. التصوف في الميزان د. مصطفى غلوش، الناشر: دار النهضة، مصر، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٥٩. التصوير الفني في القرآن سيد قطب -بدون ناشر أو رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٦٠. تطهير الاعتقاد -عن أدران الألحاد- لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، الناشر: مؤسسة النور، الرياض، ط الثانية ١٣٨٩هـ.
٦١. تفسير الجلالين للإمامين محمد بن أحمد المحلي، والإمام عبد الرحمن السيوطي، الناشر: دار المعرفة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
٦٢. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الناشر: شركة الحلبي وأولاده، ط الثانية ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
٦٣. تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، الناشر: المطبعة الأميرية، مصر، ط ١٩٣٦م.
٦٤. تفسير القرآن الحكيم المشهور تفسير المنار محمد رشيد رضا بتصرف، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط الثانية -بدون تاريخ نشر-.
٦٥. تفسير القرآن العظيم لأبي النداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
٦٦. التفسير القيم للإمام ابن القيم جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٦٧. التفسير الكبير لابن تيمية، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٦٨. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، الناشر: دار الكتب العلمية، طهران -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٦٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د. وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط ١٤١٨هـ-١٩٩٨م -بدون رقم طبعة-.
٧٠. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، الناشر: دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ، وطبعة أخرى (الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).
٧١. تلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: أيمن صالح، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٧٢. التمهيد لما في الموطئ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: سعيد أحمد إعراب -بدون رقم طبعة- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٨م.
٧٣. تهذيب التهذيب للإمام أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط الأولى ١٣٢٦هـ.
٧٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٧٥. تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: إبـــراهيم الأبيـــاري، الناشـــر: دار الكاتب العربي، ط ١٩٦٧.
٧٦. تهذيب تاريخ دمشق الكبير للإمام أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي، ترتيب عبـــد القادر بدران، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـــ-١٩٨٧م.
٧٧. التوحيد -وإثبات صفات الرب عز وجل لمحمد بن اسحق بن خزيمة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٧٨. التوسل أنواعه وأحكامه لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتـــب الإســـلامي، بيـــروت، ط الرابعة ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م.
٧٩. التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع لمحمد نسيب الرفاعي -بدون ناشر- ط الأولـــى، ١٣٩٤هـــ-١٩٧٤م.
٨٠. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
٨١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، الناشـــر: مؤسســـة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـــ-١٩٩٩م.
٨٢. جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط ١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م.
٨٣. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، الناشر: الحلبي، ط الثانية ١٣٩٥هـــ –١٩٧٥م.
٨٤. جامع العلوم والحكم -شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم- لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجـــب الحنبلي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط جمادى الثانية ١٣٤٦هـــ.
٨٥. الجامع الفريد -كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية- كتاب الزيارة لابن تيمية، الناشر: مطبعة المدينة، الرياض -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
٨٦. جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر، باب فيمن تأول القـــرآن وتـــدبره وهـــو حاصل بالسنة، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤١٤هـــ-١٩٩٤م.
٨٧. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر: دار الكاتب العربي، القاهرة، بدون رقم طبعة ١٣٨٧هـــ-١٩٦٧م.
٨٨. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين الآلوسي، الناشر: دار الكتب العلمية -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٨٩. جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ابن دريد)، الناشر: دار صادر، بيروت –بدون رقم طبعة و تاريخ نشر-.

٩٠. الجواب الصحيح -لمن بدل دين المسيح-، الناشر: مكتبة المدني، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٩١. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٩٢. حاشية إعانة الطالبين للسيد أبي بكر -المشهور بالسيد البكري بن السيد محمد شطا الدمياطي المصري-، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحصبي، مصر، ط الثانية ١٣٥٦هـ-١٩٣٨م.

٩٣. الحبشي شذوذه وأخطاؤه لعبد الرحمن دمشقية، -بدون دار نشر- ط الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٩٤. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٣٨٧هـ–١٩٦٧م.

٩٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، الناشر: المكتبة السلفية –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٩٦. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمُحبّي، الناشر: دار صادر، بيروت -بدون تاريخ نشر أو رقم طبعة.

٩٧. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف، الرياض، سنة النشر ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٩٨. دائرة المعارف الإسلامية يصدرها أحمد الشنتناوي وآخرون، الناشر: دار المعرفة، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٩٩. دائرة المعارف الحديثة أحمد عطية الله، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط الثانية ١٩٧٩م.

١٠٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، الناشر: دار المعرفة، لبنان، -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٠١. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيميه، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار الكنوز الأدبية – بدون رقم طبعة و تاريخ نشر -.

١٠٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني، الناشر: دار الجيل، بيروت –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٠٣. دلائل النبوة -ومعرفة أحوال صاحب الشريعة- لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٠٤. الدين الخالص السيد محمد حسن بن حسن القنوجي البخاري،الناشر:مكتبة دار التراث،القاهرة –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر.

١٠٥. الذخيرة لأحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ١٩٩٤م.

١٠٦. ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي لآبي المحاسن الحسيني الدمشقي، الناشر: دار الفكر العربي، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر.
١٠٧. رحمة الأمة في اختلاف الأئمة لأبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني الشافعي، -بدون دار نشر ورقم طبعة- ط ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٠٨. الرد على الألباني إعداد قسم الأبحاث والدراسات (جزء من الرسائل الغمارية)، الناشر: دار المشاريع، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١٠٩. الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار اللواء، الرياض –بدون رقم طبعة– ١٣٩٧هـ-١٩٩٧م.
١١٠. الرد على المنطقيين لابن تيمية، الناشر: إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط الثانية ١٣٩٦هـ–١٩٧٦م.
١١١. الرد على عبدالله الحبشي لعبدالله محمد الشامي، الناشر:دار الطلاع -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
١١٢. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١٤١٣هـ.
١١٣. رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري، تقديم: محمد الولي -أحد تلاميذ الحبشي-، الناشر: دار المشاريع، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١١٤. الرسالة المستطرفة -لبيان مشهور كتب السنة المشرقة- لمحمد بن جعفر الكتاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤٠٠هـ.
١١٥. رسالة –وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة– لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: الدار السلفية، الكويت، ودار العلم مصر -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر–.
١١٦. الرسل والرسالات د. الأشقر، الناشر: دار النفائس، الأردن، ط الثامنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١١٧. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
١١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم -للعلامة الآلوسي البغدادي، الناشر: مكتبة دار التراث، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
١١٩. الروح لابن القيم الجوزية، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
١٢٠. روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٢١. زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الناشر: دار الفكر، لبنان، ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٢٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة -وشيء من فقهها وفوائدها- محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، -بدون رقم طبعة-، سنة النشر ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٢٣. السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، دراسة وتحقيق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

١٢٤. سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجتاني، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، الناشر: دار إحياء السنة النبوية -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٢٥. سنن ابن ماجة لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٢٦. سنن الدارمي لعبدالله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، الناشر: دار الريان للتراث-القاهرة ودار الكتاب العربي-بيروت ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، وطبعة: دار الريان للتراث، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

١٢٧. السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م، وطبعة مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٢٨. سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٢٩. سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط السابعة ١٤١٠ه-١٩٩٠م.

١٣٠. السيرة النبوية لأبي عبد الملك بن هشام المعافري -المعروفة بسيرة ابن هشام-، تحقيق: جمال ثابت ومجموعة، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٣١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، الناشر: دار الفكر، ط الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٣٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة، الرياض –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

١٣٣. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الناشر: دار المدني، جدة -بدون رقم طبعة- ط ١٩٨٥م.

١٣٤. شرح الصفات الثلاث عشر لعبدالله الهرري (الحبشي)،الناشر:دار المشاريع الخيرية،لبنان،ط الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٣٥. شرح العقيدة الطحاوية للإمام محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنقي، الناشـــر: المكتب الإسلامي، ط الثامنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٣٦. شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية محمد خليل هراس،الناشر:دار الاعتصام، القاهرة،ط الرابعة – بدون تاريخ نشر-.
١٣٧. الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم للشيخ عبد الله الهـرري(الحبشـي)، الناشـر: دار المشاريع للطباعة والنشر، ط الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٣٨. شرح جوهر التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني، الناشر: دار الكتب العلميـة، بيـروت، ط الأولـى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٣٩. شرح فتح الجليل على مختصر العلامة خليل للشيخ محمد عليش، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٤٠. شرح قصيدة الإمام ابن القيم -الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية- لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٤هـ.
١٤١. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبدالله بن محمد الغنيمان، الناشر: مكتبة لينة، دمنهور، ط الثانية ١١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٤٢. شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، شرح الملأ على القاري الحنفي، الناشر: دار الكتـب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٤٣. شرح لمعة الاعتقاد -الهادي إلى سبيل الرشاد- لمحمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: مكتبة الإمام البخاري، ط الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٤٤. شرح مغني المحتاج للشيخ الشربيني الخطيب مع متن المنهاج للنووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م.
١٤٥. شروط الاجتهاد عند علماء الأصول: كشف الأسرار شرح المصنف على المنار لأبي البركـات عبدالله بن أحمد المعروف (حافظ الدين النسفي)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولـى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١٤٦. الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشـر: دار الكتـب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٤٧. شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بـن بسـيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٤٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشـر: مكتبـة الإيمان -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
١٤٩. شفاء العليل -في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل- لابن قيم الجوزية، تعليـق: إبـراهيم أحمد عبد الحميد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٥٠. الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق: نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: دار الفرقان، عمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
١٥١. الشيخ محمد بن عبد الوهاب -عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه- للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي آل بن علي، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط ١٣٩٥هـ.
١٥٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
١٥٣. صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن البخاري،الناشر: دار الحديث، القاهرة،-بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر، وطبعة دار الفكر، -بدون رقم طبعة- ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م.
١٥٤. صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٥٥. صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٥٦. صحيح مسلم بشرح النووي للإمام النووي، الناشر:دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط الأولى ١٣٤٧هـ-١٩٢٩م، وطبعة : دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
١٥٧. الصراط المستقيم الشيخ عبد الله الحبشي، الناشر: دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، ط التاسعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٥٨. صريح البيان في الرد على من خالف القرآن الشيخ عبد الله الهرري، الناشر: دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٥٩. صفة الصفوة للإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمود فاخوري، ط الثانية ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
١٦٠. صفة صلاة النبي -صلى الله عليه وسلم- من التكبير إلى التسليم كأنك تراه محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
١٦١. الصلة بين التصوف والتشيع د. كامل مصطفى الشيبي، الناشر: دار المعارف، مصر، ط الثانية -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
١٦٢. صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام لجلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
١٦٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع شمس الدين عبد الرحمن السخاوي، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
١٦٤. ضوابط المعرفة -وأصول الاستدلال والمناظرة- لعبد الرحمن حسن حبنكا الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٦٥. طبقات الحفاظ للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، طبقات القراء لابن الجزري.

١٦٦. طبقات الشافعية الكبرى لأبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٦٧. الطبقات الكبرى لابن سعد، الناشر: دار صادر، بيروت – بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

١٦٨. طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٦٩. طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيه، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٧٠. العبر في خبر من عبر للحافظ الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العربية، بيروت، -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

١٧١. عصمة الأنبياء لفخر الدين الرازي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٧٢. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بن محمد بن عبد الهادي، الناشر: مطبعة المدني، مصر -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٧٣. العقيدة الإسلامية وأسسها عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،الناشر:دار القلم،دمشق،ط السادسة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٧٤. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٧٥. العقيدة في الله د.عز سليمان الأشعر، الناشر: دار النفائس، عمان، ط الثانية عشر ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٧٦. العلم الشامخ -في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ- لصالح بن المهدي المقبلي اليمني، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٧٧. علماء ومفكرون عرفتهم محمد المجذوب، الناشر: دار الاعتصام، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

١٧٨. علوم الحديث لأبي عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف (بابن الصلاح)، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر، دمشق -بدون رقم طبعة- ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٧٩. عمدة السالك وعدة الناسك لأبي العباس أحمد بن النقيب المصري، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

١٨٠. عمدة القاري -شرح صحيح البخاري- لأبي محمد محمود بن أحمد العيني، الناشر: دار الفكر، بيروت -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
١٨١. عمل اليوم والليلة للإمام أحمد بن شعيب النسائي، دراسة وتحقيق: د. فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
١٨٢. العواصم من القواصم -في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم- للقاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، ط الخامسة ١٣٩٩هـ.
١٨٣. عون المعبود -شرح سنن أبي داود- لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٨٤. العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة الأعلمي –بيروت- ط الأولى ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.
١٨٥. غاية البيان في تنزيه الله عن الجهة والمكان، إعداد قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، الناشر: دار المشاريع الخيرية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٨٦. غاية النهاية في طبقات القراء لأبي الخير محمد بن محمد الجزري، عني بنشره ج. برجستراس، الناشر:دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
١٨٧. الغنية في الأصول لأبي صالح منصور بن اسحق بن أبي جعفر السجستاني، تحقيق: محمد صدقي بن أحمد البورنو، -بدون ناشر-، ط ١٤٠٠هـ–١٩٨٩م.
١٨٨. الغنية -لطالبي طريق الحق عز وجل في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية- للشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني،وضع حواشيه: صلاح بن محمد بن عويضة،الناشر:دار الكتب العلمية،بيروت،ط الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٨٩. فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني (قسم العقيدة)، تحقيق ودراسة: محمد تامر، الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
١٩٠. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدّويش، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، ط الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
١٩١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: المكتبة السلفية –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
١٩٢. فتح العلام -بشرح مرشد الأنام- لمحمد عبدالله الجرداني، تصحيح وتعليق: محمد النجار، الناشر: دار السلام، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٩٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار الفكر، لبنان، ط ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٩٤. الفَرق بين الفِرق لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، بدون رقم طبعة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
١٩٥. فضل علم السلف على الخلف لابن رجب البغدادي الحنبلي، تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي، الناشر: دار الحديث، القاهرة –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
١٩٦. الفقه الأكبر للإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، إعداد: محمد محمود محمد فرغلي، الناشر: مجلة الأزهر، -بدون رقم طبعة- ط جمادى الأولى ١٤٠٦هـ.
١٩٧. الفكر الصوفي -في ضوء الكتاب والسنة- لعبد الرحمن عبد الخالق، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، ط الرابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٩٨. الفلاسفة الإسلاميون والصوفية -وموقف أهل السنة منهم- د. عبد الفتاح فؤاد، الناشر: دار الدعوة، القاهرة، ط الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٩٩. الفهرست للنديم لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق، تحقيق: رضا المازندراني، الناشر: دار المسيرة، ط الثالثة ١٩٨٨م.
٢٠٠. الفوائد لابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٢٠١. القاموس الفقهي -لغة واصطلاحاً- سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٠٢. القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الناشر: مؤسسة العربية، لبنان ودار الجيل، لبنان -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٢٠٣. القضاء والقدر د. عمر الأشقر، الناشر: دار النفائس، الأردن، ط الثانية ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٠٤. قفو الأثر في صفو علوم الأثر لمحمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي الشهير (بابن الحنبلي)، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية ١٤٠٨هـ.
٢٠٥. قواعد الأحكام في مصالح الأنام للإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الناشر: مكتبة الاستقامة، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
٢٠٦. القيامة الصغرى د. عمر سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس، الأردن، ط التاسعة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٢٠٧. القيامة الكبرى د. عمر الأشقر، الناشر: دار النفائس، الأردن، ط الثامنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٢٠٨. كتاب أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة ١٤٠١هـ–١٩٨١م.
٢٠٩. كتاب إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلّان، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢١٠. كتاب الأربعين في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الهروي، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، -بدون ناشر-، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٢١١. كتاب الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري، تحقيق ودراسة: د. أحمد عبد الحميد غراب، الناشر: دار الكاتب العربي، القاهرة -بدون رقم طبعة-، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
٢١٢. كتاب التاريخ الكبير لأبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٢١٣. كتاب التعريفات لعلي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: د. عبد المنعم الحفني، الناشر: دار الرشاد، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٢١٤. كتاب السُّنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، السعودية، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢١٥. كتاب السنة لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢١٦. كتاب الصفدية لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، -بدون ناشر أو رقم طبعة- ١٤٠٦هـ.
٢١٧. كتاب الطبقات للإمام أبي عمر خليفة بن خياط شباب العصفري، تحقيق: د. أكرم ضياء العربي، الناشر: دار طيبة، الرياض، ط الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢١٨. كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، الناشر، مكتبة الإرشاد، جدة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٢١٩. الكتاب المقدس -أسفار العهد القديم-، الناشر: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ط ١٩٩٦م.
٢٢٠. كشاف اصطلاحات الفنون محمد علي الفاروقي، تحقيق: د. لطفي عبد البديع، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – بدون رقم طبعة- ١٩٧٢م.
٢٢١. كشف الشبهات في التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بدون ناشر أو رقم طبعة أو تاريخ نشر.
٢٢٢. كشف الظنون -عن أسامى الكتب والفنون- لمصطفى بن عبدالله القسطنطي الرومي الحنفي، المعروف -بحاجي خليفة-، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٢٣. كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار لأبي بكر بن محمد الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط الثانية -بدون سنة نشر-.
٢٢٤. الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية للإمام مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢٢٥. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي، الناشر: دار الفكر، بيروت، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور –بدون رقم طبعة و تاريخ نشر-.
٢٢٦. لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، الناشر: دار صادر، بيروت –بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٢٢٧. لغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية ١٤٠٨هـ.

٢٢٨. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأنوار الأثرية للشيخ محمد السفاريني الحنبلي، الناشر:المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني، الرياض، ط الثالثة ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٢٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، الناشر: دار الرياض للتراث، القاهرة، -بدون رقم طبعة- سنة النشر ١٤٠٧هـ.

٢٣٠. مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.

٢٣١. مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب، الناشر: دار إحياء التراث، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٢٣٢. مجموعة الفتاوى لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني بتصرف،الناشر:دار الوفاء،مصر،ط الثانية١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٣٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لآبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس –بدون ناشر-، ط ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٢٣٤. المحيط في اللغة إسماعيل بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٣٥. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢٣٦. مختصر عبدالله الهرري -الكافل بعلم الدين الضروري- لعبد الله الهرري (الحبشي)، الناشر: دار المشاريع، بيروت، ط الثانية عشر ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٣٧. مدارج السالكين -بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- لابن قيم الجوزية، الناشر: دار الفكر -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٢٣٨. المذاهب الصوفية ومدارسها عبد الحكيم عبد الغني قاسم، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١٩٨٩م.

٢٣٩. المراقب اليفاعية في المناقب الرفاعية تهذيب فادي علم الدين، الناشر: دار المشاريع، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٤٠. مرشد الحائر -في حل ألفاظ رسالة ابن عساكر- للشيخ سمير القاضي، الناشر:دار المشاريع، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٤١. مسائل الجاهلية -التي خالف فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أهل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، الناشر: مؤسسة مكة للطباعة والنشر، السعودية، بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر.

٢٤٢. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل -في العقيدة- جمع وتحقيق ودراسة: عبد الإله بن سلمان الأحمدي، الناشر: دار طيبة، الرياض، ط الأولى ١٤١٢هـ.
٢٤٣. المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٢٤٤. المستصفى من الأصول لإمام أبي حامد الغزالي،الناشر: دار الفكر، بيروت -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٢٤٥. مسند الإمام أحمد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-، وطبعة أخرى (الناشر: دار الفكر العربي، بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر)، وطبعة أخرى (شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، بدون دار نشر أو رقم طبعة أو تاريخ نشر).
٢٤٦. مسند الربيع: الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري، تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، الناشر: دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
٢٤٧. المسودة في أصول الفقه آل تيمية (أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر، وأبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام، وأبو العباس أحمد بن عبد الحليم)، تقديم: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة –بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
٢٤٨. مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق:محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٤٩. مشكل الحديث وبيانه للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -بدون رقم طبعة- ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٢٥٠. معارج القبول -بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد- للشيخ حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: سيد عمران، علي محمد علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٥١. معالم في الطريق لسيد قطب، الناشر: دار الشروق، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.
٢٥٢. معجم الأدباء لياقوت الحموي، الناشر: دار الفكر، ط الثالثة ١٤٠٠ه-١٩٨٠م.
٢٥٣. المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.
٢٥٤. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مصطفى ا لبابي الحلبي، ط الثانية ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
٢٥٥. المقاصد النووية لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٢٥٦. المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية لعبدالله الهرري -الحبشي-، الناشر: دار المشاريع، بيروت، ط الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٥٧. المقالات السنية في كشف ضلالات الفرقة الحبشية لأبي صهيب عبد العزيز بن صهيب المالكي، -بدون دار نشر-، استراليا، ط الثانية ١٤٢١هـ.

٢٥٨. مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضري المغربي، الناشر: دار العودة، بيروت -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٢٥٩. مقدمة كتاب -شرح المقاصد للإمام سعد الدين التفتازاني- تحقيق وتعليق مع مقدمة في علم الكلام د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٦٠. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تأليف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٦١. المقصد الأسنى -في شرح أسماء الله الحسنى- للإمام عبد العزيز أحمد الديريني، تحقيق: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٩٨م.

٢٦٢. مقومات التصور الإسلامي سيد قطب، الناشر: دار الشروق، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٦٣. الملك والنحل للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الناشر: دار السرور، بيروت، ط الأولى ١٣٦٨هـ-١٩٤٨م.

٢٦٤. مناقب الإمام أحمد بن حنبل للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي. الناشر: مكتبة الخانجي، مصر، ط الأولى ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٢٦٥. مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، تحقيق د. محمود قاسم، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة -بدون رقم طبعة- ١٩٥٥م.

٢٦٦. مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحدانيته دراسة ونقداً د. صالح حسين الرقب (مخطوط)١٤١٢هـ.

٢٦٧. منتخب حدائق الفصول وجواهر الأصول -في علم الكلام على أصول أبي الحسن الأشعري- لتاج الدين محمد بن هبة الله المكي الحموي، الناشر: دار المشاريع للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٦٨. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٦٩. منتهى الخارف الجاني -في رد زلقات التجاني الجاني- للشيخ محمد الخضر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار البشير، الأردن، ط الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٧٠. منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٧١. منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة على ضوء الكتاب والسنة، جمع وترتيب: محمد بن جميل زينو، الناشر: لجنة التضامن الخيري، الكويت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢٧٢. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج -المسمى اختصاراً: صحيح مسلم بشرح النووي - لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الخير، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٧٣. المواقف في علم الكلام لعبد الرحمن بن أحمد الآيجي، الناشر: عالم الكتب، بيروت -بدون رقم طبعة وتاريخ نشر-.

٢٧٤. موسوعة أهل السنة في نقد أصول فرقة الأحباش ومن وافقهم في أصولهم لعبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، الناشر: دار المسلم، ط الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٢٧٥. موسوعة الزاد للعلوم والتكنولوجيا، المؤلف: مجموعة من العلماء، الناشر: مطابع ديداكو، إسبانيا، ط ١٩٩٥م.

٢٧٦. الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، الناشر: دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢٧٧. موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية د.عبد المنعم الحفني، الناشر: دار الرشاد، ط الأولى ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

٢٧٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الناشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢٧٩. الموطأ لمالك بن أنس، تصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢٨٠. موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٨١. النبوات لابن تيمية، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٨٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٢٨٣. النقض الكاوي لدعوى يوسف القرضاوي، تأليف: خليل دريان، الناشر: دار المشاريع الخيرية، لبنان، ط الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٨٤. نهاية السُّول في شرح منهاج الأصول لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تأليف: جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الآسنوي الشافعي، الناشر: عالم الكتب -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

٢٨٥. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لمحمد بن أبي العباس الرملي المنوفي المصري، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

٢٨٦. النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٨٧. هذه هي الصوفية عبد الرحمن الوكيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٨٨. الوجيز في أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٨٩. الوصول إلى الأصول لأحمد بن علي بن برهان البغدادي، تحقيق: عبد الحميد علي أبو زنيد،الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، -بدون رقم طبعة- ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٩٠. الوصية الكبرى لابن تيمية، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة -بدون رقم طبعة- ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٩١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار الثقافة بيروت- بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر -.

٢٩٢. يوم الفزع الأكبر -مشاهد يوم القيامة وأهوالها- للإمام القرطبي، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: مكتبة القرآن، القاهرة -بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

الدوريات: -

١- **مجلة منار الهدى:**

أ- عدد ٩، محرم ١٤١٤هـ.

ب- عدد ٢٣، ربيع الثاني ١٤١٥هـ.

٢- **مجلة البيان:**

أ- عدد ١١٠، شوال ١٤١٧هـ.

ب- عدد ٦٢، شوال ١٤١٧هـ.

ج- عدد ١١١، ذو القعدة ١٤١٧هـ.

٣- **مجلة الأسرة**، العدد ٧٧، شعبان ١٤٢٠هـ.

٤- **مجلة الوطن العربي**، العدد ١٠٩٥، شهر فبراير ١٩٩٨م.

٥- **مجلة الجامعة الإسلامية**-المدينة المنورة-العدد الأول من السنة الثانية عشرة ١٣٩٩هـ.

٦- **مجلة الأزهر**، الجزء ٩ رمضان ١٤٠٢هـ - يوليو ١٩٨٢م.

٧- **مجلة المنبر**، العدد الحادي والعشرين، شعبان ١٤٢٠هـ - نوفمبر ١٩٩٩م.

وثائق عن شبكة المعلومات العالمية (إنترنت) :-

١- إقامة الحجة على الحبشي لأبي طلال القاسمي www.asnnah.com/gr/ahbash1.html

٢- ترجمة للدكتور عدنان طرابلسي www.aicp.de

٣- ترجمة للشيخ حسام قراقيرة www.aicp.de

٤- ترجمة للشيخ عبد الله الهرري (الحبشي) www.aicp.de

٥- ترجمة للشيخ نزار حلبي www.aicp.de

٦- مجلة المجتمع العدد ١٤٤٧ www.Almujtamaa.mag.com

٧- نصيحة لعامة المسلمين - القرضاوي في ميزان الشريعة www.aicp.de

خامساً : فهرس الموضوعات